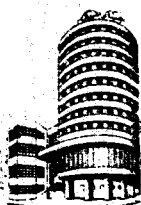


محمد متولى الشعراوى

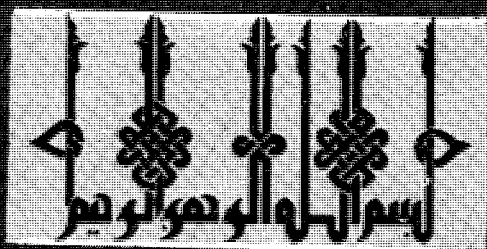
مغليزه القرآن

٣ أجزاء

● الطبعة الثانية ●



صورة الشيخ متولى الشعراوى
بريشه الفنان
الاستاذ مصطفى حسين



عَجْزَةُ الْقُرْآنِ

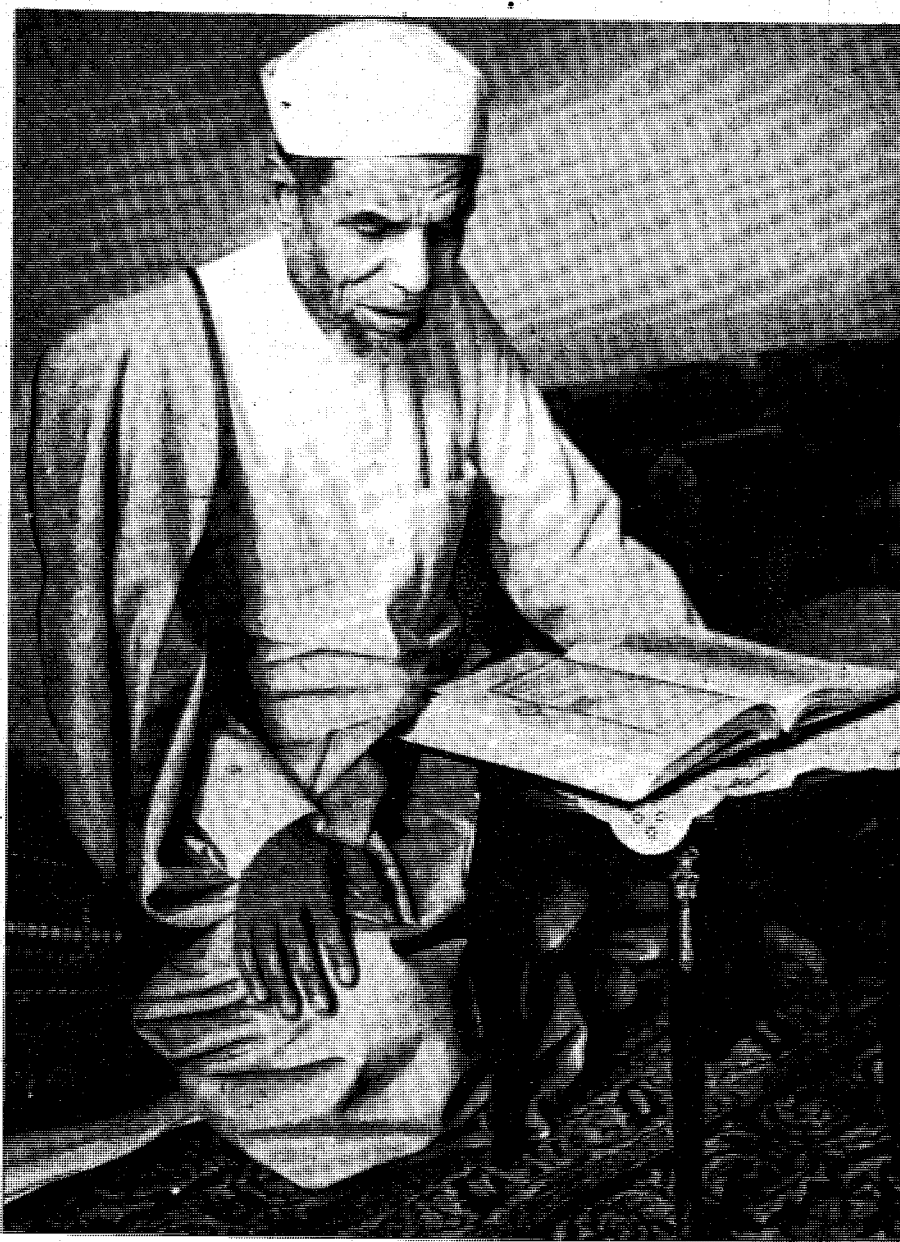
الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لا احد يستطيع ان يقدم
فضيلة الشيخ محمد متولى
الشعراوى الى المكتبة الاسلامية
سوى كتابته وعلمه ..
ولذلك فان خبر ما يقدم
هذا الكتاب هو ما كتب فيه .
« كتاب اليوم »





الكون كله نعمة ومنعم عليه .
وأكبر نعم الله . .
أن يتبع الانسان منهجه . .
بفهم وصدق .

محمد متولى الشعراوى

• الفصل الأول •

ماهى المعجزة ؟

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمتعبد بتلاوته والمتحدى به الأنس والجن والعالمين .. ولم يتحد الله به الملائكة .. لان الملائكة ليس لهم اختيارات يعملون بها .. انما هم يفعلون ما يؤمرون .. ومن هنا فان القرآن يتحدى كل القوى المختارة .. أو التى لها اختيار .. أو التى ميزها الله بقدرة العقل والفكر والاختيار ..

على أننا قبل أن نتحدث عن معجزة القرآن .. فاننا يجب أولاً أن نحدد ما هى المعجزة ؟ .. المعجزة هى خرق لنواميس الكون .. أو لقوانين الكون .. يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسوله ليبدل على منهجه .. ويثبتهم به .. ويؤكد للناس أنهم رسوله تؤيدهم السماء وتنصرهم .. والسماء حين تؤيد وتنصر ، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً .

ولكننا حين يأتى انسان ويقول انه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهجه .. أنصدقه ؟ .. أم أننا نطالبه باثبات ما يقول ؟ .. اذن كان لابد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه فى رسالته وفى بلاغه عن الله ..

ومعجزات الله تتميز من آية معجزات أخرى تمييزا واضحا قادرا
.. فهي أولا تأتي وتتحدى من أرسل فيهم الرسول فيما نبغوا فيه
.. لماذا ؟ لان التحدى فيما لا ينبغ فيه القوم لا يعتبر تحديا ..
فمثلا اذا جئنا ببطل العالم فى رفع الاثقال .. وتحدينا به رجلا
عاديا .. لا يكون هناك مجال للتحدى .. لماذا ؟ .. لان التحدى
لم ينبغ فى نفس جنس العمل الذى ارىد أن يتم فيه التحدى ..
ولكننا اذا جئنا ببطلين من أبطال العالم .. فان التحدى يكون بينهما
واضحاً .. ويكون له معنى فيمن ثبت أنه هو الاقوى ..

واذا جئنا بانسان قد نبغ فى الطب مثلا .. وأرسلناه الى بلد
ليس فيه طبيب .. فلا يعتبر هذا تحديا .. لانه لا يمكن أن يجد
هذا الطبيب من ينافسه بحيث يكون هناك مجال للتحدى .. ولكننا
اذا جئنا بهذا الطبيب وارسلناه الى أكبر عواصم الطب فى العالم
.. هنا يكون تحديا لهذا الطبيب .. هو تحد بقوة العقل حيث أننا
وضعناه فى اختبار مع أكبر ما فى عصره من قوة يمكن أن تواجهه ..
نكون بذلك قد وصلنا الى نقطتين .. النقطة الاولى .. أن المعجزة
يجب أن تكون خرقا لقوانين البشر ولا يقدر عليه الا الله سبحانه
وتعالى الذى وضع هذه القوانين .. وثانيتها أن المعجزة معجزة كل
نبي يجب أن تكون مما نبغ فيه قومه حتى يكون التحدى نابغا وقويا
.. واثباتا على قدرة الله سبحانه وتعالى .. فلا أتى بقوم نبغوا فى
الطب مثلا وأرسل لهم معجزة فى البلاغة .. أو أتى بقوم قد نبغوا
فى البلاغة وأرسل لهم معجزة فى الطب .. هنا الاحساس بالمعجزة
لا يكون فيه التحدى القوى للانسان .. فالتحدى يجب أن يكون فى
أمر نبغ القوم فيه حتى لا يتحدى الله قوما بأمر لا يعرفونه .. ولا
موهبة لهم فيه .. وحتى يكون للتحدى قيمة .. ومن هنا كانت
معجزة كل رسول فيما نبغ فيه قومه ..

على أن المعجزة لا تأتي فقط بخرق القوانين .. والتحدى .. وانما
توفر أسباب هذا التحدى .. بمعنى أن القوم الذين يريد الله أن
يتحداهم يمكنهم من الاسباب كلها .. ثم بعد ذلك يعطل الاسباب ..

فلا يتم الفعل .. ولنعط أمثلة سريعة على ذلك .. مثلا معجزة نجاة ابراهيم عليه السلام .. ومعجزة نجاة موسى عليه السلام .. كلتاها معجزة .. وضعت فيها الاسباب .. ثم عطلت .. معجزة ابراهيم جاءت تحديا فى قوم يعبدون الأصنام .. ويسجدون لها ويقدمونها .. (ولذلك) عندما أرادوا احراق ابراهيم كانوا يريدون أن ينتقموا لآلهتهم وهى الأصنام .. وكان الانتقام معدا بالشكل الذى يمجده هذه الأصنام .. ويجعل ابراهيم عبرة لكل انسان تسول له نفسه أن يهينها أو يكفر بها ..

وجاء ابراهيم ولم يحترق

جاءوا بابراهيم .. وأمام آلهتهم وفى حمايتها .. أوقدوا نارا هائلة ليحرقوه .. والحرق هنا أمام الآلهة وعلى مشهد منها ليكون الانتقام من ابراهيم انتقاما تباركه الآلهة وتجعله رهيبا .. وجاءوا بالحطب ووقفوا أمام آلهتهم مصدر قوتهم .. وأوقدوا النار الهائلة .. كل شيء هنا معد لتمجيد آلهة غير الله سبحانه وتعالى .. وأتوا بابراهيم .. والسؤال هنا لماذا جعلهم الله يأتون بابراهيم ليحرقوه فى النار أمام آلهتهم .. كان من الممكن أن يختفى ابراهيم فى أى مكان .. ولا يظهر .. وكانت هذه مسألة ممكنة تقى ابراهيم الحرق وتجعلهم لا يعثرون عليه .. ولكنه لو حدث هذا لقالوا لو أننا قبضنا على ابراهيم لاحرقناه .. وكانت ستظل قوة الآلهة المزيفة التى يعبدونها مسيطرة عليهم فى أن لها قدرة النفع والضرر .. وانها تنفع من يعبدها .. وتضر من يؤذيها ، وانه لولا هرب ابراهيم لاحرق فى النار ودمرته آلهتهم وهى الأصنام تدميرا .. ولذلك كان لابد ألا يهرب ابراهيم بل يقع فى أيديهم ليشهد القوم جميعا سفاهة معتقداتهم وعجزها أمام قدرة الله ..

وكان من الممكن أن تنطفىء النار لاي سبب من الاسباب .. كان ينزل المطر من السماء فتتنطفىء النار .. ولكن هذا لم يحدث .. لماذا؟ .. لنفس السبب ، لانه لو انطفأت النار لقال الكفار أن آلهتنا كانت قادرة على أن تحرق ابراهيم .. ولكن السماء أمطرت .. ولو

أن السماء لم تمطر لانتقام آلهتنا منه بالحرق ..
فابراهيم لم يهرب .. بل وقع فى أيديهم .. والنار لم تنطفىء ..
بل ازدادت اشتعالا ثم ألقوا بابراهيم فى النار ، فإذا بالله سبحانه
وتعالى يبطل خاصية الاحراق فى النار .. وتكون بردا وسلاما على
ابراهيم ..

اذن فمعجزة ابراهيم ليست أن ينجو من النار .. ولو أراد الله
أن ينجيه من النار ما أمكنهم من القبض عليه .. أو لنزلت الأمطار
لتطفىء النار .. ولكن الله شاء أن تظل النار متأججة محرقة قوية
.. وأن يؤخذ ابراهيم عيانا أمام الناس ويرمى فى النار .. ثم يعطل
الله ناموس أو قانون احراقها .

« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم »

فتعطل ارادة الله خاصية احراق النار .. وتقف آلهتهم تلك التى
حطمها ابراهيم والنار متأججة .. وابراهيم ملقى فى النار .. تقف
آلهتهم التى أرادوا الانتقام لها أمام الملائكة .. تقف عاجزة عن
أن تجعل ابراهيم يحترق أو تناله بأى سوء ..

وموسى عليه السلام أوحى الله الى أمه أن تلقيه فى اليم لينجو
.. وآخر شئ يمكن أن يقوم به أب وأم حين يريد أن ينجى طفله هو أن
يلقيه فى الماء .. فالطفل عاجز صغير وليد .. والقاذو فى الماء يعرضه
لطير جارح يقتله أو يهاجمه وهو لا يملك لنفسه دفاعا ولا بأسا
فيقتله .. وقد تأتى موجة صغيرة من الماء فتطيح بالسلة التى فيها
موسى فينقلب فى الماء فيغرق فى الحال .. فهو لا يعرف شيئا عن
العموم ولا يستطيع أن يفعل شيئا اذا سقط فى الماء .. واذا لم
يسقط فى الماء فقد تأتى الامطار لتملأ السلة التى هو بها .. فيختنق
ويغرق .. وقد تأتى ريح تقلب هذه السلة فى الماء فيموت .. اذن
فكل الاخطار موجودة فى القاء موسى فى اليم ما عدا فرصة الحياة
.. والمنطق والاسباب والعقل كلها تقول أنه اذا أرادت أم موسى
أن تنجيه فلتفعل أى شئ فى العالم الا أن تلقيه فى الماء .. كان
يمكنها أن تأخذه الى مكان بعيد يختفى فيه .. وكان يمكنها أن

تهاجر بابنها الى خارج مصر .. وكان يمكنها أن تخفيه فى منزلها فى مكان حصين لا يصل اليه جنود فرعون .. ولكن الله أمرها بماذا .. بأن تلقيه فى اليم .. حيث يواجه خطر الموت أكثر مما يواجه احتمال الحياة .. وجعل فى هذا الخطر خطر موت موسى غرقا .. أو بطير جارج .. أو بريح قوية .. جعل هذه الاخطار كلها الطريق الوحيد المضمون لنجاة موسى .. لماذا ؟ .. لأن الله هو الفاعل .. وهنا تتعطل الاسباب .. ويصبح الالتقاء نفسه هو النجاة والامان والاطمئنان ..

لماذا سجد السحرة ؟

نمود مرة أخرى الى المعجزة .. لقد جاء كل نبى الى قومه بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه .. قوم موسى نبغوا فى السحر .. فجاء موسى عليه السلام بمعجزة السحر .. وتحدى قومه .. فكان أول من آمن به هم السحرة .. لماذا؟ لانهم هم الذين يرهبون عيون الناس ويسحرونها .. فلما رأوا معجزة موسى كانوا أقدر الناس على فهمها .. والسجود لها نظرا لما راوه من الفرق الهائل بين قدرة الله .. وقدرة البشر .. ولما أحسوه برهبة وهو يقابل ما نبغوا فيه من السحر بما أعطاه الله له ..

« فالتقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون » ..

هكذا كان أول من آمن هم أولئك الذين نبغوا فى المعجزة .. وهم أولئك الذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحداهم فيما نبغوا فيه ، فلما رأوا عظمة التحدى خروا ساجدين .. لماذا ؟ لان لديهم جزءا من العلم الارضى فى السحر .. انما يخشى الله من عباده العلماء .. فلما رأوا المعجزة أحسوا بروعتها .. أحسوا بجلالها .. أحسوا بأنها من عند الله سبحانه وتعالى .. فنسوا فرعون ووعدده ، ونسوا الذهب والفضة وجاء الدنيا الذى ينتظرهم .. بل نسوا أن فرعون سيسومهم سوء العذاب .. وأنه جبار فى الأرض .. تلاشى كل هذا

عندما رأوا المعجزة .. وخروا ساجدين لله .. وكانوا هم الذين
أراد فرعون أن يتحدى بهم معجزة الله .. ودين الله .. فإذا بهم
أول من يسجد لهذا الدين ..

تلك روعة المعجزة .. تستطيع أن تتبينها إذا عرفت أن السحرة
كانوا موعودين بالجاه والسلطان والمال .. وكانوا هم أعوان فرعون
الذين يروجون له .. وكان في أيديهم حكم الدنيا إذا غلبوا ..
أو إذا اتهموا موسى بأى اتهام باطل يروج له فرعون وجنوده ..
ولكنهم بهتوا وذهلوا أمام معجزة فخرها ساجدين .. وتركوا كل
هذا مضافا إليه عذاب فرعون عندما رأوا آية من آيات الله ..

وعيسى جاء الى قومه وقد نبغوا في الطب فأبرأ الأكمه والابرص
.. وزاد على ذلك بأنه أحيا الموتى باذن الله .. اذن عيسى تحدى قومه
فى شئ نبغوا فيه .. فجاء لهم بما تجاوز علمهم .. وزاد عليه بأحياء
الموتى باذن الله .. فكان التحدى من جنس ما نبغ فيه قومه ..

ومحمد عليه الصلاة والسلام جاء والعرب قوم بلاغة وفصاحة ..
فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه ، وهو بلاغة القرآن التى
تحدثهم وأعجزتهم .. فقالوا ساحر .. وقالوا مجنون .. على أننا
سنتناول معجزة القرآن بالتفصيل فى الفصول القادمة .. حيث
أن اعجاز القرآن ليس لغويا فقط .. ولكن له جوانب كثيرة من
الاعجاز الذى يتحدى به الله سبحانه وتعالى الانس والجن الى يوم
القيامة .. والقرآن له عطاء يتجدد مع كل جيل من الاجيال ..

وإذا كانت المعجزة هى خرقا للعادة مقرونة بالتحدى .. ولايستطيع
أحد معارضتها .. فقد تأتى المعجزة خرقا للعادة ، ولكنها ليست
مقرونة بالتحدى .. أى أن الله سبحانه وتعالى لا يتحدى بها البشر
ولا يطالبهم أن يأتوا بمثلهما .. بل أن هذه المعجزة تأتى لاثبات
طلاقة قدرة الله فى كونه .. بحيث لا يخضع الانسان كل الاشياء
للاسباب والمسببات .. بل ان الانسان المؤمن يجب أن يلجأ الى الله
سبحانه وتعالى فيما تعجز عنه الاسباب .. فالله قادر قاهر ليس
لقدرته قيود ولا حدود ..

قصة الله

والقرآن يعرض مسألة المعجزة لاثبات طلاقة القدرة الالهية في سورة مريم .. يأتى ليثبت قضية من القضايا التي اعتاد فيها الناس الاسباب والمسببات .. وهى مسألة بقاء النوع .. وبقاء النوع مشروط بالتقاء رجولة وأنوثة لينشأ اخصاب وحمل .. ولابد أن تكون الرجولة مكتملة .. والأنوثة غير ناقصة ليتم ذلك ..

فيأتى الله سبحانه وتعالى ليثبت لنا طلاقة القدرة الالهية بلا حدود ولا قيود .. حتى لا يفهم الانسان أن الخلق مقرون بأسباب ومسببات لابد من وجودها .. ومن هنا فان الله فى قضية الخلق يريد أن يدير المسألة من زواياها الاربع .. فليس بقاء النوع أو ايجاد النوع رهنا بوجود ذكر وأنثى .. بل هو رهن بمشيئة الخالق .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى يخلق رجلا بلا ذكر ولا أنثى .. ويخلق من رجل بلا أنثى .. ويخلق من رجل وأنثى .. ويخلق من أنثى بلا رجل .. وبذلك تكون أركان الخلق الأربعة قد اكتملت ..

ولنشرح ذلك قليلا .. الله خلق آدم أول الخلق من لا ذكر ولا أنثى فأدم لم يكن له أب ولا أم وانما خلقه الله سبحانه وتعالى .. ونفخ فيه من روحه .. هذه واحدة .. خلق من لا ذكر ولا أنثى .. وخلق الله حواء على الارجح من الذكر دون الانثى .. ثم خلق البشرية كلها من الذكر والأنثى ..بقى شئ فى الخلق أن يخلق الله من الأنثى بلا ذكر .. فتأتى مسألة عيسى عليه السلام .. وتأتى بقية الكون كله من البشر ويأتى عيسى عليه السلام من أنثى لم يمسسها رجل .. ومن هنا تكون القسمة للخلق أربعة .. فأصل الخلق كما أراده الله أن يكون .. وجعل له الاسباب هو من ذكر وأنثى .. ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون النشء من غير وجودهما معا ، فيخلق آدم .. ومن وجود الرجل وحده ، فيخلق حواء من آدم .. ومن وجودهما معا فيخلق الكون كله .. وجعله يتناسل .. ومن وجود الأنثى دون الرجل .. فيخلق عيسى .. وبذلك تكون أوجه الخلق كلها قد اكتملت ..

الا أننا يجب أن ننتبه الى شئ هام .. خلق الانسان .. بدون ذكر

أو أنثى .. معجزة تخضع لله سبحانه وتعالى .. خلق الأنثى من الرجل وحده معجزة تخضع لإرادة الله سبحانه وتعالى .. خلق الرجل من الأنثى وحدها دون أن يمسيها رجل .. معجزة من الله سبحانه وتعالى .. خلق الانسيان من ذكر وأنثى .. معجزة جعلها الله تمضي في الدنيا بالأسباب والمسببات .. ولكنه لم يطلقها لتتم بالأسباب والمسببات وحدها .. فأدخل فيها المشيئة .. وقال سبحانه وتعالى :

« ويجعل من يشاء عقيما »

اذن كل معجزة الخلق التي تمت انما تخضع لمشيئة الله سبحانه وتعالى .. فليس وجود النوعين موجبا لان يوجد الخلق ..

« الله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء .. يهب لمن

يشاء اناثا .. ويهب لمن يشاء الذكور .. او يزوجهم

ذكرانا واناثا .. ويجعل من يشاء عقيما »

المسألة ليست وجود مسببات .. بل ان الله سبحانه وتعالى حين يريد للأسباب أن تفعل .. تفعل .. وحين يريد أن تتعطل تتعطل .. وحين يريد أن تأتي بالعلل دون الأسباب يأتي بها فلا قيود ولا حدود لقدرة الله سبحانه وتعالى ..

واذا تعطلت الأسباب

هذه قضية في اصل الكون .. وهي قضية طرحها الله سبحانه وتعالى واعطاها للبشر ليدخل الايمان الى قلب المؤمن فيضع فيه السكينة .. فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمن اذا ضاعت الأسباب فلا تياس .. فأنا الذي خلقت الأسباب .. وأنا القادر على ايجاد المسببات دون القانون .. فلا تياس ان عزت الأسباب .. ومن هنا يأوى المؤمن الى ركن شديد .. ويحس بالطمأنينة تملأ قلبه .. ولا يمزقه الفزع خوفا أو رعبا .. حينما يفقد أى شيء .. ذلك انه يأخذ بالأسباب أولا .. فاذا عزت الأسباب أو تعذرت ووجد كل الطرق مغلقة في وجهه .. اتجه الى الله سبحانه وتعالى .. فالمؤمن لا يياس من روح الله أبدا .. ولا تنهار نفسه .. ويضيع أمنه عندما يرى انهيار الأسباب ..

وتعرض لنا هذه القصة في سورة مريم .. ميلاد مريم رضى الله عنها له ضجة .. يحكى ذلك القرآن الكريم :

« اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى

محزرا ، فتقبل منى انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها

قالت رب انى وضعتها أنثى »

كلمة انى وضعتها أنثى التى قالتها امرأة عمران .. تحسر على انها لم تضع ذكرا .. أى أن الوليد الذى جاء لا يؤدى الغرض الذى وهب من أجله .. لأن امرأة عمران نذرت ما فى بطنها لله سبحانه وتعالى .. وكيف تستطيع مريم أن تؤدى الخدمة فى المعبد وهى أنثى .. وامرأة عمران تقول أن الرجل أفضل من الأنثى فى ذلك .. فيقول لها الله سبحانه وتعالى انك ما زلت تحسبين أن الذكر أحسن من الأنثى .. هذه العملية التى تفكرين فيها هى منطلق الدنيا الخائب .. ويضيف الله سبحانه وتعالى :

« وليس الذكر كالأنثى »

أى أن الأنثى التى جاءت أفضل من الذكر الذى تمنيته .. وكانما الأنثى لها مكانة أكثر مما تظنين .. فلا تقولى أن الله قد أعطانى أنثى ولم يعطنى ذكرا .. لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق .. ولأنه يعرف أن هذه الأنثى سيصبح لها شأن آخر .. وبعد ذلك يعرف أن والد مريم متوفى .. حيث أنها حين ولدت أرادوا أن يكفلوها .. وكلمة من يكفلها دليل على أن وليها الطبيعى وهو الوالد غير موجود ..

ويكفلها زكريا .. ومعنى أن يكفلها زكريا وفيه نبوة أنه يأتى إليها بكل مقومات حياتها .. فعندما يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقا .. ومعنى أن زكريا يجد عندها الرزق عند دخوله المحراب أو المكان الذى تصلى فيه مريم وتسجد .. معناه أنه لم يأت بهذا الرزق .. وإنما الذى أتى به هو الله سبحانه وتعالى .. بدليل أن زكريا يسألها :

« انى لك هذا ، قالت هو من عند الله »

وابتدأت الصغيرة المكفولة مريم بفطرتها تفهم أن الله سبحانه وتعالى

ليس له قانون يحكمه .. وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ..
هنا نتوقف قليلا لنعرف أن الله سبحانه وتعالى حينما أعد مريم
للمهمة التي ستقوم بها جعلها أولا منذورة لله سبحانه وتعالى ولعبادته
.. ثم جعل من يكفلها نبيا هو زكريا .. ثم بعد ذلك أراد الله سبحانه
وتعالى أن يمهّد لها فبين لها أن لكل شيء في هذا الكون سببا ..
الا أن هناك أشياء تحدث بلا أسباب .. أو يعطي الله فيها الأسباب
.. وبدأ بمسألة الرزق الذي يرزقها به .. فأكهة في غير أوانها ..
ورزق ليس موجودا في الأرض .. تمهيدا لما هو قادم .. وإعلانا
لها بأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .. ثم بعد ذلك أتى الله
سبحانه وتعالى بقضية أخرى هي دعاء زكريا بالولد .. عندما رأى
الرزق بلا حساب عند مريم .. هنالك دعا زكريا ربه .. وطلب
زكريا ولدا فاستجاب الله لدعائه .. وبشره بالغلام .. هنا تذكر
زكريا عند هذه البشري .. انهيار الأسباب عنده .. فقال يا ربى
اننى رجل عجوز .. وامراتى عاقر .. أى أن الأسباب الكونية لا يمكن
الانجاب غير موجودة .. فكيف أستطيع أن أنجب طفلا .. فقال الله
سبحانه وتعالى :

« كذلك قال ربك هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم
تك شيئا »

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق زكريا .. ولم يك شيئا يذكر
فهو يستطيع أن يعطيه الغلام دون التقيد بالأسباب .. هنا تذكير
مرة أخرى لمريم بأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد فانه يوجد الأشياء
بدون الأسباب نفسها .. أولا .. أعطاه الرزق بلا أسباب للرزق
.. ثم استجاب لدعوة زكريا التي دعاها فى المحراب .. فقال الله
سبحانه وتعالى :

« هنالك دعا زكريا ربه »

وكلمة هنالك أن الدعاء تم فى المحراب عند مريم لتشهد مرة
أخرى ما ثبتت فؤادها فيما أعده الله لها .. فترى الخلق يتم بدون
أسباب الخلق .. فزكريا عجوز .. وامراته عاقر .. ومع ذلك فان

الله قادر على أن يرزقه بولد .. وكل هذا هدفه ألا تهتز مريم مما
ستتعرض له من ولادة دون ذكر .. ومع ذلك .. ومع كل هذه
المقدمات اهتزت مريم حين رأت جبريل عليه السلام ..

« قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر .. ولم

اك بغيا »

أى أنه بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا أسباب .. ومن ولد لزكريا
مع انتفاء الأسباب .. مع كل هذه المقدمات اهتزت مريم عندما رأت
جبريل حتى أن الله سبحانه وتعالى ليثبتها قال لها :

« كذلك قال ربك هو على هين .. ولنجعله آية للناس »

والله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لمريم بعد كل هذه المقدمات من
رزق بلا أسباب .. ومن خلق مع اختفاء الأسباب تتعجبين مما
يحدث ... لقد قلت يا مريم :

« يرزق من يشاء بغير حساب »

شهدت يا مريم أن الله سبحانه وتعالى حين يريد تعطيل نواميس
الكون .. وایجاد المسببات بلا أسباب .. يستطيع أن يفعل ذلك .
شهدته فى زكريا .. ومع ذلك تتعجبين .

معجزة ولكن ليست للتحدى

على أن هذه المعجزة .. معجزة خلق عيسى عليه السلام .. لم
يكن مقصودا بها التحدى .. فالله سبحانه وتعالى لم يتحد بها أحدا ..
لكن المقصود بها هو طلاقة القدرة .. أى أن الله يفعل ما يشاء ..
ومقصود بها استكمال الخلق بحيث يصبح الخلق بدون ذكر أو أنثى
.. ومن ذكر بلا أنثى .. ثم من ذكر وأنثى لمن شاء الله .. ثم من
أنثى بلا ذكر .. وبذلك تكتمل مراحل الخلق ..

ومعجزة أخرى لم يتحد بها الله بشرا .. وهى معجزة شق موسى
للبحر بمصاه .. فعندما طارد فرعون وجنوده موسى عليه السلام ..
ووصل أتباع موسى الى البحر .. والبحر أمامهم .. وجنود فرعون
وراءهم .. قال قومه انا لمدركون .. وهذه مسألة طبيعية فى قوانين
ومسببات البشر .. فجنسود فرعون على بعد قريب .. والبحر أمام

قوم موسى .. فهم لا يستطيعون مواصلة الفرار أو الهرب .. وحينئذ رفع موسى الأمر الى الله سبحانه وتعالى .. لم يقل سنصعد الى جبل ليحمينا من فرعون وجنوده .. ولم يقل سنستقل سفينة ضخمة نهرب بها من فرعون وجنوده .. ولم يقل اننا سننجو بطريقة كذا وكذا .. وانما حينما قال له قومه انا لمفرقون .. رد الامر الى الله سبحانه وتعالى .. وقال بملء فيه :

« كَلَّا اِنْ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ »

ومن هنا فانه نقل المسألة من قانون الانسان .. أو البشر .. الى قانون الله سبحانه وتعالى .. فكأنه قد نقل القدرة من القدرة البشرية المحدودة .. الى قدرة الله سبحانه وتعالى التى ليس لها حدود ولا قيود .. والتى تتم بكلمة كن .. وما دام قد نقل القدرة منه هو الى قدرة الله سبحانه وتعالى فقد أصبحت هذه القدرة ينطبق عليها لفظ سبحانه الله وليس كمثله شئ .. أى أنه لا عجب فيما سيحدث ولو خالف كل قوانين البشر .. لأن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى .. فأصبحت النجاة نابعة من قدرة الله وليس من قدرة البشر .. فقال الله سبحانه وتعالى له :

« اَنْ اَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ »

والمعروف أن الماء لا ينفلق لأن قوانين الماء هى الاستطراق .. أى لا يكون عاليا فى مكان ومنخفضا فى مكان آخر .. لابد أن يتساوى سطحه .. فاذا ضرب موسى بعصاه البحر فهو لا يستخدم قوانين الأرض .. ولا قوانين الماء .. ولا قدرات البشر .. لأنه رفع الامر الى الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا تكون القدرة والفعل لله فينشق البحر .. وينجو موسى وقومه ..

هذا هو معنى المعجزة فى ايجاز بالغ .. فالمعجزة هى خرق لنواميس الكون .. تتحدى .. ولا يستطيع احد معارضتها .. والمعجزات نوعان .. معجزات أعطاه الله سبحانه وتعالى لرسله ليتحدوا بها قومهم .. ويثبتوا أنهم جاءوا بالهدى وبالرسالات من عند الله .. ويثبتوا الايمان فى قلوب الناس .. ويبينوا لهم الطريق

المستقيم المؤدى الى الحياة السليمة .. وهو قوانين الله فى الارض ..
وليُعرف الجميع أن هؤلاء رسل جاءوا من عند الله بمنهج وضعه الله
للانسان .. وهناك معجزات أخرى فى الكون .. لم يرد الله بها
التحدى .. ولكنه اراد اثبات طلاقته فى الكون فى انه هو الخالق
.. وانه هو الموجد للاسباب والمسببات .. وأنه يقول كن فيكون
بلا مسببات .. مادام الامر قد رفع الى الله سبحانه وتعالى بعيدا عن
قدرات البشر وقوتهم ..

معجزة القرآن مستمرة

على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل
السابقين .. معجزات الرسل خرفت قوانين الكون .. وتحدث وأثبتت
أن الذى جاءت على يديه رسول صادق من الله .. ولكنها معجزات
كونية من رآها فقد آمن بها .. ومن لم يرها صارت عنده خبرا
ان شاء صدقه .. وان شاء لم يصدقه .. ولو لم ترد فى القرآن لكان
من الممكن أن يقال انها لم تحدث ..

اذن فالمعجزة الكونية المحسة .. أى التى يحس بها الانسان
ويراها تقع مرة واحدة .. من رآها فقد آمن بها .. ومن لم يرها
تصبح خبرا بعد ذلك .. على أن هذه المعجزات لا تتكرر أبدا .. هناك
رأى يقول أن معجزات الرسل مع تقدم العلم يمكن أن يصل اليها
البشر .. وهذا الرأى غير صحيح على الاطلاق .. فالمعجزة تبقى
معجزة الى يوم القيامة .. قد يقول واحد اننا قد نصل الى قانون أو
اختراع يشق الماء .. وحتى أن حدث هذا فان المعجزة تبقى خالدة
.. لانه لا يمكن ان يأتى انسان يضرب البحر بمصاه فينشق الماء
الا موسى عليه السلام .. وقد يقول بعض الناس أن عيسى عليه
السلام كان يبرىء الاكمه والابرص .. وأن هناك دواء الآن لبعض ..
أو لكل هذه الداءات .. ولكننا نقول له أن المعجزة ستبقى المعجزة ..
فلن يستطيع بشر أن يشفى انسانا مريضا بمجرد لمسه .. أو الإشارة
اليه الا عيسى عليه السلام .. قد يقول بعض الناس اننا نستطيع
أن نذهب من مكة الى بيت المقدس ونعود عدة مرات كل يوم .. وهذا

رد على معجزة الاسراء .. فنقول أبدا .. لن يستطيع انسان أن يذهب
بغير طائفة في الجو الا محمد عليه السلام .. فضلا عن الصعود الى
السماء السابقة .. ذلك أن المعجزة تظل خالدة في نوعها وأدائها
مهما طال الزمن .. وهي معجزة أساسها الاعجاز بالطريقة التي تمت
بها .. ولا تتصل اليها القوانين التي يكشف عنها الله سبحانه وتعالى
من علمه للبشر .. بل تظل المعجزة معجزة ..

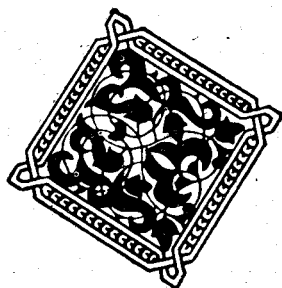
على أننا اذا نظرنا الى المعجزات السابقة وجدنا هذه المعجزات
فعلا من أفعال الله .. وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله
سبحانه وتعالى .. البحر أنشق لموسى .. ثم عاد الى طبيعته .. النار
لم تحرق ابراهيم .. ولكنها عادت الى خاصيتها في الاحراق .. ولكن
معجزة النبي صلى الله عليه وسلم صفة من صفات الله .. وهي كلامه
.. والفعل باق ببقاء الفاعل له .. والصفة باقية ببقاء الفاعل
نفسه ..

على أن معجزات الله سبحانه وتعالى التي يؤيد بها رسله .. أو
يسريدها آية من آياته .. تختلف عن معجزات البشر في أن الله
سبحانه وتعالى يجعل من يقوم بالمعجزة يملك خاصية هذه المعجزة
وقتها .. أى أن الله سبحانه وتعالى يجعل الضعيف قويا .. وغير
القادر قادرا .. والذي لا يستطيع شيئا يستطيع أن يفعله .. فمعجزة
عام الفيل مثلا التي أرسل فيها الله سبحانه وتعالى طيرا أبابيل ..
أفنت جيش أبرهه عندما جاء ليحطم الكعبة .. جعل الله المعجزة في
أن الطير الضعيف يستطيع أن يهزم فيلا جبارا قويا .. ويستطيع
أن يفنى جيشا من أقوى جيوش العالم .. أن لم يكن أقواها في ذلك
الوقت .. ولقد كانت المعجزة فيها قدرة هائلة حتى انها هزت
نفوس بعض المؤمنين الذين لم يروها .. أو لم يشهدها .. وجاءوا
بعد عصر النبوة .. ولقد أثير حول هذه المعجزة حديث طويل في
أنه كيف تستطيع الطير وهي تمسك بحجارة صغيرة جدا أن تفنى
جيشا من الافيال .. ولو هدمت فوقه عمارة لخرج سالما معافى ..
ووجد بعض العلماء في هذا الكلام تجاوزا لحدود العقل .. فبدأوا

يحاولون تخريبها تخريبا عقليا بأن يقولوا أن هذه الطير كانت
تحمل جراثيم فتكت بهذه الفيلة الى آخر هذا الكلام الذى يحاولون
به تبرير المعجزة . والمعجزة لا تبرر أبدا لماذا ؟ .. لانها لا تخضع
لقوانين البشر .. فالفاعل هو الله سبحانه وتعالى .. ومعجزة الفيل
حدثت كما رواها القرآن تماما من ناحية الطير .. ومن ناحية الحجارة
.. ذلك أن هذه المعجزة وقعت فى العام الذى ولد فيه الرسول
صلى الله عليه وسلم .. ورسول الله بعث فى الاربعين من عمره ..
أى أنه عندما نزلت هذه الآية كان هناك من شهدوا عام الفيل .. ممن
أعمارهم قد بلغت الخامسة والخمسين .. والستين .. والخامسة
والستين .. والسبعين .. وما فوق ذلك .. فلو أن القرآن جاء
برواية منافية أو مخالفة لما شهدوه لقالوا أن هذا لم يحدث .. وأن
طيرا لم تأت .. وأن حجارة لم تستخدم .. ولكن كون القرآن جاء
بهذا .. وهناك شهود .. وشهود من الكفار الذين يهمهم الطعن
فى الدين .. ويهمهم أن يشككوا فيه .. ولم يستطيعوا أن يجادلوا
فى هذه الآية .. أذن فالطير قد جاءت .. والحجارة قد استخدمت
.. وهذه معجزة من معجزات الله تحمل سمة المعجزات وهى أن الله
سبحانه وتعالى عندما يريد أن يحقق المعجزة يعطى القوة أو القدرة لمن
يختاره لتحقيقها .. فهنا أعطى القوة للطير لتغلب الفيل .. عكس
المنطق تماما .. وأعطى قدرة السحر لموسى فغلب السحرة وأعطاه
قدرة شق البحر فضرب الأرض بعصاه فشق البحر .. وأعطى
لعيسى عليه السلام قدرة شفاء المرضى وإحياء الموتى .. كل هذا باذن
الله .. وهنا الاختلاف بين الاعجاز الالهى .. وأى اعجاز آخر ..
فأنت حين تريد أن تجعل رجلا ضعيفا يحمل حملا ثقيللا تستطيع أن
تنقل اليه قوتك ليحمل هذا الحمل ولكنك تستطيع أن تحمله عنه
.. وأى اختراع جديد يخدم الانسان لا يستطيع ان يعطى الانسان
قدرة خارقة ولكنه يساعده باستخدام شئ خارجى .. أما الله سبحانه
وتعالى .. فإنه هو وحده المستطيع ان يجعل الضعيف قويا ..
والعاجز قادرا .. والقوى لاحول له ولا قوة .. ومن هنا فإذا انتصر

رجل ضعيف على رجل قوى .. فانك تعلم أن الضعيف قد نصره
الله سبحانه وتعالى .. الله اعطى لابراهيم مثلاً قدرة الخلق حينما
طلب منه ان يأتى بالطير ويقطعها .. ثم يضع على كل جبل جزءاً ثم
يدعوها فتأتى له سمياً .. اى أن ابراهيم هو الذى دعا .. والله
هو الذى اذن .. وشاء ..

على أن معجزة القرآن تختلف فى أوجه كثيرة عن المعجزات الاخرى
.. وهذا ما سنبينه فى الفصل القادم ..



• الفصل الثانى •

معجزة القرآن وكيف تختلف؟

معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين فى كثير من زوايا الاعجاز .. وفى القرآن اعجاز لا يتنبه اليه العقل الا بعد ان ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره .. حينئذ يتبين أن للقرآن وجوه اعجاز أخرى أو جديدة تزيد فى معنى الاعجاز .. أو تعطى ابعادا جديدة لما يقال .. بل ان اعجاز القرآن موجود أحيانا فى حرف .. حرف من القرآن يحمل اعجازا رهيبا .. وتلك حقيقة سنتناولها بالتفصيل فى الفصول القادمة .. ولكن الذى يجب أن نعرفه الآن .. أن للقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجيل السابق .. ذلك ان القرآن للعالمين .. أى الدنيا كلها .. لا يقتصر على أمة بعينها .. وانما هو الدين الكامل لكل البشر .. ومن هنا فانه يجب أن يكون له عطاء لكل جيل .. والا لو أفرغ القرآن عطاءه الاعجازى فى قرن من الزمان مثلا لاستقبل القرون الاخرى بلا عطاء .. وبذلك يكون قد جمد .. والقرآن متجدد لا يجمد أبدا .. سخى يعطى دائما .. قادر على العطاء لكل جيل بما يختلف عن الجيل الذى قبله .. وبنفس الآية .. أى أن هناك آيات من القرآن تعطينا الآن عمقا جديدا فى معناها .. ذلك العمق لم يكن أحد يصل اليه بالفهم الدقيق فى أول وقت نزول القرآن ..

ولكى تكون هذه النقطة واضحة يجب أن نفرق بين شيئين اثنين
 فى القرآن الكريم .. الاحكام الخاصة بمنهج العبادة .. أو ما يحدده
 الله للبشر ليقوموا بعبادته بالطريقة التى حددها الله سبحانه وتعالى
 ليعبد فى الارض .. كلمة أفعّل .. ولا تفعل .. هذا حلال ..
 وهذا حرام .. هذه الاحكام التكليفية لا تغيير فيها ولا تبديل ..
 وانما كما فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أو كما فسرت
 فى عهد نزول القرآن .. الصلاة خمس مرات .. لا اجتهاد فى هذا
 .. شهادة أن لا اله الا الله .. الزكاة .. ما حرم على الانسان وما أحل
 له .. الزواج والطلاق .. كل ما شرعه الله من أحكام بينه الرسول
 صلى الله عليه وسلم وفسره .. ولا اجتهاد فيه .. لا يستطيع أحد
 أن يأتى ويقول لنا أن الصلوات أربع مرات فى اليوم .. ويفسر هذا
 بأى وجه من التفسير .. هذا غير مقبول .. وليس مجال المناقشة ..
 أفعّل ولا تفعل .. الاحكام التى اذا فعلتها نجوت .. واذا لم تفعلها
 عوقبت .. هذه لا تبديل فيها ولا اجتهاد .. لان الله سبحانه وتعالى
 هو الذى يحدد لنا كيف نعبد .. وهو الذى يختار لنا الطريق ..
 نأتى بعد ذلك الى الأشياء المتصلة بقوانين الكون والخلق ..
 تلك الأشياء التى لم يكن للعقل البشرى الاستعداد العلمى وقت
 نزولها ليفهمها تماما .. مثلا كروية الأرض .. احدى الحقائق التى
 تحدث عنها القرآن .. الغلاف الجوى المحيط بالأرض احدى الحقائق
 التى تحدث عنها القرآن .. علم الأجنة تناوله القرآن .. دوران
 الأرض حول نفسها .. الزمن .. ونسبية الزمن .. وعدد من
 حقائق الكون الأساسية .. نجد أن الآيات التى تتناول هذه الأشياء
 من الرسول صلى الله عليه وسلم عليها مرورا وترك للعقل فى كل
 جيل أن يأخذ قدر حجمه .. والمعجزة هنا فى القرآن أنه يعطى لكل
 عقل قدر حجمه .. ويعطى لكل عقل ما يعجبه ويرضيه .. فترى
 غير المتعلم يطرب للقرآن ويجد فيه ما يرضيه .. ونصف المتعلم يجد
 فى القرآن ما يرضيه .. والمتبحر فى العلم يجد فى القرآن اعجازا
 يرضيه ..

هذه واحده .. من اعجاز القرآن الكريم .. انه يقدم لكل نفس باستخدام الآيات والألفاظ التي تؤدي الى المعنى .. فاذا ما كشف الله للبشر عن سر من اسرار كونه .. ورجعنا الى الآية نجد انها تؤدي نفس المعنى ..

رب المشارق والمغارب

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك .. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ..

« رب المشرق والمغرب »

« رب المشرقين ورب المغربين »

« رب المشارق والمغارب »

لو أخذنا كل آية من هذه الآيات وقت نزول القرآن الكريم على حجم تفكير العقل البشري في ذلك الوقت .. نجد أن مفهوم المشرق هو جهة شروق الشمس .. ومفهوم المغرب هو جهة غروب الشمس .. فعندما يقول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب .. فليس هناك تعارض بين العقل والآية في ذلك .. نأتى بعد ذلك للآية الكريمة « رب المشرقين ورب المغربين » نقول اذا كان المشرق هو جهة الشرق .. فان رب المشرقين معناها انها تجمع بين عمومية الجهة وهي الشرق .. وبين المكان المحدد لشروق الشمس .. بمعنى أنك تقول هذا هو الشرق .. وهذا هو الغرب .. وتشير بيدك الى جهة المشرق أو المغرب .. فاذا أردت أن تحدد مكان شروق الشمس .. فانك تقول أن الشمس تشرق من هنا .. وتحدد المكان بالضبط .. هذا هو التفسير في وقت نزول الآية .. ثم نأتى بعد ذلك الى « رب المشارق والمغارب » .. التفسير وقت نزول الآية هو أن كل بلد له مشرق وله مغرب .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى هو رب المشارق كلها والمغارب كلها ..

فاذا جئنا الى هذه الآيات اليوم لوجدنا تفسيرها يختلف .. رب المشرق والمغرب .. هذه قالوا عنها عمومية .. ولكن الله سبحانه وتعالى قرن كلمة المشرق بالمغرب لانه لا يوجد مشرق بدون مغرب ..

كروية الأرض تحتم هذا ٠٠ ففي الوقت الذي تغرب فيه الشمس على جهة ٠٠ في نفس الوقت ٠٠ وفي نفس اللحظة تشرق على جهة أخرى ٠٠ اذن قول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب ٠٠ ولم يقل رب المشرق ورب المغرب ٠٠ أو لله المشرق ، أو لله المغرب ٠٠ حيث كان المعتقد وقت نزول القرآن أنهما جهتان مختلفتان تماما ٠٠ متقابلتان بالنسبة للعين المجردة ٠٠ ولكن قول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب ٠٠ معناها أن الشروق والغروب يتم في وقت واحد ٠٠ أى أن الشمس تغرب على بلد في نفس الوقت تشرق فيه على بلد آخر ٠٠

نأتي بعد ذلك للآية الكريمة

« رب المشرقين ورب المغربين »

لماذا قال المشرقين بالذات والمغربين ٠٠ اذا نظرنا الى الكرة الارضية نجد انها مقسمة الى جزئين ٠٠ نصف مضى ٠٠ ونصف معتم ٠٠ والنصف المضى له مشرق ومغرب ٠٠ بينما النصف المعتم يسبح في ظلام دامس ٠٠ فاذا استدارت الكرة تماما يواجه النصف المظلم الشمس والنصف المضى يصبح ظلما ٠٠ أصبح نصف الكرة الذي كان مظلماً له مشرق ٠٠ ونصف الكرة الذي كان مضياً يسبح في ظلام ٠٠ اذن فالكرة الارضية في عموميتها لها مشرقان ٠٠ مشرق تضيء منه الشمس نصف الكرة ومغرب ٠٠ ثم تستدير الكرة كلها ٠٠ فيأتي نصف الكرة الآخر فيكون له مشرق ومغرب ٠٠ اذن فأية رب المشرقين ورب المغربين تعرض لنا بأن نصف الكرة يكون ظلما ليس له مشرق ولا مغرب ٠٠ والنصف الآخر يكون مضياً له مشرق ومغرب ٠٠ وعندما ينعكس الوضع يصبح هذا النصف له مشرق ومغرب ٠٠ وهذا النصف لا مشرق له ولا مغرب ٠٠ وهكذا في عمومية الكرة الارضية ٠٠ هناك مشرقان ومغربان ٠٠ فاذا انتقلنا الى رب المشارق والمغارب ٠٠ نجد أنه بعد أن تقدم علم الفلك لا يوجد مشرق واحد ٠٠ ومغرب واحد لاى دولة في العالم ٠٠ وانما هي مشارق ومغارب ٠٠

اذن فزاوية الشروق تتغير • وزاوية الغروب تتغير • ولكن الحس لا يدرك ذلك • بل انه اذا نظرنا الى الكرة الأرضية نجد أنه في كل جزء من الثانية مشرق تشرق الشمس فيه على مدينة وتغرب عن مدينة أخرى • أى أن هناك ملايين المشارق والمقارب لكل بقعة من الأرض • المشرق والمغرب للبلدة الواحد لا يتكرر طوال ايام السنة • لا تشرق الشمس على بلدة من نفس مكانها الذى اشرقت منه فى الأمس • أو تغرب على بلد من نفس مكانها الذى غربت منه بالأمس • وان كانت جهة الشرق واحدة • الا أن المشرق تختلف زاويته كل يوم • وكذلك المغرب • وتختلف فى فصول السنة • وفى ايام الصيف عن الشتاء عن الخريف عن الربيع • وهذا لا يمكن أن يحدث الا من حركة دوران الأرض حول الشمس مرة كل عام • فان هذه الحركة هى التى تجعل لكل يوم مشرقا ومغربا بزاوية مختلفة • بل بتوقيت مختلف عن اليوم الآخر • وأبسط شئ لتدرك هذا بدلا من الدخول فى التعقيدات الفلكية هو صيام شهر رمضان • ففى كل يوم تفطر فى مغرب مختلف عن المغرب الآخر فى الوقت • وكذلك تصنع عن الطعام فى مشرق مختلف عن المشرق الآخر فى الوقت • وأوقات الصلاة تختلف كل يوم من ايام الصام • • تبعا لحركة الأرض حول الشمس • •

واختلاف المشارق والمقارب يبين بخلاف ان الأرض تدور حول الشمس • • ان الأرض كروية • • فلو كانت الأرض مسطحة • • كان لابد ان تطلع الشمس من مشرق واحد • • وتغرب من مغرب واحد • • حينئذ لا يكون هناك مشارق ومقارب • • ولكن كونها كروية • • وكونها تدور حول نفسها وحول الشمس هو الذى يجعل هناك مشارق ومقارب • •

والذى أريد أن أقوله ان عطاء القرآن فى الاول • رب المشرق والمغرب لم يبلغ عطاءه فى الثانية وهو رب المشرقين ورب المغربين • • وهو لا يلفى عطاءه فى الثالثة وهو رب المشارق والمقارب • •

بل أن التقدم العلمى الذى غير كثيرا من مفاهيم الكون لم يستطع أن يغير معنى الآيات الكريمة .. بل انسجم معها ... ويحضرنى قول قرآنه فى أحد المخطوطات القديمة يقول كاتبه « يازمن وفيك كل الزمن » .. ومعنى هذا القول أن الزمن نسبى فى الكون . فمثلا عندما أؤدى أنا الظهر هناك أناس فى مكان آخر يصلون العصر .. وأناس فى مكان ثالث يصلون المغرب .. وأناس فى مكان رابع يصلون العشاء .. وأناس فى مكان خامس يصلون الفجر .. أى أنه فى الوقت الواحد يؤذن لله على ظهر الأرض الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .. إذن فالله مذكور فى كل زمن وبجميع أوقات الزمن ..

هذه آية من آيات القرآن الكريم اتضحتمدقة معناها عندما تقدم العلم .. كان لها عطاء وقت نزول القرآن .. ولها عطاء مختلف الآن .. وربما يكون لها عطاء آخر فى الأزمنة القادمة بعد أن يتقدم العلم .. والاعجاز هنا أن القرآن يعطى لكل جيل عطاءه .. ويعطى لكل عقل حاجته دون أن يتناقض مع الحقيقة العلمية أو يتصادم مع حقائق الكون .. فهو متجدد العطاء دائما .. وحقائق الكون لايمكن أن تتصادم أبدا مع القرآن .. لأن الله هو الفاعل .. والله هو الخالق .. والله هو القائل ..

هذه إحدى نواحي اختلاف القرآن الكريم فى معجزاته عن الكتب السماوية الأخرى .. وهو ما سأحدث عنه بالتفصيل فى الفصول القادمة ..

حفظ القرآن وتطبيق القرآن

على أن هناك ناحية ثانية وهى أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل اختلافا آخر .. فكل رسول كانت له معجزة وكتاب ومنهج .. معجزة موسى العصا .. ومنهجه التوراه .. معجزة عيسى الطبع .. ومنهجه الانجيل .. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزته هى عين منهجه .. ليظل المنهج محروسا بالمعجزة

وتظلل المعجزة محروسة بالمنهج .. وهنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخله في نطاق التكليف .. بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يكلف عباده بالمحافظة على هذه الكتب ..

ماذا حدث عندما كلف الله عباده بالمحافظة على هذه الكتب ؟ .. نسوا حظا مما ذكروا به .. أى أنهم نسوا ما ذكرهم الله سبحانه وتعالى به .. وما لم ينسوه حرفوه .. ولووا السنتهم به .. وما لم يلووا السنتهم به زادوا عليه وجاءوا بأشياء من عندهم وقالوا انها من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا .. اذن فتكليف الله سبحانه وتعالى لعباده أن يحافظوا على الكتب السابقة ، أدخلوا فيها هوى النفس وأخضعوها للتحريف .. لكن عندما أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن قال :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

لماذا .. أولا لأن القرآن معجزة .. وكونه معجزة لابد أن يبقى بهذا النص والا ضاع الاعجاز .. وثانيا لأن الله جرب عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فلم يحفظوها وحرفوها ..

وهنا نلاحظ شيئا هاما يبين لنا أن معجزة القرآن محفوظة من الله سبحانه وتعالى .. لو أخذنا خطين .. خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه .. وخط المحافظة على القرآن .. نرى أن تطبيق القرآن والعمل به كلما مر الزمن قل وضعف .. أما المحافظة على القرآن .. فكلما مر الزمن زاد بشكل عجيب .. حتى أنك ترى القرآن الآن في كل مكتب .. وفي السيارات .. وعلى صدور السيدات .. وفي المنازل .. وفي كل مكان .. وتجد تجميلا في القرآن من أناس لا يؤمنون به .. فترى رجلا ألمانيا .. مثلا يكتب القرآن كله في صفحة واحدة .. ويخرجه بشكل جميل وهو ربما لم يقرأ القرآن في حياته .. وتجد اليابان مثلا تتفنن في طبع المصاحف الجميلة ، فاذا سألت لماذا لا يفعلون ذلك في الكتب الأخرى ؟ .. نقول لك أنهم مسخرون لذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يحفظ القرآن .. وكل هذا الحفظ الذى تراه هو

من عمل الله .. وليس من عمل الانسان .. وأنت حين ترى القرآن
في مكتب أو سيارة أو منزل وتسال صاحب المنزل أو السيارة ..
أو المكتب هل تعمل بهذا القرآن ؟ .. هل تؤدي الصلاة كما يجب ؟
يقول لك لا ؟ .. إذن لماذا تحتفظ بالقرآن في منزلك دون أن تعمل
به ؟ .. فلا يستطيع أن يجيب أو يقول لك أنه بركة ..

ومن هنا فإن غفلتنا عن تعاليم القرآن كسلوك في الحياة لاتتمشى
مع ازدياد الحفاظ على القرآن الكريم .. أحيانا تجد غير المسلم
يحافظ على القرآن ويحمله .. وأحيانا تجد من لايطبق القرآن
يقتنى أكبر عدد من المصاحف .. ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى
يريد أن يبين لنا أن الذي يحفظ القرآن هو الله .. وأنه كلما نقص
خط العمل بالقرآن ازداد خط الحفاظ عليه ، لأن العباد هم المكلفون
بالعمل .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظه ..

نتنقل بعد ذلك الى نقطة ثانية وهي أن القرآن نزل رحمة
للعالمين أو للعالم أجمع .. وهذه إحدى معجزات القرآن .. فقد
كان الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل المختلفة الى المجتمعات المختلفة
لتعالج الداءات وتهدى الناس الى سبيل الله .. وكان لكل مجتمع
داء يختص به دون سائر المجتمعات البشرية .. لذلك اقتضى الأمر
أن يأتي رسول ليعالج داءات هذا المجتمع .. بل ان الله سبحانه
وتعالى أرسل أكثر من رسول في وقت واحد لمعالجة داءات مختلفة ..
فإبراهيم عليه السلام .. ولوط أرسل في وقت واحد .. لماذا ؟
لان المجتمعات في ذلك الوقت كانت مجتمعات منعزلة لا يعرف
بعضها عن بعض شيئا ، وذلك بسبب سوء المواصلات وعدم وجود
التقدم العلمى الذى يتيح سرعة الاتصال بين هذه المجتمعات .. بل
ان هذه المجتمعات كانت تعيش وتقنى دون أن يدري مجتمع منها عن
الآخر شيئا .. كما أن الداءات في هذه المجتمعات كانت مختلفة
.. فمنهم كان لا يوفى الكيل والميزان .. ومنهم من كان يعبد
الأصنام .. ومنهم من كان يفسد فى الارض ، ولكن بعد أن تقدم
العلم أصبح العالم كله مجتمعا واحدا .. يحدث شيء فى أمريكا

وبعد دقائق تجده فى مصر، ويحدث شىء فى اليابان ٠٠ وبعد ساعات تجده فى أوربا ٠٠ اذن الاتصالات أصبحت سهلة وميسرة ٠٠ والعالم كله اقترب من أن يصبح وحدة واحدة ٠٠ ومع تعدد الاتصالات وسهولتها توحدت الداءات ٠٠ فأصبح مايشكو منه بلد تشكو منه معظم البلاد الاخرى ٠٠ فكان لابد من وحدة العلاج ٠٠ فمثلا الدعاية للكفر والشيوعية داء استشرى فى كل انحاء العالم ٠٠ ولم يترك دولة دون أخرى ٠٠ النظام المالى والربا تجده فى الدنيا كلها ٠٠ أكل المال بالباطل والسرقة داء استشرى فى معظم دول العالم ٠٠ اذن الداءات أصبحت واحدة ٠٠ وهذا يقتضى وحدة العلاج ٠٠ ومن هنا جاء الدين الاسلامى للعالمين ٠٠ أى للدنيا كلها ٠٠ لأن وحدة الداء تقتضى وحدة العلاج ٠٠ وهذا من معجزات القرآن الكريم ٠٠ فان الله قد وضع وحدة العلاج قبل أن تتحقق وحدة الداء فسبق بذلك علم البشر ٠٠

القرآن حدد مصدر العلم للبشر

فرق آخر بين معجزة القرآن والمعجزات الاخرى ، هو أنه حدد مصدر العلم البشرى ٠٠ وروى لنا كيف يتعلم الانسان ٠٠ فقال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ٠٠

« وعلم آدم الاسماء كلها »

ومن هنا حدد مدخل العلم الى البشر ٠٠ فانت حين تريد أن تعلم طفلك ٠٠ تبدأ بتعليمه الاسماء ٠٠ فاللغة هى وسيلة للتفاهم بين البشر ٠٠ فهذا الانسان الذى خلقه الله ٠٠ والذى عمر الارض ٠٠ وأقام كل مانشاهده من مدنية وحضارة ٠٠ كان يجب أن تكون هناك وسيلة للتفاهم بين البشر ٠٠ فبدون وجود وسيلة للتفاهم لايمكن أن تقوم حضارة أو يتم تعايش حقيقى ٠٠ أو ينتقل العلم من جيل الى جيل ليتقدم كل جيل ويأخذ حظه من المعرفة عن الجيل الذى سبقه ٠٠ ويضيف اليه ٠٠ وكانت هذه الوسيلة هى اللغة أو الكلمة التى تسمعها الاذن ويتكلم بها اللسان ٠٠ واذا ولد الانسان أصم لا يسمع فانه لا ينطق ٠٠ وأمامنا الامثلة فى العالم أجمع ٠٠ على أن أى أنسان لايسمع لايستطيع أن ينطق ٠٠

اذن فليست اللغة هي فصيلة دم ولا بيئة .. ولا جنسا ..
 ولا وراثة .. ولا تعتمد على بشر معين .. وانما مانسمعه نتكلم به
 .. فلو أننى أتيت بأنسان فرنسى أو هولندى .. أو افريقى ..
 أو من أى جنسية فى العالم .. أتيت به كطفل رضيع .. وتركته
 فى بيئة لاتتكلم الا اللغة العربية .. فإنه سيتكلم لغة البيئة التى
 عاشها .. بصرف النظر عن جنسيته .. ولو أننى اتيت بانسان عربى
 ووضعتة فى بيئة لاتتكلم العربية لصعب عليه بعد ذلك ان يتحدث
 باللغة العربية

اذن ما تسمعه الأذن يحكيه اللسان .. فلا جدوى من النطق
 بالفاظ الا اذا كانت معانيها قد شرحت أولا والاصل أن يوجد الشئ
 ثم يوضع له اسم .. فانت مثلا لاتستطيع أن تطلق لقب كوب الا
 اذا وجد الكوب أولا .. والا فالكلمة ليس لها معنى ..

نعود الى معجزة القرآن .. والقرآن كلام الله .. والكلام هو
 أساس الحضارة .. وأساس العلم الذى نزل من الله الى الانسان
 .. فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز ..

« وعلم آدم الاسماء كلها »

ونحن الآن حين نريد أن نعلم طفلا أن يتكلم فلا بد أن نبدأ بأن
 نعلمه الاسماء أولا .. ولا نبدأ بأن نعلمه الاحداث .. بل نبدأ
 ونقول له هذا قلم .. وهذه كراسة .. وهذا أسد .. وهذا كوب
 .. وهذا طعام .. وهذا طريق .. وهذا نور .. وهذا ظلام ..
 اذن نحن نعلمه الاسماء أولا .. فاذا ما تعلم الاسماء أصبح
 يستطيع بعد ذلك أن يتعلم وأن يتكلم ذلك أننا لا نعلم الطفل الاسماء
 فى المدرسة فقط .. بل نحن نعلمه بالفطرة .. الطفل المتعلم
 والجاهل يتعلم الاسماء .. فالام تعلم الطفل الذى لا يذهب الى
 المدرسة .. والمدرسة تعلم الطفل الذى يذهب الى المدرسة .. ولكن
 الاثنين لكى يستطيعا التفاهم فى الحياة يجب أن يتعلما الاسماء أولا
 .. فنجد أن الطفل الجاهل والمتعلم يعلم معنى الاسماء .. فهو
 يعلم معنى كلمة طريق .. أو كوب .. أو أسد .. أو نعمة أو الى
 آخره .. لا فرق بين جاهل ومتعلم .. لان هذا هو مدخل التفاهم

بين البشر .. وأساس هذا التفاهم كما وضعه الله سبحانه وتعالى حين « علم آدم الاسماء » .. فأصبحت هي الأساس في العالم أجمع .. والآن وبعد أربعة عشر قرنا نجد أن أساس العلم في الدول المتقدمة .. والدول غير المتقدمة هو الاسماء .. بل أن الدول المتقدمة لسرعة تعليم الاسماء باعتبارها أساس التفاهم في الحياة .. تأتي بصور لتعلم الاطفال الاسماء دون أن تضيع الوقت بتعليم الحروف الابجدية .. ويستطيع الطفل أن يتعلم أى شىء آخر .. بعد ذلك ..

القرآن منهج للحياة

معجزة القرآن تختلف أيضا عن معجزات الرسل الاخرى .. انه لا توجد قضية تمس حياة البشر الا ويوجد فى منهج الله سبحانه وتعالى ما يعالج هذه القضية .. نحن نقول يعالج .. لان التشريعات عندما تأتى تعالج واقعا موجودا فى المجتمع وفسادا انتشر .. ومن هنا فان القرآن قد تعرض لقضايا الكون جميعها وأوجد لها العلاج ، وأوجد لها الشفاء والذي يدعيه البعض أن منهج الله لايعالج قضايا العصر .. دليل على أنهم لم يدرسوا هذا المنهج .. ولم يتعمقوا فيه .. فما من قضية أساسية فى المجتمع الا ويعالجها القرآن الكريم .. ولكن هنا يقع بعض اللبس .. فقد يقول بعض الناس : ان القرآن مثلا لا يعالج قضايا زيادة انتاج الأرض أو الاختراعات الحديثة الى آخر هذا الكلام .. والذي يجب أن يعرفه الناس جميعا أن القرآن هو منهج عبادة .. ولكنه حينما يأتى ليعالج ، لايعالج الخصوصيات .. وانما يضع المبدأ .. فهو حين يطلب منا أن ننقب فى الأرض ونبحث عن آيات الله .. وأن نتعلم فى أمور الدنيا .. وأن نعمل وننتج .. ونعمر الارض انما هو يطلب منا لو اتبعناه لاستطعنا أن نصل الى أكبر تقدم يمكن أن يحققه بشر .. اذن المبدأ موجود فى ضرورة البحث فى الكون .. ومواصلة البحث والدراسة .. ومن يبحث ويدرس كمفى قلبه ايمان بالله .. وشعور بعظمة الله وقدرته يستطيع أن يحقق الكثير .. والكثير جدا .. المبدأ هو أن نزرع ونعمر ونكشف عن آيات الله فيها .. فاذا تقاعسنا عن هذا كله .. واذا لم نفعل ذلك

.. فلا يمكن أن نستغرب .. أو أن نتعجب لان غيرنا من الامم قد تقدم علينا .. فنحن تركنا منهج الله في العمل .. فلا بد أن يتركنا قانون الله في النتيجة .. وهذا هو الجمال في الحياة .. فلا يمكن أبدا أن يكون هناك جمال في الحياة .. اذا كان الطالب المجد .. والطالب الذى لا يقرأ كتابا في حياته كلاهما ينجح .. ولا يمكن أن يكون هناك جمال في الحياة اذا كان الانسان الذى يعثر الارض ويعتنى بها ويسقيها ويعالجها من الآفات .. والانسان الذى يترك الارض ولا يعمل فيها شيئا بل يهملها تماما .. كلاهما يجنى نفس المحصول ، اذا حدث هذا فان الجمال في الحياة يختفى ويصبح كل شيء قبيحا فلا تجد طالبا ينجح .. ولا عالما يخترع .. ولا انسانا يضيف الى الحياة شيئا .. ولا مدينة تبني مادام من يعمل ومن لا يعمل سيحصلان على نفس النتيجة .. ويحققان نفس الشيء .. ولكن الجمال في الحياة في تناسب النتيجة مع العمل .. وعن هذا يتحدث القرآن في الدنيا والآخرة ..

وبذلك نكون قد عددنا أوجه الخلاف في معجزة القرآن عن معجزات الرسل الاخرى .. فالقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجيل السابق .. والقرآن للعالمين ، أى للدنيا كلها .. وليس لقوم محددين والقرآن يحوى الحقائق الاساسية في الكون كله .. ويأتى بها واضحة في الفاظ تنسجم مع قدرة العقول التى عاشت وقت نزول القرآن .. وقدرة العقول فى كل جيل بعد ذلك .. فالقرآن يعطى لكل عقل حجمه ..

ومعجزة القرآن تختلف أيضا فى أن الله هو الذى يحفظ كتابه ، أما معجزات الرسل السابقة .. فقد كلف الله البشر بحفظها فحرفوها ونسوا ما ذكروا به .. وأضافوا اليها .. ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن من أن يحدث فيه أى تبديل أو تغيير .. كما أن القرآن كلام الله الذى بداه مع آدم .. والذى هو اساس العلم البشرى كله ..

ولكن القرآن جاء يتحدى العرب في اللغة .. وفى البلاغة . وذلك ما سنتحدث عنه فى الفصل القادم ..

• الفصل الثالث •

المعجزة اللغوية في القرآن الكريم

القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ١٠٠ وما دام كلام الله فيجب أن يكون معجزا ٠٠ لان قائله وهو الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ٠٠ ولقد أذهلت بلاغة القرآن عند نزوله ، العرب ، وهم اساتذة لبلاغة في ذلك الوقت ٠٠ وبهتوا لما فيه من اعجاز ٠٠ ومن بلاغة ٠٠ وقال بعض العرب في ذلك الوقت ان اساتذة البلاغة قادرون على أن يأتوا بمثل هذا الاسلوب ٠٠ ولكنهم صرفوا من الله على أن يأتوا به ٠٠ وهذا القول هو اثبات بأن القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى ٠٠ فلو أنه ليس كلام الله لما صرف الله العرب عنه أن يأتوا بمثله ٠٠ وأثبتوا أن اعجاز القرآن الكريم موجود ٠٠ ولكنهم جعلوا هذا الاعجاز بالقدرة ٠٠ أى أن قدرة الله سبحانه وتعالى قد صرفتهم عن أن يأتوا بمثله ٠٠ وكان هدفهم أن ينفوا الاعجاز عن ذاتية القرآن ٠٠ في أن بشرا لا يستطيع أن يأتى بمثله ٠ وبهذا النفي الذي أرادوه أعطوا للقرآن معجزة أخرى ، وهي معجزة القدرة ٠٠

على أن اعجاز القرآن يجب أن ننظر اليه من الدائرة الاولى التي استقبلته ٠٠ وهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ فالمنطقى والطبيعى مادام القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، يكون أبلغ الكلام

.. ويكون فيه معجزة .. وبلاغة القرآن لها عناصر لا بد أن تتوافر فيها .. فالبلاغة هي مطابقة الكلام بمقتضى الحال .. ومقتضى حال المخاطب بالذات .. ولكن العجيب أن القرآن فى هذه الناحية ، وهى مطابقة الكلام بمقتضى الحال .. فيه معجزة كبرى .. فأحوال الناس متعددة .. متغيرة .. وانت حين تخاطب انسانا اذا لم تعرف ما فى نفسه .. فانك لا تستطيع أن تصل الى أعماقه .. ومخاطبتك لرئيس الدولة مثلا .. أو الامير .. تختلف فى أسلوبها وطريقتها عن مخاطبتك لخدامك أو من يعمل عندك .. تختلف فى أسلوبها عن مخاطبتك لزوجتك وأولادك .. وكل ذلك يختلف عن مخاطبتك لرئيسك فى العمل .. أو لمرؤوسيك .. الى آخر النوعيات التى تخاطبها .. بل ان الامر يمتد أكثر من ذلك الى الحالة النفسية التى فيها المخاطب .. فانسان غاضب فى قمة غضبه لا يمكن أن تخاطبه بنفس الأسلوب .. وبنفس الطريقة التى تخاطب هذا الشخص ذاته بها عندما يكون فى حالة نفسية سعيدة .. هذا له كلام .. وهذا له كلام آخر .. مخاطبة الانسان الغاضب لها طريقة .. ومخاطبة الانسان الذى هو فى حالة نفسية سعيدة لها طريقة أخرى .. ولكن اعجاز القرآن يأتى فى أنه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا .. الفنى منهم والفقير .. التيسر منهم والسعيد .. الخادم منهم والسيد .. انه يخاطبهم جميعا .. ويخاطبهم فى حالاتهم النفسية كلها .. فالانسان الغاضب اذا سمع القرآن هدأت نفسه .. والانسان السعيد اذا سمع القرآن اهتز فى داخل نفسه .. وزادت سعادته .. والامير .. والخدام .. والمتخف .. وغير المتعلم .. وهؤلاء جميعا الذين لا يمكن أن يجتمعوا على أى مستوى .. ولا أن تتوحد عقلياتهم .. بحيث يكلمهم متحد واحد .. وفى نفس الموضوع فيفهمونه .. تراهم فى الصلاة .. وقد اجتمعوا فى المسجد .. وجلسوا معا .. ويتلى القرآن فيهم قلوبهم جميعا .. رغم اختلاف الثقافة والبيئة والحالة النفسية .. والحالة الاجتماعية وكل شئ اختلافنا .. ومن هنا كان الاعجاز الاول

فى بلاغة القرآن .. انه يحيط بعلم حالات أفراد متعددين .. من
 أجناس مختلفة .. وشعوب مختلفة .. وثقافات مختلفة .. ولغات
 مختلفة .. وبينات مختلفة .. لم يخاطبهم بما يهز وجدانهم
 ومشاعرهم .. ويؤثر فى عواطفهم .. فاذا سألت أحدهم ما الذى
 أعجبك فى القرآن .. فانه غالبا لا يستطيع أن يعطيك جوابا شافيا
 .. وانما سيعطيك كل واحد منهم جوابا مختلفا .. وذلك يدل على
 أن الإعجاز واصل الى قلبه .. متغلغل فى نفسه .. بما لا يستطيع
 هو أن يصفه الوصف الكامل .. أى أن القرآن يخاطب فى النفس
 البشرية أحاسيس وملكات لا يعلمها الا خالقه .. وهذه الملكات
 لو عرفناها لعرفنا لماذا نتأثر بأسلوب القرآن .. ولكننا نظل نبحث
 ونحوم حول الآيات التى أعطت القرآن هذه البلاغة .. ثم بعد ذلك
 لا نجد جوابا شافيا .. اذ أن الله سبحانه وتعالى يخاطب فى النفس
 البشرية ملكات هو خالقها .. وأن هذه الملكات تتأثر بكلام الله سبحانه
 وتعالى .. وتهتز له دون فارق من فوارق الدنيا .. أو من الفوارق
 التى وضعتها الحياة الدنيا بين الناس .. ولذلك كان أخشى ما
 يخشاه الكفار أن يستمع الناس الى القرآن .. ولو كانوا غير
 مؤمنين .. فقد كان القرآن بمخاطبته لملكات كل نفس يهرها هذا
 عنيفا .. ويجعلها تتأثر به .. حتى أن الوليد بن المغيرة حين استمع
 الى القرآن قال : ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه
 لمثمر ، وان أسفله لمغدق . وانه يعلو ولا يعلى عليه .
 وهكذا تأثر به دون ايمان .. وعمر بن الخطاب رضى الله عنه
 حين دخل بيت صهره بعد أن علم باسلام أخته وزوجها كان ناويا
 الشر .. وما ان استمع الى آيات من القرآن حتى هدأت نفسه
 وانشرح صدره للاسلام .. لماذا ؟ .. لأن كلام الله سبحانه وتعالى
 قد خاطب ملكة فى نفسه .. وهو فى غاية الضيق والحمق ..
 وينوى الشر .. وخاطب هذه النفس ، نفس عمر بن الخطاب ، وهى
 فى هذه الحالة من الغضب الشديد بنفس الكلام الذى يخاطب به
 المؤمنين . وهم فى حالة انسجام وسعادة شديدة لقربهم الى الله

سبحانه وتعالى .. واذا بالآيات، نفس الآيات التي تدخل السعادة على نفس قريبة من الله .. قد أدخلت الهدوء والانسجام على نفس لم تكن قد آمنت .. وأصابت في نفس الوقت نفوسا سعيدة وهي نفوس المؤمنين .. فجعلتها تزداد سعادة .. وتنشرح للاسلام .. ونفسا غاضبة تنوى الشر لم تصل الى الايمان بعد .. فهدأتها وجعلتها سعيدة .. وانشرح الصدر للايمان .. مع أن الكلام واحد .. وفرق كبير بين حالة المخاطب في الحالتين .. ومع ذلك ولأن القائل هو الله سبحانه وتعالى .. وهو العالم بالنفس البشرية التي خلقها .. فقد كان كلامه مناسبا لكل حالات المخاطب مهما اختلفت هذه الحالات .. مع أنه نفس الكلام ..

اذن فهناك في النفس ملكات خفية عن الانسان .. لا يعرف سرها الا الله سبحانه وتعالى .. ويقوم الله بمخاطبة البشر على اختلاف أحوالهم .. فتهتز هذه الملكات .. وتتأثر وينسجم الانسان معها دون أن يعرف السر ..

قالوا ساحر .. وقالوا مفترى

اذا وصلنا الى ذلك .. نكون قد تحدثنا عن أول شروط البلاغة .. وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال .. ونجد أن القرآن في هذه الناحية قد تخطى كل شروط البلاغة في أنه مطابق لكل أحوال البشر .. على اختلاف ظروفهم .. ولذلك تحير الكفار في هذا الاعجاز في مخاطبة البشر جميعا .. وفي هذا الاعجاز الذي تهتز له قلوب كل من يسمعه ويفهمه .. فقالوا ساحر .. سحر الناس بكلامه .. لانه لا يمكن لبشر عادي أيا كان أن يأتي بكلام يطابق كل الاحوال .. ولو أخذنا أبلغ بلغاء العصر .. وقلت له أنظم قصيدة .. أو أعد كلاما لتلقيه أمام الناس .. فهو لا يستطيع أن يعد كلاما يقوله أمام مجموعة من المتبحرين في العلم .. وفي نفس الوقت يقوله أمام مجموعة من غير المتعلمين .. ويكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال .. ولا أن يعد قصيدة يمدح بها أميرا .. ثم يقول نفس القصيدة في خادم الأمير .. ويكون الكلام مطابقا لمقتضى

الحال .. ولكنهم وجدوا أن القرآن يخاطب المتعلم وغير المتعلم ..
 والعبد والسيد .. والرجل العادي والحاكم .. ومن هنا كانت
 المطابقة معجزة .. فقالوا ساحر .. فليأتوا بسحر مثله .. ثم هل
 للمسحور خيار أو ارادة مع الساحر .. اذا كان محمد عليه السلام
 قد سحر من آمن به .. فلماذا لم يسحركم أنتم .. أن بقاءكم على
 الكفر ومحاربة الدين ، دليل على أنه ليس ساحرا .. والا لو كان
 ساحرا لكان قد سحركم جميعا .. ولم يسلب بعض الناس ارادتهم
 .. ويترك البعض الآخر على ارادته ..

ثم انتقلوا الى نقطة أخرى .. قالوا مفترى .. نقول لهم مادمتم
 قد فهمتم أنه مفترى .. فافتروا أنتم ان كنتم تستطيعون .. بل
 انكم أنتم أيها الكفار أقدر منه على الافتراء .. فالرسول صلى الله
 عليه وسلم ليس له دراية بفن الكلام .. والخطب والشعر والادب
 .. بل أنه لا يقرأ ولا يكتب .. ولا يقول الشعر .. أما أنتم
 فأساتذة الكلام والبلاغة .. فاذا كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. ولم يقل شعرا أو
 أدبا .. قد قال هذا الكلام .. وأنتم تقولون أنه مفترى .. فوسائل
 الافتراء تملكون أسبابها أكثر من محمد عليه الصلاة والسلام ..
 عندهم الشعراء والأدباء .. فافتروا مثله .. وأداة الافتراء موجودة
 تستطيعون أن تستغلوها ..

ولقد أراد القرآن أن يرد على هذا الاعجاز .. فقال الله سبحانه
 وتعالى :

« وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون .. ولا بقول

كاهن قليلا ما تذكرون »

حتى الرد فيه اعجاز .. فالشعر مفهوم .. أنه من كلام موزون
 مقفى يعرفه الناس جميعا .. ومن هنا فكونكم تقولون ان هذا
 شعر .. فهذا دليل على أنكم تكفرون .. لماذا ؟ .. لأنكم تعرفون
 الشعر معرفة جيدة .. وهذا ليس شعرا بأوزانه وقوافيه .. ولذلك
 عندما تقولون أيها الكفار أنه قول شاعر .. وما تقولونه ليس عن

جهل .. ولكن عن كفر بالله سبحانه وتعالى لأنكم تعرفون الشعر
 جيدا .. ثم قال الله سبحانه وتعالى .. وأما تقولون أنه قول
 كاهن .. فهنا استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة تذكرون .. أى
 أنكم فى قولكم أنه قول كاهن .. وقول الكاهن كلام فيه سجع ..
 ويمكن أن يختلط .. ولكن قول الكاهن لا يمكن أن يخاطب كل
 الملكات .. ولا يمكن أن يكون فيه كل هذا الإعجاز .. كما أن
 الكاهن يفضحه طول الوقت .. والزمن .. ومن هنا فانه كبشر
 ينسى ويأتى بعكس ما قاله نتيجة لمرور الوقت والزمن ..
 ولذلك عندما رد الله سبحانه وتعالى على قولهم انه كاهن .. كان
 الرد بكلمة تتذكرون .. لأنه من الواضح أن هذا ليس شعرا ..
 ومن هنا فانه يمكن أن يختلط بكلام الكهان .. والفرق بين النثر
 والشعر فى هذه الحالة هو أولا الإعجاز فى مخاطبة ملكات النفس
 البشرية .. وثانيا طول الزمن الذى يجعل الكاهن ينسى ما قال
 .. ومن هنا قال الله سبحانه وتعالى « أفلا تتذكرون » لأن البشر
 معرضون أن ينسوا ما يقولون .. فاستخدم كلمة تتذكرون .. ولم
 يستخدم كلمة يكفرون .. أو الكفر .. التى استخدمها فى الحالة
 الأولى عندما قالوا قول شاعر .. لأن الشعر له قواعد معروفة ..
 نأتى بعد ذلك الى إعجاز آخر فى القرآن .. أنك اذا قرأت أى
 كلام منثور .. ثم جاء الكاتب فاستشهد ببيت من الشعر .. تشعر
 ساعة ينتقل الكاتب أو المتكلم من النثر الى الشعر .. أنك انتقلت
 من طبيعة كلام الى كلام آخر .. ثم تترك بيت الشعر وتعود الى
 النثر فتعرف أيضا أنك انتقلت من كلام الى كلام آخر .. نأتى الى
 رسالة ابن زيدون التى تعتبر القمة فى ذلك الوقت .. ومع اليوم غد
 .. ولكل اجل كتاب له .. الحمد لله على احتماله .. ولا تحسب
 عليه فى افتعاله ..

فان يك فعله الذى ساء واحدا

فأفعاله اللاتى سررن الوف

وهنا نلتفت فنجد أننا انتقلنا من النثر الى الشعر فى كلام فى

غاية الانسجام .. ولكننا نعرف الفرق ..
ناتى الى القرآن الكريم .. كلام الله .. نقرأ فيه :

« ان المتقين فى جنات وعيون .. ادخلوها بسلام
آمنين .. ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين .. لا يمسهم فيها نصب وما هم
منها بمخرجين .. نبي عبادى انا الغفور
الرحيم .. وان عذابي هو العذاب الالم .. ونبتهم
عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ..
قال انا منكم وجلون »

أنت قرأت هذا النص القرآنى ولم تشعر أنك قد انتقلت من
النشر الى الشعر الى النشر مرة أخرى دون أن تدري .. أى أنك
انتقلت من شئ منشور الى شئ منظوم .. ثم من شئ منظوم الى
شئ منشور .. وأتحدى أن يأتى بها انسان عندما تنظر الى الكلام
الذى قيل « نبي عبادى انا الغفور الرحيم .. وأن عذابي هو
العذاب الالم » ما جنى بارقات مستفعل فاعلات .. بيت من الشعر
.. ومع ذلك ما أحسست أذننى أنتنى انتقلت من النشر الى الشعر ..
وأنتنى انتقلت بعده من كلام منظوم الى كلام منشور ..
ومثل ذلك تجده فى كثير من آيات القرآن الكريم .. امرأة العزيز
عندما جمعت النسوة :

« وقالت اخرج عليهن .. فلما رأينه أكبرنه وقطعن
أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم .. قالت فذلكم الذى لم تكنى فيه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم .. ولئن لم يفعل ما أمره .. »

قول الله سبحانه وتعالى « فذلكم الذى لم تكنى فيه » مستفعل
فاعل .. مستفعل فاعل .. هل شعرت أنك انتقلت من كلام منشور
.. وكذلك قول الله سبحانه وتعالى فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء
فليكفر .. مفاعيل .. مفاعيل .. مفاعيل .. « والله يهدى من
يشاء الى صراط مستقيم » ..

فى كل من هذه الآيات لم تشعر أنك انتقلت من شعر الى نثر .. لأنه توجد هناك فجوة كلامية .. والقرآن نظم فريد .. لا تستطيع أن تقول انه نثر ولا شعر ولا سجع .. وانما هو كلام فريد يتناسب مع قول القائل سبحانه وتعالى .. اذن فبلاغة القرآن فى مطابقته للحال .. حال جميع المخاطبين .. وبلاغته فى الانتقال من الشعر الى النثر .. ومن النثر الى الشعر دون أن تحس .. وبلاغته فى تحريك النفس البشرية .. كل نفس بشرية .. وبلاغته فى أن الله تحدى أساطين البلاغة .. بل تحدى الانس والجن فى أن يأتوا بصورة من مثله .. فعجزوا وأمام هذا العجز لم يستطيعوا المواجهة التى يريدون أن يقوموا بها ضد الدين الجديد .. لم يستطيعوا أن يحولوا هذه المواجهة الى ذات المعجزة وهى القرآن الكريم .. لأن التحدى كان أقوى منهم جميعا .. فاذا بهم يصبون ذلك الى من جاءت على يديه المعجزة وهو محمد صلى الله عليه وسلم .. قالوا :

«لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»

- وهنا مربط الفرس .. الحقد والغيرة لم يستطيعا أن يواجها القرآن .. فقالوا لماذا اختار الله محمدا لينزل عليه القرآن .. كأنما آفة القرآن أنه نزل على محمد عليه السلام .. وليست آفته أنه صراع بين حق ينادى به القرآن .. وباطل هم مقيمون عليه والذى يقيم على الباطل يريد للباطل أن يستمر .. لأن الباطل هو الذى يعطيه القوة والقدرة والسيادة .. وهو يريد لهذا الباطل أن يبقى لتبقى له السيادة .. فيأتى الحق .. ويغلبه .. ويحس أن ملكه سيزول فيقول :

« اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا

حجارة من السماء » ..

اذن فهو يريد العزة مع الباطل .. اما اذا كان زوال الملك سيأتى مع الحق فهو لا يريد .. ويطالب الله .. أو يطلب من الله أن يمطر عليه حجارة من السماء .. اذن فهو يكره الحق لذاته ..

لأنه سيسلبه سلطانه وقوته .. ويريد المبطل أن يستمر .. ليبقى سيدها .. ولو بغير الحق .. ثم يقول الكفار بعد ذلك : « إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » .. إذن المانع من الايمان ليس أنه غير الحق .. لكن المانع له أنه سيزيل عنكم السيادة التي أعطاها لكم الباطل .. وسيتجراً عليكم الناس وتخطفون من أرضكم .. وكان هذا هو العناد .. بعد أن فشلوا في تحدى معجزة القرآن اللغوية .. والرد عليها ..

معنى الحروف في القرآن

ولكنهم في تحديهم ووقوفهم موقف المعارضة .. أثبتوا أنهم في داخل نفوسهم يعتقدون أن القرآن هو الحق .. لأنهم لم يستطيعوا أن يتحدوا اعجازه .. الاعجاز أولاً في النبي المختار للدعوة .. والاعجاز ثانياً في استخدام نفس الحروف والالفاظ التي يستخدمها البشر .. ولنتحدث عن هذين النقطتين بشيء من التفصيل .. الاعجاز الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ .. ولم يكتب طول حياته .. ولم يتعلم القراءة والكتابة .. ولم يدرس الأدب ولا الشعر .. ولا النثر .. ولا علم الكلام .. الى غير ذلك .. ومع هذا فقد جاء بكلام غاية في الاعجاز .. كلام لا يستطيع أولئك الذين درسوا البلاغة .. وبرعوا فيها أن يأتوا به .. أو يأتوا بصورة من مثله .. بل الاعجاز يتجلى أكثر في أن الله سبحانه وتعالى أثبت في القرآن أن هذا الكلام ليس كلام محمد عليه الصلاة والسلام .. بل هو كلام لا يمكن أن يأتي به أمي .. فالإنسان الأمي قد ينطق الكلمات .. وقد ينظم الشعر والنثر والسجع .. ولكنه لا يستطيع أبداً أن يأتي بالحروف التي تتكون منها الكلمات .. فإذا أنت ذهبت الى إنسان لم يعرف في حياته القراءة والكتابة .. وسألته ما هذا .. يقول لك هذا كوب مثلاً .. فإذا قلت له ماهي الحروف التي تتكون منها كلمة كوب لم يعرف لأنه لم يتعلم القراءة والكتابة .. وإذا بالله سبحانه وتعالى يأتي بالحروف التي لا يعرف مسمياتها رجل أمي .. ويجعل النبي ينطق بها ويجعلها في القرآن فيقول : « الف .. لام .. ميم .. كاف .. هاء .. يا .. عين .. صاد »

امعانا فى الاعجاز والتحدى .. محمد نبى امى لايمكن أن يعرف
 أسماء هذه الحروف أبدا .. ولكنه جاء بأسماء هذه الحروف ..
 اثباتا بأن هذا ليس كلام محمد عليه الصلاة والسلام .. لأنه لو
 كان كلام محمد وهو رجل لم يقرأ ولم يكتب فى حياته .. لكان من
 المستحيل أن يعرف أسماء الحروف التى لا يعرفها ولا يستطيع أن
 ينطق بها الا من تعلم القراءة والكتابة ..

مهارة الصانع

نأتى بعد ذلك الى النقطة الثانية وهى استخدام نفس الحروف
 والألفاظ التى يستخدمها البشر فى أسلوب ومعان يعجز عنها البشر
 .. وهذا اعجاز وتحد .. لانك تريد أن تدلل على مهارة الصانع
 فى أى شئ .. فأتى بمادة مختلفة .. ثم تقارن بين صانع
 وآخر .. أنت اذا أردت مثلا أن تعرف من هو أمهر الناس فى
 صناعة النسيج .. لا تأتى بخامة من حرير .. وخامة من قطن ..
 وخامة من خيش .. ثم تعطيهما لثلاثة صناع .. وتقارن بين انتاجهم
 .. لانك فى هذه الحالة لا تستطيع أبدا أن تقول أن هذه أحسن
 من هذه .. لأن نسيج الحرير لابد أن يكون أحسن .. نظرا لأن
 الخامة التى صنع منها الثوب هى أفضل الخامات ..

ولكن المهارة تكون فى استخدام مادة واحدة .. نعطي الكل
 قطنا أو حريرا أو صوفاً .. ولذلك تكون العناصر المكونة للشيء
 واحدة .. أو متساوية .. فلا يكون لها دخل فى الجودة .. وتكون
 الجودة أو المهارة للصانع نفسه .. فأراد الله سبحانه وتعالى أن
 يثبت أولا أن القرآن لم يتميز ببلاغة الا لأن قائله هو الله سبحانه
 وتعالى .. مادته ليست من جنس أعلى من مادة البشر .. بل هى
 من جنس كلام البشر .. الحروف هى الحروف .. والكلمات التى
 تنطقون بها هى نفس الكلمات المستخدمة .. وجاء بكلمات الحروف
 كأسماء يستطيع أن ينطق بها الحاحل والمتعلم .. ومسميات يستطيع
 أن ينطق بها المتعلم وحده .. ثم بعد ذلك قدم المعجزة وتحدى ..

الحروف نفس الحروف .. والكلمات نفس الكلمات .. ولكن الذى أفهمهم هو الله سبحانه وتعالى .. فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله .. وهذا دليل على أن الصانع هو المختلف .. ومن هنا كان التحدى عظيما .. لأن الفارق هو بين قدرة الله سبحانه وتعالى .. وبين قدرة البشر ..

وعندنا فى البلاغة عندما نقول أن هذا الشيء بليغ .. ونقول أن العرب قد اشتهروا بالبلاغة والفصاحة .. يعنى أن البلاغة هى وضع الكلام مناسبا للمقام الذى يقال فيه .. ومستوفيا لأركان سلامته .. وأركان الكلام هى ألا يكون بين الحروف تنافر .. مثل أن تكون الكلمة هيع .. هيع .. وانما تكون الكلمات منسجمة .. ولاتأتى مخالفة لقانون اللغة .. ولا تكون غريبة على الأذن .. عندما تستوفى الكلمة هذه الشروط .. توضع فى جملة يشترط أن تكون منسجمة مع الكلمة الأخرى .. خاضعة لقواعد اللغة .. وليس فيها تعقيد .. اذن عندما جاءوا ليعرفوا البلاغة قالوا هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .. تراكيب منسجمة ومخاطبة للبشر .. مطابقة لمقتضى عقلهم .. ومن هنا فكانت بلاغة البشر على قدر علمهم بمقتضى حال المخاطب .. ومعنى ذلك أنه لا بد أن يكون هناك علم .. وعلمنا كبشر بأحوال المخاطبين محدود .. ولكن علم الله سبحانه وتعالى بلا حدود .. ومن هنا فإن بلاغة القرآن الكريم هى أنه معجز فى مخاطبته للبشر جميعا .. معجز فى بلاغته .. ومطابقته بمقتضى مخاطبته للبشر جميعا يخاطب ملكات فى النفس لاندري .. لانعرف سرها .. مكون من نفس الحروف والكلمات التى يستخدمها العامي .. والمتعلم .. تحدى به الله البشر أن يأتوا بصورة مثله .. ثم تحدى الانس والجان .. وهم الذين لهم اختيار .. ووضع الله فيه أسماء الحروف كاعجاز لأن الموحى اليه وهو النبى صلى الله عليه وسلم أمى لم يقرأ .. ولا يكتب .. على أن الاعجاز فى القرآن لا ينتهى عند هذا الحد .. وانما يمتد الى دقة اللفظ والتعبير التى يعجز عنها البشر .. وهذا هو موضوع الفصل القادم

حديث قدسى

● ● يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ، يا عبادى كلکم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدکم ، يا عبادى کلکم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمکم ، يا عبادى کلکم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسکم ، يا عبادى کلکم نخطئون بالليل والنهار ، وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم ، يا عبادى انکم لن تبغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبغوا نفعى فتتفعونى ، يا عبادى لو ان اولکم وآخرکم وانسکم وجنکم کانوا على اتقى قلب رجل منکم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو ان اولکم وآخرکم وانسکم وجنکم کانوا على افجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى لو ان اولکم وآخرکم وانسکم وجنکم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المحيط اذا ادخل فى البحر ، يا عبادى انما هى اعمالکم احصيتها لكم ثم اوفیکم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه .

• الفصل الرابع •

البلاغة في القرآن الكريم

إذا أردنا أن نتحدث عن معجزة القرآن .. وبلاغته .. فأننا لابد أن نتناول دقة اللفظ .. أو دقة التعبير في القرآن الكريم .. وكلام الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون في غاية الدقة .. بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً .. فلا تجد حرفاً زائداً بلا معنى .. ولا كلمة مترادفة إلى آخر ما يقال عن القرآن الكريم .. والحقيقة أن المعجزة في القرآن تجدهما في حرف .. فيقول الله سبحانه وتعالى :

« قل سيروا في الأرض » ..

وتقف أنت عند هذه الآية الكريمة وتساءل .. لماذا لم يقل الله : قل سيروا على الأرض .. هل أنا أسير في الأرض .. أو على الأرض .. حسب مفهوم الناس جميعاً .. فأننا أسير على الأرض .. ولكننا نجد أن الله قد استخدم كلمة في .. ولم يستخدم كلمة على .. يقول : سيروا في الأرض ، (ففي) تقتضي الظرفية .. والمعنى يتسع لأن الأرض ظرف المشى .. ومن هنا فإن التعبير جائز .. ولكن ليس في القرآن كلمة جائز .. فالتعبير بقدر المعنى تماماً .. والحرف الواحد يغير المعنى وله هدف .. وقد تم تغييره لحكمة لكن ما هي حكمة استخدام حرف (في) بدلا من حرف (على) ؟ .. ؟

عندما تقدم العلم وتفتح وكشف الله أسرار الأرض وأسرار الكون

.. عرفنا أن الأرض ليس بمدلولها المادى فقط .. أى أنها ليست
 الماء والأرض .. أو الكرة الأرضية وحدها .. ولكن الأرض هى
 بغلافها الجوى .. فالغلاف الجوى جزء من الأرض يدور معها ويلازمها
 .. ومكمل للحياة عليها .. وبدونه تصبح الحياة غير ممكنة على
 الأرض .. وسكان الأرض يستخدمون الخواص التى وضعها الله فى
 الغلاف الجوى فى اكتشافاتهم العلمية .. والدليل على ذلك أنك
 إذا ركبت الطائرة فإنها ترتفع بك ٣٠ ألف قدم مثلاً عن سطح
 الأرض .. ومع ذلك فإنك لا تقول أنك خرجت من الأرض ..
 ولكنك تقول أنت تطير فى الأرض .. متى تخرج من الأرض علمياً
 وحقيقة .. هو عندما تخرج من الغلاف الجوى للكرة الأرضية
 مادمت أنت فى الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية .. فانت فى
 الأرض .. ولست خارج الأرض .. فإذا خرجت من الغلاف الجوى
 .. فانت فى هذه اللحظة التى تخرج فيها خارج الأرض .. الغلاف
 الجوى متمم للأرض .. وجزء منها .. ويدور معها .

نعود الى الآية الكريمة ونقول : لماذا استخدم الله سبحانه وتعالى
 لفظ فى .. ولم يستخدم لفظ على .. ؟ لأنك فى الحقيقة تسير فى
 الأرض .. وليس على الأرض .. هذه حقيقة علمية لم يكن يدركها
 العالم وقت نزول القرآن .. ولكن الله سبحانه وتعالى وهو القائل
 .. وهو الخالق يعرف أسرار كونه .. يعلم أن الانسان يسير فى
 الأرض .. انه يسير على سطح الأرض .. ولكنه لا يسير على الأرض
 .. بل يسير فيها بين الغلاف الجوى والسطح .. ومن هنا فهو
 يسير فى الأرض .. أى فى وسطها بين غلافها الجوى الذى هو
 جزء منها .. وبين اليابسة التى هى جزء آخر .. وهكذا نجد دقة
 التعبير فى القرآن فى حرف .. ونجد معجزة القرآن فى حرف ..

اختلاف الصبر

أنتقل بعد ذلك الى مثل آخر لنعرف مدى بلاغة القرآن فى اختيار
 اللفظ الذى يناسب المعنى تماماً .. وليس فيه تجاوز ولا مترادفات
 .. يقول الله سبحانه وتعالى على لسان لقمان وهو يوصى ابنه :

« واصبر على ما أصابك • ان ذلك من عزم الأمور »

•• ثم نجد فى آية ثانية ••

« ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور »

•• زادت هنا اللام •• أى انسان يقول ان زيادة اللام هنا للتأكيد
•• كلمة مترادفة •• لا يتوقف عندها كثيرا •• ولكن المسلم حين
يدقق فى معانى القرآن الكريم •• يجد أن كل حرف فى القرآن
الكريم •• قد تم وضعه بحكمة بالغة •• وأنه لاشئ اسمه مترادفات
•• وانما لكل لفظ معنى يؤديه ، ولا يؤديه اللفظ الآخر •• رغم
التشابه •• فاذا دققنا فى المعنى نجد ما يلى : فى الآية الأولى يقول
الله سبحانه وتعالى « واصبر على ما أصابك » •• والأمر الذى يصيب
الانسان نوعان نوع للانسان فيه غريم •• ونوع لا يوجد فيه غريم
•• عندما أمرض ليس لى غريم •• واذا أصابنى مكروه بقضاء وقدر
•• كان أكون سائرا فى الطريق فيسقط شئ فوقى ليس هناك
غريم •• انما عندما أسير فى الشارع ويعتدى على انسان بالضرب
•• اذن هناك غريم ••

فهناك نوعان من الصبر •• صبر النفس فيما ليس لى فيه غريم
•• وهذا حين لأنه ليس هناك انسان أنفعل عليه •• ولا أملك أن
أرد على شئ قد حدث لى •• ما حدث هو قضاء الله •• وأنا ليس
أمامى الا الصبر •• هذا نوع من الصبر لا يحتاج الى طاقة كبيرة
ليمارسه الانسان •• لأنه ليس هناك غريم أستطيع أن أرد له
ما أصابنى ••

والنوع الثانى من الصبر •• محتاج الى جلد أكبر •• ومحتاج الى
قوة ارادة •• وهذا النوع هو الذى يوجد لى فيه غريم أستطيع أن
انتقم منه •• وأستطيع أن أصفح وأغفر •• اذن عندما يتحدث الله
سبحانه وتعالى عن الصبر بنوعيه •• يعطى لكل نوع ما يستحقه من
وصف للنفس البشرية •• فهو عندما يتحدث عن الصبر على شئ
ليس لى •• فيه غريم •• يقول :

« واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور »

وعندما يتحدث عن الصبر الذى لى فيه غريم بحيث أستطيع
أن أنتقم .. وأكون منفعلا اذا لم أنتقم .. يقول سبحانه وتعالى :
« ان ذلك لمن عزم الأمور » ..

هنا اللام للتأكيد فى نوع الصبر .. وما يحتاجه من جلد وضبط
للنفس .. ففى الحالة الأولى حينما لا تستطيع أن تعاقب بمثل
ما عوقبت به .. يكون الصبر من عزم الأمور .. ولكن فى الحالة
الثانية فأنك تستطيع أن تنتقم من غريمك .. ولذلك قال الله
سبحانه وتعالى :

« ولمن صبر وغفر » ..

وهنا يظهر من كلمة غفر .. أن هناك غريما يمكن الانتقام منه
.. وان هذا الغريم قد غفر الانسان له .. ومن هنا لابد أن تاتى
اللام للتأكيد .. لتؤكد المعنى .. وتؤكد الفرق بين عزم الأمور
فى الحالة الأولى .. وعزم الأمور فى الحالة الثانية .. وهكذا نرى
أن حرفا واحدا فى القرآن الكريم يصنع معجزة ..

مخاطبة النفس البشرية

على أن المعجزة لا تاتى فى حرف فقط .. بل تاتى ايضا فى
مخاطبة القرآن للملكات البشرية المستوره .. الشئ الذى ينبىء عن
علم تام بخفايا النفس البشرية .. وملكاتها التى نعرفها .. والتى
نجهلها .. فمثلا عندما أراد الله سبحانه وتعالى أن يمنع المشركين
بأن يطوفوا بالبيت الحرام .. ساعة مايلقى هذا الأمر ، ما الذى يهتز
فى نفس المسلم الذى يستمع .. أى الملكات تهتز .. ملكة الاقتصاد
فى النفس .. على أساس أن هؤلاء المشركين يأتون من كل الدول ..
المدن .. القرى .. والبلاد المحيطة بمكة .. وهذه لم يصلها الاسلام
بعد .. ومعنى منعهم من الحضور .. منع الخير الذى يأتى معهم
.. فهم يأتون بالبضائع .. وينفقون .. ويحدثون روجا اقتصاديا
.. هنا تهتز ملكة الاقتصاد فى النفس .. والله سبحانه وتعالى
وهو خالق للنفس البشرية .. يعلم هذا .. فعندما تنزل هذه الآية
.. لا تقتصر على مخاطبة ناحية افعل ولا تفعل .. كاوامر ونواه

.. وطريق ومنهج للحياة .. ولكن تتجلى فيها رحمة الله فتحاطب الآية الملكة النفسية التى تتأثر بالاقتصاد .. فعندما يقول الله سبحانه وتعالى :

« انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ..

يخاطب فى نفس الآية الملكة الاقتصادية .. ويخاطب الملكة الاقتصادية قبل أن يثار السؤال فى أن ذلك سيؤدى الى ضيق الرزق .. فيقول الله سبحانه وتعالى :

« وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ..

نفس الآية .. والمعنى هنا أنه حذار أن تفتنكم الملكة الاقتصادية والخوف من ضيق الرزق عما أقول لكم فى أفعل ولا تفعل .. ولا تخافوا من الفقر .. فان الله سبحانه وتعالى هو الفنى الحميد .. وسيغنيكم من فضله ..

ان هذا المعنى .. معنى الملكة الاقتصادية .. وتأثيرها داخل النفس يتكرر الآن فى أشياء كثيرة تحدث فى الدنيا .. والله سبحانه وتعالى حين يقول لك أفعل كذا .. أو يقول لك لا تتعامل مع كذا .. يأتى بعد ذلك مباشرة السؤال الى ذهنك .. والرزق الذى أحصل عليه من هذا التعامل .. من أين أتى به .. وهنا يقول الله سبحانه وتعالى اننى أرزقك من طريقي .. وما دام الرزق بيدي أنا فأننى سأيسر لك سبيلا آخر للرزق .. ولا تخش الفقر .. ولا تخف من أن رزقك سيناله غيرك ..

« هو .. يطعمنى ويسقنى »

والله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم يخاطب دائما ملكات النفس البشرية .. ويرد عليها ببلاغة وبدقة متناهيتين .. بحيث تجد أنه عندما تتغير كلمة واحدة من الكلمات .. فان ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعطى معنى جديدا .. أو يفهم شيئا جديدا .. وهذه الدقة الهائلة .. تجدها موجودة بكثرة فى القرآن الكريم .. مثلا ابراهيم عليه السلام يقول :

« فانهم علو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين »

.. هنا نتوقف لنسال : لماذا لم يقل ابراهيم عليه السلام هو الذى خلقنى فهو يهدينى .. وقال : الذى خلقنى فهو يهدين .. لان الخلق ليس محتاجا الى تأكيد .. فليس هناك انسان مهما كبر وعظم وحكم الدنيا كلها .. يستطيع أن يدعى أنه يخلق انسانا .. والا فسنطلب منه أن يفعل ذلك وسيعجز .. أذن فالخلق لم يدعه أحد .. ولذلك فانه غير محتاج الى تأكيد .. انما الهداية هناك مئات الالوف ممن يدعون انهم يهدون الناس .. بعضهم وضع مناهج مع الدين .. وبعضهم وضع مناهج ضد الدين .. والمهم انهم جميعا يدعون انهم يريدون هداية البشر .. وكل انسان يضع نظاما يخضع لامره وهواه .. ويدعى أنه للهداية .. ومن هنا كان لابد من التأكيد على أن الهدى من الله وحده .. وأن الحق والطريق المستقيم من الله وحده .. وهكذا نرى أن الضمير هنا كان لابد من وضعه .. وأن الضمير فى الجزء الأول من الآية لم يكن هناك حاجة للتذكير به .. فالخلق صفة من صفات الله .. لا ينازعه فيها أحد .. فهو ليس محتاجا الى تأكيد وانما الهدى فيه ادعاءات من الناس .. وهنا تأتى كلمة (هو) ضرورة .. ثم تأتى بعد ذلك فى :

« والذى هو يطعمنى ويسقين » ..

لأن الانسان يكسب ثمن الطعام والشراب فهناك ادعاءات كثيرة فى الرزق .. ومن هنا فان هذه الادعاءات محتاجة الى ان يقول الله سبحانه وتعالى كلمة « هو يطعمنى ويسقين » ويقول أيضا مع :

« واذا مرضت فهو يشفين »

.. ذلك أننا بين الطبيب والدواء ننسى ارادة الله سبحانه وتعالى .. ثم بعد ذلك نأتى الى عدم وجود كلمة هو فى قوله تعالى :

« والذى يميمتنى ثم يحيين » ..

ولم يقل : والذى (هو) يميمتنى ثم (هو) يحيين
لانه لا أحد يستطيع أن ينازع الله فى مسألة الموت والحياة ..

ولا يدعيها لنفسه .. ومن هنا كان التأكيد غير لازم لمقتضى الحال
وهكذا نرى فى هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يأتى بالصبر
فيضعه مرة .. ويحذفه مرة .. لأن المقام يقتضى ذلك .. ولأن دقة
التعبير فى القرآن الكريم تجعل الكلمة الواحدة توضع فى المكان
المناسب لتعبر عن المعنى الدقيق البالغ الدقة .. سواء من ناحية
الإضافة أو الحذف .. أو اختيار الكلمات .. ولو أن الله سبحانه
وتعالى استخدم كلمة هو فى كل الآيات التى ذكرناها .. أو حذف
كلمة هو من كل الآيات التى ذكرناها .. لما تنبه لذلك معظم الناس
.. ولضى الحديث على أساس أنه كلام بشر .. ولكنه كلام الله
سبحانه وتعالى ..

لماذا التغير

ونرى أن الدقة البالغة فى التعبير تقتضى التغير فى كل حرف يتم
.. وفى كل كلمة تقال .. بل فى نفس الكلمة مثلا .. مثان سقيناهم
.. وأسقيناهم .. سقيناهم متعديا .. وأسقيناهم متعديا ..
« وسقاهاهم ربهم شرابا طهورا » ..

هذا قول الله سبحانه وتعالى .. وفى آية أخرى يقول الله سبحانه
وتعالى :

« وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم » ..

لماذا لم يقل لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم .. مع أن سقى
وأسقى بمعنى واحد .. واللفظان يتعديان لمفعولين .. ماهو الخلاف
.. هل هى مجرد مترادفات .. أم الفاظ تتغير حتى لا تتكرر نفس
الالفاظ .. أبدا .. كل تغيير له حكمه .. كل تغيير يحدد معنى
معينا لا يحدده غيره .. ونحن حين نأتى ونتابع القرآن الكريم نجد
أن سقى تستخدم فى الأمر الذى ليس فيه كلفة ولا علاج ..
وأسقيناهم فى الأمر الذى فيه كلفة وعلاج .. هذا فى أمور الدنيا
« اسقيناهم ماء غدقا » ..

أمر فيه كلفة .. فيه جهد .. نحن أوجدنا لهم الماء وجعلناه
متوافرا لديهم بلا تعب ولا نصب .. فهو موجود فى البئر .. ولكن

لكي تتم السقيا يجب أن يذهب الانسان الى البئر ليشرب .. أو أن يحضر له انسان آخر الماء .. اذن هنا في أسقيناهم .. رغم أن الماء موجود بقدرة الله سبحانه وتعالى .. ومتوافر بقدرة الله سبحانه وتعالى .. الا أن عملية السقيا فيها عمل من الانسان .. أو جزء من العمل .. فاذا أتينا الى كلمة سقيناهم .. نجد الله سبحانه وتعالى يقول :

« وسقاهم وبهم شرابا طهورا » ..

هذا في الجنة .. بمجرد الخاطر ليس فيه كلفة .. اذا أحسست بالعطش وجدت الماء أمامك يصل الى فمك .. هنا في الآخرة لا يوجد أى جهد ولا أى كلفة للانسان في أى عمل يعمل .. فكل شيء في الجنة متى تمناه الانسان وجده حاضرا أمامه .. اذن فقول الله سبحانه وتعالى ..

« وسقاهم وبهم شرابا طهورا » ..

معناه أن السقيا هنا في الجنة ليس فيها أى جهد .. ولا أى كلفة .. ولذلك فرق الله سبحانه وتعالى بين السقيين .. رغم أنه هو الذي أوجد الماء أو ما يتم شربه في الحالتين .

يعلمون .. ويعقلون

واذا مضينا نقرأ في القرآن الكريم .. نجد الله سبحانه وتعالى قد استخدم لفظا معينا .. وفي حالة مماثلة لم يأت بنفس اللفظ حتى أنك حين تسمع الآية تظن أنه سيأتي باللفظ الاول .. ولكنه لا يأتي به .. مثلا يقول الله سبحانه وتعالى :

« أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى :

« أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ..

لماذا الاختلاف في الكلمة .. مع أن العلم والعقل واحد .. أقول ان هناك فرقا كبيرا يحتم في مرة استخدام لفظ يعلمون .. وفي مرة استخدام لفظ يعقلون ..

يأتى الى نص الآيتين الكريمتين فى سورة البقرة (١٧٠) يقول
الله تعالى :

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا
عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
.. ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء .. صم بكم عمى فهم لا يعقلون .. »

والآية الثانية فى سورة المائدة ..

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون .. يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم .. »

ولكن عندما يأتى المستشرقون يقولون أن اللفظين مترادفان ..
فالعلم والعقل .. والعقل والعلم شيء واحد .. والعاقل من علم أو من
استطاع أن يعقل العلم ، ويقولون ان هذه مترادفات الى آخر ما يقال
فى هذا الموضوع . نقول لهم انكم حينما تقولون هذا الكلام .. انما
لا تعرفون شيئا عن بلاغة القرآن الكريم .. فالله سبحانه وتعالى
لا يستخدم لفظين لأداء نفس المعنى ولكن كل لفظ له معناه .. كل
لفظ يعبر بدقة عن المعنى المراد منه .. فالله سبحانه وتعالى عندما
يقول يعقلون .. معناها انهم لا يفهمون شيئا أى ليس لهم عقول
تفكر .. لا يتدبرون فى أمر هذا الكون .. انهم لا يستخدمون عقولهم
.. ولو استخدموها وفكروا وتأملوا قليلا لوصلوا الى أن الله سبحانه
وتعالى هو الخالق البارئ .. وان هذا الكون بدقته وبديعه لا يمكن
الا أن يكون من خلق الله سبحانه وتعالى .. هذه فى كلمة يعقلون
.. اذن هنا هو نفى عنهم التدبر والتعقل فى أمور العباداة وفى
أمور هذا الكون ..

ولكن عندما يقول الله سبحانه وتعالى لا يعلمون فهو قد نفى عنهم
التعقل والعلم معا .. بمعنى أننى قد آكون أنا باحثا فى هذا الكون
.. قد آكون متأملا فيه عاقلا لما يدور .. فافكر بعقلي .. وأصل الى

أشياء .. هذا هو الانسان الذى يعقل .. أما قوله تعالى ،

« لا يعلمون »

فهو يريد أن يقول لنا . انهم بجانب عدم تدبرهم فى هذا الكون .. وانهم لا يعقلون الآيات الموجودة فيه .. هم ايضا لا يعقلون ما علمه غيرهم من العلم .. فالذى لا يعقل لا يتدبر ولا يفكر فى آيات الكون .. أما الذى لا يعلم فهو لا يفكر بعقله .. ولا يعلم ما عقله غيره .. أنه ليس لديه علم .. ولا علم له من نتاج عقل غيره .. فالعلم أوسع من التعقل .. ذلك أن العلم قد يكون علم غيرى دونه أو كتبه وسجله وأكون أنا فى هذه الحالة قد اخذت هذا العلم .. وقرأته .. فكأنى علمت ما عقله غيرى .. وهذا يحدث لنا كل يوم فنحن حين نقرأ كتابا جديدا نعقل ما علمه غيرنا .. وحين نذهب الى الجامعة ندرس ما علمه الاساتذة وكبار المفكرين .. فأنا لم أعقل الجاذبية مثلا .. ولم أعقل قوانين الفضاء لأننى لم أشتغل بها لكى أصل اليها بعقلى .. ولكنى علمتها عن طريق عالم فى الفضاء .. أو فى الجاذبية .. ووصل بعقله وفكره اليها ثم قرأت أنا ما علمه هو .. فأنا هنا علمت ما عقله غيرى .. فالله سبحانه وتعالى حين يقول لا يعقلون فى الآية الأولى .. أى انهم لا يتدبرون فى الكون مستخدمين عقولهم .. لأنهم يقولون ..

« بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » ..

ومن هنا فإن الله رد عليهم

« أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ..

ولذلك يصفهم الله سبحانه وتعالى : « صم بكم عمى فهم لا يعقلون » أى لا يسمعون ولا يرون ولا يتحدثون بآيات الله سبحانه وتعالى وهذا هو السبب فى أنهم لا يعقلونها .. ولكن حين يقول الله سبحانه وتعالى : لا يعقلون .. تأتى ردا على كافرين .. قالوا :

« حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » ..

هنا هم قد نطقوا .. قالوا : لا نريد شيئا .. ولا نريد علما .. يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا .. فرد الله سبحانه وتعالى :

« أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ..

أن أنهم لا يعلمون علما بعقلهم .. ويرفضون العلم الذى وصى
اليه غيرهم .. وهكذا نرى الفرق بين كلمة لا يعقلون .. وكلمة
لا يعلمون ..

نرزقهم .. ونرزقكم

ننتقل بعد ذلك الى نقطة أخرى تشهد على بلاغة القرآن الكريم ..
ودقة التعبير فيه .. والقرآن الكريم مليء بأعجاز لا ينتهى أبدا ..
مثلا بعض الآيات فى القرآن الكريم يقول العقل السطحي أن معناها
واحد .. ويتساءل لماذا غير الله سبحانه وتعالى الالفاظ .. ولكن
المتدبر فى القرآن الكريم لا يمكن أن يقول انها توارد الفاظ .. فليس
هناك شئ فى القرآن الكريم أسمه توارد الفاظ .. ولكن هناك دقة
بالغة فى التعبير .. واختيار اللفظ ..

فالنظر الى المعنى الذى قد لا يفتن اليه كثير من الناس .. مثلا
فان وأد البنات كان موجودا فى الجاهلية .. ثم جاء الاسلام ليمنع
هذا .. فقال الله سبحانه وتعالى :

« ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق نحن نرزقكم وإياهم »

.. الكلام هنا عن الفقر وقتل الاولاد .. نأتى بعد ذلك الى الآية

الثانية ..

« ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم وإياكم »

والآية الاولى « نحن نرزقكم وإياهم » والآية الثانية نحن نرزقهم

وإياكم

نسأل ما هو الخلاف .. الآية الاولى تقول ولا تقتلوا أولادكم من
اطلاق .. أى أن الفقر موجود فعلا .. الاملاق وهو الفقر موجود فعلا
.. ثم يقول الله سبحانه وتعالى نحن نرزقكم وإياهم .. مادام الفقر
موجودا فعلا .. يكون الانسان مشغولا برزقه أولا .. يبحث عن طعامه هو
أولا ثم بعد ذلك يبحث عن طعام من سيأتى به من أولاد .. هم الانسان
هنا هو البحث عن طعامه وطعام زوجته .. ومن هنا يقول الله
سبحانه وتعالى « نحن نرزقكم وإياهم » .. أى أنه يطمئنه أولا على

رزقه الذى هو شغله الشاغل .. ثم بعد ذلك يطمئنه على رزق اولاده
 فيقول له : أنت فقير ومشغول برزقك .. وتخشى أن تأتيك الأولاد
 .. لأنك لا تملك ما تطعمهم به .. اننى أرزقك .. وأرزقهم ..
 أنت لك رزقك وهم لهم أرزاقهم لن يأخذوا من رزقك شيئا .. ولكن
 الآية الثانية تخاطب نوعا آخر من الناس .. الآية الثانية تقول :
« ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم »

هنا الانسان ليس مشغولا برزقه لا يخشى الفقر .. عنده ما يكفيه
 .. ولكنه يخاف ان رزق بطل أن يصاب بالفقر .. أن يأخذ هذا
 الطفل جزءا من الرزق .. ويصبح الرزق لا يكفيه .. ويكفى طفله
 .. ومن هنا فان هذا الانسان يخاف انجاب الاطفال .. لماذا ؟ لأنه
 يخشى أن يأخذوا من رزقه شيئا .. فيصبح فقيرا .. فيقول الله
 سبحانه وتعالى **« نحن نرزقهم واياكم »** .. الآية الاولى كان الشغل
 الشاغل للانسان هو رزقه .. فخاطبه الله سبحانه وتعالى أولا بقوله
 نحن نرزقكم .. ليطمئنه أولا على رزقه .. الآية الثانية رجل ميسر
 فى الرزق لكنه يخشى الفقر من الأولاد .. فالله طمأنه على أن الأولاد
 لن يأخذوا من رزقه شيئا بقوله سبحانه وتعالى **« نحن نرزقهم واياكم »**
 .. اذن فالتغيير هنا لازم وضرورى .. كل يخاطب حالة على حدة ..
 ولكن لماذا قال الله سبحانه وتعالى : **« نحن نرزقكم واياهم »**
 وقال **« نحن نرزقهم واياكم »** .. ولم يقل نحن نرزقكم جميعا ؟ لأن
 الله سبحانه وتعالى يريد أن نعرف أن لكل انسان فى هذه الدنيا
 رزقا مستقلا عن الآخر .. وهذا الرزق الذى قسمه الله سبحانه
 وتعالى لا يستطيع انسان آخر أن يأخذ منه شيئا .. ومن هنا
 فالمولود لا يأخذ من رزق أبيه شيئا .. والوالد لا يأخذ من رزق
 ابنه شيئا .. ولأعلم أنا أننى حينما أرزق بمولود فان الله سبحانه
 وتعالى لا يقسم رزقى بينى وبينه .. أو عندما أقتل المولود لن
 استأثر أنا برزق أكبر .. أبدا ..

أنت العزيز

نأتى بعد ذلك الى الآية الكريمة قول الله سبحانه وتعالى :

« يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وامى
الهي من دون الله .. قال سبحانه ما يكون لى ان اقول
ما ليس لى بحق ان كنت فلتة فقد علمته تعلم ما فى
نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب .. »

ثم يقول عيسى بن مريم :

« ان تعذبهم فانهم عبادك .. وان تغفر لهم فانك انت

العزیز الحكيم .. »

كون عيسى بن مريم يقول :

« ان تعذبهم فانهم عبادك .. »

فهذه مفروغ منها .. فنحن جميعا عباد الله مقهورون لارادته
.. خاضعون له سبحانه وتعالى ولقضائه .. ثم يقول عيسى بن مريم :
(وان تغفر لهم) هذا طبعاً ما يرجوه كل انسان من الله سبحانه
وتعالى الرحمة والمغفرة .. ولكن هنا يتبع كلمة « وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم » لماذا لم يقل انك انت الغفور الرحيم .. هنا موقف
غفران .. فلماذا العزة فى موقف الغفران .. وليست المغفرة الرحمة ؟
.. يقول بعض الناس ان العبارة غير متمشية .. وان سياق الكلام
كان يقتضى أن يقول عيسى بن مريم « انك انت الغفور الرحيم » ونحن
نقول ان كل من يثير هذا الكلام لا يفهم اعجاز القرآن .. فقول
ابن مريم « ان تغفر لهم » .. يحمل نفس المعنى فى انك انت الغفور
والا أن لم تكن غفورا فكيف تغفر .. ولكن قوله انك انت العزيز الحكيم
ما سبب وضع « العزيز الحكيم » هنا .. هل الآية مختومة بما لا يتمنى
مع العقل ؟ ..

الآية مختومة بعبارة من ابلغ ما يمكن .. هنا فى مطلب الغفران
.. وهو يدعو الله أن يغفر لعباده .. فيقول له : وان تغفر لهم ..
فانك انت العزيز .. أى الذى لا يحاسبه أحد على ما يفعل .. فلا أحد
سيأتى ليقول لله لماذا غفرت لهؤلاء الناس الذين عصوا ؟ .. لانك
انت العزيز لا يحاسبه أحد .. وليس فوقه قوة .. فانت ياربى أن
أردت أن تغفر لهم فهى مشيئة رحمتك .. فانك قادر .. لماذا .. ؟

لأنك انت العزيز تستطيع أن تفعل ذلك دون أن يسألك أحد ..
 الحكيم الذى يتم كل أمر منك بحكمه .
 وهكذا نرى أن هذه الكلمة وضعت بحكمة زيادة فى الاستعقار
 .. زيادة فى طلب المغفرة .. يا ربى أغفر لهم انك انت العزيز ..
 لا يحاسبك أحد .. ولا يعقب عليك .. وبالتالي فنحن نلوذ بشيئين
 بأنك غفور رحيم .. وبأنك عزيز حكيم .. غفور تغفر الذنوب
 للعاصين .. وعزيز تستطيع أن تغفر ما تشاء لمن تشاء .. بلا قيود
 .. ولا يحاسبك أحد على ما تفعل .. ولا يعتب عليك .. ولا يسألك
 .. انك تستطيع أن تغفر الذنوب مهما بلغت .. هل وضع الآن
 معنى استخدام كلمة « العزيز » ؟!

ظالم النفس .. والسوء

ننتقل بعد ذلك الى نقطة ثانية .. فى الآية الكريمة ..
 « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم »
 .. وقوله تعالى

« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه » ..

بعض الناس يتساءل : أليست الفاحشة والسوء هما ظلم النفس
 .. أنهما نفس الشيء .. فالذى يظلم نفسه يقودها الى العذاب ..
 والذى يفعل فاحشة يقود نفسه الى العذاب .. نفس الشيء .. بل
 ان بعض الناس يقولون أن العطف هنا غير واجب .
 ولكننى أقول لهم أن دقة التعبير .. ودقة اللفظ من دقة القائل
 .. والله سبحانه وتعالى يبين لنا اعجاز القرآن .. ويقول لنا أن
 هناك فارقا بين من يفعل سوءا أو فاحشة .. ومن يظلم نفسه ..
 ما هو هذا الفارق ؟ ..

الذى يفعل سوءا أو فاحشة يفعلها ليحقق لذة عاجلة .. نفس
 ضعيفة يغلبها الهوى وتخضع لبريق الدنيا .. انسان شرب الخمر
 .. حقق لنفسه لذة الخمر .. انسان زنا .. حقق لنفسه شهوة
 عاجلة .. انسان سرق مال غيره .. حقق لنفسه شهوة عاجلة
 بالتمتع بهذا المال .. هذا هو الانسان الذى يفعل السوء أو الفاحشة

.. أما الانسان الذى يظلم نفسه فهو انسان آخر .. انه يرتكب
اثما ولا يستفيد منه .. لا يعطى نفسه شيئا فى الدنيا ولا فى
الآخرة .. حينئذ يكون قد ظلم نفسه .. بمعنى انه لا أعطاها شيئا
عاجلا .. ولا نجاها من عذاب الآخرة ..

ومن الناس من يبيع دينه بدنياه .. ومنهم من يبيع دينه بدنيا
غيره .. الذى يبيع دينه بدنياه يطلب العاجلة .. أما من باع دينه
بدنيا غيره .. خاب فى الاولى والآخرة .. هو الذى ظلم نفسه ..
ولكن كيف يظلم الانسان نفسه .. فالانسان حين يشهد زورا ليؤذى
غيره لم يستفد هو شيئا فقد ظلم نفسه .. ارتكب اثما .. شهادة
الزور دون أن يحقق نفعا دنيويا ..

إذا قبض ثمن شهادة الزور .. يكون قد حقق نفعا دنيويا ..
ولكن الذى يظلم نفسه هو الذى يفعل ذلك ليرضى غيره .. ونجد
كثيرين فى الدنيا مثل هؤلاء ..

انسان يتهم انسانا آخر بتهمة باطلة .. لا يستفيد هو شيئا ..
ويرتكب الاثم ، اذن هو ظلم نفسه .. انسان يكتب تقريراً كاذباً فى
انسان ليمنع ترقية .. او يتطوع بحديث يختلقه عن شخص ليمنع
الخير عنه أو يؤذيه .. أو يشى بشخص كذباً ليدخله السجن ..
أو يضعه فى الاعتقال .. أو يتجسس على انسان ليلحق له تهمة
لمجرد الانتقام التافه .. كل هؤلاء يظلمون أنفسهم .. انهم يرتكبون
الاثم فى الدنيا .. ولا يجعلون له فائدة لا فى دنياهم .. ولا فى
آخرتهم .. فكان الذى ظلم نفسه هو الذى جعلها تدخل النار ..
هو الذى جعلها ترتكب الاثم .. وفى نفس الوقت لم يعطها شيئا
على وجه الاطلاق .. فهو ظالم لنفسه فى الدنيا .. ظالم لنفسه
فى الآخرة .. وهنا فرق بين التعبيرين .. ومن هنا لا نقول أبداً
عطف .. و لا الفاظ مترادفة بل دقة بالغة فى التعبير ..

نور .. وظلمات

تعبير آخر فى القرآن الكريم .. والقرآن الكريم ملء بالتعبيرات
الدقيقة .. نجد أن الله سبحانه وتعالى حين يستخدم كلمة نور

وظلام فى القرآن الكريم يقول (نور) ويقول ظلمات وظلمة ..
ولكنه لا يقول أنوار .. أبدا هناك نور وظلمة .. وهناك نور
وظلمات .. ولكن الله سبحانه وتعالى لا يستخدم كلمة « أنوار » انه
يخرج الناس

« من الظلمات الى النور »

.. وليس الى الانوار .. لماذا ؟ مع أن المنطقى أن يقال يخرج
الناس من الظلمات الى الانوار .. نقول له .. انك لم تنج الحقيقة
جيدا .. فى الدنيا هناك ظلمات كثيرة .. ولكن ليس هناك أنوار
.. هناك نور واحد هو نور الله سبحانه وتعالى نور الحق .. ولذلك
لا يستخدم الله سبحانه وتعالى الا كلمة نور .. لان النور هو نور
الحق .. ولا نور غيره ..

لكل نفس هوى .. والهوى هو ظلمة .. وظلمة هذا غير ظلمة
ذاك .. الانسان فى كثير من الاحيان هو عبد لأهوائه .. والاهواء
تختلف .. ومن هنا يأتى الصراع فى الدنيا .. القتل .. السرقة
.. الاعتداء على الغير .. الى آخر ما تشهده من صراع الحياة فى
كل مكان ..

هذه ظلمات .. كل فى ظلمة مختلفة تبع هوى صاحبها .. هذا
يقول كلاما .. وهذا يقول كلاما آخر .. هذا يريد أن يحقق شيئا
.. وذلك يريد أن يحقق شيئا آخر .. كل انسان يريد أن يأخذ
ملا حق له فيه .. وكل انسان يتحدث بما يعتقد أنه يحقق له
هواه .. انسان يقول الشيوعية .. وآخر يقول الرأسمالية وثالث
يقول الاشتراكية .. هذه كلها كلمات .. ورائها هوى للنفس
يعتقد الانسان أنه يستطيع أن يحققه .. أن يعلو فى الارض ..
أن يستبيح مال وحرمان غيره .. أن يذل الناس بما أعطاه الله له
من مركز .. أو مال .. أو سلطان ..

اذن هى ظلمات كثيرة .. كل انسان منا له هواه .. ولكن الله
سبحانه وتعالى الحق .. وهو الذى وضع النور .. ليتمكن الانسان
من أن يعيش عيشة راضية مطمئنة .. هذا النهج للحياة رسمه الله

سبحانه وتعالى في القرآن الكريم .. أما كل ما نتخبط فيه بعيدا
عن منهج الله فهو ظلمات .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى يخرجنا
من ظلمات كثيرة الى نور واحد .. هو نوره .. هو طريقه .. هو
الحق ..

الله سبحانه وتعالى حين يستخدم للـمة « ظلمات » يتحدث عن
أهواء الناس .. وهي مختلفة .. وحين يستخدم كلمة « نور »
فهو يتحدث عن شيء واحد هو منهجه .. طريقه .. ذلك هو النور
.. واذا اتفقنا على خير لا يمكن أن نختلف .. لا يمكن أن تجسد
خلافًا بين أناس في قلوبهم الخير .. ورغبتهم الى الخير .. وعملهم
الخير لا يمكن أن يختلفوا .. ولا يمكن أن يكون الصراع والشقاء
الا على تحقيق أهواء النفس في الدنيا .. هل عرفت الحكمة من
استخدام الله سبحانه وتعالى .. ظلمات بالجمع .. وعدم استخدامه
لكلمة أنوار .. لان هناك نورا واحدا هو نور الله سبحانه وتعالى .
هذه هي بعض الامثلة البسيطة جدا .. والقرآن مليء بالاعجاز ..
الاعجاز والدقة في التعبير .. اللفظ في مكانه .. فاذا تغير عن
مكانه فانما يريد الله سبحانه وتعالى أن يلفتنا الى معنى آخر .. الى
شيء آخر ليس هناك مترادفات .. وليست هناك ألفاظ لا تتسم
بالدقة .. وليس هناك كلمة في غير موضعها .. وانما دقة متناهية
في التعبير .. دقة متناهية في البلاغة .. ولكن بعض المستشرقين
الذين يحاولون أن يضلوا عن سبيل الله .. أو الذين يدرسون
القرآن الكريم ليحاربوه يقولون أن في القرآن تناقضا ويزيدون على
ذلك بأن هذا التناقض طبيعي لان قائل القرآن .. كما يدعون ..
هو محمد عليه السلام .. بشر فانه أحيانا ينسى .. وأحيانا يمر
عليه الزمن فيقول عكس ما قال .. الى آخر ما في طبيعة البشر من عدم
التذكر خصوصا في الفترة الطويلة .. ويتحدثون عن التناقض
في القرآن الكريم .. وأنا سأحدثكم عن التناقض الذي يدعونه ..
في الفصل القادم من الكتاب ..

حديث قدسي

● ● يا معشر الذين أسلموا بالسنتهم ولم يدخل
الايمان في قلوبهم ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ،
ولا تتبعوا عثراتهم فإنه من يتبع عثرات أخيه المسلم
يتبع الله عثرته ، ومن يتبع الله عثرته يفضحه وهو في
قعر بيته ، قالوا : يا رسول الله وهل على المؤمن من
ستر ؟ قال : ستور الله على المؤمن أكثر من أن تحصى ،
ان المؤمن ليعمل الذنوب فيهلك عنه سترا سترا حتى لا
يبقى عليه منه شيء ، فيقول الله للملائكة : استروا على
عبدى من الناس ، فانهم يعيرون ولا يغيرون ، فتحف الملائكة
بأجنحتها يسترونه من الناس ، فان تاب قبل الله منه
ورد عليه ستوره ، ومع كل ستر تسعة أستار ، فان
تتابع في الذنوب قالت الملائكة : يا ربنا انه قد غلبنا
وأعذرنا فيقول الله : استروا عبدى من الناس ، فان
الناس يعيرون ولا يغيرون ، فتحف به الملائكة بأجنحتها
يسترونه من الناس ، فان تاب قبل الله منه ، وان عاد
قالت الملائكة : ربنا انه قد غلبنا وأعذرنا ، فيقول الله
للملائكة : تخلوا عنه ، فلو عمل ذنبا في بيت مظلم
في ليلة مظلمة في جحر ، أبدى الله عنه وعن عورته .

• الفصل الخامس •

التناقض في القرآن الكريم

السؤال الذي شغل بال المستشرقين .. وكل من يريد أن يحارب هذا الدين .. هو الادعاء بأن هناك تناقضا في القرآن الكريم .. ولو بذل هؤلاء الناس لفهم القرآن الكريم نفس الجهد الذي بذلوه في محاولة أظهار ما أسموه بالتناقض في القرآن الكريم لا استطاعوا أن يصلوا الى عظمة القرآن .. والى معجزة القرآن والى الدقة البالغة في كلام الله سبحانه وتعالى .. ولكن المستشرقين يحاولون أن يأخذوا من المعجزة .. أهم ما فيها وهو أنها كلام الله سبحانه وتعالى .. وفي محاولاتهم هذه يلجأون الى أظهار ما يسمونه «التناقضات» .. أو يطلقون عليه أسم «الاشياء المتناقضة» في القرآن الكريم .. وأساس هذا الاتجاه هو أن المعجزة وهى القرآن كلام الله سبحانه وتعالى .. وأن الله سبحانه وتعالى منزلة عن الخطأ .. منزلة عن النسيان .. منزلة عن كل ما فى البشر من تناقض .. وبالتالي فان وجود أى تناقض ولو كان ظاهريا فى القرآن الكريم يساعدهم على هدم المعجزة .. وعلى الادعاء أن هذا الكلام هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليس منزلا من عند الله ..

ولكن الاعجاز القرآنى .. الذى هو موجود فى كل حرف من

القرآن .. أنما يظهر أمامهم بهذه الصورة ليجعلهم شهداء على المعجزة .. ولجعلهم وهم يحاولون أن يحاربوا هذا الدين .. وأن يشوهوا هذا الكتاب الكريم يبينون معجزاته .. ويظهرون ما خفى منها .. أذ أنهم يشيرون مما يزعمونه أشياء تجعل العقل البشري ينشط في محاولة للمرد عليهم .. وبالتالي فإنه في بحثه في القرآن الكريم تبين المعجزة .. ويتبين أن هذا الكلام هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ..

ولنبداً الحديث من أوله .. ماذا قال المستشرقون .. قالوا .. كلام بشر .. هل هو كلام بشر فعلاً ؟ .. تعالوا نناقش ما أثاروه قضية قضية .. وإن كان هذا يحتاج الى كتاب مستقل ..

خلق السماوات والأرض

جاءوا في أول الأشياء بالخلق .. خلق السماوات والأرض .. شيء هو من صنع الله سبحانه وتعالى حينما يتحدث عنه في القرآن الكريم .. فهو يتحدث عن شيء لا يعلمه إلا الله .. وبالتالي فإن أي تناقض ظاهري في هذه العملية مسألة تخدم قضيتهم في محاربة هذا الدين .. ماذا قال المستشرقون .. ؟ قالوا : أن القرآن الكريم قال في عدة سور .. أن الأرض والسماوات خلقنا في ستة أيام .. وفي سورة فصلت : أن أيام الخلق ثمانية .. وقالوا انها حقوة بشرية .. ونسيان ..

خرجوا من ذلك بأن قائل هذا الكلام هو محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذا هو هدفهم .. تعالوا نناقش ماذا قال القرآن الكريم في سورة الاعراف :

« ان ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة

أيام .. »

وقال في سورة يونس :

« ان ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة

أيام .. »

وفي سورة الفرقان :

« الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام .. »

.. أذن أجمعت كل هذه الآيات على أن خلق السموات والأرض
وما بينهما تم في ستة أيام .. لاخلاف في ذلك ولا جدال .. فإذا
انتقلنا بعد ذلك الى سورة فصلت .. حيث فصل الله سبحانه
وتعالى خلق السموات والأرض يأتي في الآية التي تقول :

« قل ائتكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين
وتجعلون له اندادا .. ذلك رب العالمين .. وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة
أيام سواء للسائلين .. ثم استوى الى السماء وهي
دخان .. فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها ..
فالتا ايتنا طاعتين .. فقضاهن سبع سموات في يومين
.. واوحى في كل سماء امرها »

إذا أحصينا عدد الأيام في السورة الكريمة .. نجد أن الله سبحانه
وتعالى يقول أنه خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
.. وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام .. ثم استوى الى السماء ..
ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

« فقضاهن سبع سموات في يومين .. واوحى في كل
سماء امرها »

إذا أحصينا أيام الخلق في سورة فصلت نجد أنها ثمانية
يومان لخلق الأرض .. وأربعة أيام قدر فيها رزقها وبارك فيها
.. أيام الخلق هذه ستة أيام .. يومان آخران للسموات اذن فهي
ثمانية أيام ..

يأتي هنا المستشرقون ليقولوا أن القرآن الكريم تناقض مع
نفسه .. وأنه يقول في عدة آيات أن خلق السموات والأرض تم في
ستة أيام .. ثم يأتي ليقول أن الخلق تم في ثمانية أيام ..
ويضيفون أن هذه غفلة لأن قائله بشر ..

واو أننا دققنا في الآية الكريمة التي يجادلون فيها لوجدنا بدايتها
تختلف عن الآيات السابقة فالله سبحانه وتعالى يقول :

« قل انتم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين

وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين » ..

ومن هنا بدأت الآية بمخاطبة الكافرين الذين يجعلون لله أندادا .. ويجادلون فيه أى أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يخبرنا أن الذى يستخدم هذه الآية الكريمة فى التشكيك فى القرآن الكريم هم أولئك الكافرون الذين يريدون أن ينشروا ويذيعوا الكفر بين الناس .. ويريدون أن يجعلوا لله أندادا .. وهم فى الحالتين غير مؤمنين يحاربون الله .. ويحاربون دينه .. أن بداية هذه الآية معجزة .. لأن الذين يجادلون فيها .. هم أولئك الذين يحاربون هذا الدين .. ويكفرون بالله ويحاولون التشكيك .. فكون الله سبحانه وتعالى قال فى هذه الآية الكريمة :

« وتجعلون له أندادا » ..

وقال :

« انتم لتكفرون بالذى خلق الارض »

كانما هو يخاطب هنا أولئك الذين سيأتون بعد قرون عديدة ليشككوا فى القرآن الكريم مستخدمين هذه الآية بالذات فى محاولة التشكيك ..

ونحن نقول لهم أن من يقول هذا الكلام .. أما أن يكون متعمداً أو غافلاً عن مدلولات النص ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

« انتم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين » ..

وتجعلون له اندادا » ..

ثم يقول سبحانه وتعالى :

«وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها»

أذن الله سبحانه وتعالى يتحدث هنا عن اتمام خلق الارض .. هو يعطينا تفصيل الخلق .. فيقول خلق الارض فى يومين .. ثم يتم بعد ذلك الحديث عن الخلق فيقول .. فجعل فيها رواسى وقدر فيها اقواتها فى أربعة ايام .. مادام الحديث تتمه لنفس الشئ الذى بدأ الكلام عنه .. وهو

الارض ٠٠ أى أن الله سبحانه وتعالى لم ينتقل الى الحديث عن
السموات ٠٠ وانما هو يفصل كيفية خلق الارض ٠٠ فهو يتم لنا
زمن خلق الارض ٠٠ فهو يقول : اننى خلقت الارض فى يومين ٠٠
ثم اتممت خلقها فى اربعة ايام ٠٠ اذن فمدة الخلق ، كلها بالنسبة
للارض هى اربعة ايام ٠٠ وليست ستة ٠

ولنضرب مثلا يقرب مانقوله للاذهان ٠٠ اذا فرض اننى ذاهب الى
الاسكندرية ٠٠ وأن القطار سيتوقف فى مدينة طنطا ٠٠ فانا أقول
أن القطار سيتوقف فى مدينة طنطا بعد ساعة ٠٠ وفى الاسكندرية
بعد ساعتين ونصف ٠٠ فهل معنى ذلك أن المسافة بين القاهرة
والاسكندرية ثلاثة ساعات ونصف أبدا ٠٠ المسافة بين القاهرة
والاسكندرية هى التى ذكرتها مؤخرا ٠٠ أما الساعة التى سيستغرقها
القطار من القاهرة الى طنطا فهذه جزء يدخل ضمن الساعتين
والنصف ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ لان طنطا جزء من الطريق بين القاهرة
للالسكندرية ٠٠ والله سبحانه وتعالى يتحدث عن خلق الارض ٠٠
٠٠ فهو يقول سبحانه وتعالى ٠٠ اننى خلقت الارض فى يومين ٠٠
ثم اتممت عملية الخلق بأن جعلت فيها رواسى من فوقها ٠٠
وباركت فيها اقواتها فى اربعة ايام ، كأن الايام الاربعة هى كل
الفترة التى أستغرقتها ٠٠ عملية خلق الارض ٠٠ منها يومان لخلق
الارض ٠٠ ويومان لاتمام الخلق بأن جعل الله سبحانه وتعالى رواسى
من فوقها ٠٠ وبارك فيها اقواتها ٠٠ المدة كلها هى اربعة ايام ٠٠
وليست ستة ايام ٠٠ الله سبحانه وتعالى أراد أن يفسر لنا أنه خلق
الارض فى يومين ثم اتم خلقها بكل ما فيها من اقوات ورواسى بما
فى ذلك خلق الارض نفسها اربعة ايام ٠٠ فكان اليومين الاولين
جزء من الايام الاربعة التى أستغرقها خلق الارض ٠٠ مثل بالضبط
عندما تقول أن القطار يستغرق من القاهرة الى الاسكندرية ساعتين
ونصفا ٠٠ وبين القاهرة وطنطا ساعة ٠٠ المسافة كلها ساعتان ونصف
٠٠ ولكنك اردت أن تفصل الجزء من الكل ٠٠ فذكرت بالتفسير جزءا
من الكل ٠٠ وليس معنى هذا أن هذا الجزء اضافة الخلق ٠٠ هذا جزء

من الكل نستخدمه جميعا فى حياتنا اليومية كل يوم .. أقول
وضعت أساس العمارة فى ثلاثة أشهر .. وأتممت بناءها فى عام
.. هل معنى ذلك أن العمارة استغرقت عاما وثلاثة أشهر .. لا ..
لقد أتممتها فى عام .. ولكن جزء الأساس استغرق ثلاثة أشهر من
عام البناء .. هنا تحدثت بالتفصيل .. والجزء من الكل .. ليس
منفصلا .. ولا زائدا عنه .. تقول هذا المشروع تتم مرحلته الاولى
فى عام .. وينتهى فى عامين .. هل معناه أنه يستغرق ثلاثة أعوام
.. لا عامين .. لان المرحلة الاولى هى جزء من الكل ..

تفصيل الخلق

والله سبحانه وتعالى لم يفصل لنا فى الآيات السابقة مراحل
الخلق ولكنه أتى به مجملا .. انما فى سورة «فصلت» .. تحدث
أولا عن خلق الارض .. خلق الارض نفسها فى يومين .. ثم أتم
الخلق بأن جعل فيها رواسى .. وبارك فيها أقواتها فى أربعة أيام
.. هذه مرحلة خلق الارض .. استغرقت أربعة أيام .. ثم بعد
ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« ثم استوى الى السماء وهى دخان » ..

هنا انتقل الله سبحانه وتعالى من عملية خلق الارض الى خلق
السماء .. فقال تعالى :

« ثم استوى الى السماء وهى دخان » ..

مرحلة جديدة بعد أتمام خلق الارض .. اذن أتمام خلق الارض
استغرق أربعة أيام .. وخلق السماوات يومين .. فأيام الخلق
سنة .. وهما من أيام الله سبحانه وتعالى ..

« وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » ..

وهكذا نجد أن التناقض وهمى .. وأن المستشرقين أرادوا أن
يستغلوا عملية تفصيل الخلق التى أوردها الله فى صورة فصلت
ليشككوا فى القرآن .. وكان الله عليما قبل أن يبدأ .. تبدأ
الآية الكريمة بقوله :

« انكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين . . وتجعلون

له اندادا » . .

بداها بهذا الكلام ليقول لنا من هم الذين سيجادلون في هذه الآية وينشرونها بالطريقة التى تهواها انفسهم للاضلال عن سبيل الله .
الود . . والمعروف

نأتى بعد ذلك الى شئ آخر . . قول الله سبحانه وتعالى
« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله . . ولو كانوا اباؤهم او ابناؤهم » . .
ثم يقول الله سبحانه وتعالى . .

« وان جاهدك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا » . .

يأتى المستشرقون . . وكل من يحاول التشكيك في هذا الدين يقولون ما هذا في
الآية الاولى . . الله سبحانه وتعالى ينهانا عن ان نود من حاد الله ورسوله . . ولو
كانوا اباؤنا . . وفي الآية الثانية في سورة لقمان يقول :

« وان جاهدك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا » . .

اذن في الآية الاولى يقول لا تودهم . . وفي الآية الثانية يقول وصاحبهما
معروفا . . كيف يمكن ان يستقيم امران مختلفان في نفس الشئ . .

نقول انه ليس هناك اى اختلاف . . ولكنك لا تفهم دقة تعبير القرآن
الكريم . . واللفظ في القرآن الكريم . .

ولنشرح ذلك بالتفصيل . . المعروف يفعله الرجل لمن يحبه بقلبه . . ومن
لا يحب . . ذلك انك يمكن ان تسير في الطريق فتجد انسانا لا تعرفه . . ولا
تربطك به اى علاقة . . ولكنك تجده في مازق فتسدى اليه معروفا لتنقذه . .
كان يكون قد فقد حافظة نقوده مثلا فتعطيه مبلغا من المال ليصل الى منزله او
تقدم له معونة

قد يكون جائعا فتعطيه ثمن الطعام .. أنت هنا تفعل معروفا عسى
الله أن يجزيك عنه .. ولكن لا يربطك بالإنسان الآخر أى صلة ..
هذا هو المعروف .. ولكن المودة مكانها القلب .. هى فى القلب ..
أنت لا تود إلا من تحب .. لا تريد أن تجلس أو تعيش إلا مع من
تحب .. المعروف لا يمس القلب .. ولكن المودة تمس القلب ..
القلب فى المودة يكون مع الشخص .. والقلب فى المعروف لا يكون
معه .. وإذا كان القلب مع إنسان غير مؤمن فهو قلب غير مؤمن ..
والله لا يجعل لك قلبين فى صدرك .. مصداقا لقوله تعالى :

« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »

إنما امتداد المعروف هو رضا الله سبحانه وتعالى ..
نأتى بعد ذلك الى الآية الكريمة .. الله سبحانه وتعالى يقول فى
سورة المجادلة :

« لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد

الله ورسوله » ..

هنا استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة الود .. وكلمة الود هى
التي تمس القلب .. هنا لاتجد مثلا انسانا مؤمنا يحب أنسانا
يجاربه الله ورسوله .. حتى ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم .. الحب
من داخل القلب .. من داخل النفس .. ثم يأتى الله سبحانه وتعالى
فى مسألة الوالدين .. وينهاها أن حاولا أن يمسسا الايمان فى قلوبنا
أن نستخدم العنف ضدهما .. أو نفعل أى شئ .. وهم فى هذه
الحالة يكونون فى سن كبيرة .. ضعفاء .. اقتربوا من نهاية العمر
.. هؤلاء الذين قدموا لنا المعروف بأنهم قاموا بتربيتنا ..
وبالسهر علينا .. يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحفظ لهم بالود أن
كانوا مؤمنين .. وبالحب الكبير .. وإذا حاولوا أن يدخلوا الشرك
الى قلوبنا .. أو حاولوا أن يجعلونا نشرك بالله سبحانه وتعالى ..
يطالبنا بالا نطيعهما .. ولكن نصاحبهما فى الدنيا معروفا .. أدب
القرآن الكريم .. نفعل ذلك ارضااء لله سبحانه وتعالى .. وارضاء
للجميل .. ولكن القلب لا يودهم .. المعروف لمن تحبه ومن لاتحبه

.. أما الود فلمن تحب فقط .. اذت حين تسدى لهما معروفا .. أى
 تعاملهما معاملة حسنة .. ولكن، ليس بقلبك .. لانهما يحاولان أن
 يدفعاك للشرك .. تفعل ذلك ارضاء لله سبحانه وتعالى الذى يابى
 الا يكون رحيما حتى مع من يعصاه .. والذى ينهانا عن أى تقابل
 الاحسان بالاساءة .. والمعروف شىء .. والود شىء آخر تماما ..
 أين هو التناقض الموجود .. هذه حالة .. وهذه حالة أخرى
 .. قلب مع الله لا يدخل فيه كافر .. ولا من يحاول أن يشرك به
 .. اما المعروف الذى أسديه الى والدى فأمرنى الله به .. رحمة بهما
 .. كما ربيانى صغيرا .. اذ ان مناقشة الايمان بين الابن والديه ..
 لا تتم الا اذا بلغ الابن مرتبة الرجولة .. وفى هذه الحالة يكون الام
 والاب قد بلغا مرحلة الكهولة .. وعلى أن أعاملهما بالمصروف ردا
 للجميل .. وارضاء لله سبحانه وتعالى الذى لا يقبل الجحود .. لكن
 المعروف ليس بقلبي .. وهذا مختلف تماما عن ذلك ..

لماذا .. الام وحدها

ننتقل بعد ذلك الى نقطة ثالثة .. فالآيات التى ذكرت فى القرآن
 الكريم .. نجد ان الله سبحانه وتعالى يوصى بالوالدين .. ثم لا يذكر
 الا الام .. مثلا فى سورة الاحقاف :

« ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها
 ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا .. حتى
 اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى ان
 أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى » ..

وفى سورة لقمان :

« ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا عل
 وهن وفصاله فى عامين ان أشكر لى ولوالديك لى
 المصير » ..

نجد ان الله سبحانه وتعالى أوصى بالوالدين .. ثم ذكر الام
 وحدها دون الاب .. يأتى هنا بعض المستشرقين ويسألون : كيف
 ان الله سبحانه وتعالى لم يوص الا بالأم .. ثم ذكر فى أول الآية

الام والاب .. وفي آخر الآية الام والاب .. دون أن يوصى بالاب ..
 .. ثم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية يوصى من .. هل هو
 يوصى الطفل وهو رضيع في حالة الحمل والولادة .. وهل يفقه
 هذا الطفل شيئاً .. وهل يقرأ القرآن أو يعقل .. هل يذكر
 الطفل شيئاً عن هذه المرحلة .. اذن من يخاطب القرآن ؟ .. اذا
 كان يخاطب الطفل وهو رضيع .. فهو يخاطب انساناً لا يعقل ..
 واذا كان يخاطبه بعد أن كبر فهو يخاطب انساناً عن فترة لا يتذكرها
 .. ولا يعرفها .. !! ؟

نقول له أنك لم تفهم هذه الآية .. فالله سبحانه وتعالى في
 توصيته بالام قد اختصها لأنها تقوم بالجزء غير المنظور في حياة الابن
 أو غير المدرك عقلاً .. بمعنى أن الطفل وهو صغير في الرضاعة ..
 وفي الحمل والولادة .. وحتى يبلغ ويعقل .. الام هي التي تقدم
 كل شيء .. هي التي تسهر ترضعه .. وهي التي تحمله .. وهي
 التي تلد .. فإذا كبر الطفل وعقل من الذي يجده أمامه ؟ أباه ..
 اذا اراد شيئاً فإن أباه هو الذي يحققه له .. اذا اراد أن يشتري
 شيئاً .. لعبة جديدة .. ملابس جديدة .. اذا اراد مالا .. كل هذا
 يقوم به الاب .. اذن فضل الاب ظاهر أمامه .. أما فضل الام فهو مستتر
 .. ولذلك جاءت التوصية بالام أكثر من الاب .. لماذا ؟ لان الطفل
 حينما يحقق له أبوه كل رغباته .. يحس بفضل أبيه عليه .. ولكنه
 نادراً ما يقدر التعب الذي تبنته أمه .. وهو يزيد أضعافاً مضاعفة
 ما يقدمه له أبوه .. ومن هنا جاءت التوصية بالام .. حتى أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال : أمك .. أمك .. أمك .. ثلاث مرات
 .. ثم قال أبوك .. ولكن ما هو الهدف من هذا التذكير اذا كان
 الانسان لا يعقل هذه الفترة .. لا يتذكرها من حياته مطلقاً ..
 الهدف هو أن يرى ذلك على غيره .. ينظر الى الامهات ليرى كيف
 يتعبن .. وكيف يعانين .. ويقاسين .. وكيف يسهرن على أطفالهن
 .. وماذا يتحملن من مشقة .. ~~وعندما يراه~~ على غيره يدرك أن هذا
 قد حدث له .. ويحس به .. ولذلك يرد الجميل .. الله سبحانه

وتعالى يريد أن يذكرنا بتعب الام .. ويريد أن يوصينا بالاثنين معا ..
الاب والام .. ولكنه يوصينا بالام .. ويخصها بالذكر أكثر ..
لان تعبها غير واضح في عقل الابن .. بينما الاب ما يفعله ..
واضح وظاهر امام الطفل .. هذا هو الهدف من الآية الكريمة ..

أتى فلا تستعجلوه

ويمضى المستشرقون فى الحديث عن القرآن الكريم فيقولون أنه
فى سورة النمل يقول القرآن :

« أتى أمر الله فلا تستعجلوه » ..

كيف يمكن أن يقول الله سبحانه وتعالى .. أتى ثم يقول
لا تستعجلوه .. أتى فعل ماض .. لانه حدث .. ولا تستعجلوه
مستقبل .. كيف يمضى هذا مع ذلك .. نقول لهم أنت حين تتحدث
عن الله سبحانه وتعالى .. فيجب أن تضع فى عقلك وذهنك وتفكيرك
أن الله ليس كمثله شيء .. أنت لك قوة .. والله قوة .. ولكن هل
قوتك كقوة الله سبحانه وتعالى ! .. أنت لك قدرة والله قدرة ..
ولكن هل قدرتك كقدرة الله سبحانه وتعالى .. أنت تعيش فى الزمن
.. والله سبحانه وتعالى لا زمن عنده .. أنه منزّه عن الزمن .. أتى
هذه فى علم الله سبحانه وتعالى .. حدث .. ومتى قال الله سبحانه
وتعالى أتى فقد حدث وتم .. وانتهى فى علم الله سبحانه وتعالى ..
فى علم اليقين .. ولكن الاشياء تخرج من علم الله سبحانه وتعالى
الى علم البشر .. تخرج بكلمة كن .. الله سبحانه وتعالى حين يريد
أن ينقل شيئاً من علمه سبحانه وتعالى الى علم الانسان .. فان
كلمة « كن » .. تكون الامر الذى يحمل التنفيذ ..

الله سبحانه وتعالى عنده علم الساعة .. وما دام قد تقرر ..
فليست هناك قوة فى هذه الدنيا تستطيع أن تمنع حدوثه .. انه
لا محالة .. فلا تطلبوه بكلمة كن .. وانتم فى عجلة .. لماذا ؟
.. لان المؤمن الحقيقى اذا كان يخشى شيئاً فانه يخشى يوم الساعة
.. ويوم الحساب .. واذا كان يخشى شيئاً .. يخشى عدل الله
سبحانه وتعالى .. الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها :

« ووجدوا ما عملوا حاضرا »

الصغيرة قبل الكبيرة .. وإذا كان لا يترك شيئا صغيرا فماذا يفعل في الكبائر .. والانسان المؤمن يخاف يوم الحساب ويخشاه مهما كان ايمانه .. انه يرتعد من هول ذلك اليوم .. أما الانسان الكافر المتحدى فانه هو الذى عن جهل .. وعن عدم ادراك .. لا يعرف معنى الآخرة .. ولا معنى الحساب .. ومن هنا فهو يستعجل .. يريد أن يصل الى الآخرة .. ولو علم ما فيها .. وما ينتظره فيها .. لما ذكرها على لسانه .. فحينما يقول الله :
« أتى أمر الله » ..

أى أن الساعة تقررت .. وانتهى أمرها .. تم الامر فلا تستعجلوه لا تتعجلوا يوم الحساب .. انكم تجهلون ما فيه من أهوال .. اذن فهى بالنسبة لله تم وانتهى .. ولكنه بالنسبة لى أنا مستقبل .. فليس هناك أى تناقض بين استخدام الماضى والمستقبل .. لأن أتى أمر الله فى علم الله سبحانه وتعالى .. ولكنه فى علمى أنا .. فى ادراكى أنا .. وحتى يصل الى أنا لا يزال مستقبلا حينما يقول الله كلمة « كن » وينفخ فى الصور .. وهل يملك انسان أن يمنع الله سبحانه وتعالى من تنفيذ أمر قدره .. لا قدرة فوق قدرة الله .. من الذى يمنع أمر الله يأتى مادام قد قال « أتى » أنت لاتملك مقومات الغد .. ولكن الذى يملك مقومات الغد هو الله سبحانه وتعالى أتى .. اذن فقد تم فعلا .. ولكنه محجوب عني .. لذلك قال تعالى :
« فلا تستعجلوه » ..

هل رأى محمد ؟

فننقل بعد ذلك الى نقطة أخرى .. يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الفيل مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم ..
« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل »

بعض المستشرقين يقول هذا قصور فى التعبير .. « ألم تر » .. هل رأى محمد عليه السلام عام الفيل .. لقد ولد فى عام الفيل .. انه لم يره .. لو قال الله سبحانه وتعالى ألم تعلم .. لقلنا علم عن

غيره .. فالعلم قد تحصل عليه أثبت .. وقد تحصل عليه عن طريق من علمه من غيرك من البشر .. ولكن الله سبحانه وتعالى حين يقول ألم تر .. يقول المستشرقون في هذا .. ان التعبير قد خان محمدا عليه السلام .. فهو لم ير .. وقوله ألم تر مجافاة لحقيقة واقعة ثابتة ..

ولكن الذي فات هؤلاء ان هذه قضية من قضايا الايمان .. ما يقوله الله سبحانه وتعالى للانسان المؤمن .. هو رؤيا صادقة .. والقرآن هو كلام متعبد بتلاوته لا يتغير ولا يتبدل .. فعندما يقول الله « ألم تر » .. معناها ان الرؤيا مستمرة لكل مؤمن بالله .. ذلك لان الرؤيا هنا رؤيا معجزة كبرى .. والله يريدنا ان تثبت في عقولنا .. كما تثبت الرؤيا تماما .. لماذا ؟ .. لان قضية الايمان الكبرى هنا هي ان الله سبحانه وتعالى في معجزة قد خلق من الضعف قوة .. وهذه لا يستطيع ان يفعلها الا الله .

انا أستطيع ان أعين شخصا ضعيفا .. على أن يحمل حملا ثقيلًا .. بأن احمّل عنه هذا الحمل .. ولكنى لا أستطيع ولا أقدر أن أجعل هذا الرجل الضعيف قويا .. بحيث يقوم هو بنفسه بحمل هذا الحمل الثقيل .. ولكن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يستطيع أن يخلق من هذا الضعيف الذى لاحول له ولا قوة قويا يهزم أقوى اقوياء العالم .. وأقوى ملوك الدنيا .. وهو انسان ضعيف لا حول له ولا قوة .. هذه هي إحدى معجزات الله .. ومن هنا فان الذى حدث فى عام الفيل .. ان طيرا أبابيل تمسك فى مناقيرها حجارة صغيرة جاءت .. وهزمت جيشا من الافيال .. أقوى جيش فى العالم .. فى ذلك الوقت .. ولو أننى عقلا ومنطقا قلت لانسان أن طيرا .. أو مجموعة من العصافير قد هزمت فيلا لسخر منى .. ذلك أن الفيل يستطيع أن يهلك مئات الطيور دون أن يصاب بأذى .. بل أن الطير يقف على ظهر الفيل .. فلا يحس الفيل به .. فكيف يكون هذا الطير يأتى وكونه يفنى هذا الجيش العظيم .. فقد استخدم الله أضعف مخلوقاته .. ليهزم خلقا من أقوى مخلوقاته .. وهذه معجزة

لا يمكن أن تتم الا على يد الله سبحانه وتعالى .
بل أن بعض العلماء قد أخذ يتشكك في هذه الناحية من كثرة
ما تناولها المستشرقون . . فادعى أو قال بعضهم أن الذي فتك بجيش
أبرهه . . هو الامراض والجراثيم التي سلطها الله على هذا الجيش
. . وأنا لا اتفق مع هذا المعنى . . فعام الفيل حدث عند مولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم . . ورسول الله بعث في الأربعين من عمره
. . أى أنه في ذلك الوقت كان هناك من هم في سن الخامسة
والخمسين . . والستين . . والخامسة والستين . . والسبعين . .
ومن هم فوق ذلك . . ممن رأوا عام الفيل . . رأى العين . . ولو أنه
لم تأت هذه الطير . . ولو أنها لم تلق بحجارة من سجيل . . ولو أنها
لم تجعل هذا الجيش عصفا مأكولا . . وهو ما يحتاج الى أسابيع
بالنسبة لأى جسم حيوانى . . أو بشرى . . لكان هؤلاء الناس قد
قاموا وقالوا أن ما يقوله محمد غير صحيح . . لقد شهدنا عام الفيل
. . ولم نر طيرا تأتى . . ولم نرها تفنى أعظم جيش بأحجار صغيرة
تحملها فى مناقيرها . . ولم نر هذا الجيش يتحول الى عصف مأكول
فى لحظات . . فلان أحدا لم يستطع أن يكذب هذه الواقعة . .
وقت نزولها ممن رأوها . . دليل على أنها حدثت كما رويت فى
القرآن الكريم . . وليست محتاجة الى تفسير لأن الله سبحانه وتعالى
قادر على كل شيء . . ومن هنا فانه فى القضايا الايمانية يكون كلام
الله سبحانه وتعالى هو الرؤية الدائمة التى تتمثل أمامنا . . والتى
تتكرر باستمرار فى الحياة . . فكم من ضعيف نصره الله على أقوى
الأقوياء . . وكم من قوى خذله الله وجعل نهايته على يد أضعف
الضعفاء . . كلام الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمؤمن . . هو يقينى
بمثابة الرؤية الدائمة . . ولذلك قال الله سبحانه وتعالى « ألم تر »
. . ولم يقل رأيت . . أو علمت . . « ألم تر » حاضر متجدد مستمر
يحدث وسيحدث على مر السنين الى يوم الساعة . . . انه قضية الحق
ينصر الله المظلوم على الظالم . . مهما كانت قوة الظالم ، ومهما كان
ضعف المظلوم . . تلك قضية ايمانية كبرى يجب أن تراها فى قلبك

إذا كنت مؤمنا .. وتراها رؤية اليقين « ألم تر » .. هذا هو الإيمان .. وهذه هي الحكمة في استخدام كلمة « ألم تر » .. تجعل المؤمن يحس بقوة الله وقدرته الله في كل ما يحدث .. بالنسبة للحق والباطل .. وقضايا الحق .. وقضايا الباطل .. حتى قيام الساعة .

من هم الكاذبون

ونمضي لنقابل مايقوله المستشرقون عن القرآن الكريم .. التناقض الذي يدعون انه موجود فيه .. وهم في كل ما يثيرونه اظهار لأعجاز القرآن الكريم .. قول الله سبحانه وتعالى في سورة المنافقون :

« إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله

يعلم انك لرسوله .. والله يشهد ان المنافقين لكاذبون »

يقول المستشرقون ان المنافقين قد شهدوا أن محمدا رسول الله .. وان الله يعلم ان محمدا رسوله .. ويعلم ايضا ان المنافقين كاذبون .. كيف يكون المنافقون « كاذبون » وهم شهدوا بما شهد به الله .. كيف تكون الشهادتان متفتحتين .. في أن محمدا رسول الله ومع ذلك يكون المنافقون كاذبين .. مع اتفاق ما شهدوا به .. مع علم الله .. مع أن الكذب هو عدم مطابقة الكلام للواقع .. فهل كلام المنافقين بأن محمدا رسول الله ليس مطابقا للواقع ؟ هذا تناقض .. هكذا يقول المستشرقون ..

نأتى بعد ذلك الى معنى الآية الكريمة .. هم أى المنافقون قالوا :

« نشهد انك لرسول الله .. والله يعلم انك لرسوله »

اذن فهى قضية صادقة .. فكيف يقول الله سبحانه وتعالى أن المنافقين كاذبون ؟ .. هل التكذيب هنا يقع على أنك : لرسول الله لا .. محمد رسول الله هذا صدق .. التكذيب هنا يقع على كلمة « نشهد » لأنهم قالوا نشهد انك لرسول الله .. فالتكذيب وارد على كلمة « نشهد » لان معنى الشهادة .. أننا نقول بالسنتنا ما فى قلوبنا .. والله يعلم ان ما فى قلوبهم يخالف ما يقولونه بالسنتهم .. اذن فقولهم « نشهد أنك » .. كلمة نشهد .. هم كاذبون فيها .. كاذبون فى أمر الشهادة .. لأنهم لا يشهدون .. ولا يؤمنون .. ان

محمد الرسول الله .. انما جاءوا لينافقوا بهذا الكلام .. لا عن صدق .. ولكن عن نفاق .. محمد رسول الله لا تكذيب فيها .. ولكن التكذيب منصب على كلمة « نشهد » .. فى ذلك قال الله سبحانه وتعالى :

« والله يعلم انك لرسوله »

وهنا فرق بين الشاهد والمشهد به .. فرق تكذيب الشهادة .. وبين تكذيب المشهد به .. المشهد به أنك رسول الله صحيح مائة فى المائة .. ولكن شهادة المنافقين هى المكذبة .. ومن هنا ترى دقة التعبير فى القرآن الكريم ..

السؤال ليس للعلم

نأتى بعد ذلك الى اعجاز آخر من اعجاز القرآن الكريم .. ان الله يقول فى سورة الرحمن :

« فيومئذ لايسال عن ذنبه انس ولا جان »

.. ويقول فى سورة الصافات :

« وقفوهم انهم مسئولون »

فى الآية الاولى هناك نفى للسؤال .. وفى الآية الثانية هناك اثبات للسؤال .. كيف يكون ذلك .. هنا يأتى المستشرقون ليقولوا هذا تناقض فى القرآن الكريم .. كيف يقول الله سبحانه وتعالى :

« فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان »

ثم يقول سبحانه وتعالى :

« وقفوهم انهم مسئولون » ..

هذا تناقض .. محمد نسى ..

نقول لهم انكم تقولون ذلك لانكم جهلتم ماذا يكون السؤال .. والسؤال نوعان .. نوع تساله لتعلم .. ونوع تساله ليكون المسئول شاهدا على نفسه .. التلميذ حين يسال أستاذه .. يساله ليعلم .. ليعرف العلم .. ولكن حين يسال الاستاذ تلميذه .. هل يساله ليتعلم أو ليعلم .. لا .. فالاستاذ يعرف أضعاف أضعاف تلميذه .. ولكنه يساله ليكون التلميذ شهيدا على نفسه .. لا يستطيع أن

يجادل .. أو يقول : لقد ذاكرت وهو لم يقرأ حرفا .. الأسئلة
 فى الامتحانات مثلا لا تقوم وزارة التعليم بوضعها .. لأنها تجهل ما
 يعرفه الطلبة .. فتريد أن تستزيد منهم علما .. ولكن ليكون الطالب
 شاهدا على نفسه فلا يستطيع ان يجادل .. ورقة الاجابة موجودة
 وهى شاهد على درجة الطالب .. ان كان ممتازا أو ضعيفا .. أو
 لا يعرف شيئا على الإطلاق ..
 فالآية الكريمة ..

« فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان »

تنفى السؤال للمعرفة .. والله أعلم بذنوبهم .. الله سبحانه وتعالى
 يعلم .. وبالتالي فهو غير محتاج .. لأن يسأل للمعلم .. وغير محتاج
 لأن يعرف منهم .. لأنه أعلم منهم .. ومن هنا لا سؤال .. لأن
 السائل أعلم من المسئول .. فلا يكون السؤال للمعلم .. ولذلك
 يقول الله :

« فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان » ..

أما فى الآية الثانية « وقفوهم انهم مسئولون » .. أى أنكم
 ستسألون لتقرروا الحقيقة والواقع فى الحساب .. لا لتقولوا شيئا
 لا يعلمه الله .. لتكونوا شهداء على أنفسكم .. وهذا ما تفسره الآيات
 التى قبلها .. والتى بعدها .. اذن فأين هو التعارض .. وأى
 تناقض هذا الذى زعمه المستشرقون فى القرآن .. فالله سبحانه
 تعالى يتحدث عن الكافرين والمكذبين .. لذلك تقول السورة :

« وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى

كنتم به تكذبون .. احشروا الذين ظلموا وأزواجهم

وما كانوا يعبدون من دون الله فاعصوهم الى صراط

البحيم .. وقفوهم انهم مسئولون » ..

السؤال هنا ليس للمعلم .. ولكن انهم مسئولون ليكونوا شهداء
 على انفسهم .. هذا الذى كنتم به تكذبون .. هذا ما عبدتم من دون
 الله .. والآن جاء وقت الحساب .. لتكونوا شهداء على انفسكم يوم
 القيامة .. أين ما كنتم تعبدون من دون الله .. يسألهم عما كانوا

يعبدون من دون الله .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

« ما لكم لا تنصرون » ..

لماذا لا تنصركم أحد .. لماذا لا تنصركم الهتكم .. السؤال هنا ليس للمعلم .. ولكن ليكونوا شهداء على أنفسهم ..

يحملون أوزار غيرهم

ننقل بعد ذلك الى آية أخرى .. يقول المستشرقون ان الله سبحانه وتعالى قال في سورة الأنعام :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى » ..

وفي سورة فاطر :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى » ..

وفي سورة النجم :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى » ..

ثم يأتي الله سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت ويقول :

وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » ..

كيف يمكن أن يحدث ذلك .. الله قضى بأنه لا تزر وازرة بأخرى ثم هنا يقول .. وليحملن أثقالا مع أثقالهم أى أوزارا مع أوزارهم ليس هذا تناقضا .. لقد نسي محمد .. هكذا هم يريدون أن يقولوا .. ولكنهم يجهلون اعجاز القرآن في التعبير .. نقول لهم انه :

« لا تزر وازرة وزر أخرى » ..

معناها أن كل انسان يحمل ذنبه .. ولكن بعض الناس يوم القيامة يحملون ذنوباً مع ذنوبهم .. من هم .. المضلون الذين يأتون في الحياة الدنيا ليضلوا عن سبيل الله .. الوزر في الآية الاولى هو وزر الضلال .. فاذا كنت أنا ضالا .. وأنت ضالا .. وفلان ضالا .. كل منا يحمل وزره على نفسه .. فكل منا يحمل ضلاله ووزره .. فمن هنا فانه لا يحمل ضال وزر ضال آخر .. ولكن هناك الضال .. وهناك المضل .. الضال هو من يضل الطريق .. يكفر بالله سبحانه وتعالى .. هذا هو الضال .. اما المضل فانه لا يكتفى بانه هو في الضلالة .. لكن يضل غيره .. أى يأتي الى رجل مؤمن ..

ويحاول أن يفسد إيمانه .. يأتى الى انسان يتطلع الى الله .. يحاول أن يجعله يكفر .. وربما ينجح فى ذلك .. هؤلاء الناس «المضلون» لا يحملون أوزارهم فقط .. ولكن لهم نصيب من كل وزر يرتكبه الذين أضلوهم ... مصداقا للآية الكريمة فى سورة النحل ..
« ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة .. ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم » ..

اذن من يضل الناس .. ويعمل على نشر الكفر والالحاد .. والذين لا يكتفون أنهم هم فى الضلالة .. وحدهم ولكنهم يريدون أن يضلوا غيرهم .. لهم نصيب من كل وزر يقوم به أولئك الذين أضلوهم .. فأنا مثلا حين أتى بانسان لا يشرب الخمر .. وأظل أغريه حتى أجعله يشرب الخمر .. وأقدمها له .. وأغريه بها .. له وزر لأنه عصى الله وشرب الخمر .. ولى وزر لأننى أضلته وساعدته على المصيبة .. وظللت أزينها له حتى وقع فيها .. ومن هنا فان الآية الاولى التى تقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .. يقصد بها الضالين .. أما الآية الثانية التى تقول :

« وليحملن أثقالهم .. وأثقالا مع أثقالهم » ..

يقصد بها المضلين الذين يضلون عن سبيل الله .. فلهم نصيب من أوزارهم اولئك الذين أضلوهم .. والذين اتجهوا بهم الى الكفر والاثم والعصيان ..

هذه بعض التناقضات التى يحاول المستشرقون أن ينالوا بها من القرآن الكريم .. وان يقولوا أنه قول بشر .. ولقد أوضحنا هذه التناقضات بشكل يظهر اعجاز القرآن فيها .. فلا تناقض فى القرآن أبدا وانما بلاغة ودقة فى التعبير .. تجعل اللفظ والمعنى منسجمين تماما .. لا يبتعدان عن بعضهما البعض .. ولا يؤديان الا نفس المعنى المقصود بالنسبة لمقتضيات الحال .. على أن المضلين .. أو عددا من المستشرقين لا يكتفون بذلك .. لا يكتفون بالقول بأن هناك تناقضا .. بل يقولون أن هناك تناقضا بين قوانين الكون وبين القرآن الكريم .. وفى هذا افتراء كبير .. وهذا هو موضوع الفصل القادم الذى سنتحدث فيه عن « القرآن .. وقوانين الكون » .



حدیث قدسی

●● ان الله ملائكة فضلاء يتبعون مجالس الذكر ،
ويجتمعون عند الذكر ، فان مروا بمجلس الذكر علا
بعضهم على بعض حتى يملفوا العرش ، فيقول الله لهم
وهو أعلم : من أين جئتم ؟ فيقولون : من عند عبيد
لك يسألونك الجنة ويتعوذون بك من النار
ويستغفرون ، فيقول : يسألوني جنتي فكيف لو راوها؟
ويتعوذون من ناري فكيف لو راوها ؟ فاني قد غفرت
لهم ، فيقولون : ربنا ان فيهم عبدك الخطاء فلان مر
بهم لحاجة له فجلس اليهم ، قال الله عز وجل : أولئك
الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .

• الفصل السادس •

القرآن وقوانين الكون

هناك كثير من دواعي الإعجاز في القرآن الكريم لا يتنبه اليها العقل الا بعد أن يبحث ويعيش وينشط .. هذا الإعجاز يظهر في دقة التعبير في القرآن الكريم .. ثم يظهر بطريقة أكثر وضوحا فيما يحاول بعض المستشرقين أن يدعوه على القرآن من ادعاء بالتناقض ولقد تحدثت في الفصول الماضية عن الإعجاز في بلاغة القرآن الكريم .. ثم تحدثت عن الإعجاز فيما يدعونه من تناقض القرآن الكريم .. والآن انتقل الى قضية يحاول البعض اثارها .. حين فشلت قضية التناقض جاءوا بشيء اسموه تصادم القرآن الكريم .. وحقائق الكون .. وادعوا ان بعض آيات القرآن تتصادم مع الحقائق الكونية .. وهذا افتراء .. فلا يمكن أن يتصادم القرآن مع أية حقيقة كونية .. لماذا .. لان القائل هو الخالق .. ولا يمكن أن يكون هناك انسان اعلم بقوانين الكون من خالقه .. ولكن الهدف من الطعن في القرآن الكريم - ويجب أن نفظن لذلك - هو محاولة الاتهام بأن القائل بشر .. وسنناقش في هذا الفصل بعض ما يقال عن تصادم القرآن الكريم وحقائق الكون ..

قبل أن نبدأ يجب أن ننتبه الى أن القرآن الكريم له عطاء متجدد .. وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى اعجاز القرآن .. ولو أفرغ القرآن عطاءه كله أو اعجازه كله فى عدد من السنوات .. أو فى قرن من الزمان .. لاستقبل القرون الاخرى دون اعجاز أو عطاء .. وبذلك يكون قد جمد .. والقرآن لا يجمد أبداً .. وانما يعطى لكل جيل بقدر طاقته .. ولكل فرد بقدر فهمه .. ويعطى للجيل القادم شيئاً جديداً لم يعطه للجيل الذى سبقه .. وهكذا .. ولهذا ندرك كما ذكرت من قبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تنزل عليه القرآن لم يتعرض بالتفسير الا لما تقتضيه أحكام هذا الدين فى « افعل ولا تفعل » .. الاشياء التى اذا فعلتها نجوت .. واذا لم أفعلها عوقبت .. أما ما هو متصل بقوانين هذا الكون مما سيكشفه الله من علم البشر فى المستقبل .. وما سيظهر بعد ذلك للعالم .. فلم يتعرض له التفسير .. لماذا .. لأن العقل فى ساعة نزول القرآن لم يكن عنده الاستعداد العلمى ليفهم حقائق الكون .. ولذلك اخذ منها قدر حجمه .. وأعطاه القرآن ما يعجبه ويرضيه .. ثم مرت السنوات أو القرون .. وظهرت حقائق علمية حديثة .. فتبين لنا أن عطاء القرآن فيها كان عطاء متجدداً ..

القرآن .. والنظريات العلمية

ولكن قبل أن نمضى فى التحدث عن حقائق الكون .. فاننا يجب أن نجيب على سؤالين هامين .. السؤال الاول : هو محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية .. وهذا أخطر ما نواجهه ... ذلك أن بعض العلماء فى اندفاعهم فى التفسير وفى محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمى .. يندفعون فى محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة .. يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة .. وهم فى اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسريعة .. ويحاولون اثبات القرآن بالعلم .. والقرآن ليس فى حاجة الى العلم ليثبت .. فالقرآن ليس كتاب علم .. ولكنه كتاب عبادة .. ومنهج .. ولكن الله سبحانه وتعالى فى علمه علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا

الكتاب الكريم .. سيأتى عدد من الناس .. ويقولون انتهى عصر
 الايمان .. وبدأ عصر العلم .. ولذلك وضع فى قرآنه ما يعجز هؤلاء
 الناس .. ويثبت أن عصر العلم الذى يتحدثون عنه قد بينه القرآن
 فى صورة حقائق الكون .. بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرناً
 .. ولم يكتشف العقل البشرى معناها الا فى السنوات الماضية ..
 ولقد قلت أن عطاء القرآن الكريم متجدد مصداقاً للآية الكريمة :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم

أنه الحق » ..

ويجب أن نتنبه هنا الى حرف السين فى كلمة « سنريهم » لان
 معناها المستقبل .. والمستقبل هنا لا ينتهى .. بل أن عطاءه مستمر
 لهذا الجيل والجيل الذى بعده .. والجيل الذى بعده .. الى يوم
 القيامة .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك
 حقائق وآيات سيكشف عنها لكل جيل .. ولكن ليس معنى هذا
 أن نحمل معانى القرآن أكثر مما تحتمل .. وان نتعامل معه على أساس
 أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا .. فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار
 علم الهندسة .. أو علم الفلك .. أو علم الفضاء .. الى آخر هذا
 .. ولكن القرآن يبدأ من أول سورة بعد الفاتحة .. وهى سورة
 البقرة ..

« ألم ذلك الكتاب لا يوب فيه هدى للمتقين »

أى انه كتاب هدى .. ولكن الله سبحانه وتعالى وضع فى كتابه
 الكريم ما يمكن أن نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم
 القيامة .. ومن هنا فان آيات الكون الكبرى التى أنبأنا الله بها فى
 القرآن الكريم .. والتى نعرف بعضها .. وبعضها لا نعرفه معرفة
 اليقين حتى الآن .. أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نفهم بها أولئك
 الذين يقولون انتهى عصر الايمان .. وبدأ عصر العلم .. وأن يقول
 لنا أن العلم الذى يحاول بعض المضلين أن يتخفوه الها جديداً هو من
 علمى ومن خلقى .. فلا تعبدا المخلوق .. وتركوا الخالق ..
 ولكن هذا يجعلنا نتخذ العلم دليلاً على صحة القرآن .. بل ان

القرآن هو الدليل الحقيقي على صحة .. أو عدم صحة العلم ..
 فالعلم الذي يتناقض مع القرآن الكريم كاذب وغير صحيح ..
 والقرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته الى يوم القيامة .. لا تغيير
 فيه ولا تبديل .. ومن هنا فان خطورة ربط القرآن الكريم بنظريات
 علمية كاذبة .. وما أكثرها .. تجعل موقف المفسر في حرج عندما
 يثبت كذب هذه النظرية .. فهو لا يستطيع أن يغير أو يبدل في كلام
 الله .. ومن هنا يجب أن نتروى وأن ندرس بامعان ونتتظر حتى
 تثبت الحقيقة العلمية ثبوت اليقين قبل أن نتحدث عن زبطها بالقرآن
 الكريم ولا نأخذ حديثا براقا يكون مجرد فرض .. وليس نظرية
 علمية .. ونسرع ونربطه بكلام الله .. وحينئذ نكون قد ارتكبنا
 خطأ كبيرا في حق القرآن عندما يثبت كذب هذا الافتراض ..

لماذا .. توكلها بلا تفسير

هذه واحدة .. أما الثانية فهي : لماذا لم يفسر القرآن الكريم
 الآيات العلمية لأولئك الذين عاصروا نزول القرآن .. وربما الاجيال
 بعدهم ؟!

المعروف أن حقائق الكون التي أعلنها الله في القرآن الكريم تمس
 قوانين كونية كبرى ينتفع بها الانسان سواء علمها أو لم يعلمها
 .. فالشمس .. ودوران الارض .. والجاذبية الارضية .. والليل
 والنهار .. وكل ما يتعلق بهذا الكون .. وعلم الاجنة وما يدور
 في الأرحام .. وكل ما يتعلق باستمرار النوع البشري .. كل
 ذلك من قوانين الكون .. وقوانين الخلق ينتفع بها الناس سواء
 علموا بها أو لم يعلموا .. الملايين لا يعرفون شيئا عن جاذبية الارض
 .. ومع ذلك ينتفعون بكل قوانينها .. والملايين لا يعرفون شيئا
 عن النظام الكوني .. والتوازن الدقيق الموجود فيه .. ومع ذلك
 ينتفعون بها .. والملايين لا يعرفون شيئا عن حياة الطفل في رحم
 أمه .. ومع ذلك فان عدم العلم لم يمنعهم من انجاب الاطفال ..
 ومن هنا لم يكن تفسير مثل هذه القضايا العلمية المتقدمة التي
 ذكرها القرآن ضرورة بالنسبة للذين عاصروا نزوله .. لانهم

ينتفعون بها .. سواء علموها أو جهلوا .. ولذلك أعطاهم الله على قدر عقولهم .. ثم فسر بعد ذلك للأجيال .. كل جيل على حسب عقله ..

نعود بعد ذلك الى قول المستشرقين .. هم يقولون أن قوانين الكون تتصادم مع القرآن الكريم .. ونحن نؤكد لهم أن العلم الحديث قد أثبت أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن .. ان القرآن الكريم لا يتصادم مع قوانين الكون .. أو مع خلق الكون .. ولكن هذا التصادم المزعوم يأتي أحيانا عن حقيقة قرآنية أسمى تفسيرها .. لتبدو في غير معناها الحقيقي .. أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن .. وكما قلت أعود فأكرر .. أننا لا نريد أن نثبت القرآن بالعلم .. بل ان العلم هو الذى يجب أن يثبت .. ويلتمس الدليل من آيات القرآن الكريم .. ذلك أن القرآن أصدق من أى علم من علوم الدنيا .. ومن أى علم فى هذا العالم .. لأن مكتشف هذا العلم أو مخرجه بشر .. وقائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا كما قلت فأننى لا أحاول أن أثبت القرآن بالعلم الأرضى .. ولكننى أرد على الذين يقولون أن هناك تناقضا بين حقائق الكون الأساسية .. وكلام الله سبحانه وتعالى ..

الأرض .. مددناها

نأتى بعد ذلك الى حقائق القرآن .. وإساءة تفسيرها بحيث تتصادم مع حقيقة علمية .. بعض العلماء يقولون أن الله سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه العزيز ..

« والأرض مددناها » ..

ومعنى المد .. البسط .. أى بسطناها .. ونحن نرى الأرض مسبوطة أمامنا .. فلا تناقض بين القرآن الكريم .. وبين الظاهر الموجود ..

ولكن عندما اكتشفت كروية الأرض .. ثار علماء الدين واتهموا كل من يقول أن الأرض كروية بالكفر .. لأنه يخالف فى رأيهم القرآن الكريم ..

نقول لهم لقد أسأتم تفسير حقيقة قرآنية .. الله سبحانه وتعالى
قد أعطانا الدليل على أن الأرض كروية .. بل أعطانا أكثر من دليل
على ذلك فى القرآن .. بل أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه خلق
الأرض على هيئة كرة .. ولنناقش هذا كله ..
لقد قال الله سبحانه وتعالى :

« والأرض مددناها »

.. أى بسطناها .. ولكنه لم يقل سبحانه وتعالى أى أرض
مبسوطة .. ومعنى ذلك أنك أينما تنظر الى الأرض تراها مبسوطة
.. إذا كنت فى خط الاستواء .. فالأرض أمامك مبسوطة .. فإذا
انتقلت الى القطب الجنوبي فالأرض أمامك مبسوطة .. وإذا كنت
فى القطب الشمالى فالأرض أمامك مبسوطة .. وإذا كنت فى أوروبا
.. أو أمريكا .. أو آسيا .. أو أى قارة من قارات الأرض ..
فالأرض أمامك مبسوطة .. الأرض مبسوطة أمام البشر جميعا فى
كل موقع موجودين فيه .. وهذا لا يمكن أن يحدث الا إذا كانت
الأرض كروية .. فلو أن الأرض مسطحة .. أو مربعة أو مثلثة
.. أو سدسة .. أو فى أى شكل من الاشكال لوصلنا فيها الى
حافة .. وحيث أنه لا يمكن أن تصل فى الأرض الى حافة فالشكل
الوحيد الذى تراه مبسوطة أمامك ولا يمكن أن تصل فيه الى حافة
هو أن تكون الأرض كروية ..

وهكذا أبغضنا القرآن فى كلمتين اثنتين « والأرض مددناها » ..

أترى الإعجاز فى القرآن الكريم لقد أثبت الله كروية الأرض ..
وفى نفس الوقت اختار العبارة التى لا تتصادم مع مفهوم العقل
البشرى فى وقت نزول القرآن .. ولكن فى كلمتين اثنتين ..
أعطانا الله السر فى الأرض .. إعجاز لا يمكن أن يكون قائله بشر ..
.. ولكن الله سبحانه وتعالى أعطانا أيضا فى أربع كلمات ..
أنه خلق الأرض على هيئة كرة .. أى انها كانت كذلك ساعة
الخلق ..

الليل يسبق .. ام النهار

حينما نأتى الى الآية الكريمة ..

« ولا الليل سابق النهار » ..

يقول الله تعالى فى سورة يس :

« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر .. ولا الليل

سابق النهار » ..

والحديث هنا عن قوانين الكون .. الشمس لا تدرك القمر ..
لانهما كما قال العلماء يتحركان فى خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا
.. هذه حقيقة علمية ظهرت فى السنوات الاخيرة .. وذكرها
القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولكن ما معنى « ولا الليل سابق
النهار » .. المعنى هنا نفى لشيء موجود غير صحيح .. يريد الله
سبحانه وتعالى أن يصححه .. يريد أن يزيل هذا الواقع الخاطيء
.. العرب كانوا يقولون أن الليل يسبق النهار .. واليوم عند
العرب يبدأ بغروب الشمس .. بمعنى أن رمضان يثبت بعد
غروب شمس آخر يوم من شعبان .. والعيد يثبت بعد غروب
شمس آخر يوم من رمضان .. اذا كان العرب يقولون ان الليل
يسبق النهار .. فمعنى ذلك أن النهار لا يسبق الليل ..
اذن وجدت عندنا حقيقتان .. الليل يسبق النهار .. والنهار
لا يسبق الليل .. النهار لا يسبق الليل .. تركها الله .. ولم
يتعرض لها .. لأنها حقيقة .. ولكنه جاء الى كلمة أن الليل
يسبق النهار .. ورد عليهم بقوله تعالى :

« ولا الليل سابق النهار » ..

اذن وجدت عندنا حقيقتان .. لا النهار يسبق الليل .. ولا
الليل يسبق النهار .. لا النهار يسبق الليل حقيقة كانت موجودة
.. ولم يتعرض لها القرآن لأنها حقيقة .. لا الليل يسبق النهار
خطأ كان موجودا فصحه الله سبحانه وتعالى بقوله :

« ولا الليل سابق النهار » ..

اذن لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. معنى
ذلك أن الليل والنهار يوجدان معا فى وقت واحد على الأرض ..

لأن النهار لا يسبق الليل .. والليل لا يسبق النهار .. وهذا لا يتأتى إلا اذا كانت الأرض كروية ..

لكن ليس هذا هو القصد النهائي من الآية .. الله سبحانه وتعالى أراد أن يصحح هذه الحقيقة .. ويقرر أن الليل والنهار موجودان معا على الأرض ليبلفنا عن حقيقة خلق الأرض .. لو أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض مسطحة .. فأما أن تكون الشمس ساعة الخلق في مواجهة السطح .. وحينئذ يكون النهار قد وجد أولا .. ثم يأتى بعد ذلك الليل .. وأما أن تكون الشمس غير مواجهة للسطح ساعة الخلق .. ومن هنا يكون الليل قد أتى أولا .. ثم بعد ذلك يأتى النهار .. ولكن كون الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن النهار والليل خلقا معا .. لم يسبق أحدهما الآخر دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض كروية .. لأنه حدد الشكل الوحيد الذى يوجد فيه الليل .. والنهار .. على سطح الأرض معا ساعة الخلق .. وهكذا نرى القرآن قد مس حقيقة هامة في آية أو جزء من الآية يريد الله أن يخبرنا فيه بأنه خلق الأرض على هيئة كرة .. وأنه أوجد الليل والنهار معاليتها .. فيقول سبحانه :

« **ولا الليل سابق النهار** » ..

وعندما يتقدم الذهن البشرى ويبحث .. ويعرف معنى الآية نجد أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بكل هذه الحقائق عن خلق الأرض على هيئة كرة .. وخلق الليل والنهار معا .. فى بضع كلمات ..

دوران الأرض .. والجبال

ننتقل بعد ذلك الى قضية دوران الأرض حول نفسها .. لنرى أن الله سبحانه وتعالى يمسها فى القرآن كحقيقة كونية .. فهو يتحدث حين يقول سبحانه فى سورة النمل :

« **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** »

صنع الله الذى أتقن كل شيء » ..

الجبال رواسى للأرض مفروض أن تثبتها وتمنعها من الحركة .. ومن أن يحدث بها أى خلخلة أو اهتزاز .. هذه الجبال هي

الرواسي التي تجعل الأرض لا تميد بالانسان ... هي مركز
الثبات التي اذا نظرت اليها .. والى ضخامتها تعتقد أن الأرض
ثابتة في مكانها لا تتحرك خطوة واحدة .. ثابتة جامدة .. يأتي
الله سبحانه وتعالى ويقول :

«وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب»

لماذا قال الله سبحانه وتعالى تحسبها ؟ قالها رحمة بالعقل
البشرى .. فالانسان يظن أن الجبال جامدة .. ولكن الله سبحانه
وتعالى يريد أن يخبرنا أن هذه الجبال التي نراها أمامنا ونحسبها
جامدة تتحرك من مكان الى آخر .. ولكنها « تمر مر السحاب » ..
لماذا ؟ لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة .. لا يتحرك بنفسه
.. انما تحركه الرياح .. فالسحاب بدون الريح يبقى في مكانه
.. ولكن الرياح هي التي تدفعه من مكان الى آخر .. ومن هنا
فان استخدام الله سبحانه وتعالى لكلمة « مر السحاب » .. يريد
أن ينبئنا أن الجبال التي نحسبها جامدة تتحرك ولكنها لا تتحرك
بنفسها .. بل هي تابعة لحركة أخرى تدفعها .. تماما كما تدفع
الرياح السحاب .. واذا كانت الجبال وهي أوتاد الأرض ولا
تتحرك ذاتية من نفسها .. فما الذي يدفعها .. محرك آخر ..
وما هو المحرك الآخر .. انه الأرض .. وكأن الجبال تتحرك بحركة
الأرض .. فلا بد أن الأرض نفسها تتحرك وتدور .. والا فكيف
تقوم بتحريك الجبال وهي ثابتة .. ان الجبال في حركتها تابعة
لشيء آخر يتحرك .. تماما كالسحاب الذي يتبع في حركته الريح
والجبال ثابتة فوق الأرض فلا يوجد محرك آخر لها الا الأرض ..
وهكذا مس الله سبحانه وتعالى دوران الأرض بشكل بديع يبين لنا
أن الأرض تتحرك وتدور حول نفسها .. وأن الجبال التي هي
أوتاد الأرض تتحرك تابعة للأرض في حركتها .. وأننا نحسب
هذه الجبال جامدة .. ولكن قول الله سبحانه وتعالى « تحسبها
جامدة » محتاج الى وقفه .. ذلك أنه يقدم لنا حقيقة علمية أخرى
انك حين تكون فوق جسم متحرك حركة رتيبة لا اهتزاز فيها

فانك لا تحس بهذه الحركة الا اذا قست هذا الجسم الى جسم ثابت .. الطائرة حين تطير بنا .. اذا نظرت من النافذة .. فاني احس بحركة الطائرة وطيرانها .. ولكن اذا اقلنا النوافذ .. وكان الجو مستقرا ليس فيه أى اضطراب بحيث لم يصاحب هذا الطيران أى اهتزاز فأننى لا أشعر اطلاقا بحركة الطائرة .. لماذا؟ لان كل شئ داخل جسم الطائرة هو ثابت بالنسبة لى فالمقاعد ثابتة وموقع من يجلسون حولى ثابت .. ولا أحس فى هذا بأية حركة .. وكذلك بالنسبة للقطار والسيارة .. أنت حين تغلق النوافذ .. وتكون الحركة ذاتية متزنة هادئة لا اهتزاز فيها .. فانك لا تحس بالحركة .. ولكن اذا فتحت النافذة وقست الحركة الى شئ ثابت فانك تحس بالحركة ..

اذن فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أنتم لا يمكنكم أن تدركوا حركة الجبال هذه بحسكم .. لأن وضعها بالنسبة للأرض ثابت .. ووضعها بالنسبة لكم ثابت .. ووضعها بالنسبة لكل شئ حولها ثابت .. ومن هنا فانك تحسبها جامدة .. ولا تظن الى حركتها أبدا .. لانه ليس هناك شئ أمامك .. تقيس الحركة به .. ولكنى أقول لك أن هذه الجبال تتحرك وهى فى حركتها ليست لها حركة ذاتية أى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان فوق الارض .. بل تتبع الارض فى دورانها .. ثم تتعجب أنت لذلك فيقول لك الله سبحانه وتعالى لا تتعجب أنه « صنع الله الذى اتقن كل شئ » .. حينئذ ، يكون هناك يقين ..

بعض الناس يقولون أن هذا الوصف ينطبق على يوم القيامة .. ولكننا نقول لهم أنه فى يوم القيامة لا يكون هناك حسابان ولكن يكون يقين ..

« فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى عن الجبال يوم القيامة :

« ويسألونك عن الجبال فقل يנסفها ربى نسفا » ..

فكيف يנסفها الله ثم نحسبها جامدة ويقول الله سبحانه وتعالى :

« يوم تبدل الارض غير الارض .. والسموات »

فى يوم القيامة .. فينسف الله الجبال ويبددها .. وكل شىء أمامك يكون يقينا فانت ترى الجنة .. وترى النار .. وترى الله رؤيا اليقين .. فالحسبان فى الدنيا واليقين فى الآخرة ..

الحديث عن الجنين .. لماذا ؟

على أن القرآن مس أشياء كثيرة .. لو كان هذا كلاما من عند غير الله ماغامر من يقوله فى أن يمس هذه الاشياء .. الحديث عن الأجنة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون :

« ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين .. ثم جعلناه

نطفة فى اقرار مكين ، ثم اخلقنا للنطفة علقه فخلقنا

العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما

ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين »

ما الذى يجعل محمدا عليه السلام يقتحم قضية غيبية .. ويقولها فى القرآن الكريم وهى قضية يمكن أن تهدم الايمان من اساسه .. فالقرآن كلام الله المتعبد بتلاوته ولا تغيير فيه ولا تبديل الى يوم القيامة .. ماذا يمكن أن يحدث مع تقدم العلم .. لو ظهر أن هذا الكلام غير صحيح .. ؟ وكيف يمكن لقضية الايمان أن تستمر .. ؟ ولماذا يخاطر محمد عليه السلام فى شىء غيبى كهذا .. ؟ لم يطلب أحد منه أن يتحدث عنه .. أو أن يتحداه فيه .. ولكن لأن الخالق هو الله .. والقائل هو الله .. جاء الحديث عن الاجنة فى القرآن قبل أن يصل اليه العلم .. ثم اكتشف العلم صحة كل كلمة فى القرآن .. انه تحد .. وتحد من الله سبحانه وتعالى ..

وفى انفسكم

شىء آخر مسه القرآن مسا دقيقا وهو الجسم البشرى وعلم الاعضاء .. يأتى الله سبحانه وتعالى ويذكر الاذن دائما قبل العين .. ويقول الله « السمع والابصار » .. ولا يقول البصر والسمع .. يستوقفنا هذا لان الانسان حين يفقد بصره .. يفقد كل شىء

.. يعيش في ظلام دائم .. لا يرى شيئا على وجه الإطلاق ..
يصطدم بكل شيء .. ولكن حين يفقد سمعه فانه يرى وحينئذ
تكون المصيبة أهون .. ولكن الله سبحانه وتعالى حين يذكر السمع
يقدمه دائما على البصر ..

ان هذا اعجاز في القرآن .. لقد فضل الله سبحانه وتعالى
السمع على البصر لانه اول ما يؤدي وظيفته في الدنيا .. ولانه
أداة الاستدعاء في الآخرة .. لأن الأذن لا تنام أبدا ..

ان السمع أول عضو يؤدي وظيفته في الدنيا فالطفل ساعة
الولادة يسمع ولكن العين لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل في
الدنيا .. فكان الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أن السمع
هو الذي يؤدي مهمته أولا .. فاذا جئت بجوار طفل ولد منذ
ساعات .. وأحدثت صوتا مزعجا فانه ينزعج .. ويبكى ولكنك
إذا قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فانه لا يتحرك ولا
يحس بالخطر .. هذه واحدة .. وإذا نام الانسان فان كل شيء
يسكن فيه الا سمعه .. انك إذا اردت أن توقظ النائم ووضعت
يدك قرب عينه فانه لا يحس .. ولكنك إذا أحدثت ضجيجا بجانب
أذنه فانه يقوم من نومه فرعا .. هذه الثانية .. أما الثالثة فهي
أن الأذن هي الصلة بين الانسان والدنيا .. الله سبحانه وتعالى
حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال :

« فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا » ..

ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئات السنين دون
أي ازعاج .. ذلك أن ضجيج الحركة في النهار يمنع الانسان من
النوم العميق .. وسكونها بالليل يجعله ينام نوما عميقا .. اذن
الأذن هي التي تؤدي وظيفتها أولا .. وهي لاتنام ولا تغفل أبدا ..
وهي الصلة بين الانسان والدنيا .. وأداة الاستدعاء في الآخرة
.. ولذلك فضله الله سبحانه وتعالى :

على أن هناك شيئا آخر نلاحظه هو ان الله سبحانه وتعالى يأتي
بكلمة السمع مفردة دائما .. وكلمة الابصار مجموعة .. يقول

الله سبحانه وتعالى فى سورة فصلت :

« وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا

أبصاركم » ١٠٠

لماذا تأتى كلمة السمع مفردة ٠٠ وكلمة البصر مجموعة ٠٠ مع
أنه كان يجب أن يقول الله سبحانه وتعالى أسمعكم وأبصاركم ٠٠
وكان من المفروض أو المنطقي أن يكون هناك سمع وبصر ٠٠ أو
أسمع وأبصار ٠٠ ولكن الله سبحانه وتعالى بهذا التعبير أراد أن
يكشف لنا دقة القرآن الكريم ٠٠ فالبصر حاسة يتحكم فيها
الانسان بإرادته ٠٠ فأنا أستطيع أن أبصر ولا أبصر ٠٠ وأستطيع
أن أغمض عيني عما لا أريد أن أراه ٠٠ أو أدير وجهي أو أدير عيني
بعيدا عن الشيء الذى أريد أن أتجاهله ٠٠ ولكن الاذن ليس لها
اختيار فى أن تسمع أو لا تسمع ٠٠ فأنت فى حجرة يتكلم فيها
عشرة أشخاص تصل أصواتهم جميعا الى أذنك ٠٠ سواء أردت أو
لم ترد ٠٠ أنت تستطيع أن تدير بصرك فترى منهم من تريد أن
تراه ولا ترى من لا تريد رؤيته ٠٠ ولكنك لا تستطيع أن تسمع ما
تريد أن تسمعه ٠٠ ولا تسمع ما لا تريده ٠٠ قد تتجاهله ٠٠ وتحاول
أن تبدو وكأنك لم تسمعه ٠٠ ولكنه يصل الى أذنك سواء أردت
أو لم ترد ٠٠ اذن فالأبصار تتعدد ٠٠ أنا أرى هذا ٠٠ وأنت ترى
هذا ٠٠ وثالث يرى هذا ٠٠ الى آخر تعدد الأبصار ٠٠ وانسان
يغمض عينيه فلا يرى شيئا ٠٠ ولكن بالنسبة للسمع فنحن جميعا
ما دمنا جالسين فى مكان واحد ٠٠ فكلنا نسمع نفس الشيء ٠٠
ومن هنا اختلف البصر ٠٠ ولكن توحد السمع ٠٠ كل واحد له
بصر ٠٠ ينظر به الى المكان الذى يريده ٠٠ ولكننا كلنا نتوحد فى
السمع فيما نريد ٠٠ وما لا نريد أن نسمع ٠٠ ومن هنا جاءت
كلمة الأبصار ٠٠ بينما توحدت كلمة السمع ٠٠ ولم تأت كلمة
الاسماع ٠٠ على أن الاذن مفضلة على العين لانها لا تنام ٠٠ والشيء
الذى لا ينام أرقى فى الخلق من الشيء الذى ينام ٠٠ فالأذن لا تنام
أبدا منذ ساعة الخلق انها تعمل منذ الدقيقة الاولى للحياة ٠٠ بينما

باقى أعضاء الجسم .. بعضها ينتظر أياما .. وبعضها ينتظر سنوات ..

والأذن لا تنام .. فأنت حين تكون نائما تنام كل أعضاء جسمك .. ولكن الأذن تبقى متيقظة .. فإذا أحدث أحد صوتا بجانبك .. وأنت نائم .. قمت من النوم على الفور .. ولكن إذا توقفت الأذن عن العمل .. فإن ضجيج النهار وأصوات الناس وكل ما يحدث فى هذه الدنيا من ضجيج لا يوقظ النائم .. لأن آلة الاستدعاء وهى الأذن معطلة .. كما أن الأذن هى آلة الاستدعاء يوم القيامة حين ينفخ فى الصور ..

والعين تحتاج الى نور حتى ترى .. تنعكس الأشعة على الأشياء .. ثم تدخل الى العين فترى .. فإذا كانت الدنيا ظلاما فإن العين لا ترى .. ولكن الأذن تؤدى مهمتها فى الليل والنهار .. فى الضوء والظلام .. والانسان متيقظ .. والانسان نائم .. فهى لاتنام أبدا .. ولا تتوقف أبدا .. أعرفت الآن لماذا فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر .. وقدمه فى القرآن الكريم ؟

الاحساس .. والجلد

شئ آخر يستوقفنا هو ما كشف عنه الله سبحانه وتعالى عن الحس .. القرآن يلمس هنا حقيقة كونية هامة .. لانه يأتى ويعلمنى كيف أعرف منافذ الحس .. أو مواضع الحس .. وهو يأتى ليحس هذا على أنه حقيقة كونية .. ولكنه لا يشرحه ككتاب طبى .. بل يقول الحقيقة .. فعندما يتحدث عن الكفار الذين يعذبون فى النار .. يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء :

« كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا

العذاب » ..

أى أن الله قد حدد لى حكمة تبديل الجلد أو تغييره بأنه ليزيقهم العذاب .. اذن فالأذاقة حسب القرآن محلها الجلد .. نأتى الآن الى الحقيقة العلمية التى تؤكد لنا أن كل اعصاب الاحساس موجودة .. تحت الجلد مباشرة .. وأن هذه الاعصاب

التي تشعر بالآلم وتجعل الإنسان يحس به وتنقله الى المخ .. مكانها
تحت الجلد مباشرة .. اذن قوله الله سبحانه وتعالى :

« بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » ..

اعلان لحقيقة كونية يمسهها الله في القرآن .. وهي أن الاحساس
يتم بأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة .. وان الله كلما أراد أن
يذيق الكفار العذاب بدل جلودهم التي احترقت وماتت فيها أعصاب
الإحساس بجلود سليمة لم تحترق ليذوقوا العذاب مرة أخرى ..
فحينما يأتي الطب ليقول لنا أن أعصاب الجسم تحت الجلد مباشرة
.. نقول ان الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بهذه الحقيقة في القرآن
الكريم منذ أربعة عشر قرنا ..

على أن نواحي الاعجاز في القرآن الكريم لا تقتصر على ما ذكرت
لكن هذه بعض أمثلة بسيطة .. ولقد تحدثت في الفصول الماضية
أن الله سبحانه وتعالى قد قال سيروا في الارض .. ولم يقل سيروا
على الارض .. وبينت الاعجاز في ذلك بأننا نسير فعلا في الارض
.. بين الغلاف الجوي والسطح .. كما بينت معنى الآية الكريمة
« رب المشارق والمغارب » .. وهذا كله يعتبر اعجازا هائلا للقرآن
الكريم .. وهناك نواحي اعجاز أخرى سنبين بعضها فيما بعد ..

طفل الانايب !!

اننا قبل أن ننتهي من هذا النقاش .. يجب أن نتحدث عن حقيقة
علمية .. وهي ليست حقيقة علمية .. يأتي بعض الناس ليقولوا
أن العلم قد استطاع أن يصل الى نوع الجنين .. هل هو ذكر أم
أنثى .. ويزيدون على ذلك أن العلم استطاع أن يخلق ما يطلقون
عليه طفلا صناعيا .. وأن هذا يتناقض مع أحد المغيبات الخمسة
.. وهي :

« ويعلم ما في الأرحام » ..

ونحن نقول لمن يدعى هذا الكلام .. من الذي قال لك أن كلمة
« ما » معناها ذكر أم أنثى .. ان كلمة « ما » معناها شقى أم سعيد
.. طويل أم قصير .. أبيض أم أسود .. عمره .. رزقه .. أجله ..

.. اسمه .. كل شيء عن المخلوق الذى سيأتى الى الدنيا .. بل ان الله سبحانه وتعالى أخبر « زكريا » بابنه قبل أن يولد .. وأخبره باسم هذا الابن .. وهو اسم لم يكن البشر يتسمون به .. وقال له عن مستقبله عندما يكبر .. انه سيكون سيدا .. وحصورا ونبيا من الصالحين .. كل ذلك تم قبل أن يوجد هذا الطفل فى رحم « زوجة زكريا » .. بل قبل أن يتم الخلق تماما .. فهذا البلاغ كان فى المحراب .. وزكريا يصلى يطلب ولدا .. يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران :

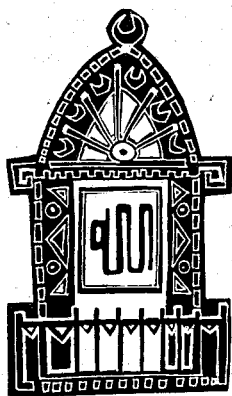
« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء .. فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب .. ان الله يبشرك بيحيى .. مصدقا بكلمة من الله .. وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين .. قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر .. قال كذلك الله يفعل ما يشاء .. »

اذن البشارة جاءت هنا وكل شيء عن المولود الجديد قبل أن يتم خلقه فى الرحم .. بل وأكثر من ذلك كان زكريا نفسه غير مصدق أن ذلك ممكن أن يحدث لانه كبير فى السن وامراته عاقر .. فى هذه اللحظة التى يستبعد فيها زكريا أن يرزقه بطفل .. أخبره الله أنه سيرزقا بولد .. ويكون اسمه « يحيى » وسيكون نبيا وحصورا ومن الصالحين .. وهذا هو لبعض تفسير كلمة « ما » فكيف يفسر البعض كلمة « ما » ذكر أو أنثى .. مع أن كلمة « ما » تتناول كل شيء عن المولود قبل أن يولد .. وفى أى أرض يموت .. ومستقبله .. ومن سيتزوج .. ورزقه .. وهل هو سعيد أم شقى .. طويل أم قصير .. وكل ما سيحدث له .. ان كلمة « ما » تتناول كل حرف فى حياة الإنسان ما سيشهده .. وكيف سيعيش والى أى البلاد سيهاجر .. اذن فعلم الله سبحانه وتعالى فى كلمة « ما » علم غير محدود .. فكيف تأتى أنت وتحدده بذكر أم أنثى .. مع أن الله سبحانه وتعالى لم يحدده .. بل قال « ما » فى الارحام ؟

على ان حقيقة الذكر والانثى ليست حقيقة علمية .. ذلك أن
الزوجة ما أن تلد ذكرا أو أنثى .. وفي بعض الاحيان تقول أنا
سأرزق بولد .. وترزق بولد .. وفي بعض الاحيان تقول أنا
سأرزق ببنت وترزق ببنت .. وليس معنى ذلك أنك تعلم الغيب ..
ولكن هناك ٥٠٪ من الحقيقة في كل افتراض .. هناك ٥٠٪ ولد ..
و ٥٠٪ بنت .. وأنت ان جاء تخمينك صحيحا فلأن معك ٥٠٪
منه .. ولو كانت أجناس البشر متعددة غير ذكر وأنثى .. لو كانوا
٢٠ جنسا مثلا لكان الاستناد الى العلم هنا فيه شيء من الدقة لان
التمييز بين عشرين جنسا والتنبؤ بما هو قادم منا يحتاج فعلا الى
طريقة علمية دقيقة .. ولكن التمييز بين ذكر أو أنثى يمارسه بعض
الناس الذين لم يقرأوا في حياتهم كتابا .. يقولون لامرأة حامل يظهر
عليك أنك سترزقين بولد .. ويأتى المولود ولدا فعلا .. فهل معنى
ذلك أنهم يعلمون ما فى الارحام .. انها مسألة يصدق فيها التخمين
كثيرا ولكن بعض الناس يأتون ويهللون ويقولون ان أحد المغيبات
الخمسة قد انتفى وهذا غير صحيح على الاطلاق .. ان ما « فى
الارحام » يشمل أكثر كثيرا من علم البشر من الآن وحتى يوم الدين ..
تأتى بعد ذلك الى النقطة الأخرى وهى الطفل الصناعى .. وهذه
نقطة يثور حولها الجدل فى هذه الايام حول طفل الانابيب .. وما الى
ذلك .. وأنت اذا أردت أن تصنع بشرا .. فالمفروض ان تأتى
بالمادة الحية تصنعها أولا ولكنك حينما تأخذ ما خلق الله وتيسر
عملية الخلق بما كشف الله لك من علم لا يكون هذا أبدا فيه صناعة
أو طفل صناعى .. أنت أخذت ما خلقه الله من الرجل وأوجدت له
الطريقة ليتم ما أراده الله فيما خلقه الله للانثى .. اذن أنت لم تفعل
شيئا سوى أن كان هناك سبب يمنع الحمل .. واستطعت أن تغلب
عليه بطريقة ما .. ولكن المادة الحية والرحم الذى نما فيه الطفل
هما من خلق الله سبحانه وتعالى .. فأين ما خلقت أنت من طفل
صناعى .. أو طفل الانابيب ؟! انك لم تخلق شيئا .. واذا كان
الله قد يسر لك سبيلا لتعالج عقما باستخدام ما خلقه الله .. لاستمرار

حياة البشر فى الارض .. فانت لم تخلق شيئا .. ولو اردت فعلا
ان ترىنا انك تستطيع ان تخلق طفلا صناعيا .. فابدأ أولا بخلق
المادة الحية والعلم كله عاجز ان يخلق خلية حية .. ولكن كل هذا
محاولة للاضلال ..

على ان معجزة القرآن لم تات لتبين او تكشف عن بعض أسرار
الكون .. وتلمس الحقائق الكونية الكبرى .. وانما جاءت لتحدى
.. القرآن مادام معجزة فلا بد ان فيه تحديا .. ولقد تحدى القرآن
العرب بالبلاغة ولكن الاسلام هو دين البشرية كلها .. ولذلك كان
للقرآن ان يتحدى الذين عاشوا وقت نزوله من غير العرب .. ثم
يحمل تحديا لكل جيل بعد ذلك والا فالمعجزة لا تكون قائمة ..
ولقد استطاع القرآن ان يمزق حجب الغيب كلها .. مزق حجاب
الماضى .. وحجاب الحاضر .. ومزق حجاب المستقبل .. ومزق
حجاب النفس البشرية .. ومزق حجاب كل الاشياء التى لا يمكن
ان يصل اليها علم الى الآن .. ومازال القرآن يتحدى .. ولا أحد
يستطيع ان يواجه هذا التحدى .. وهذا التحدى هو ما سنبينه فى
الفصل القادم ..



• الفصل السابع •

القرآن مزق حواجز الغيب

حينما جاء القرآن تحدى فى أشياء كثيرة • تحدثت عنها •• ولكنه فى تحديه مزق حواجز الغيب •• مزق حواجز الزمان والمكان •• فحواجز الغيب ثلاثة •• أولها حاجز المكان •• أى أن أشياء تحدث فى نفس اللحظة •• ولكن لا أعرف عنها شيئاً •• لأنها تحدث فى مكان •• وأنا موجود فى مكان آخر ••

ثم هناك حاجز الزمن الماضى •• وهو شئ حجب عني زمن مضى •• فأنا لم أشهده •• وحاجز المستقبل وهو ما سيحدث غدا •• لأن حاجز الزمان المستقبل قد حجب عني فلم أشهده •• اذن فحواجز الغيب ثلاثة •• حاجز المكان •• وحاجز الزمن الماضى •• وحاجز الزمن المستقبل •• على أن هناك أيضاً حاجزاً آخر •• هو حاجز النفس البشرية •• ما يخفيه الإنسان داخل نفسه ••

إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضى •• فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة •• ويروى لنا قصص الرسل السابقين •• ويحكى لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها •• وعلى لسان من •• على لسان نبي أمى لا يقرأ ولا يكتب •• ويحكى أسرار الماضى •• ويتحدى الذين يكذبون •• مزق الله حجاب وحاجز الزمن الماضى •• ويكفى أن

تقرأ في القرآن .. « وما كنت وما كنت وما كنت » .. لتعرف كم
أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي ..

« وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر » ..

« وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم » ..

اي أنك لم تكن هناك يا محمد .. ولكن الله هو الذي أخبرك ومزق
لك حجاب الزمن الماضي ..

« وما كنت ثلويًا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا » ..

« وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر » ..

« وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك »

وهكذا نرى أن القرآن مزق حجاب الزمن الماضي في أكثر من
مناسبة ليخبر محمدا عليه السلام بالاخبار الصحيحة عن سبقه
من الرسل والانبياء .. ويصحح ما حرف من الكتب السماوية التي
أنزلها الله وحرفها الرهبان والاحبار ..

بل أن الاعجاز هنا جاء في تصحيح ما حدث من تحريف الكتب
السماوية التي سبقت القرآن .. وكان محمد صلى الله عليه وسلم
يتحدى بالقرآن أحبار اليهود ورهبان النصارى .. ويقول لهم هذا
من عند الله .. في التوراه أو الانجيل .. وهذا حرفتموه في التوراه
أو الانجيل .. ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدى أو
يردوا عليه .. ذلك أن التحدى للقرآن في تمزيق حجاب الزمن الماضي
.. وصل الى أدق أسرار الرسائل السماوية الماضية .. فصحيحها
لهم .. وبين ما حرفوه منها وما أخفوه .. وتحداهم أن يكذبوا ما جاء
في القرآن فلم يستطيعوا .. ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم :
« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون » ..

ثم جاء الامر الثاني .. فمزق الله حجاب المكان لمحمد عليه الصلاة
والسلام .. وجاء في أمر من أدق الامور وهو حديث النفس ..
وهنا وقبل أن نبدأ .. أحب أن نضع في أذهاننا جيدا .. أن
القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته .. وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير
لا يجرؤ أحد على أن يمسسه أو يحرفه .. ومن هنا فان هذا الكلام حجة

على محمد صلى الله عليه وسلم مأخوذ عليه .. فاذا أخبر القرآن
بشيء .. واتضح أنه غير صحيح .. كان ذلك هدمًا للدين كله ..
يأتى القرآن بعد أن بينت خطورة ما يقول ..

« ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله » ..

ما معنى هذا الكلام .. معناه امعان فى التحدى .. فالقرآن هنا
لا يقول لهم لقد هتكت حاجز الماضى .. وأخبرتكم بأنباء الاولين ..
ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان .. وأخبركم بما يدور فى بقعة
قريبة لا ترونها بل يقول : سأهتك حاجز النفس .. وأخبركم بما
فى أنفسكم .. بما فى داخل صدوركم .. بما لم تهمس به شفاهكم
.. وكان يكفى لكى يكذبوا محمداً أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا
.. لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكى
يكذبوا محمداً ويعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح .. اذن فالقرآن
فى هتكك لحجاب المكان .. دخل الى داخل النفس البشرية .. والى
داخل نفوس من .. الى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهجم هدم
الاسلام .. وقال فى كلام متعبد بتلاوته لن يتغير .. ولا يتبدل ..
قال :

« ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا

عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ..

واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى

أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها

فبئس المصير » ..

صدق الله العظيم ..

قال ما يدور فى أنفس غير المؤمنين .. فهل هناك أكثر من هذا
تحدياً لحجاب المكان .. انه تحدى فوق قدرة كل الاختراعات البشرية
التي وصل اليها العلم الآن لاختراق حجب المكان ..

يحلفون .. وهم كاذبون

بل ان التحدى ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على اخفائه ..
فالانسان حين يحرص على اخفاء شيء .. ويكون غير مؤمن .. يأتى

اليك فيحلف لك بأن هذا صحيح .. وهو غير صحيح في نفسه فقط .. ولكن حرصه على أن يخفيه على الناس يجعله يؤكد أنه صحيح بالحلف ..

ويأتى الله سبحانه وتعالى فيجعل القرآن يمزق نفوس هؤلاء الناس .. ويظهر ما فيها امعانا في التحدى ويقول الله سبحانه وتعالى :
« وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون »

ويقول سبحانه وتعالى :

« يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله

لا يرضى عن القوم الفاسقين » ..

ويقول سبحانه وتعالى :

« ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى امعانا في كشفه ما في نفوس اولئك

الذين يكذبون بهذا الدين ..

« ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم .. ولتعرفنهم

في لحن القول » ..

وهكذا يأتى الله سبحانه وتعالى ليقول للنبي عن المنافقين .. انك تعرفهم في لحن القول، أى أنهم يلحنون ويلوون السنتهم بالقرآن وهذا أمر اختياري .. أى أنهم يستطيعون أن يفعلوه ويستطيعون أن يمتنعوا عن فعله .. والله عندما ينزل هذه الآية يكون الفعل لم يتم .. أى أنهم يفاجأون بالآية قبل أن يقوموا بما ينوون القيام به .. ومن هنا يكون لهم حرية الاختيار ..

ومع وجود حرية الاختيار .. فانهم يأتون ليقوموا بما قاله الله في القرآن الكريم دون أن يستطيعوا أن يتراجعوا عن ذلك .. بل أن الله سبحانه وتعالى يدخل الى نفوسهم ليخرج من الاسرار ما يخفونه داخل صدورهم ولا يقولونه لاحد .. فالسر نوعان :

سر بينى وبينك أى لا يعلمه الا أنا وأنت كصديقين أو حليفين .
وسر آخر أخفيه في صدري ولا يعلمه أحد في هذه الدنيا ..

ويأتى الله سبحانه وتعالى الى السر الذى أخفيه فى صدرى ولا يعلمه أحد فيفضحه أو يعلنه وأنا فى هذه الحالة أملك كل وسائل التكذيب .. لانه لا أحد يعرف هذا السر غيرى .. ومع ذلك أقف مبهورا من أن القرآن الكريم قد أظهر ما فى نفسى .. وما أخفيته .. فلا أستطيع أن أكذب .. مع أننى جئت لأقول الكذب .. أى أن المنافقين الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى جاءوا ليكذبوا .. ولكن عندما فضح الله سرهم .. بهتوا فلم تستطع السنتهم أن تنطق بالكذب .. بل وأكثر من ذلك قال الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولون كذا .. وسيفعلون كذا .. والسين هنا تدل على أن الفعل لم يتم .. ومع ذلك لم يستطع المنافقون أن يمتنعوا أنفسهم من أن يقولوا ما أعلن الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولونه .. مع أن فى امتناعهم عن القول هدماء لقضية الدين والايمان ..

اذن فالقرآن هنا جاء لاناس غير مؤمنين .. وهتك حاجز النفس بالنسبة لهم فأخرج ما فى صدورهم وعراهم أمام الناس جميعا .. وفضح كذبهم .. ونشر على الدنيا كلها ما فى صدورهم من كذب ورياء ونفاق .. أى انه أهانهم أمام المجتمع كله .. ولو كان هذا غير صحيح لقال هؤلاء القوم أننا لم نكذب .. أننا لصادقون .. والكلام الذى يدعى محمد أنه يأتى من عند الله كلام غير صحيح .. ولكن هؤلاء بهتوا من أن القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا ردا .. وبهتوا لان الله أخرج ما فى صدورهم وعراهم أمام الناس جميعا .. فلم يفعلوا شيئا أكثر من أنهم تواروا بعد أن افتضحت حقيقتهم .. ولو كان هذا القرآن من عند غير الله لما استطاع أن يصل الى داخل النفس البشرية .. وهى من أدق أسرار الدنيا التى لم يستطع علم أن يصل اليها حتى الآن .. فاذا بالقرآن يأتى متحديا بكلام متعبد به الى يوم القيامة لا يستطيع أحد تبديل حرف فيه ليكشف ما فى داخل النفس .. ويعرى ما تكتمه عن الناس جميعا .. وما هى حريصة على كتمانها .. حتى أنها تحلف باسم الله كذبا ليصدقها الناس .. يأتى القرآن فيمزق هذا كله .. أتريد اعجازا أكثر من ذلك ..

ومزق حجاب المستقبل

ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل .. كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل .. المرحلة المعاصرة لكى يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون وغير المؤمنين انه الحق .. ومرحلة المستقبل البعيد لكى يعرف كل عصر من العصور التى ستأتى بعد نزول القرآن .. أن هذا هو كتاب الله الحق .. ومن هنا كان التحدى بالنسبة للمعاصرين لاحداث قريبة .. وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله .. هنا أحب أن أنبه الى شيء هام جدا هو استخدام حرف السين فى القرآن : فحرف السين كما نعرف فى اللغة العربية لا يستخدم الا بالنسبة لاحداث مستقبله .. والقرآن محفوظ ومتعبد به وبتلواته .. سيبطل محفوظا حتى يوم الساعة .. ومعنى ذلك أنه لا يمكن تبديله أو تغييره أو انكاره من أحد من المتعبدين به .. بل انه سيبطل يتلى هكذا كما أنزل .. اذن فانباء القرآن باحداث مستقبله يسجل هذه الاحداث على قضية الايمان نفسها ويطن الدين فى صميمه .. خصوصا اذا تبين أن ما تنبأ به القرآن غير صحيح .. ومن هنا فلا بد أن يكون قائل القرآن متأكدا من أن هذا سيحدث فى المستقبل .. من من البشر يستطيع أن يتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة واحدة .. فما بالك بعد أيام وسنوات .. الجواب لا أحد .. ذلك أن قدرة البشر فى صنع الاحداث محدودة .. فقد جُلب عنهم الزمن .. وحجب عنهم المكان ... فلو قلت مثلا انتنى سأبنى عمارة فى هذه البقعة بعد عام .. أنا لا أضمن اننى سأعيش حتى الساعة القادمة .. وبذلك لا أستطيع أن أحكم اذا كنت سأكون موجودا هناك أم لا .. هذه واحدة .. ثانيا قد تأتى الحكومة مثلا وتبنى مستشفى فى هذا المكان .. أو قد يقام فى هذا المكان سوق أو شارع .. اذن فانا لا أستطيع أن أجزم فى شيء مادى سيحدث بعد فترة زمنية محدودة .. ولكن الذى يستطيع أن يقول هذا يقينا هو الذى يملك القدرة .. ومن هنا فانه يستطيع ان يقول يقينا أن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن .. والذى يملك ذلك هو

الله سبحانه وتعالى .. فاذا كان الحديث عما سيحدث بعد آلاف
السنين .. فان ذلك فوق طاقة البشر جميعا .. ولقد انبا القرآن بما
سيحدث بعد أعوام قليلة .. وبما سيحدث بعد آلاف السنين ..
فالذي قال هذا هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقينا وهو الله
سبحانه وتعالى .. أنظر الى قوله سبحانه وتعالى ..

« سيهزم الجمع ويولون الدبر » ..

لقد نزلت سورة القمر هذه في مكة .. والمسلمون قلة .. وأذلة
.. حتى أن عمر بن الخطاب قال : أى جمع هذا الذى سيهزم ونحن
لا نستطيع ان نحمي أنفسنا .. وهكذا يتنبأ القرآن بأن الاسلام
سينتصر .. فى مكة .. وان هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة
الاسلام فى مكة سيهزمون ويولون الادبار .. ويتنبأ بها متى ..
والمسلمون قلة .. وأذلة .. لا يستطيعون حماية أنفسهم ..
ويطلقها قضية .. هو على يقين من أن الله الذى قالها سيحققها ..
وبعد ذلك نجد عجبا .. الوليد بن المغيرة العدو الالد للاسلام ..
والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده .. يأتى القرآن ويقول : هذا
الانسان المكابر العنيد ..

« سنسمه على الخرطوم » ..

أى انه سيقتل بضربة على انفه .. ويحدد موقع الضربة .. وبعد
ذلك يأتى فى بدر فتراه قد رسم على خرطومه .. أى ضرب على انفه
.. من الذى يستطيع أن يحدد موقع الضربة ومكانها ... من الذى
يستطيع أن يهزم .. ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة ..

التحدى .. لأعداء الله

نأتى بعد ذلك الى آية أخرى .. الرسول عليه الصلاة والسلام
يأتى فيقرأ ..

« تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب ..

سيصلى نارا ذات لهب وامراته حمالة الحطب فى جيدها

حبل من مسد »

هذا قرآن .. وفى من .. فى عم الرسول .. وفى من .. فى

عدو الاسلام .. الم يكن ابولهب يستطيع أن يحارب الاسلام بهذه الآية ؟ الم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن .. ؟ ضد هذا الدين .. قالت له الآية يا أبا لهب أنت ستموت كافرا .. ستموت مشركا .. وستعذب في النار ... وكان يكفي أن يذهب ابولهب الى أى جماعة من المسلمين .. ويقول أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .. يقولها نفاقا .. ويقولها رياء .. يقولها ليهدم بها الاسلام .. لا ليدخل في الاسلام .. يقولها ثم يقف وسط القوم يقول : ان محمدا قد انبأكم اننى ساموت كافرا .. وقال ان هذا كلام مبلغ له من الله .. وأنا أعلن اسلامى لأنبت لكم أن محمدا كاذب .. لو كان ابولهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا .. ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبى لهب على الوصول اليه .. بل بقي كافرا مشركا .. مات وهو كافر .. ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافرا .. أمرا ممكنا .. لأن كثيرا من المشركين اهتموا الى الاسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب .. وغيرهم .. كانوا مشركين وأسلموا .. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقا .. وسيموت وهو كافر .. المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو .. وتحدهاء فى أمر اختياري .. كان من الممكن أن يقوله .. ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث .. لماذا .. لأن الذى قال هذا القرآن .. يعلم انه لن يأتى الى عقل أبى لهب تفكير يكذب به القرآن .. هل هناك اعجاز أكثر من هذا ؟ ..

وتعد .. لغير العرب

انتقل بعد ذلك الى النقطة الثانية .. وهي ماذا حمل القرآن لغير العرب فى عصره .. ولغير العرب والدنيا كلها بعد عصره .. ؟ أى ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله فى الارض وقوانينه .. التى كانت غيبا على البشرية كلها فى عصره وبعد عصره .. ؟ هنا الامثلة كثيرة .. والمجال لا يتسع لها كلها .. ولكنى سأحاول أن أبين عددا منها فيما يختص بالاعجاز فى عصر القرآن لغير العرب ..

فقد كانت هناك امتان كبيرتان امبراطوريتان بجانب الجزيرة العربية . هما الروم والفرس . . الروم امة مؤمنة . . اهل كتاب . . ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد الا أن هناك عندهم ايمانا بوجود الله . . والقيم السماوية . . والفرس كانوا اهل كفر والحاد في ذلك الوقت . . لا يؤمنون بأى دين من الاديان . . اذن فايهما أقرب الى قلب المؤمنين . . الروم باعتبارهم اهل كتاب . . وايهما أقرب الى قلب الملحدين والكفار . . الفرس باعتبارهم مشركين وكفرة . . قامت الحرب بين الدولتين . . فهزم الروم وانتصر الفرس . . وهنا فرح المشركون لان الكفر قد انتصر . . وحزن المؤمنون لأن نوعا من الايمان قد انهزم . . هنا يتدخل الله سبحانه وتعالى ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن . . فيقول في كلام محفوظ متعبد بتلاوته لن يجرؤ ولن يستطيع أحد أن يغير فيه . . يقول :

« ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين الله الامر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو
العزيز الرحيم »

ثم يمضى القرآن ليمعن في التحدى . .

«وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

. . ما هذا . . ؟ يستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين . . هل يستطيع قائد أن يتنبأ بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها . . ؟ فما بالك ان ذلك يأتى ويقول أنه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر فيها الروم . . هل أمر محمد صلى الله عليه وسلم على نفسه على أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة . . ولقد وصل الامر بأبى بكر رضى الله عنه . . أنه راى على صخرة ما جاء به القرآن . . اذن فقد أصبحت قضية ايمانية كبرى . . هذا هو القرآن . . كلام الله . . وأساس الايمان كله . . يأتى ويخبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب . . ويقول الكفار

أن القرآن كاذب .. ويقول المؤمنون أن هذا صدق .. ويحدث رهان
بين الاثنين ..

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة بين الروم
والفرس .. أو لو أنه حدثت معركة وهزم فيها الروم أكان بعد ذلك
يصدق أى انسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد .. ثم اذا كان
القرآن من عند محمد فما الذى يجعله يدخل فى قضية غيبية كهذه
.. لم يطلب منه أحد الدخول فيها .. أيضايع الدين من أجل
مخاطرة لم يطلبها أحد .. ولم يتحده فيها انسان .. ولكن القائل
هو الله .. والتفاعل هو الله .. ومن هنا كان هذا الأمر الذى نزل
فى القرآن يقينا سيحدث .. لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان
وحجاب المكان .. ولا أى حجاب وهو الذى يقول ما يفعل .. ومن
هنا حدثت الحرب .. وانتصر الروم على الفرس فعلا كما تنبأ
القرآن ..

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين فى وقت نزوله ..
أى أنه لم يتحد العرب وحدهم .. بل تحدى الكفار والمؤمنين من
غير العرب .. بأن انبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بسبع أو
ثمانى سنوات .. تحداهم بهذا علمهم يؤمنون ..

إذا انتهينا الى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير
العرب فى وقت نزوله .. ولكننا قلنا أن القرآن ليس له زمان
.. وليس له مكان .. وأنه سيظل حتى قيام الساعة ... فكيف
يمكن أن يتحدى الاجيال القادمة ؟ .. لابد أن يكون للقرآن معجزة
دائمة .. أن يعطى عطاء لكل جيل لم يعطه للاجيال السابقة ..

وقد كان .. جاء فى القرآن أشياء لو أن أحدا أخبر بها وقت
نزولها لأتهم الذين قالوها بالجنون .. ولكنها جاءت للعصور
القادمة .. جاءت لتتحدى عبر الاجيال الى يومنا .. والى الايام
القادمة ..

القرآن حدثنا .. عن المضلين

ان ظهور قانون الصدفة .. ونظرية داروين .. وأن المادة خلقت قبل الروح .. وكل ما نسمعه اليوم من تشكيك في الايمان وفي وجود الله سبحانه وتعالى .. قد سجله القرآن .. وأنبأنا به .. وقال أن المضلين سيأتون ليقولوا لكم أكاذيب عن خلق السموات والارض .. وعن قضية خلق الانسان ..

واذا لم يكن الحديث عن الأجنة في القرآن .. عن يقين كامل .. فكأن القرآن قد أعطى معه وسيلة هدمه .. ذلك أن هذا الكتاب سيستمر الى يوم القيامة .. فإذا جاء العلم عبر الوف السنين .. وأثبت عدم صحة ما ذكره القرآن .. ضاعت قضية الايمان كله .. ولكن القائل هو الله والفاعل هو الله ..

ان اعجاز القرآن لم يتوقف .. ولن يتوقف .. وإذا كان القرآن قد تحدى الكفار في عصر نزوله بأن أنبأهم بما يدور داخل صدورهم .. وأنبأهم بمصائرهم .. فانه يتحدى الكفار حتى في هذا الزمان .. في هذا الوقت الذي نعيش فيه .. بل ويستخدمهم .. في ماذا .. ؟ في اثبات قضية الايمان .. تماما كما استخدمهم وقت نزوله في اثبات قضية الايمان .. ان هدف الكفار والمضلين عن سبيل الله هو انكار هذا الدين وانكار وجود الله .. ولكن القرآن جاء .. وبعد أربعة عشر قرنا ليستخدم الكفار في اثبات أن دين الله حق .. وأن هذا الكتاب هو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذا هو موضوعنا .. عندما يقول الله سبحانه وتعالى :

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

ويقول :

« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » ..

يكون قد أعطاني أن الانسان يعلم ظاهرا من الحياة في هذه الدنيا ولكنه غافل عن أمر الآخرة .. أي أن مدى علم الانسان .. هو

الحياة الدنيا .. وان العلم نوعان .. نوع مطروح لك لايجاد نشاطك فيه كما تريد .. وبلا قيود .. ولا حدود .. ونوع ليس لك الحرية في البحث فيه لانك لاتعلمه .. وهذا النوع افعل كذا .. ولا تفعل كذا .. تقرب الى بكذا .. واترك كذا .. هذه ليست اجتهاداتك انت .. لان المعبود هو الذى يقترح على العابد مايعظمه به .. والنقاش في شئ يجب أن يتم بين عقول متساوية او متقاربة في الدرجة .. ومن منا يملك عقلا يقترب من قدرة الله تعالى .. لا أحد اذن .. فنحن نأخذ أقفل ولا تفعل عن الله .. وما شرحته لنا السنة .. اما نشاطات الحياة الاخرى .. وآيات الله في الكون .. فالمطلوب أن ابحت فيها واتأمل .. وأصل الى حقائق انتفع بها .. فاذا أردنا أن نحدد هذه الموضوعات .. نجدها في القرآن .. في قوله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فلخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرايب سود .. ومن الناس والنبات والحيوان مختلف الوانه كذلك » ..

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى تكلم عن الجماد .. وتكلم عن النبات .. وتكلم عن الحيوان والانسان ... ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

« انما يغشى الله من عباده العلماء » ..

العلماء في ماذا .. ؟ فيما يتعلق بخلق الله من الجماد والحيوان والنبات والانسان ..

ولذلك جاء الله سبحانه وتعالى بالمتناقضات الموجودة في النوع الواحد .. لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات .. انما قوله تعالى :

« ثمرات مختلفا الوانها » ..

كان يجب أن نلتفت اليها .. ولماذا اختلفت الوانها .. وما هي العلاقة بين الالوان والطبيعة .. مثلا حينما يتغذى النبات وجد من

الدراسة انه يتغذى بواسطة خاصية الاناييب الشعرية .. وهنا
 نقف قليلا .. هل هذه الاناييب الشعرية تميز .. هل تستطيع
 التمييز .. اذا جئنا بحوض .. ووضعنا فيه سائلا مذابا فيه
 أصناف مختلفة .. ثم جئنا بالاناييب الشعرية .. نجد أن الماء قد
 صعد في مستوى أعلى من مستوى الاناء .. ولكن هل كل أنبوبة
 ميزت عنصرا أخذته .. أم أن كل أنبوبة أخذت من جميع العناصر
 وهي مذابة .. لكن النبات ليس هكذا .. اننى أزرع الحنظل ..
 بجانب القصب .. فيخرج هذا حلوا .. وهذا مرا .. هذا يأخذ
 عناصره .. وهذا يأخذ عناصره من نفس التربة .. اذن هناك
 اختيار .. ومن هنا ظهر ما سمي بخاصية الانتخاب .. الانتخاب
 معناه الاختيار بين بديلات .. أى أنك تترك هذا وتأخذ هذا ..
 ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

« يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل »

لكن خاصية الاناييب الشعرية تتعامل مع السائل كله .. بلا
 تمييز .. ومن هنا نعرف أن الخاصية شيء .. واختيار النبات
 للعناصر الغذائية التي يريدتها أو يحتاجها شيء آخر ..
 نأتى بعد ذلك للجماد .. يقول الله سبحانه وتعالى :

« ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب
 سود » ..

هذا علم الجماد .. وهو علم تحويه الآن مجلدات .. ثم بعد ذلك
 الانسان .. أجناس الوجود كلها .. ثم بعد ذلك قال الله :

« انما يخشى الله من عباده العلماء »

العلماء فى ماذا .. ؟ بهذه كلها .. اذن كلمة العلماء اطلقت
 على من يتفكر فى خلق الله .. سواء كان جمادا أو حيوانا أو نباتا
 .. والذهن النشط يستطيع أن يصل الى هذه العلوم الارضية
 بالملاحظة والتجربة .. والدليل على ذلك اذا استعرضت تاريخ
 أى مخترع من المخترعات فى الكون التى أراحت الناس .. تجد
 انها نتيجة لانسان قد لاحظ بدقة .. ولم تمر عليه المسألة كباقي

الناس .. والعلم مكانه المعمل والملاحظة والتجربة ..

حينما نتجاوز .. بلا دليل

ولكننا أحيانا نتجاوز موضوع العلم .. وموضوع التجربة والمعمل .. وذلك عندما أقول مثلا الروح قبل المادة .. أو المادة قبل الروح .. فهذا بحث فى عنصرى تكوين الانسان الذى لم نشهد خلقه .. ولا نستطيع أن نجرى عليه تجربة .. ان هذا يدخل فى علم الله .. فهو الذى خلق .. وهو الذى يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق

انفسهم » ..

اذن فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى الى نتيجة .. لماذا ؟ .. لأننا لم نحضر التجربة .. ولم نرها بالعين .. ولا نستطيع أن نجربها أو نقوم بها .. ولكن بالاذن سمعنا عن الله .. وهذا أمر غيبى عنا .. وما دام الامر غيبيا عنا .. فان الله الذى خلقنى هو الذى يحدثنى .. كيف خلقت .. أما أنا فأنى لأعرف كيف خلقت .. ومن هنا فأنى لا يمكن أن اتحدث علميا عن المنصرين اللذين يتكون منهما الانسيان .. وأيهما جاء أولا .. وإذا صمم أحد على أن يبحث فى هذا .. يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه عن جهل يضره .. لأنه لن يستطيع أن يدل على ما يقول علميا .. وبالتجربة أنا أستطيع أن امسك المادة وادخلها المعمل .. ولكنى لا أستطيع ان امسك بالروح وادخلها الى المعمل ..

والعلم يجب أن يتم على مادة صماء .. يمكن أن تدخل المعمل الاصم .. وتعطى حقائق صماء .. ليست هذه هى الحقيقة .. والدليل على ذلك أن المعسكرات المتصارعة لا تختلف فى مذاهب العلم .. ولكنها تختلف فى مذاهب الهوى والنظريات .. لا توجد هناك كهرباء أمريكية .. وكهرباء روسية .. ولا توجد كيمياء ألمانية ولا كيمياء انجليزية .. وكل علم الكيمياء .. فى أى دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التى لا هوى لها .. وبهذا

تكون النتيجة واحدة .. سواء كان المعمل انجليزيا أو أمريكيا ..
 أو سوفيتيا .. أو أى معمل من معامل الدنيا .
 ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات
 .. فاذا جئنا الى مذاهب الهوى .. هوى النفس .. نجد أنها متناقضة
 .. ليست مختلفة .. ولكنها متناقضة .. هذا على النقيض من ذلك
 .. رأسمالية وشيوعية .. ايمان والحاد .. وانكار للديانات
 لماذا .. ؟ لان هوى النفس دخل هنا فأفسد القضية العلمية وأضاع
 حقائقها ..

الكفار ... اثبتوا القرآن

فاذا أخذنا خلق الانسان مثلا .. فاننا نأخذ هذا الخلق عن
 الله .. الذى خلق .. ماذا قال الله سبحانه وتعالى قال خلقتك من
 تراب .. وقال من طين .. وقال من حمأ مسنون .. وقال من
 صلصال كالفخار .. هذه ليست تناقضات فى الخلق .. أو
 تناقضات فى مادة الخلق نفسها .. وهى التراب .. بل أن الله
 سبحانه وتعالى يبين لنا أطوار هذه المادة من التراب الى الطين الى
 الحما الى الصلصال .. انها المراحل التى مر بها خلق الجسد
 البشرى من تراب الى ما قبل نفخ الروح فيه .

« ما شهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق انفسهم

وما كنت متخذ المضلين عضدا »

ما معنى كلمة مضل .. كلمة مضل تعطى أن هناك قضية حق
 وان هناك انسانا يريد أن يضللنى ويعطينى عكس القضية .. أى
 يعطينى غير الحقيقة وهو الضلال .. هذا هو معنى مضل .. اذن
 قول الله :

« وما كنت متخذ المضلين عضدا » ..

أى اننى فى ساعة الخلق لم أطلب العون أو المساعدة أو المشورة
 .. أو النصيحة .. من هؤلاء المضلين .. والا لو كان حدث ذلك
 .. ثم جاءوكم يخبرونكم كيف تم خلق السماوات والأرض .. وكيف

خلقتهم أنتم .. لكان لكم العذر فى تصديقهم .. ولكن ما داموا لم
 يشهدوا الخلق .. ولم اطلب معونتهم .. فان ما سيقولونه لكم غير
 واقع .. غير صحيح .. أنه اضلال .. وهذه معجزة من معجزات
 القرآن .. فقد قال لنا الله .. أنه سيكون هناك مضلون .. وان
 هؤلاء المضلين سيحاولون أن يقولوا لكم غير الحق فى قضية خلق
 السماوات والأرض .. وفى قضية خلق الانسان .. فلا تصدقوهم
 لاننى لم أستعن بهم ساعة الخلق .. ولم يكونوا موجودين .. اذن
 لو لم يحدث أن جاء اناس يضلون عن سبيل الله .. لقلنا ان القرآن
 غير صحيح .. لانه أين المضلون .. ؟ ولو وجد المضلون وتناولوا
 قضية أخرى غير خلق السماوات والأرض .. وخلق الانسان لقلنا ان
 القرآن غير صحيح .. لانه يوجد من يضل عن سبيل الله .. ولكنه
 لا يتناول فيما يقوله قضية خلق السماوات والأرض .. ولا قضية
 خلق الانسان .. ولكن كون المضلين جاءوا وكونهم تحدثوا عن قضية
 خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم .. وهل المادة قبل الروح
 .. أم الروح قبل المادة .. وقانون الصدفة ونظرية داروين الى آخر
 هذا الكلام .. كون هؤلاء جاءوا .. وكونهم تناولوا قضية خلق
 السماوات والأرض وخلق الانسان فهذا اثبات لما جاء فى القرآن
 عنهم .. وكان هؤلاء المضلين الذين جاءوا ليصدوا عن سبيل الله
 .. انما قدموا خدمة كبيرة للدعوة الاسلامية وللقرآن .. بانهم
 أثبتوا بكفرهم صحة القرآن وصحة آياته .. ترى اعجازا أكثر من
 ذلك .. يستخدم الله الكفار الذين يضلون عن سبيله .. ويحاولون
 تكذيب القرآن .. يستخدمهم الله سبحانه وتعالى ليقوموا وهم
 لا يدرون باثبات صحة الدين الذى يحاولون أن يهدموه وباثبات
 وجود الله سبحانه وتعالى .. وهم يريدون أن ينكروه .. فيقول فى
 قرآن نزل منذ أربعة عشر قرنا .. أن هناك من سيأتى ليضل عن
 سبيل الله .. ويتخذ من قضية خلق السماوات والأرض والانسان
 مادة لهذا الاضلال وكل ما سيقولونه هو غير الواقع .. وأنا انفى
 من الآن ما سيقولونه بعد مئات .. أو آلاف السنين .. وأقول

لكم أنه غير صحيح .. اذن فكون هؤلاء المضلين جاءوا اثباتا للقرآن
 .. وكون انهم قالوا غير الحق ولم يستطيعوا أن يدللوا عليه علميا
 .. وأخذوا يطلقون نظرياتهم .. كل نظرية تهدم الاخرى .. وهم
 يجتهدون في محاولة هدم منهج الله .. ونحن نقول لهم انكم تثبتونه
 . لأن الله اخبرنا عنكم في القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. وقال
 انكم ستأتون وستفعلون كذا وكذا في محاولة لتضليل الناس ..
 وهدم القرآن .. أترى الاعجاز في استخدام الكفار لتثبيت قضية
 الايمان في الكون ..

خلق الانسان

اذن فخالق الانسان هو الله .. وخالق السماوات والارض هو
 الله .. وهذا أمر غيبي نأخذه عن خلق .. الا أن الحق سبحانه
 وتعالى حين يعرض قضية غيبية .. فانه ينير طريق العقل دائما
 بقضية نحسها ونشهدا .. تقرب القضية الغيبية التي يتحدث عنها
 .. فالله خلقني من تراب .. من طين .. من حمأ مسنون .. من
 صلصال كالغفار .. ثم نفخ من روحه ..
 اذا أخذنا التراب .. ثم نضيف اليه الماء فيصبح طينا .. ثم
 يترك لتتفاعل عناصره فاصبح حمأ مسنونا .. كالذي يستخدمه
 البشر في صناعاتهم .. ثم يجفف فيصبح صلصالا .. هذه أطوار
 خلق الجسد البشري .. والبشر .. والخلق من الطين .. من
 الأرض ..

فاذا جئنا للواقع .. فلنسأل انفسنا .. الانسان مقومات حياته
 من أين .. من الأرض .. من الطين .. هذه القشرة الارضية
 الخصبة هي التي تعطى كل مقومات الحياة التي أعيشها .. اذن
 فالتي ينسب المادة التي خلقت منها هو من نفس نوع هذه المادة ..
 وهي الطين .. ولقد حلل العلماء جسد الانسان فوجدوه مكونا من
 ١٦ عنصرا .. اولها الاكسجين .. وآخرها المنجنيز .. والقشرة
 الارضية الخصبة مكونة من نفس العناصر .. اذن فعناصر الطين
 الخصب هي نفس عناصر الجسم البشري الذي خلق منه .. هذا

أول اعجاز .. وهذه تجربة معملية لم يكن هدفها اثبات صحة القرآن
 أو عدم صحته .. ولكنها كانت بحثا من أجل العلم الأرضي ..
 ولقد جعل الله سبحانه وتعالى من الموت دليلا على قضية الخلق
 .. فالموت نقض للحياة .. أي أن الحياة موجودة .. وأنا أنقضها
 بالموت .. ونقض كل شيء يأتي على عكس بنائه .. فإذا أردنا أن
 نبني عمارة نبداً بالدور الأول .. وإذا أردنا أن نهدمها نبداً بالدور
 الأخير .. إذا وصلت إلى مكان وأردت أن أعود .. أبداً من آخر نقطة
 وصلت إليها أنها تمثل أول خطوة في العودة .. ونحن لم نعلم عن
 خلق الحياة شيئاً .. لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق .. ولكننا
 نشهد الموت كل يوم .. والموت نقض الحياة .. إذن هو يحدث
 على عكسها .. أول شيء يحدث في الإنسان عند الموت .. أن الروح
 تخرج .. وهي آخر ما دخل فيه .. أول شيء يخرج الروح .. إذن
 آخر شيء دخل في الجسم هو الروح .. ثم تبدأ مراحل عكس عملية
 الخلق .. يتصلب الجسد .. هذا هو الصلصال .. ثم يتعفن
 فيصبح رمة .. هذا هو الحما المسنون .. ثم يتبخر الماء من الجسد
 ويصبح الطين تراباً .. ويعود إلى الأرض .. إذن مراحل الألفاء التي
 أراها وأشهدها كل يوم هي عكس مراحل الخلق .. فهناك الصديق
 في مادة الخلق .. والصديق في كيفية الخلق .. كما هو واضح
 أمامي من قضية نقض الحياة .. وهو الموت ..

شيء آخر يقول الله سبحانه وتعالى :

« ونفخت فيه من روحي » ..

ومعنى النفخ أي النفس .. أي أن هناك نفساً خرج من النافخ إلى
 المنفوخ فيه .. فبدأت الحياة .. وبماذا تنتهي الحياة بخروج هذا
 النفس .. فانت إذا شككت في أن أي إنسان قد فارق الحياة ..
 يكفي أن يقال لك أنه لا يتنفس .. ليتأكد يقيناً أنه مات .. إذن
 دخول الحياة إلى الجسد هو دخول هذا النفس .. مصداقاً لقوله
 تعالى :

« ونفخت فيه من روحي »

وخروجها هو خروج هذا النفس ..

والانسان .. في بطن أمه

فالمسألة يقينا كما قال الله .. وإذا كنا نريد إعجازا أكثر ..
فلننظر ماذا قال القرآن في علم الاجنة .. علم تكون الجنين في
بطن أمه وقد تناولت هذه المسألة في فصل سابق .. ولكنني أعود
فأقول .. هل تناول أحد هذه المسألة قبل القرآن أو عصر القرآن
.. أو بعده بفترة .. أبدا .. أول من تحدث عنها هو القرآن ..
وأعطاني ما هو غائب عني .. لأن خلقى هو غيب .. فكون الله
سبحانه وتعالى يأتي في قرآنه ويعطيني مراحل تكوين الجنين ..
فهذه آية من آيات عظمته وقدرته وعلمه .. يقول الله في أطوار
الجنين :

« ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .. ثم خلقنا النطفة

علقة .. فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا مضغة عظما

فكسونا العظام لحما .. »

علم الاجنة ما عرفه الناس الا حديثا .. والقرآن كما قلت كلام
متعبد بتلاوته .. لا تبديل فيه ولا تغيير .. أى أن القضية التي
يذكرها ستبقى كما هي الى آخر الدنيا .. فعندما يأتي القرآن ويخبر
بهذا فكانه يتحدى العلم والعلماء .. الى يوم القيامة .. يقول لهم
هذا هو تكوين الجنين في بطن أمه .. وأنا أذكره لكم وأذكر مراحل
بالتفصيل لم يشهده أحد من البشر حتى ساعة نزول هذا القرآن
.. ولا حتى بعد نزوله بمئات السنين .. ولكنني أسجله لتعلموا
عندما أعطاكم من العلم ما تستطيعون به معرفة أطوار الجنين .. لتعلموا
أن القائل هو الخالق .. لانه لا يمكن لاحد أن يقول هذا الكلام ..
وان يتحدى بصحته على مر العصور .. وأن يخترق الحجب ليرى
شيئا لم تكن البشرية تعرفه أو تعلم به .. الا أن يكون ذلك هو

الله .. والا فكيف يأمن أى انسان .. أى بشر مهما بلغ من العلم .. كيف يأمن أنه بعد عشرات السنين .. أو مئات السنين .. لن يأتى من يناقض هذا الحديث .. وما يثبت عدم صحته ..

فإذا لم يكن الحديث هنا عن الله .. وإذا لم يكن عن يقين كامل .. فكأن القرآن قد أعطى معه وسيلة عدمه .. كان يكفى أن يقول انسان أن القرآن يقول هذا عن أطوار الجنين .. وقد أثبت التقدم العلمى أنه غير صحيح .. كان يكفى أن يقال هذا ليهدم قضية الدين من أساسه .. ويكون القرآن قد أعطى للكفار أقوى سلاح يهدمونه به .. فالنبي كشف علم الاجنة متأكد تماما أن ما يقوله هو الحق .. وأن تطور العلم مهما جاء فانه لن يأتى ليناقض هذا الكلام .. ولقد أثبتت أحدث البحوث عن الجنين .. صحة ما ذكره القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولم تختلف عنه .. فى أى تفصيل من التفصيلات .. رغم أن هذا كان أمرا غيبيا .. وأمرا لم يتحدث عنه أى انسان قبل أن يأتى القرآن .. ومع ذلك فقد ذكره القرآن بالتفصيل .. وحدد أطواره وجاء العلم بعد ذلك ليثبت هذه الحقيقة .. إذن فلا بد أن قائل القرآن هو الله .. لأن الذى يعلم يقينا هو الله وحده ..

والعجزة .. مستمرة

إذن فالقرآن عندما نزل كان له أكثر من معجزة .. تحدى العرب فى بلاغتهم .. ثم مرق حواجز القيب الثلاثة .. مرقا حجاب الزمن الماضى .. وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم .. وتحصى فيها .. ثم مرق حجاب المكان وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الاسلام وما يبيتونه للمسلمين .. وروى لنا ما يدور داخل نفوسهم .. ولم تنطق به شفاههم .. ولم يجرؤ واحد منهم أن يكتب القرآن ويقول لم تهسى نفس بهذا .. ثم مرق حجاب المستقبل القريب .. وتنبأ بأحداث

ستمع بعد شهور .. وبأحداث ستتقع بعد سنوات ..
واتحدى .. وحدث كل ما أنبأ به القرآن ..

ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد .. ليعطى
الاجيال القادمة من اعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون
لقائله وهو الله .. ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات
المستقبلية جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون
.. ذلك لأن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت .. ومن
هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن ايمانه .. ويستمر الاعجاز .. جاء
القرآن بنهايات النظريات .. بقمة نواميس الكون .. اذا تليت
على المؤمنين في ذلك الوقت .. مرت عليهم .. ولم ينتبهوا الى
مدلولها الحقيقي العلمى .. واذا تليت بعد ذلك على الاجيال
القادمة عرفوا ما فيها من اعجاز .. وقالوا ان هذا كلام لا يمكن أن
يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين .. اذن فلا بد أن هذا القرآن
حق من عند الله .. وان قائله هو الله الخالق ..

بقيت نقطة .. هل يأتى هذا فى الاحكام .. ؟ الجواب : لا ..
ان احكام الدين أفعّل ولا تفعل .. نزلت كاملة واضحة لا لبس
فيها ولا اضافة عليها ولا تبديل ولا غموض .. منهج الله كامل ..
فسرته الاحاديث القدسية والاحاديث النبوية .. وشرح وفسر فى
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيراً كاملاً .. بحيث أصبح
واضحاً لكل انسان يريد أن يعبد الله .. وأن يعيش فى الأرض
طبقاً لقوانين الله .. أفعّل ولا تفعل .. جاءت واضحة وكملت
وفسرت فى عهد الرسالة .. وأصبح الحلال بينا .. والحرام
بيناً .. والدين بيناً ..

أما آيات الله فى الكون .. فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيراً كاملاً فى
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .. حتى لا تكون ملزمة للمسلمين
.. لماذا .. لان لهذا عطاء يتجدد فى كل الاجيال .. وهذه الآيات

هي التي تحدثنا عن بعضها .. لقد تحدى القرآن العرب بالاعجاز في اللغة .. طلب أن يأتوا بمثل القرآن ثم زاد في التحدى وقال بسورة من مثله .. ولكن التحدى للعالم لا يمكن أن يكون باللغة .. فاللغات مختلفة .. اذن بماذا تحداهم .. بالعلم .. وكان التحدى مطلقا الى يوم الدين .. قال انتم جميعا لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئا .. حتى نهاية العالم .. ثم تحداهم بخلق ماذا .. بخلق كون كالذى خلقه .. لا .. بخلق مجموعة شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة في الكون .. لا .. بخلق شمس أو قمر أو نجم .. لا .. اذن تحداهم بخلق الكرة الارضية مثلا .. أبدا .. لا بد أنه تحداهم بخلق الانسان .. أبدا .. لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابا ففي سورة الحج قال تعالى ..

« يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له .. ان الذين

تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له .

وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقلوه منه .. ضعف

الطالب والمطلوب »

وهكذا تحدى الله البشرية كلها الى يوم القيامة بأن يخلقوا ذبابة .. وقال ان العلم الذى ستعبدونه من دون الله والذى ستؤمنون به .. هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا ..

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو

اجتمعوا له .. »

ثم قال الله سبحانه وتعالى

« ضعف الطالب والمطلوب » ..

وأضاني

« ما قدروا الله حق قدره » ..

والعجيب أن الانسان قد وصل الى القمر .. وقد يصل الى المريخ ..
وقد يستكشف أبعد عن ذلك .. ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح
ذبابه حتى الآن .. وهو طلب ضعيف جدا بالنسبة لقدرة الله
سبحانه وتعالى في خلق ملايين الكائنات .. ولذلك قال الله :

« ضعف الطالب والمطلوب » ..

ثم أضاف سبحانه وتعالى

« ما قدروا الله حق قدره » ..

أى أن قدرة الله سبحانه وتعالى تفوق كل الحدود والتصورات
التي قد ترد على خواطركم .. وأنتم لا تعرفون قدرة الله .. ثم
تحدى الله بعد ذلك في قرآنه .. تحدى باستمرار الحياة .. الماء
الذي خلق منه كل شيء حتى .. قال الله تعالى

« أفرايتم الماء الذي تشربون .. أنتم أنزلتموه من المزن »

أم نحن المنزلون » ..

وقال تعالى

« ينزل الغيث » ..

أى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يرسل اليكم الامطار والماء
يأتى مدزارا ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور .. والوحوش
والزروع وكل شيء حتى .. هذا الماء الذى تعب منه البشرية كلها عبا
.. تجد الانسان عاجزا عن أن يصنع نهرا مع أن عناصر تكوين الماء

موجودة فى الكون .. أمام العلماء .. والمساحات الشاسعة من
الصحارى فى الارض محتاجة الى قطرة ماء .. ثم تحدى الله سبحانه
وتعالى بعد ذلك .. تحدانا بأن نهرب من الموت .. قال

« اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة »

.. أى أن الله سبحانه وتعالى يتحدى فمهما وصلتم الى العلم ..
فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .. انكم تقولون فى العلم الارضى
أن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا .. وأمراض كذا الى آخره ..
حسنًا .. شيدوا برجاً وضعوا فيه انساناً .. وأبعدوه عن كل
المخاطر التى فى رأيكم وفى نظركم .. وفى علمكم .. تسبب الموت
.. فلا هو يحارب ولا يمشى فى أى مكان ليصاب فى حادث ..
فلا يستنشق هواءً ملوثاً بل يستنشق هواءً نقياً .. ويأكل من طعام
مطهر على أحدث الوسائل الصحية .. ويشرب من ماء ليس فيه
جرثومة واحدة .. والجو الذى يعيش فيه منقى الى آخر درجات
العلم .. هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الانسان كل مسببات الموت
التي نعرفها .. ومع ذلك فهل يمكن أن يكتب لانسان مثل هذا
الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الاسباب الظاهرية للموت .. الجواب
طبعاً مستحيل .. لان الله هو الذى يحيى ويميت .. والاسباب
لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله ..

ثم تحدى الله العالم كله فى القرآن بخمسة مغيبات ..

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى

الارحام .. وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً .. وما

تدرى نفس باى ارض تموت » ..

تحدى الله بهذه المغيبات ... تحدى البشر جميعاً .. فكان القرآن
كما تحدى العرب فى اللغة عندما نزل .. حمل تحديات للعالم

أجمع .. وقال لهم : انكم لن تصلوا الى كذا وكذا الى آخره ..
عشرات التحديات التي ساقها القرآن للبشرية جميعا .. قال لن
تصلوا الى كذا .. لن تفعلوا كذا .. لن تخلقوا كذا .. وكانت
هذه التحديات لكل البشرية .. ولكل العصور .. وما زالت قائمة
حتى الآن .. وما زالت البشرية كلها عاجزة أمام قدرة الله .. لماذا
.. ان السر يكمن في كلمتين .. « سبحان الله » .. وليس كمثله
شيء .. وهذا هو موضوع الفصل القادم ..



حديث قدسي

● ● يا ابن آدم لا تخف من ذي سلطان مادام
سلطاني باقيا .. وسلطاني لا ينفد أبدا .

يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق وخزائني ملأنة
.. وخزائني لا تنفذ أبدا ..

يا ابن آدم لا تطلب غيري وأنا لك .. فان طلبتني
وجدتني .. وان فتني فتك وفاتك الخير كله .

يا ابن آدم خلقت الاشياء من اجلك .. وخلقتك من
اجل .. فلا تشتغل بما هو لك .. عمن أنت له .

يا ابن آدم اذ رضيت بما قسمته لك ارحمت قلبك
وبدئك .. وكنت عندي محمودا .. وان لم ترض بما
قسمته لك فبغزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض
فيها ركض الوحوش في البرية .. ثم لا يكون لك منها
الا ما قسمته لك .. وكنت عندي منموما .

يا ابن آدم خلقت السماوات والارض ولم اعمى بخلقهن
.. ابعينني رغيف عيش اسوقه اليك .

يا ابن آدم .. لم اطالبك بعمل غد .. فلا تسألن
عن رزق غد .. فانا لم ائس من عصاني .. فكيف
بمن اطاعني ..

يا ابن آدم انا لك محب .. فبحق عليك كن لي محبا

• الفصل الثامن •

سُبْحَانَ اللَّهِ

الانسان فى علاقته بالله سبحانه وتعالى يدخل فى حالات متعددة تتغير فيها طبيعة اتصاله بما هو غيب عنه بالنسبة للشخص الواحد .. فالانسان مثلا حين يكون فى يقظة .. وفى حياته اليومية يرى الاشياء بقدر ما تعطيه هذه اليقظة من وعى دنيوى .. او بقدر ما يحجب عنه جسده المادى من أشياء قد لا يعرف عنها شيئا .. والانسان وهو يقظ خاضع للعقل خضوعا كاملا .. فاذا نام مثلا تغير الحال .. وأصبح يرى فى نومه أشياء لا يراها فى اليقظة ولا تدخل فى نطاق العقل البشرى . فيمكن أن يرى نفسه يطير فى الهواء مثلا .. او يرى نفسه فى أماكن لم يراها فى حياته الدنيوية .. او يتحدث فى العلم مع أشخاص ماتوا الى رحمة الله منذ مدة طويلة .. وفارقوا هذه الدنيا .. أو يرى أشياء عجيبة تحدث له لا تتفق مع العقل والمنطق .. ولا مع مهاراته .. فقد يرى مثلا أنه يركب حصانا وهو لا يعرف ركوب الخيل .. أو أنه يقوم بعمل لا يتقنه فى الدنيا .. والعجيب أن الرؤيا تتم .. والعين مغلقة تماما .. أى أن الذى يرى ليس هو العين .. وانما الروح ..

اذن فالروح لها رؤيا خاصة وهى يمكن أن تلتقى مع الذين فارقوا

بنا وتحدث معهم .. والانسان نائم .. يكون في عالم آخر غير
عالم اليقظة .. وتلتقى روحه وهو نائم مع امه او ابيه اللذين فارقا
الحياة منذ سنوات .. ويرى اشخاصا واشياء لم يعرفها في
حياته .. بل ولا تتفق مع منطق الحياة ..

ولكن ما الذى يجعل الانسان يرى وهو نائم ومغمض العينين
ما لا يراه .. وهو مستيقظ .. وما الذى يجعله يرى اماكن
لاشخاص لم يشاهدهم في حياته .. فاذا استيقظ ضاع كل هذا
.. وبماذا نفسر هذه الظاهرة .. نقول اننا حين نصل الى اشياء تقف
فيها عقولنا لانها تخالف ما نعتاد ونألف نضعها تحت عنوان
« سبحان الله » وليس كمثله شيء .. ذلك لاننا لا نعرف قوانين
الروح والجسد قائم .. ولا نعرف قوانينها بعد أن تفارق الجسد
.. ذلك غيب عنا .. تعجز عنه عقولنا .. لذلك نضعه تحت عبارة
« سبحان الله » وليس كمثله شيء ..

ونفسر هذه العبارة قليلا .. اذا قلت ان فلانا قد ضرب فلانا
بكل قوته .. هل تعنى شيئا .. الجواب ابدا .. لا يكون للشيء
معنى الا اذا نسب لفاعله .. ووضعت فيه قدرات هذا الفاعل ..
بمعنى اننى اذا قلت ان طفلا صغيرا عمره أشهر ضربنى بكل قوته
.. وقلت ان بطل العالم فى الملاكمة ضربنى بكل قوته .. فهناك
فرق كبير بين المعنيين .. الاول ضربه لا يؤثر فى .. ولا احس به
.. والثانى ضربه قد يقتلنى .. مع أن الاثنين قد استخدمنا كل
قوتهم التى وهبها الله لهما فى عملية الضرب .. ولكن الفعل هنا
يتناسب مع الفاعل .. فالطفل الصغير لا اكاد احس بضربه ..
وبطل العالم يستطيع أن يحطم ضلوعى بسهولة ..

لى قوة .. وله قوة

اذا اخذنا هذا المثل .. ووضعنا الله سبحانه وتعالى تحت عبارة
سبحان الله .. وليس كمثله شيء .. استطعنا أن نقرب كثيرا من

المعانى التى قد يستغلها البعض لاضلال البشر .. لله سبحانه وتعالى
 قوة .. ولى قوة .. ولكن هل قوتى مثل قوة الله سبحانه وتعالى ..
 لله سبحانه وتعالى علم ولى علم .. ولكن هل علمى مثل علم الله
 سبحانه وتعالى .. الله حى .. وأنت موصوف بالحياة .. فلا تقول
 ان حياتك مثل حياة الله سبحانه وتعالى .. وجود الله سبحانه وتعالى
 ليس كوجودك .. وعلمه ليس كعلمك .. وقدرته ليست كقدرتك
 .. ومن هنا يخرج وجه المقارنة .. حيث أنه لا مقارنة .. فالله
 بقدراته وقوته يأتى تحت وصف « سبحانه الله .. وليس كمثله
 شيء » .. ومن هنا فأننى لا يجب أن أنسب الى نفسى بالمدلول
 البشرى ما يقوله الله سبحانه وتعالى عن ذاته .. فعندما أتصور قوة
 الله لا أقارنها بقوتى .. ولكننى أقول سبحانه الله .. وليس كمثله
 شيء .. وعندما أتصور انتقام الله لا أقارنه بانتقامى .. وانما
 أضعه تحت عبارة سبحانه الله .. وليس كمثله شيء ..

ومن هنا تجد تحت هذه العبارة سبحانه الله وليس كمثله شيء
 .. اننا نستطيع أن نصل الى مدلول أشياء كثيرة .. فأنت مثلا
 لا تستطيع أن تتصور الا ما تراه .. وعندما يخبرك الله سبحانه
 وتعالى عن أشياء لا تراها تضعها تحت عنوان سبحانه الله وليس
 كمثله شيء .. لانه شتان بين رؤياك ورؤيا الله سبحانه وتعالى ..
 مثلا سبحانه الذى أسرى بعبده .. من الذى أسرى .. الله سبحانه
 وتعالى .. أسرى به الى المسجد الاقصى .. لا تأتى لى فى هذه الحالة
 بقوانين الزمان .. وقوانين المكان التى تنطبق عليك أنت .. والتى
 تستطيع أن تراها وتتصورها .. ثم تحاول أن تطبقها على فعل من
 أفعال الله .. لماذا .. لان الله ليس كمثله شيء .. ومن هنا فان
 هذه القوانين التى تحكمك لا تحكمه .. والزمان والمكان اللذان
 تخضع لهما لا وجود لكليهما عند الله سبحانه وتعالى .. لانه ليس
 كمثله شيء .. الذى أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم هنا هو الله
 سبحانه وتعالى .. ولذلك حين قال بعض الصحابة ايستطيع محمد

أن يذهب الى بيت المقدس .. ويصعد الى السماء .. ويعود في ليلة واحدة . نقول ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يدع ذلك .. وانما أسرى به .. والذي أسرى به هو الله سبحانه وتعالى .. والله ليس كمثله شيء .. ومن هنا فان قوانين الزمان والمكان .. وقوانين الدنيا كلها .. والقوة والقدرة الى آخر كل ما يتصوره البشر لا ينطبق على الاسراء .. لان الله هو الفاعل .. **والله ليس كمثله شيء** .. واذا كان كل شيء يأتي بالتشابه .. فان الذي يأتي من الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء .. ولذلك عندما نقول **سبحان الله وليس كمثله شيء** .. فاننا نعلو به سبحانه علوا كبيرا عن كل شيء يأتي بالتشابه .. اذن كل ما نطق به الله سبحانه وتعالى خذه على أنه له .. أما عن كيفيته فلا أحد يستطيع أن يصل اليه .. لماذا ؟ .. **لانه ليس كمثله شيء** ..

القدرة .. والعلم

ومن هنا عندما يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن معجزة من المعجزات التي يؤيد بها انبياءه .. أو عن عالم الملائكة والجن الذي لا نراه .. فنحن نعرف أن هذه حقائق .. لان الله سبحانه وتعالى قادر .. وقدرته لا تقارن بالدنيا كلها .. عالم وعلمه لا يصل الى ذرة من ذراته علم البشر .. ومن هنا فهو يخلق ما نرى .. ويخلق ما لا نرى .. ويخلق ما لانراه الآن .. وقد نراه في المستقبل ..

ولكن الله سبحانه وتعالى كما قلت لطيف بعباده .. ومن هنا فانه يضع في الكون آيات تقرب الى العقل البشري .. ذلك الذي يعجز عنه هذا العقل .. وتجعله قريبا من تصوره .. وهو بذلك يريد أن يدخل الاطمئنان الى قلوبنا .. وان يعطينا الايمان واليقين بحيث نستطيع أن نجابه المضلين .. وأن نرد عليهم .. والانسان المؤمن دائما في قلبه سكون .. وفي قلبه أمل .. ذلك أنه مؤمن بقدرة الله التي هي بلا حدود .. ويؤمن بأن الله الذي كتب على

نفسه نصر المؤمنين . . وكتب على نفسه انجاء المؤمنين . . وكتب
على نفسه أن يدافع عن الذين آمنوا . . تلك القدرة الهائلة . .
قادرة على حمايته . . وعلى دفع الضر عنه . . ولو كانت أسباب
الدنيا كلها ضده . .

ولكن كما يجادل بعض الناس في الروح . . يأتي واحد منهم
ويقول ما هذا عن عالم الجن والملائكة . . أنا لا أصدق إلا ما أراه
. . ويجادل . . ويجادل . . الى آخر هذا الكلام . . فإذا قلت
له هل شهدت الخلق . . هل شهدت خلق الجن والملائكة . . يرد
عليك وأنت أيضا لم تشهده . . وهنا ترد عليه بأن الله سبحانه
وتعالى قد وضع لنا في هذا الكون الدليل على أن ما فوق قدرة
العقل . . وما فوق قدرة البصر . . وما فوق قدرة السمع موجود في
هذا العالم منذ خلق الارض ومن عليها . . وانما هو خرج من علم
القادر . . وهو الله سبحانه وتعالى الى علم غير القادر وهو الانسان
. . ليبدل على أن ما هو فوق قدرة العقل موجود . . وما هو فوق
قدرة البصر موجود . . وما هو فوق قدرة السمع موجود . . ولتناقش
هذه المسائل الثلاث . .

ما هو فوق العقل موجود منذ الازل . . وإن كان قد أصبح في
قدرة العقل خلال السنوات الاخيرة . . فإن يطير الانسان في
الهواء مثلا بطائرة . . كان فوق قدرة العقل في الماضي . . بحيث
انك اذا قلت منذ مائة سنة مثلا . . انك ركبت طائرة . . وطرت
في الهواء . . لاتهمك الناس بالجنون أو بالكفر . . ولقتلوك . .
ولو قلت أنك تحدثت في آخر الدنيا فسمعك ملايين البشر في وقت
واحد . . لو قلت هذا منذ مائة سنة فقط لما صدقك أحد . . ذلك
أن هذا فوق قدرة العقل البشرى . . ولكنك الآن تذهب الى أي مطار
فتركب الطائرة . . وتطير في الهواء . . وتحدث في الاذاعة
فتسمعك الدنيا من أقصاها الى أقصاها . . كيف حدث ذلك . .

هل اخترع الانسان غلافا جويا جديدا للارض يمكنه من الطيران ..
هل دار حول الدنيا ليضع موجات الاثير .. لا هذا .. ولا ذاك
طبعاً .. انما الغلاف الجوى كما هو - منخلق الله الارض ومن عليها ..

وموجات الاثير كما خلقها الله سبحانه وتعالى منذ بداية الكون ..
ولكن الذى حدث أن الله أدخل الانتفاع بهذه الاشياء مما هو فوق
قدرة العقل البشرى الى علم البشر .. أى أن هذه الاشياء خرجت
من علم القادر الى علم غير القادر بكلمة كن .. فاستطاع الانسان
أن يطير فى الفضاء .. وأن يتحدث فتسمعه الدنيا كلها الى آخر
ما حققه وسيحققه العلم بقدرة الله .. وهذا دليل قاطع على أن ما فوق
قدرة العقل البشرى موجود .. وان العقل البشرى ليس هو الحد
الاعلى للعلم والمعرفة .. فى هذه الارض .. وأنه كلما تقدم الزمن
أعطى الله سبحانه وتعالى علما كان فوق قدرة البشر .. أعطاه
للقدرات البشرية .. حتى يستطيع الانسان أن يصل اليه .. وحتى
يؤمن الانسان أن ما فوق قدرة العقل موجود .. وحقيقة واقعة ..
وان يكن يجهلها ..

فوق الاسماع .. والأبصار

هذا بالنسبة للعقل .. أما بالنسبة لما هو فوق قدرة الاذن فذلك
شئ نعرفه . كل يوم .. اذا جلست أنت فى حجرة مغلقة ليس فيها أى
صوت وسألت أنا .. هل يوجد صوت فى هذه الحجرة .. تقول
لى أنا لا أسمع شيئاً .. وكونى لا أسمع شيئاً .. فانه لا يوجد
صوت فى هذه الحجرة .. فاذا « فتحت الراديو » سمعت مئات
الاصوات من جميع أنحاء الدنيا .. من أين جاءت هذه الاصوات
.. هذه الاصوات تسبح فى جو الحجرة .. ولكنك لا تستطيع
أن تسمعها بالاذن المجردة لانها فوق قدرة الاذن .. فاذا أثبتت

بآلة استطاعت أن تجعل هذه الاصوات فى قدرة الاذن .. كان فى
امكانك أن تسمعها وتميزها .. اذن فهذه الاصوات موجودة ..
ولكنك لا تستطيع أن تسمعها الا اذا آتيت بآلة تجعل أذنك قادرة
على أن تستمع اليها .. وربما فى المستقبل تكون هناك اختراعات
أخرى بما هو فى علم الله .. ولم يصل الى العلم البشرى ..
تستطيع أن تجعلك تسمع أصواتا لا تسمعها الآن .. ولا ندرى
عنها شيئا .. بل اننى اريد أن أزيد على هذه التجربة لمحة صغيرة
.. اذا آتيت بالراديو الترانزستور .. ووضعت سماعة الاذن
الصغيرة فى أذنك .. وجلسنا نحن الاثنين معا بجوار بعضنا البعض
.. وبالثنى هل أسمع شيئا .. فسأقول لا .. هل يوجد صوت
هنا .. فسأقول : لا .. بينما أنت جالس الى جوارى .. والسماعة
فى أذنك تسمع الدنيا كلها .. كما تشاء .. وأنا بجانبك لا
أسمع شيئا .. ما معنى هذا .. معناه ان الجهاز الذى تستخدمه
قد جعل الاصوات التى تسبح فى الحجرة ... التقطها وجعلها
فى مقدرة أذنك .. بينما أنا جالس الى جوارك .. وفى نفس المكان
.. ولكن هذه الاصوات فوق قدرة سمعى .. هل معنى ذلك أن
الاصوات التى تسمعها أنت بسماعة الراديو غير موجودة .. لاننى
لا أسمعها .. مستحيل .. ولكن معناه أن هذه الاصوات التى
تسمعها أنت وحدك .. والتى هى فوق قدرة أذنى موجودة ..
ولكنى غير قادر على سماعها لأنها فوق قدرة أذنى ..

بذلك نكون قد وصلنا الى أن ما هو فوق قدرة العقل موجود ..
وما هو فوق قدرة السمع موجود ..

ثم نأتى الى ما هو فوق قدرة البصر ..

أنت تقول أنا لا أرى العوالم الأخرى التى يتحدث عنها الله ..
ومن هنا فهى غير موجودة .. وأنا أتى لك بقطعة ماء من التربة
.. وأقول لك هل ترى فى هذا الماء شيئا .. ستقول لا .. وعندما

أضع الماء تحت الميكروسكوب تظهر فيه مئات الجراثيم الدقيقة الحية
التي تتحرك بشكل عجيب .. أقول لك أنظر في الميكروسكوب ..
سترى هذه الجراثيم .. بينما أن الإنسان المريض حينما تأخذ نقطة
من دمه .. فانك لا ترى فيها شيئا .. فإذا وضعتها تحت الميكروسكوب
.. أو وضعت عليها سائلا معيناً تكتشف جراثيم وأشياء عجيبة
.. أين كانت هذه الأشياء .. كانت فوق قدرة بصرك .. فعندما
استعنت بآلة مكبرة جاءت من خارج قدرة البصر لتصبح من الممكن
رؤيتها .. ولكن هل عدم رؤيتك لهذه الجراثيم معناه أنها غير
موجودة .. أو هذه الجراثيم لم تكن موجودة قبل اختراع
الميكروسكوب .. كانت موجودة قطعا .. ولكنها كانت فوق قدرة
البصر .. وجاء اختراع الميكروسكوب ليدخلها من فوق قدرة البصر
الى القدرة البشرية .. ولكنها كانت موجودة رغم أنك لا تراها ..

وإذا جلست في حجرة فيها تليفزيون .. هذه الحجرة ليس
فيها صورة .. فإذا فتحت التليفزيون أصبحت الحجرة فيها صورة
.. بل ورأيت وانت جالس أمامك انساناً يمشى فوق القمر .. هل
في قدرة البصر أن يرى انساناً يمشى فوق القمر .. الجواب نعم
.. إذا استخدم امكانيات الله في الكون .. ولقد استخدم العلم
امكانيات الله في الكون في نقل الصورة من مكان الى آخر .. فالتعلم
لم يخترع طبقات الجو التي تنقل الصورة .. ولا يستطيع أن
يخترعها .. بل اكتشفها بكلمة كن .. والله هو القادر الذي كان
في علمه كل هذا .. وأخرجه الى علم غير القادر .. وهو الانسان
.. لماذا .. ليعلم الانسان علم اليقين .. ان ما هو فوق قدرة عقله
موجود .. وان ما هو فوق قدرة سمعه موجود .. وان ما هو فوق
قدرة بصره موجود .. حتى اذا حدثه الله سبحانه وتعالى عن قضية
غيبية هي فوق قدرة العقل .. أو السمع .. أو البصر .. عرف
يقينا انها موجودة .. وان ما يقوله الله سبحانه وتعالى حق ..
اذن ما هو فوق قدرة الانسان موجود فعلا .. وموجود بفرق شاسع

جدا .. هو الفرق بين قدرة المخلوق والخالق .. والله سبحانه وتعالى أراد الا تكون هذه القضية الايمانية .. وهي قضية الغيب الا تكون مادة للمضلين ليضلوا بها الناس .. ويعمهم عن طريق الله .. فجعل العقل البشرى نفسه ينتقل بقدرة الله ومن جيل الى جيل مما هو مستحيل عقليا الى ما هو ممكن .. ليثبت ان ما فوق قدرة العقل موجود .. وجعل الاذن تستطيع بقدرة الله ان تنتقل مما هو فوق قدراتها العادية .. وجعل العين تستطيع ان ترى ما لم تكن تعلم بانها ستراه .. وكان الله سبحانه وتعالى يستطيع ان يعطى كل هذا العلم للعقل البشرى فى اللحظة الاولى التى خلقه فيها .. ولكنه لم يرد ذلك حتى يكون المطاء للانسان عطاء فيه اثبات لقدرة الله .. وفيه اثبات لوجود الغيب .. وفيه اثبات لما هو فوق القدرات البشرية ..

علم البشر

على ان العلم البشرى يتحدد فى شيئين رئيسيين .. علم مادي يخضع للتجربة البحتة .. لا يدخل فيه سوى البشر .. ذلك العلم هو الذى يتناول المادة فقط .. وهو الذى يمكن ان يفحص فى المعمل .. وتجربى عليه التجارب .. وليس فيه سوى النفس البشرية .. وهذا العلم هو الذى اتاحه الله للعقل البشرى .. وطلب منه ان يجتهد فيه .. ووعد الله بان يكشف آياته فى الكون لأولئك الذين يعملون .. ويبحثون .. ويجرون التجارب .. ويجتهدون .. وعلم آخر هو علم تدخل فيه الاهواء .. وذلك مالا يدخل فى معمل .. ولا يمكن اجراء تجارب عليه .. وهذا العلم مثل النظريات الفلسفية .. والسياسية .. وكل شئ لا يخضع لتجربة المعمل .. هذا العلم يختلف فيه الاهواء وتتصارع .. وسيظل الصراع بينهما الى يوم القيامة .. لان هذا العلم لا يستند على اساس مادية موضوعية بحتة .. وانما تدخل فيه الاهواء الشخصية ..

النوع الاول من العلم صاحبه يظل يعاني حتى يصل الى هدفه
 فاذا وصل الى الهدف استفاد منه الناس كلهم .. فالعالم مثلا
 الذى يجرى تجارب فى معمله .. على اختراع جديد .. أو شيء
 جديد .. يظل يسهر ليلالى طويلة حتى يصل الى نتائج .. فاذا
 وصل الى نتائج استفادت منها البشرية كلها .. واذا أردنا أن
 نضرب مثلا لذلك .. فهناك مثلا اكتشاف الكهرباء .. واختراع
 الراديو والتليفزيون .. والتليفون .. الى آخر هذه الاشياء التى
 اقتضت بحثا من اصحابها .. فاذا وصل البحث الى نتيجة استفادت
 منها البشرية كلها ..

اما النوع الثانى من العلم .. فهو الذى يخضع للهوى .. فان
 صاحبه هو الذى يستفيد .. وغيره يعاني ذلك .. انه يضع العلم
 على هواه .. وعلى أساس ما يرضيه هو .. ومن هنا فان صاحب
 النظرية الفلسفية أو السياسية .. لا يعاني شيئا بقدر ما يعاني
 أولئك الذين يخضعون لها .. أو ينفذونها ..

علافا قسم العلم

ماذا قسم العلم للبشرية .. تعالوا نناقش ذلك من واقع التجربة
 العلمية .. أن أساس الحياة البشرية من خلق الله سبحانه وتعالى
 لم يتغير .. ولم يتبدل .. ولا يستطيع العلم أن يجد له بديلا ..
 وانما العلم يقدم الرفاهية للبشر .. أى أنه يجعل الحياة أكثر
 سهولة .. وأكثر نعومة .. ولكنه لا يعطينا مقومات الحياة .. بل
 أن الله سبحانه وتعالى علما منه بظلم الانسان للانسان .. جعل
 مقومات الحياة فى يده .. وما أعطاه منها ليد البشر .. أعطاه
 بشكل لا يجعل الانسان قادرا على اهلاك الانسان باستخدام أسباب
 الخلق ..

ولنشرح هذه النقطة قليلا .. مقومات الحياة من كرة أرضية
 .. وشموس .. ونظام كونى لادخل للانسان فيه .. ولايستطيع

الانسان بعلمه أن يتدخل ليخلق كرة أرضية جديدة .. أو شمسا جديدة .. أو نجوما جديدة .. أو سماوات جديدة .. الى آخر هذا .. هذا خلق الله .. والعلم اذا استطاع أن يكتشف الآيات فيه .. يكون قد تقدم تقدما هائلا .. ولكنه لن يستطيع أن يخلق شيئا فيه .. أو يبدله .. أو يغيره .. واذا كنا نتحدث الآن .. ونحن في عصر العلم .. فتلك حقيقة هامة .. لا يستطيع أحد الجدل فيها ..

نأتى بعد ذلك الى مقومات الحياة على الارض .. الهواء .. والماء .. والطعام .. لوازم ثلاثة لحياة الانسان على الارض .. الانسان بطبعه لا يستطيع العيش بدون الهواء أكثر من دقيقة أو دقائق .. ولذلك أخرج الله الهواء من قدرة البشر على التحكم فى البشر .. فالله شاء أن يكون الهواء مباحا للناس جميعا .. لا يستطيع واحد أن يمنعه عن مجموعة من الناس فتهلك .. بل انه أخضع الهواء لعدله .. فكان متساويا بين الناس جميعا .. فقيرهم وغنيهم .. وعظيمهم وحقيرهم وذلك الذى لا يملك من أسباب الدنيا شيئا ..

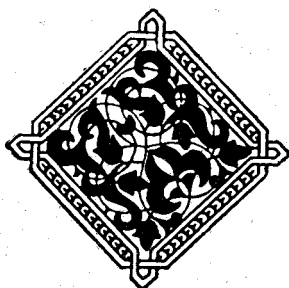
فهم جميعا يتنفسون بنفس السهولة .. ونفس الطريقة دون أى عناء .. يصلهم الهواء الى حيث هم .. وأينما كانوا .. فى حجرات مغلقة .. أو فى الطريق .. أو فى السيارة .. أو فى أى مكان فى العالم .. فان الهواء يصلهم سهلا .. ميسرا .. متاحا للجميع .. وهذا عدل الله سبحانه وتعالى .. ولادخل لبشر فيه

نأتى بعد ذلك الى الماء .. وهو ما يستطيع الانسان أن يعيش بدونه يوما .. أو عدة أيام .. نجد أن القدرة على اختزان الماء قليلة .. والقدرة على منع الماء عن البشر قليلة .. ومحدودة .. وإن كانت لها امكانيات .. وهنا يتدخل ظلم الانسان .. ولكن بقدر محدود جدا .. نظرا لاهمية الماء للحياة .. البشرية ..

ثم فأتى بعد ذلك للطعام .. فنجد ان قدرة الانسان على اختراعه ومنعه .. اكبر .. ولكن احتمال الانسان لعدم تناول الطعام أكثر .. ومن ثم فان الانسان يستطيع أن يتحمل عدة أيام بدون طعام .. ولكنه في نفس الوقت يستطيع الانسان أن يحصل على ما يقيم أوده .. أو يبقى الحياة في جسده بسهولة .. نظرا لان الكمية التي يحتاج لها الجسم البشرى من الطعام قليلة نسبيا .. فهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيمات يقمن أوده أو كمية محدودة من الطعام .. وكلما زاد اقبال الانسان على الطعام فسد جسده واعتلت صحته .

هذه هي مقومات الحياة الثلاثة .. شئ لا يستغنى عنه الانسان ولا يستطيع الحياة بدونه أبدا .. وهو الهواء .. نافذ فيه عدل الله .. ليحصل كل أنسان على حاجته بلا عناء .. وشئ يستطيع الانسان أن يستغنى عنه يوما وهو الماء .. متوافر للناس .. وشئ ثالث وهو الطعام تحكم البشر فيه أكثر .. ولكن احتمال الانسان للعيش بدونه أكبر .. وهنا ترى عدالة السماء في توزيع مقومات الحياة ..

ادعوا الله أن يوفقنا سواء السبيل .. ويهدينا الى صراطه المستقيم ..



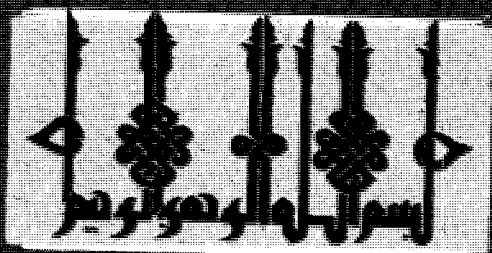
حديث قري

● ● ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم ، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ، ويتبلى لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم من دنى على كئيبان المسك والكافور ، وما يرون أن اصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا . قيل : يا رسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا ، قال : كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا ، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يارب أفلم تغفر لي ؟ فيقول : فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه . فبينما هم على ذلك اذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ، ويقول ربنا : قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوها ما اشتهيتم ، فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون

الى مثله ، ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب ،
 فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ويشترى . وفي
 ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا فيقبل الرجل
 ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى ،
 فيروعه ما يرى عليه من اللباس ، فما يقضى آخر حديثه
 حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي
 لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف الى منازلنا فيلقانا
 أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من
 جمال أفضل بما فارقتنا عليه فنقول : انا جالسنا اليوم
 ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب الى ما انقلبنا

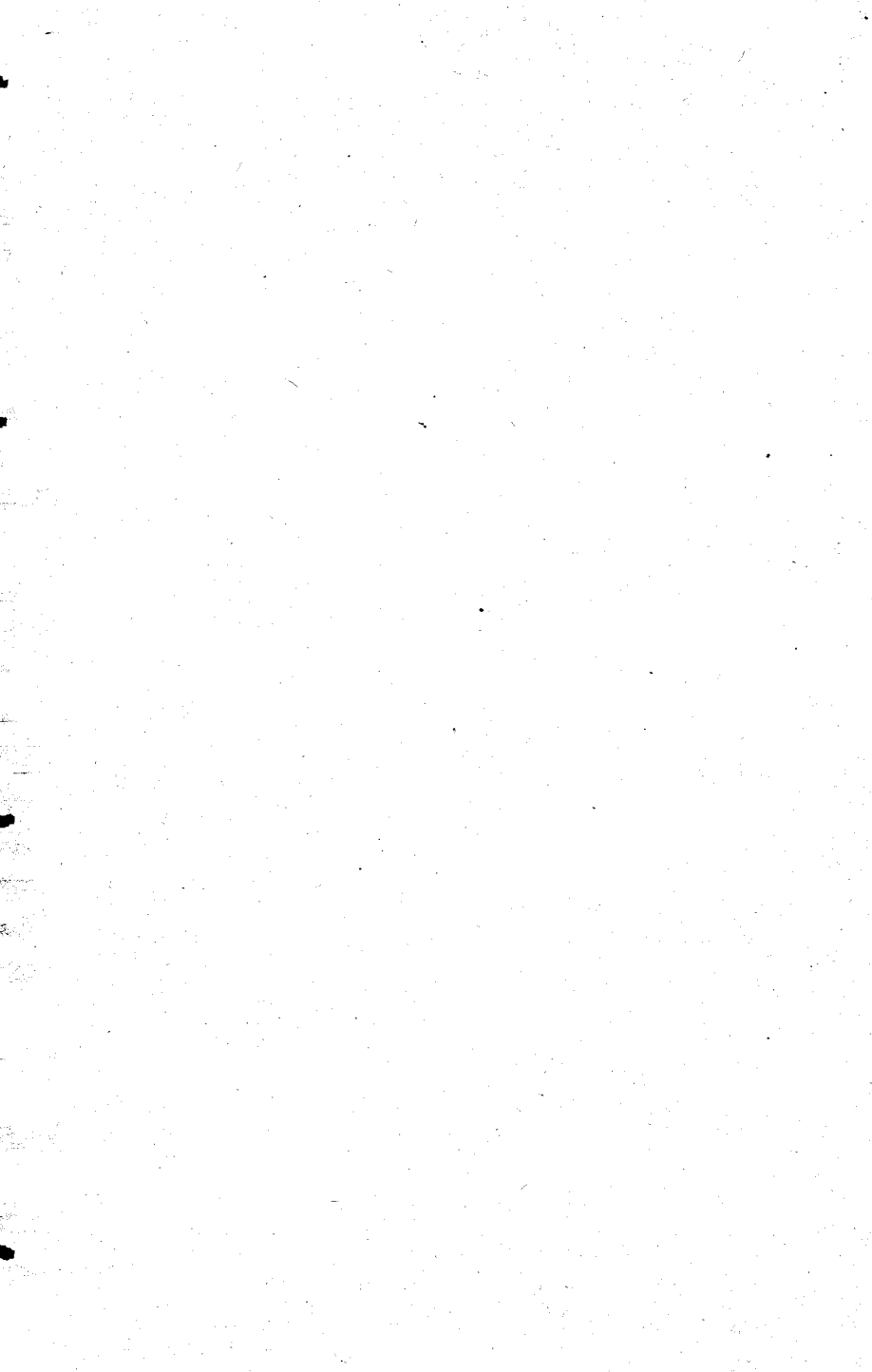


●● أن أول ما يحاسب به العبد
 صلاته ، فان صلحت صلح سائر
 عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله .
 ثم يقول : انظروا لعبدى من نافلة ،
 فان كانت نافلة آثم بها الفريضة ،
 ثم يتم الفرائض الاخرى كذلك
 بفضلته ورحمته .



معجزة القرآن

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

القرآن الكريم بدأ بالفاتحة وهي أم الكتاب .. والفاتحة بدأت
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .. وأسباب الحمد
كثيرة لأننا نحمد الشيء لذاته .. لأن فيه خصالا تستحق الحمد ..
وتحمد الشيء لصفاته .. فعندما نرى شيئا جميلا كلؤلؤة بديعة ..
نمدح صفاءها .. أو زهرة جميلة .. نمدح جمالها .. والحمد يكون
أيضا على النعم أو على وجه الدقة على ما نالك من النعم .. فاذا أحسن
إليك انسان فأنت تحمده على احسانه .. واذا أعطاك شيئا فأنت
تحمده على عطائه .. الحمد أيضا يأتي لما أطمع في الحصول عليه
.. فأنت تمدح انسانا لأنك تعرف أنك ستنال منه خيرا .. ومن
هنا فانك تقدم المدح لتحصل على الخير



والحمد يأتى من الخوف من العقاب ومن وجودى تحت سيطرته
.. فاذا ارتكبت خطأ ، وكان هناك من يستطيع أن يعاقبني على الفور
ويبطش بى .. ولكنه قدم الرحمة على البطش والعقاب .. فانا أحمد
لأنه قدم رحمته على عدله وعقابه

هذه هي بعض العناصر التي يمكن أن تكون أساسا للحمد .. فاذا
أتينا الى الله سبحانه وتعالى .. وجدنا كل هذه العناصر وأكثر منها
تستوجب الحمد لله .. فنعم الله سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى ..
ويعطى .. ويفتح الأبواب المفلقة .. ويسير السبل في الدنيا ..
ويعطى الصحة والمال .. ويوفق في العمل .. ويصيب بحيره من يشاء ..
وهو في كل هذا معط لا يأخذ شيئا .. أى أنه سبحانه وتعالى
غير محتاج لنا في شيء .. نحن جميعا لانزيد ملك الله شيئا ولا ننقصه
شيئا .. والله خزائنه لا تفرغ أبدا .. ولا يستطيع أحد أن يعد نعم
الله أو يحصيه .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز
« **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » .. ومع تقدم احصاءات الدنيا
كلها فان أحدا لا يستطيع ولا يحاول أن يحصى نعم الله سبحانه وتعالى
.. وهي نعم .. ظاهرة ونعم باطنة .

ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى الذي لا تعد نعمه ولا تحصى ..
والذي لو أردنا أن نحمده ما وفيناه حقه .. ولو بقينا طول عمرنا
نلهج بالشكر والثناء

الله سبحانه وتعالى رحمة منه بالعالمين قد جعل الشكر له في
كلمتين اثنتين « الحمد لله » .. والعجيب في هذا .. أنك تأتي لشكر





بشرا على نعمة واحدة أسداها اليك وتظل ساعات وساعات تلهج
بالشكر والثناء .. وربما لا يرضيه كل هذا .. ولكن الله سبحانه
وتعالى جلت قدرته وعظمته انما يكتفى بكلمتين اثنتين « الحمد لله »
.. وذلك ليعلمنا مدى القدرة .. ومدى الشكر .. والله الذي لا تعد
نعمه ولا تحصى في الدنيا والآخرة .. هو الذي يعدنا حسن الجزاء
في الآخرة والحياة الطيبة في الدنيا والذي يقدم لنا فوق ما يقدم
البشر في العالم .. وفوق قدرة هذا البشر جميعا انما يكتفى منا
بكلمتين اثنتين لشكره هما « الحمد لله »

الله الذي يعطي بلا حساب وينعم على كل المخلوقات .. يكتفى
بكلمتي الشكر هاتين .. ولذلك جاءت الحمد لله فاتحة الكتاب ..
وجاءت أيضا خاتمة في قوله تعالى « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين » .. فكان الحمد واقع في الدنيا والآخرة .. واقع والخلق
في حياتهم .. وواقع بعد أن ترجع الأمور كلها الى الله سبحانه
وتعالى

ولقد كان يصعب على العقل البشرى أن يجد الصيغة المناسبة ليحمد
هذا الكمال الالهى .. ومهما أوتي البشر من بلاغة وقدرة فهم عاجزون
عن أن يصلوا الى ما يفى الله حقه .. ولذلك علمنا الله سبحانه وتعالى
في أول الكتاب كيف نحمده .. وسوى بين عبده جميعا في عيفة
الحمد .. لأن المطلوب من كل عبد من عباد الله أن يحمده على نعمه ..
وليس كل عباد الله بقادر على أن يضع صيغة مناسبة لحمد الله سبحانه
وتعالى



فحين يعلمنا الله أن نحمده بقولنا « الحمد لله » فهو يعطى
 الفرصة المتساوية المتكافئة لعبيده بحيث يستوى فى ذلك التعلم
 والامى .. اذن فتعليم الله لعبيده ضيقة الحمد نعمة أخرى يستحق الله
 سبحانه وتعالى الحمد عليها .. ولذلك فان الانسان اذا اراد أن يحمدا
 الله على نعمه .. فانه يجب أن يحمده أيضا على تعليمه نعمة الحمد .
 فيظل العبد دائما حامدا .. ويظل الله سبحانه وتعالى دائما محمودا .

على أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يضيح على شفاهنا كلمة الحمد
 خلق لنا النعم التى تتعلق بالحمد .. واذا نظرنا الى ترتيب الأشياء
 لوجدنا أن نعمة الله على الانسان تسبق وجود الانسان .. فقد خلق
 الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وقدر فيها أوقاتا ورزقها ..
 وعندما وجد الانسان بكلمة « كن » .. كانت النعم موجودة .. بل
 ان آدم عليه السلام أبا الانسانية عندما خلقه الله سبحانه وتعالى
 عاش فى جنة لا يتعب فيها ولا يشقى .. كل شىء متوافر فيها لحياته
 .. وآدم انسان بلا ماضى .. أى أنه جاء الى الحياة دون أن يكون
 له ماضى يسبقه .. ولكن نعم الله سبحانه وتعالى كانت تسبقه وتنتظره
 لتعطيه الحياة الطيبة التى لم يصنعها لنفسه .. ولكن صنعها الله
 سبحانه وتعالى له .

هذه مقدمة عن معنى « الحمد لله » .. وهى مقدمة يجب أن نقولها
 شكرا لله على كل نعمة أنعمها الله علينا .. وهى مقدمة يجب أن تسبق
 ما سنحدث عنه فى فصول هذا الكتاب عن (الله والكون) ..
 و (الشك والوجود) و (ظواهر الأشياء وحقيقتها) و (معجزة
 الاسراء والمعراج) .. ولنبدأ حديثنا عن الله والكون ..



• الفصل الأول •

الله .. والكُون

حينما أتحدث عن الله سبحانه وتعالى .. وعن قضية الوجود ، نجد أن هناك كثيرين يحاولون التصدي لهذه القضية بالتشكيك أو بالإنكار ويجهدون أنفسهم في محاولة للوصول الى أدلة مضللة تثبت نظرياتهم التي تفتقر الى الدليل الصحيح

وأحب قبل أن نبدأ هذا الحديث أن أقول ان أمنية كل مسرف على نفسه .. أمنية كل من كانت مصيبتة في دينه ، أمنية كل انسان يعصى الله ، ان يحاول جاهدا الوصول الى ما يشكك في الوجود الالهي .. وهذا تابع من أن في داخل كل انسان عاص شيئا يؤرقه وهو يحس أن هناك حسابا وأن هناك آخرة . وأنه سيلقى الله .. وهذا يجعله ينطلق في محاولاته للتشكيك في الدين .. عل نفسه تنخدع ولو كذبا بانه لا حساب ولا عقاب

ولقد أجهد الفلاسفة أنفسهم خلال سنوات طويلة في محاولاتهم للتشكيك في الأديان السماوية .. واستخدموا في ذلك عقولهم وخداع المنطق في هذه المحاولات .. بينما ذهب عدد آخر من الفلاسفة الى

أن الدين عبودية ، وان التحرر من الدين هو الحرية .. وكلا الافتراضين خاطيء فيما يدعيه

والايمان بالله قضية مثارة اجهد الناس أنفسهم فيها .. كل واحد يحاول ان يصل الى وجهة نظره فى هذا الموضوع .. ومعنى هذا الجدل كله الذى يمضى ولن ينتهى .. ومعنى البحث عن أدلة عن القوة الموجودة وراء العالم المادى .. أو أدلة تنفى وجود هذه القوة .. معناه أننا نعرف الله بالفطرة .. وأنه يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد أن الله موجود .. والا لما أنهكت النفس البشرية قواها فى هذا الجدل ، ولكان العقل البشرى يعيش سعيدا مطمئنا بالعلم المادى الذى خلقه الله له

ولكننا اذا نظرنا الى اولئك الذين يعبدون المادة ، نجد فى داخلهم قلقا رهيبا يؤرقهم .. ويخيفهم رغم نجاحهم المادى .. ونجد أعلى نسبة للجنون والانتحار هى فى أكثر دول العالم تقدما من الناحية المادية .. ذلك ان الانسان قد يحقق من النجاح المادى ما يحسده عليه كثيرون من الذين ينظرون الى الحياة الدنيوية وحدها .. ولكنه رغم هذا النجاح يعيش فى قلق رهيب لانه لم يحقق الانسجام بين نفسه وبين الكون .. فالانسجام بين النفس والكون لا يكون الا بالايمان بالله واتباع منهجه

ولنقرأ الآية الكريمة التى يفزع اليها كل مؤمن وهى آية الكرسي يقول الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية «الله لا اله الا هو الحى القيوم» .. ومعنى الحى انه دائم الحياة لا يدركه الموت .. لانه هو الذى خلق الحياة والموت .. ومعنى القيوم اى القائم على ملكه . وهذه تحتاج الى تفسير .. فبعض الناس يعتقد ان الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا الكون ووضع له قوانينه .. ثم تركه يسير حسب القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى .. وهى قوانين دقيقة لا تختل بالزمن ولا تتأثر بأى شئ .. ولكن الله سبحانه وتعالى يريد ان يخبرنا انه

خلق الكون ووضع له قوانينه ولكنه قائم عليه .. أى أن الله سبحانه وتعالى قائم على ملكه لا يتركه لحظة واحدة

ما معنى هذا الكلام .. معناه أن الله جل جلاله فى وجوده .. يعلمنا الا نياس ابدا .. لماذا .. ؟ لان الله سبحانه وتعالى وضع قوانين الكون وطلب منا ان نأخذ بالاسباب وان نتبع هذه القوانين .. ولكن حينما نعجز امام هذه القوانين ونأخذ بالاسباب فلا نصل الى شئ ، فهناك دائما «القيوم» القائم على ملكه الذى يمكن ان يفتح الابواب ويحقق ما نحسبه مستحيلا أو غير ممكن .. فحينما لا تستجيب الاسباب فان المؤمن يفزع الى ربه .. ويصيح قائلا « يارب » ايمانا منه بان الله سبحانه وتعالى قائم على كونه .. ينصر الحق على الباطل .. والمظلوم على الظالم .. ومن هنا حين يفزع الى الله سبحانه وتعالى .. إنما يعلم ان الله قادر متى عجزت الاسباب .. وانه اذا كان قد اخذ بالاسباب ولم تستجب اليه فالله سبحانه وتعالى هو قائم على كونه فى كل لحظة وثانية .. يمكنه ان يبدل العسر يسرا .. والياس املا وفرجا .

فهاجر رضى الله عنها تركت وليدها عند بئر زمزم وانطلقت تسعى من اجل الماء .. ولكن الاسباب لم تستجب لها .. وبعد سبعة اشواط تعبت وتسرب اليأس الى قلبها .. فضرب وليدها الارض بقدمه .. وهو الضعيف الذى لا يملك من اسباب الدنيا شيئا فانفجر الماء ..

ومحمد عليه السلام أخذ بالاسباب فى الدعوة .. وعندما خرج من مكة الى الطائف ولقى مالقيه من الصبية والسفهاء .. جاءت الاسباب من الله لتحديث الاسراء والمعراج تثبيتا لرسول الله .. ثم اخذ رسول الله صل الله عليه وسلم يدعو اهل مكة والوفود التى تصل اليها فى الحج الى الاسلام فيعرضون .. ثم جاء وفد من المدينة ليبايع رسول الله ، وكانت بداية الهجرة وانتصار الاسلام

ولو نظر كل منا الى حياته لوجد انه قد مر فيها بأوقات توقفت فيها كل الأسباب ، وأحس باليأس ألقا تل ٠٠ وجلس يقلب المشكلة فلا يجد حلا ٠٠ ثم فجأة يأتي الحل من حيث لا يعلم ولا يدري ٠ اذن فالله سبحانه وتعالى قائم على ملكه ، تفزع اليه النفس المؤمنة فى حالة اليأس فتحس بالاطمئنان والطمأنينة ٠٠ لان الله سبحانه وتعالى يسمع ويرى وهو قائم على ملكه لا يتركه ابدا ٠

ثم تمضى الآية الكريمة « لا تأخذه سنة ولا نوم » ولا تأخذه اى انه لا ينام ابدا ولا يغفل ٠٠ وهنا يريد الله ان يزيد اطمئنان النفس التى يصيبها الفزع من هموم الدنيا ، يريد أن يعيد اليها الطمأنينة والأمان ٠٠ يقول سبحانه « لا تأخذه سنة » اى لا يغفل عن شىء أبدا ولا لحظة ، ومن هنا فان هذه النفس المؤمنة تكون مطمئنة لان الله سبحانه وتعالى ليس غافلا عما يعمل الظالمون ٠٠ « لا تأخذه سنة » وتكون هذه النفس فى حياة طيبة تنام ليلها ملء جفونها ٠٠ لماذا ؟ لان الله سبحانه وتعالى لا ينام ٠٠ ومن هنا فانه يقول لصاحب النفس المؤمنة ٠٠ نم أنت ولا تخش شيئا فاننى لا أنام ٠٠ أنا أحرسك وانت نائم وانت مستيقظ ٠٠ فلا تدع القلق يدخل نفسك وتحسب انك ان نمت ليك نال منك اعداؤك ٠٠ تذكر دائما وانت تذهب الى فراشك لتنام والقلق يملأ قلبك فاننى أنا الله لا أنام وأعرف وأشهد كل شىء فكن مطمئنا لى ، وكن مطمئنا لحمايتى ٠٠ واذا كان الانسان ينام مطمئنا اذا وضع على باب منزله حارسا أو خفيرا أو رجلا ساهرا لا ينام الليل ، فكيف بمن يحرسه الله وكيف يكون الامن الذى يحس به وهو يعلم ان القوة التى خلقت هذا الكون كله وأوجدته هى التى تحرسه ٠٠ ومن هنا فان المؤمن يحس دائما بالاطمئنان الى الله وبالأمان فى رعاية الله له فى احلك الاوقات وفى أشد اللحظات ٠

وتمضى الآية الكريمة لتزيد من انسجام النفس البشرية مع الكون الذى خلقه الله فيقول الحق « له ما فى السموات وما فى الارض » هنا زيادة فى ادخال الاطمئنان على النفس البشرية فالله سبحانه وتعالى

يقول لعبده مم تخاف من رزق لن تحصل عليه غدا ، أو من عمل لن تنجزه غدا ، أو من مال محتاج اليه لن يأتيك غدا .. تذكر ان كل مافى السموات ومافى الارض هو ملكى أعطى من أشياء وأمنع عن أشياء .. ففيم القلق وأنا الذى املك واعطى .. وفيم التفكير وأنا قادر على ان أعطيك ماتريد ، لان كل الذى تراه أمامك وكثيرا مما لا تراه هو ملكى أعطى منه ما أشياء لمن أشياء .. إياك ان تغزع منى الغد وان تخاف وان تحس انك وحدك فى هذه الدنيا .. بل اننى معك وأنا حى لا أموت .. دائم الوجود ولا انام أبدا ولا أغفل .. كل شىء فى السموات والارض هو ملكى .. وما دمت انت عبدى وآمنت بى .. فاطمئن الى قضائى .. فان كنت ارزق من يكفر بى واطلب منك أن تستر من عصائى .. فكيف بمن أطاعنى وآمن بى !

وتمضى الآية الكريمة فتقول « من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه » .. وهنا يريد الله سبحانه وتعالى ان يؤكد لنا انه لا يعطى الشفاعة الا لمن اذن له .. اى انه سبحانه وتعالى يريد ان يقول لا تخف من اى انسان فى الدنيا مهما كان ظالما .. ولا تخش احدا مهما كان جبارا .. فهؤلاء جميعا ليس لهم شفاعة عندى حتى امكنهم منك .. ولكن الذى له الشفاعة عندى هو من آذن له .. ومن يأذن الله له يجب ان يكون قريبا من الله .. وكل ظالم وجبار فى الارض هو بعيد عن الله سبحانه وتعالى .

ثم تمضى الآية الكريمة بعد ذلك فتقول « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » .. أى أن الله سبحانه وتعالى يريد زيادة فى ادخال الايمان والاطمئنان الى قلب من يعبده فيقول له ولا تحسب اننى لا اعرف ما يحدث وما يدبر لك فاننى اعلم ما بين ايديهم ، اى ما يظهرونه ، وما خلفهم ، اى ما يسترونه أو يخفونه .. لاننى مطلع على الاعمال وعلى النوايا وعلى ما تخفى الصدور .. ولذلك لا تخش ان يفوتنى شىء .. أو يخفى على اى من خلقى حتى ما يدور فى صدورهم .. ولا يبوحون به لاحد ..

وقول الله سبحانه وتعالى « يعلم السر وأخفى » معناه ان الله سبحانه وتعالى يعلم السر .. ما هو السر .. شيء مشترك بين اثنين .. اى شيء اعتزمت ان اقوم به وأسررت به لأحد من اصدقائى أو أقاربى .. ذلك ان السر ، اى ما يسر به لغيره .. اى ما يقوله له فيما بينهما سرا .. وما اخفى اى ما يخفيه فى صدره ولا يوح به لأحد .. اى يبقى هذا الامر فى صدره .. ولا يخرج الى لسانه ابدا .. وبقاؤه فى صدره دون أن يسر به لأحد لا يجعله خافيا على الله سبحانه وتعالى .. ولكن الله مطلع عليه اذا كان هذا هو الحال .. فم تخاف .. واذا كان الله يعلم كل شيء فما الذى يفزعك .. واذا كان الله لاينام فلماذا تخشى انت النوم أو يذهب النوم عن عينيك ؟

ثم يقول الحق تبارك وتعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » .. اى ان علم الله سبحانه وتعالى لايمكن ان يحيط به احد الا ما يعطيه الله لمن شاء .. وهناك علم يعطيه الله لمن شاء من عباده .. وهناك علم يعطيه الله للبشرية كلها .. وهناك علم يختص الله به نفسه ولا يعطيه لأحد من عباده

والعلم الذى يعطيه الله لمن يشاء من عباده هو ما يعطيه الله لرسله وأوليائه الصالحين وهذا يكشف بين الله وبين من شاء من عباده لايمكن التحدث فيه لانه عطاء محدود بالعبد ذاته . ومختص به وليس موضوعا عاما للمناقشة .. اما العلم الذى يعطيه الله للبشرية كلها فهو العلم المادى الذى يكشف الله عنه للبشر جيلا بعد جيل .. وهذا العلم لكل جزء فيه ميلاد حدده الله سبحانه وتعالى فاذا صادف مولد هذا العلم انسانا أو اناسا يبحثون ويجهدون للوصول اليه اعطاه الله سبحانه وتعالى لهم .. واذا لم يصادف هذا العلم اناسا يبحثون عنه اعطاه الله للبشرية بما نسميه (الصدفة) .. كأن يكون هناك باحث يبحث عن شيء فيكتشف شيئا آخر مغالفا له تماما .. هذا الكشف الذى لم يأت مطابقا للبحث الذى يتم وانما جاء بطريقة الصدفة يكون كشفا من الله لان موعد ميلاد العلم للبشر قد أتى ..

ولذلك فأننا نسمع كثيرا عن عالم يجرى بحثا للوصول الى تسائج معينة .. وفجأة وهو في أبحاثه يفاجأ باكتشاف لم يكن يتوقعه ولا يعرف انه سيصل اليه .. كيف تم ذلك .. ؟ نحن نقول بطريق الصدفة .. ولكنه في الحقيقة هو موعد ميلاد العلم للبشرية . ولذلك خرج الى الوجود من علم الله الى علم البشر بكلمة « كن » .. لان موعد ميلاده المحدد منذ الأزل قد حان

هذا هو العلم البشرى .. اما علم الله سبحانه وتعالى الذي يختص به نفسه فهذا لا يصل اليه بشر .. وهنا ونحن نأخذ المعنى الاجمالى للآية نجد ان الله سبحانه وتعالى يقول . ومهما كان علم اولئك الذين يتربصون بك .. ومهما أعدوا .. فان الله هو الذى يعلم .. ويعلم فوق علمهم .. ويعلم ما يفسد هذا العلم ويجعله عاجزا .. كل هذا ليحس القلب المؤمن بالاطمئنان الى قضاء الله .. وبأنه فى أمان وأمن مادام الله سبحانه وتعالى يرعاه ويحرسه

على اننى قبل ان امضى فى هذا الحديث اريد ان اشرح نقطة هامة تكمل المعنى .. هى ان الله سبحانه وتعالى له عطاء ربوبية .. وعطاء الوهية .. الله سبحانه وتعالى كرب العالمين يعطى الجميع عطاء ربوبية .. ومن هنا قوله تعالى « واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » .. لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى ألست الهكم .. ويشهدهم بالالوهية .. لان العطاء هنا عطاء ربوبية .. الله رب العالمين .. ما هو عطاء الربوبية ؟

عطاء الربوبية هو عطاء متساو لخلق الله جميعا .. كل من خلقه الله اعطاء عطاء الربوبية .. فمثلا الله سبحانه وتعالى خلق الكون وسخره للانسان .. والكون فيه قوى كثيرة اكبر واضخم وأقوى من الانسان ولكنها خاضعة له بحكم ان الله سبحانه وتعالى قد سخرها له .. فالشمس والارض والرياح ، وكل القوى الهائلة فى هذا الكون هى

أكبر كثيرا من الانسان .. الشمس تستطيع ان تحرق الارض بمن فيها .. والارض اذا اختل دورانها فنى البشر .. والرياح تستطيع ان تدمر .. والماء يستطيع ان يفرق والامطار اذا توقفت تجف الانهار وتنعدم الحياة .. كل هذه القوى وغيرها مما خلق الله من توازن في الكون هي قوى أقدر من الانسان وأكبر منه .. ولكنها مسخرة لخدمة البشر .. فالشمس لا تستطيع ان تقول سأشرق اليوم وسأغيب غدا .. والماء لا يستطيع ان يفرق الارض أو يجعلها كلها يابسة ويختفي منها ويرحل .. والارض لا تستطيع ان تتوقف عن الدوران بأرادتها .. لكنها كلها كقوى هائلة ، مسخرة لخدمة الانسان بإرادة الله .. فهي لا إرادة لها .. ولا تستطيع أن تعصى لله أمرا

والله في عطائه لهذه القدرات عطاء ربوبية أى أنه لا يفرق بين مؤمن وكافر .. بل يعطى خلقه جميعا .. الشمس تشرق للمؤمن والكافر .. والارض يزرعها من آمن ومن لم يؤمن .. والمطر ينزل على أمة مؤمنة وعلى أناس لا يعبدون الله .. قوانين الأرض هي عطاء ربوبية .. فالذى يفلح أرضه جيدا ويعتنى بها يحصل على ثمر وفير سواء كان مؤمنا أو غير مؤمن .. والذى يهمل أرضه ولا يزرعها لا يحصل على شيء مهما كان إيمانه .. والذى يستفيد بعلم الله الذى كشفه الله للبشرية فى ان ينشئ صناعة حديثة .. أو أن يحرز التقدم فى الدنيا يجنى ثمرة ما فعل .. وهكذا فالله فى عطاء ربوبيته لا يفرق بين انسان وانسان .. والقوانين التى وضعها الله فى الأرض والأسباب التى خلقها تتفاعل مع من يأخذ بها سواء كان مؤمنا أو كافرا .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى حين اشهد خلقه عليه « ألسنت جربكم »

هناك بعد ذلك عطاء الوهية .. وعطاء الألوهية هو العطاء لمن يؤمن بأن لا إله الا الله .. الايمان هنا هو عهد بين الانسان وربه .. ولذلك نجد أن القرآن الكريم يبدأ آياته فى سورة البقرة بقول الله تعالى :

« ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »

ونجد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يخاطب دائما المؤمنين بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » .. اذن الايمان بالله سبحانه وتعالى هو الأساس في عطاء الالهوية .. وهذا العطاء هو الذى يوجد فى القرآن الكريم .. هو ايمان بالغيب .. ايمان بالبعث والحساب .. ثم طريق للحياة الآمنة المطمئنة الطيبة .. رسمها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز للذين آمنوا ..

اذن عطاء الالهوية هو الحياة الطيبة فى الدنيا وفى الآخرة لمن آمن بالله ولم يشرك به شيئا واتبع الطريق الذى رسمه الله للحياة فى كتابه الكريم وبينه لنا .. وفى هذا الطريق اصلاح لكل مفسد الحياة .. وخلق لمجتمع كامل تسوده الرفاهية .. ويسوده الأمن .. وتملؤه البركة .

ونحن فى كثير من الأحيان نأخذ تشريعاتنا عن بشر .. ثم بعد ذلك نتعجب للشقاء الموجود فى المجتمع والذى تخلقه هذه التشريعات .. ولو أخذنا ما وضعه الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز .. لأخذنا أكمل ما يمكن للبشرية أن تنشئ به مجتمعا فاضلا .. ذلك لأنه شتان بين قدرة البشر وقدرة الله سبحانه وتعالى .. والله خالق النفس البشرية وخالق هذا الكون ، هو أعلم بما يسعده وبأصلح ما فى الحياة له ..

ولذلك فإن القلب المؤمن الذى يتبع طريق الله يحس فى داخله بعطاء الالهوية فيملؤه الاطمئنان .. وعندما نزلت الآية الكريمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله يعصمك من الناس » .. أمر رسول الله أصحابه الذين كانوا يحيطون به ليدافعوا عنه اذا

حاول الكفار أو المنافقون ايداءه أمرهم أن يتركوه .. لماذا ؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى وهو القوة الكبرى التي خلقت كل شيء ، يحرسه فلا يحتاج لبشر .. ولا يستطيع بشر أن يقترب منه أو يؤذيه .. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينام تحت ظل شجرة وبلا حراسة .. لماذا ؟ لأن قلبه كان مليئا بالآية الكريمة « لا تأخذ سنة ولا نوم » .. ومن هنا كان ينام مطمئنا وحده تحت ظل الشجرة ، مؤمنا بأن الله سبحانه وتعالى الذى لا ينام هو أقوى وأقدر من يحرسه .. وهو أقوى وأقدر من كل حراسات الدنيا ولذلك نام تحت الشجرة فى حراسة الله سبحانه وتعالى .. ولم يستطع أحد أن يقترب منه .

اذن ففضية الايمان .. أن تؤمن بالله أو لا تؤمن .. والايمان بالله معناه أنك قد آمنت وصدقت بأن هناك قوة كبرى .. تتنزه عن كل هوى وغرض .. هى التى خلقت هذا الكون وسخرته لك .. وأن هذه القوة أو القدرة ليس كمثلهما شيء .. فى العلم .. والخلق .. والرحمة .. والانتقام .. الى آخر صفات الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا فإذا دخل الايمان القلب فلا يجب أن نقيس علمنا بعلم الله سبحانه وتعالى .. ولا قدرتنا بقدرة الله سبحانه وتعالى .. فإذا قال الله افعل .. فأنا لست مؤهلا لأن أقول لماذا .. لأن النقاش لا يكون الا بين عقليين متساويين .. وشتان بين قدرة الله وقدرة البشر .. وإذا قال لا تفعل فأنا لست مؤهلا لأن أقول لماذا .. لأن علم الله لا يمكن أن يقاس بعلمى .. ومع ذلك نجد بعض الناس يجادل بلا خجل ويدعى أنه مؤهل لمناقشة الله فى علمه ولمناقشة الله فى طريق الحياة الذى رسمه للبشر .

الايمان بالله سبحانه وتعالى هو تسليم لقدرات الله التى ليست فوقها قدرة .. ولعلم الله الذى ليس فوقه علم .. ولله سبحانه وتعالى الذى ليس كمثله شيء . وهذا هو مدخل الايمان الى النفس البشرية .. وهو مدخل لا يأتى الا بعد تفكر وتدبر فى الكون وآياته

على أن بعض الناس يسمى ذلك عبودية ، ويقول ان الدين عبودية .. ونحن نقول نعم الدين عبودية لله سبحانه وتعالى .. و فرق كبير بين العبودية لله والعبودية لبشر .. البشر عندما يستعبدك يريد أن يأخذ منك أو من قدراتك ليضمها الى قدراته ويجردك من الخير الذى تستطيع أن تحققه ليضمه الى الخير الذى يملكه فاذا استعبد انسان مجموعة من البشر ، فانه يجعلهم يعملون من أجله فيزرعون الأرض ويأخذ هو المحصول و يقيمون العمارات ويملكها هو .. أى أن عبودية البشر هى تجريد للعبد من كل خير يستطيع أن يحققه لصالحه .. وهذه العبودية يرفضها الاسلام ..

أما عبودية لله سبحانه وتعالى فهى عبودية لتزويد من قدراتك وتمنحك الخير والبركة ، وتزويد من عطاء الله لك فهى عبودية لصالحك .. قاله سبحانه وتعالى غنى عن العالمين .. غنى عن جهدك .. وعن مالك .. وعما تملك جوازا فى الدنيا .. بل ان الله سبحانه وتعالى هو صاحب كل شيء .. فالمال مال الله .. ينتقل من يد الى يد الى يد .. ولا يأخذ منه كل انسان الا رزقه .. بل ان الله سبحانه وتعالى قد قال « وللرجال نصيب مما اكتسبوا » ليوضح الحكمة البالغة بأن الرزق الذى تحصل عليه أو الكسب الذى تصيبه ليس لك وحدك .. فلزوجتك نصيب .. ولأولادك نصيب .. ولعدد من خلق الله نصيب .. بل اننا نتعجب أحيانا من انسان بخيل لا يمتنع نفسه بما رزقه الله .. ونسأل فى عجب لماذا يفعل ذلك .. وربما نلومه على ما يفعل .. والجواب على ذلك أن هذا المال الذى اكتسبه والذى يحرص عليه ليس رزقه ولكنه رزق خلق آخرين .. وهو مجرد حارس عليه حتى يوصله اليهم .. ومن هنا فانه لا يستطيع أن ينفق منه ولا أن يتمتع به .. وليبقى هكذا الرزق دون أن يصل حتى يصل الى صاحبه ..

فالعبودية لله سبحانه وتعالى هى عبودية عطاء .. عطاء من الله لصاحبه .. والله له ملك السموات والأرض .. وهو لا يريد أن نعبده

ليأخذ جهدنا ، أو ليحصل على ناتج عملنا أو ليكون له رزقنا .. بل هو الذى يرزقنا ويمطينا .. ويمنحنا ويبارك لنا فى جهدنا .. وهو الذى ييسر لنا كل أمر عسير .. ويفتح أمامنا الأبواب المغلقة .. فالعبودية لله سبحانه وتعالى هى لصالح العبد .. هى زيادة للعبد فى كل شيء .. وبركة له فى ماله وصحته وأولاده وحفظ له من كل شر وسوء ..

عبوديتنا لله تجعل الله عوناً لنا فى كل أمورنا .. ومن منا لا يريد أن يكون خالق السموات والأرض عوناً له على ما يريد .. ومن هنا فان عبوديتنا لله نحن نرجوها ونطلبها .. ليعيننا الله ويكون معنا .. بينما عبودية الانسان للانسان هى أخذ من جهد الانسان وعرقه وعمله لانسان آخر .. وشتان بين الاثنين ..

والله سبحانه وتعالى قد وعد عباده المؤمنين بالحياة الطيبة .. فهو عندما يقول افعل يريد لى بهذا الفعل السعادة فى الدنيا والآخرة .. لأن فعل لى يزيد فى ملك الله شيئاً .. وعدم فعله لا ينقص من ملكه شيئاً .. ومن منطلق الايمان عندما أتبع طريق الله فاننى أختار الحياة الطيبة ليس حسب قدراتى أنا .. ولكن حسب قدرات الله سبحانه وتعالى الذى ليس كمثله شيء .. ومن منطلق عدم الايمان فاننى أناقش وأفلسف وأقرر حسب قدراتى .. والفرق بين الايمان وعدم الايمان هو اختيار بين حياة رسمها الله سبحانه وتعالى بقدراته التى لا تحدّها حدود ولا قيود .. وبعلمه الذى لا يصل اليه انسان .. وبين حياة أرسّمها أنا بعقل المحدود .. والهوى الذى يملأ نفسى ..

والله سبحانه وتعالى فى كل رسالاته السماوية طلب منا أن نتدبر فى الكون .. وأن نبحت عن آيات الله .. لماذا يأمرنا الله بهذا .. لو أن فى هذا الكون دليلاً واحداً على عدم قدرة الله ووحدانيته .. ما أمرنا الله أن نتدبر فى الكون .. وأن نتدبر فى أنفسنا .. لماذا ؟

لأن الذى يعرض عليك شيئا فيه أدنى شك .. لا يقول لك افحصه جيدا .. وانما يحاول بشتى الطرق أن يجذب انتباهك عن هذا الشيء الذى تنظر اليه حتى لا تتبين فيه أى نقص أو عيوب .. أما الذى يقول لك تدبر وفكر وانظر .. فهو موقن من اتقان العمل .. ولذلك يريدك أن ترى الابداع والاتقان الموجود .. وأن تشهده لتعرف قيمة وروعة الخلق .

ولاضرب مثلا بسيطا يقرب ذلك الى الازدهان .. اذا دخلت لتشتري أى شيء فى هذه الدنيا .. وجاء اليك صاحب الشيء أو صانعه .. فهو اما أن يكون أحد أمرين : أن يكون الشيء متقنا اتقاننا بديعا وحينئذ يقول لك صانعه افحصه جيدا .. فاذا فحصته مرة .. طلب منك أن تفحصه مرات ومرات .. لماذا .. ؟ لتتبين دقة الصنع وتعرف كمال الشيء .. فاذا انتهيت من فحصه قال لك افحصه مرة أخرى .. وهكذا يظل يطلب منك أن تفحص الشيء مرات ومرات .. وانما أن يكون الشيء فيه عيوب .. والصانع يحاول أن يفشك ويخدعك .. وحينئذ يفعل كل ما يستطيع من الحيل لياخذ انتباهك عما فى يدك .. حتى لا تتبين عيوبه أو النقص الذى فيه ..

والله سبحانه وتعالى يطلب منا فى قرآنه الكريم أن نتدبر الخلق ونتدبر الكون .. ويقول ان فى هذا الكون آيات بينات .. وأن فى خلقكم وخلق السموات والأرض آيات بينات .. وان فى خلقكم وخلق السموات والأرض آيات بينات وفى أنفسكم ويقول سبحانه وتعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

إذا لم يكن قائل هذا الكلام هو خالق الكون وخالق البشر وعالما بأسرار كل شيء .. أفلا يخشى أن تكون هناك عيوب ونواقص وأشياء لا يعرفها قد يأتى التدبر فيها بنتيجة عكسية .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الخالق .. وهو القائل .. وهو العالم .. وهو يعرف دقة ما خلق .. ولذلك يقول تدبروا فى الكون .. انظروا فيه ..

متجدون آياتي واعجاز خلقى وقدرتى .. انظروا فى انفسكم ..
ويؤكد سبحانه وتعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق » .. أى آيات تلك التى يتحدث عنها الله سبحانه
وتعالى .. ويتحدى بها .. الا اذا كان قد خلقها بقدرة واعجاز ؟

اذن هذا التحدى فى التدبر فى آيات الكون .. والتدبر فى
الخلق والتدبر فى انفسنا لا يمكن أن يحدث الا اذا كان القائل هو
الخالق .. هو الذى وضع آيات ومعجزات فى هذا الكون .. تدل
على عظمته .. وعلى قدرته .

ونحن حينما نتدبر فى الكون نرى عظمة الله سبحانه وتعالى ..
وهذا هو الهدف الأول للعقل البشرى .. أن يتدبر فى الكون ويعرف
ماذا خلق الله سبحانه وتعالى .. وأنه لن ينسجم مع هذا الكون
الا اذا خضع لخالقه ..

ولكن الانسان الذى أخذ الأمانة فقال الله سبحانه وتعالى

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها . واشفقن منها وحملها الانسان
أنه كان ظلوما جهولا »

ما هى الأمانة .. الأمانة هنا معناها حرية الاختيار .. دون أى
ضغط خارجى .. ووصف الله سبحانه وتعالى للانسان بأنه جهول
عندما قبل أن يحمل الأمانة .. معناه أنه لم يعلم .. ولم يقدر
مستولية هذه الأمانة وثقلها ..

ولنضرب مثلا صغيرا يقرب هذا الى الأذهان .. لنفرض أن انسانا
قد جاءنى وأعطانى مبلغا من المال .. وقال هذا أمانة عندك ..
ثم أتى كل شهر .. أو كل فترة ليعطينى مبلغا آخر ويقول هذا
أمانة عندك .. وأخذت أنا هذا المال وامتعت به نفسى وأسرفت عليها
وبذرت .. ثم جاء وقت السداد .. وجاء صاحب المال يطلب ماله ..

وأنا ليس عندى منه شيء .. هذا هو ما يحدث فى الدنيا .. الله سبحانه وتعالى أعطانا من النعم ما لا يعد ولا يحصى .. وقال تمتع بهذا كله .. ولكن عليك أمانة تحملها .. هى ألا تفسد فى الأرض .. وألا تسرق .. وألا تستخدم نعمى فى معصيتى أو فى ظلم الناس .. وقبل الانسان الأمانة .. ولكن الشيطان استطاع أن يتسلل الى نفسه منتهزا الفرصة فى أن الانسان قد حمل الأمانة أى حرية القرار .. والله قال له افعل .. وقال لا تفعل .. وفى هذه الحالة لم يضع على ارادته الحرة أى قيد أو ضغط .. وما دام الانسان قد أعطى حرية الاختيار .. فكان هناك الحسب .. الرسالات السماوية التى أرسلها الله سبحانه وتعالى بينت للانسان الطريق .. ولكن الأمانة التى حملها .. والتى رفضت كل مخلوقات الله أن تحملها .. أعطته الحرية فى أن يفعل أو لا يفعل .. وفى أن يخالف وأن يعصى .. وما دام الله قد قال افعل فمعنى قوله تعالى أن فى مقدور الانسان أن يفعل أو لا يفعل .. ومادام الله قد قال فى أشياء لا تفعل فانه فى مقدور الانسان أن يفعل أو لا يفعل .. والانسان وحده هو القادر على ذلك .. فالجبال مثلا ليس لها اختيار .. وكذلك الشمس والقمر والنجوم .. فالشمس لا تستطيع أن تقول سأشرق اليوم أو لن أشرق والنجوم لا تستطيع أن تختار أن تسطع ليلة وتغيب ليلة أخرى .. بل ان الملائكة ليس لهم اختيار وانما يفعلون ما يؤمرون .. ولكن الانسان الذى حمل الأمانة .. أخذ حرية الاختيار فى الدنيا .. فماذا فعل .. ؟

صور له جهله أشياء كثيرة .. فعبد أشياء لا تنفع ولا تضر .. عبد الشمس والنار والأحجار والأصنام والحيوانات المفترسة .. انطلق يعبد كل شيء صوره له جهله .. وأضله الشيطان عن الله سبحانه وتعالى الخالق لكل هذا الكون المدبر له .. انطلق الانسان جاحدا نعمة الله .. وترك الرسالات التى أنزلها الله سبحانه وتعالى رحمة به ليبين له طريق الحياة الآمنة الطيبة .. وأخذ يشرع لنفسه تاركا شريعة الله .. وتغلبت عليه أهواؤه .. فأخذ يخضع الأشياء

لهوى النفس وليس للحق .. فأصابه الشقاء فى الدنيا وحتت به الكوارث .

ولكن لماذا فعل الانسان ذلك .. لقد لخص الله سبحانه وتعالى فى بلاغة رائعة ووصف بليغ مدخل الشيطان الى النفس البشرية حين أورد لنا فى القرآن الكريم كيف أغرى الشيطان آدم بمعصية الله .. ذلك أنه حين تم الاغراء .. تم بجملته واحدة أوردنا الله سبحانه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى وهو يصف اغراء الشيطان للانسان « هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى »

اذن الانسان يريد شسيتين من الدنيا .. حياة خالدة لا تنتهى .. ومالا وفيرا لا يفنى .. يريد أن يبقى خالدا لا يموت .. وأن يكون له ملك يوفر له حياة الترف والعبث التى تهواها النفس .. وألا يتأثر ماله بكل ما ينفقه .. وألا يتأثر عمره بالسنوات .. يريد شبابا دائما .. وكنوزا لا تمتد ولا تحصى .. ومن هنا كان مدخل الشيطان للنفس البشرية .. هذه الآلهة كلها التى اخترعها الانسان وعبدها كانت اما وهما جالبة للرزق والجاه فى الدنيا .. أو وهما دافعة لاذى أو مرض يؤدى للموت وهى فى مجموعها لا تخرج عن ذلك أبدا .. بل ان عبادة الناس للبشر تأتى من خلال هذين المدخلين .. فهو اما أن يرجو رزقا يتمتع به .. أو يرجو شفاء وقدرة لطول الحياة بما يصوره له وهما من قدرات يعتقدونها فى بشر .. والحقيقة أن هذه الآلهة لا تفعل هذا ولا ذاك ولا تملك النفع والضرر حتى لنفسها .. ولكن الخوف الذى يضعه الشيطان فى النفس غير المؤمنة هو الذى يجعلها تضئف الى الدرجة التى تعتقد فيها أن هناك شيئا فى يد أحد غير الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا فان هذا النفع أو الضرر الوهمى هو خوف فى النفس البشرية .. يدخل بسبب عدم الايمان .. والا فالنفس المؤمنة تعلم أن الله معها .. وأن هذه القدرة الخارقة القادرة هى التى تدافع

عنها وتحميها وترعاها وتحرسها حتى عندما تنام كل الاعين لأن عين
الله لا تنام .

والذى يؤمن ايمانا حقيقيا بذلك .. ليس محتاجا لأن يستعين
بمن هم أقل قدرة من الله .. وشتان بين قدرة البشر وقدرة الله
سبحانه وتعالى .. فكونى أترك القدرة المطلقة الى ما لا ينفع ولا يضر
بعدم ايماني .. هو جهل منى يجعلنى التجيء الى غير الله .. وهذا
الجهل وضعه فى نفسى هوى أنا أريد أن أحققه ..

ولنوضح هذه النقطة قليلا .. أنا مثلا عندى مال .. ولكنى أريد
أن أحصل على مال غيرى وبدون وجه حق .. الحياة السعيدة التى
رسمها الله لى تقول لى لا .. لا تفعل ذلك .. وهى تقول هذا لتحمىنى
أولا .. فأنا فرد واحد فى مجتمع .. عندما أستبيح مال غيرى
وأجعل هذا مبدأ .. فان هناك ملايين من الأشخاص فى هذا المجتمع
يكون لهم الحق فى أن يستبيحوا مالى .. ومن هنا حرم الله سبحانه
وتعالى ذلك ليحمينى . ولو كنت أتدبر لعرفت أن عدم استباحة مال
غيرى هو حماية لى ومالى .. ولكننى أريد ملكا لا يبلى والشيطان
يعمل على ذلك .. والله أخبرنى عن مدخل الشيطان الى نفسى حتى أعرفه
.. وأقى نفسى الزلل والانزلاق .. ولكننى مع ذلك أنطلق لهوى فى
نفسى .. وهو أن أملك .. وأملك بلا حدود ملكا لا يبلى فأخذ مال
غيرى .. حينئذ تقفز الى النفس البشرية التى هى فى أعماقى والتى
رأت الله وتعرفه جيدا مصداقا لقول الله « الست بربكم . قالوا بلى »
هذه النفس تؤرقنى .. أحس فيها بما ينتظرنى جزاء لهذه المعصية .
ومن هنا فأننى أحاول بقدر طاقتى - ولو وهما - أن أحتمى بأى شئ
تاركا شريعة الله لهوى فى نفسى فأتى بحجر وأدعى أنه هو الذى
جلب لى الرزق .. أو أتى بحجر وأقنع نفسى زيفا بأنه سيحمينى من
عذاب الله .. أحاول أن أطمئن نفسى وأزيل عنها القلق الذى يملأ
النفس البشرية ويؤرقها ويحطمها عندما تفرق فى المعصية ..

ولنضرب لذلك مثلا لو أننا أتينا بشاب فى ريعان شبابه ثم جننا

له بأجمل فتيات الدنيا ، وقلنا له هي لك هذه الليلة .. ثم فحنا له بابا مستورا في الحجرة ليرى « النار » وقلنا له بعد هذه الليلة سيكون مصيرك هنا .. فهل تعتقد أنه سيرتكب المعصية .. الجواب .. أبدا .. ولكن لأن الجزاء مستور عنا فان الشيطان يدخل الى النفس البشرية محاولا ايهامها بأنه لا جزاء .. وهذا الوهم يصبح هوى فى النفس لانه يطلق لها العنان لشهواتها .. ويحل لها أن تظلم غيرها ، وتأخذ حقه .. ومن هنا فأنها فى محاولة انكار وجود الله سبحانه وتعالى وتحاول أن تبذر الشك .. فان أقصى ما تتمناه النفس العاصية هو أن يكون الله ليس موجودا .. ولكن الله موجود والشك فى وجود الله سبحانه وتعالى هو اثبات لهذا الوجود .. وهذا هو موضوع الفصل القادم ..

حديث قدسى

● ● أوحى الله عز وجل الى دود وعزتى وجلالى ما من عبد يعتصم بى دون خلقى أعرف ذلك من نيته فتكيد السموات بمن فيها ، والارض بمن فيها ، الا جعلت له من بين ذلك مخرجا ، وما من عبد يعتصم بمخلوق دونى ، أعرف ذلك من نيته ، الا قطعت أسباب السماء بين يديه ، وارسخت الهواء من تحت قدميه ، وما من عبد يطيعنى الا وأنا معطيه قبل أن يسألنى ، ومستجيب له قبل أن يدعونى ، وغافر له قبل أن يستغفرنى .

• الفصل الثاني •

الشك .. والوجود

الاسلام اما أن يكون عن عقيدة .. فهو دين .. واما أن يكون عن غير عقيدة فهو نفاق .. ولكي نبدأ الحديث يجب أن نحدد .. ما هو معنى العقيدة أولا ؟ .. العقيدة هي قضية اختمرت في القلب اختمارا .. واقتنعت بها تماما .. بحيث أصبحت عندك يقينا لا يطفو الى العقل لتناقش من جديد .. قضية قتلتها بحثا وتمحيصا ودراسة ومناقشة .. واقتنعت بها تماما .. بحيث أصبحت عندك يقينا لا يطفو الى الذهن مرة أخرى .. فاذا طفت الى العقل لتناقش من جديد .. فالإيمان هنا ناقص .. ولذلك حين قالت الأعراب آمنا .. ماذا قال الله لهم ..

« قل لم تؤمنوا .. ولكن قولوا اسلمنا ولا يدخل الإيمان في قلوبكم » ..

اذن الإيمان هو عقيدة اقتنعت بها القلب تماما .. بحيث لم تعد تطفو الى العقل لتناقش من جديد .. وهو لا يأتي في منطقة الحس .. أو المنطقة التي تخضع للحواس عندنا .. بمعنى أنك لا يمكن أن تقول لانسان أنا مؤمن .. انني أراك أمامي .. وأنت تراه أمامك فعلا

.. ولا تستطيع أن تقول أيضا اننى مؤمن .. ان هذا الكوب ممتلئ ..
.. والكوب ممتلئ بالماء .. وأنت تراه أمامك .. تلك ليست منطقة
الايمان .. ولكن منطقة الايمان هى الغيب .. شئ غيبى عنك لا تراه
ولا تستطيع أن تصل اليه بحواسك .. ولذلك فاننا فى كثير من الأحيان
نحاول أن نشبه الايمان بأنه يقين عندنا كالشئ الذى تراه .. فتقول
أنا متأكد أن هذا سيحدث .. أو أنا مؤمن أن هذا سيحدث .. كما
أراك أمامى تماما .. الذى سيحدث هو غيب عني .. قد يحدث وقد
لا يحدث .. أنا لا أستطيع هنا أن أقطع بذلك .. ولكن تصدبقا منى
للايمان .. فأنا أقول إن هذا سيحدث كما أراك أمامى .. يقينا
بالغيب ..

وإذا كان ذلك فى أمور الدنيا الصغيرة .. فكيف فى الايمان بالله
سبحانه وتعالى .. اليقين هنا يجب أن يكون على درجة عالية .. أن
تعبد الله كأنك تراه .. فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. وحين تشبه
العبادة هنا بالرؤية .. فالرؤية ليست قضية جدلية .. بمعنى أنك
ترى الشئ أو لا تراه .. الايمان أيضا إذا خرج الى دائرة الجدل
والمناقشة الذهنية .. خرج عن معناه ولم يصبح ايمانا .. مادام هناك
جدل ما يزال فى العقل .. فالأيمان غير كامل ..

ولكن فيم يدور الجدل .. انه يدور حول الدليل على وجود الله ..
أو محاولة انكار وجود الله .. نأتى أولا الى الذى يجادل فى الدليل
على وجود الله .. ونسأله : حينما أقبلت على وضع الدليل على وجود
الله .. فما الذى حملك على ذلك .. ما الذى جعلك تتعب عقلك وفكرك
لتضع الدليل على وجود الله .. الذى دفعك لذلك هو أن الله موجود
فيما بالفطرة .. فينا جميعا .. أولئك الذين يؤمنون به فيطيعونه
.. ويعملون بتعاليمه .. وأولئك الذين يسرفون على أنفسهم ..
ويشعرون بعظم العقاب الذى ينتظرهم .. تحسه نفوسهم التى تعرف
الله بفطرتها .. فيجهدون عقولهم فى محاولة النيل من دين الله ..
وهم فى الحقيقة يحاولون الهرب ولو عقليا .. ولو بطريق التضليل
من حساب هو واقع عليهم ..

اذن الذى يحاول أن يضع الأدلة على وجود الله .. فى الحقيقة قد أثبت هذا الوجود دون حاجة الى دليل .. فالدليل على وجود الله .. هو طلب الدليل على وجود الله .. ذلك أن طلب هذا الدليل .. واجهاد العقل فيه .. معناه أن الله موجود فينا بالفطرة .. نحس به ونشعر بوجوده .. ونعرف أنه موجود ..

اذن فوجود الله سابق لمحاولة الوصول الى دليل .. وهذه المحاولة التى هى قائمة وستظل قائمة الى أن تنتهى الحياة ، انما هى اعلان بأن الله موجود .. ونحن نحاول أن نستخدم ما يلائم عقولنا من أدلة .. ولو بحثنا ودققنا فى الرسائل السماوية التى أرسلها الله لنا .. لوجدنا أكبر الأدلة وأقواها موضوعة بالطريقة التى تناسب العقل البشرى وقدراته الماضية والحالية والمستقبلية ومفصلة تفصيلا يملؤه الإعجاز ..

واذا دققنا فى علم الله ووصوله الى الانسان .. فهو اتصال الكلمات بالعقل .. أو كما قال الله سبحانه وتعالى « **وعلم آدم الأسماء كلها** » أى أنه سبحانه وتعالى .. علم آدم معانى الأشياء وأسماءها . ثم أتى الله سبحانه وتعالى بالملائكة ، وقال لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء .. فلم يعرفوا .. وقالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا ..

اذن .. المعنى يجب أن يوجد أولا .. أو الشيء يجب أن يوجد أولا .. ويكون مفهوما لدى السامع .. وموجود أصلا فى ذهنه .. ثم تأتى الكلمة لتبرز هذا المعنى الى العقل .. فاذا قلنا منزل مثلا ، فإن له معنى معيننا فى عقولنا .. هو مكان يقيم فيه الناس مكون من عدة حجرات .. الى آخر ذلك .. ومن هنا فانه اذا ذكرت الكلمة .. قفز المعنى الموجود أصلا فى العقل لتكون مقبولة .. أو اذا قلت كلمة بلا معنى لم يلحظها العقل ، ولم يعرف بوجودها جيدا .. كأن تأتى لرجل عاش فى أرض سهلة لم ير جبلا فى حياته ، ثم تقول له كلمة جبل .. انه لا يستطيع أن يتصور ما معنى جبل ، ولا يفهم شيئا .. ذلك

أنه لم يعقل هذا الشيء الذى تتحدث عنه أو تقوله له .. ومن هنا فهو لا يفهمه ولا يعرفه .. لأنه لم يدخل الى عقله أولا .. اذا قلت لانسان مثلا ، أن ذلك تم بالعقل الالكتروني ، فانه لا يستطيع أن يفهم شيئا .. مادام لا يعرف ماذا يفعل العقل الالكتروني .. ولكنك اذا قلت كلمة الله ، فان العقول كلها تفهمها ، على أنها تلك القوة القادرة ، القاهرة .. التى خلقت الدنيا كلها .. ولكننا لم نر الله ، فكيف نفهم هذه الكلمة .. لو أن الله غير موجود فينا بالفطرة ، وغير موجود فى عقولنا ونفوسنا .. لما فهمناها أبدا ، ولما أخذت هذا المعنى العالى الذى ينسجم مع النفس البشرية .. ان يقيننا بوجود الله هو الذى يجعلنا نفهم هذه الكلمة .. ووجود الله فينا بالفطرة هو الذى يجعلها تدخل الى عقولنا لأن أى كلمة لا يمكن أن تكون مفهومة الا اذا كان معناها ومدلولها موجودين فى العقل البشرى أولا .. بل ان وجود هذا المعنى يجب أن يسبق الكلمة نفسها .. فانت لا تستطيع أن تحدث أحدا بكلمة جبل .. ويفهم ما تقول .. أو بكلمة « قوى » ويفهم ما تقول .. الا اذا كان المعنى موجودا أولا فى عقله .. قبل أن تنطق بالكلمة فالمعنى يوجد أولا .. ثم بعد ذلك توجد الكلمات الدالة عليه .. واذا راجعنا قواميس اللغة فى جميع أنحاء العالم .. نجد أن الكلمات الموجودة فيها هى لأشياء موجودة أصلا .. وأن هذه القواميس تراجع كل عام لاضافة أسماء لأشياء وجدت .. ولم تكن موجودة فى العام الذى قبله .. وذلك بمعنى أن الشيء يوجد أولا ثم بعد ذلك يعطى تسمية .. بل ان هذا فى حياتنا اليومية ملحوظ فى كل شيء .. فهناك أسماء كثيرة فى اللغة تضاف الى القواميس كل عام .. وهناك علماء متخصصون يجتمعون فى مجمع اللغة .. ليضعوا الأسماء لمعان أو لأشياء وجدت ولم تكن موجودة .. اذن فالأصل أن يوجد الشيء أولا .. ثم يضع الانسان له الاسم .. ووجود اسم الله سبحانه وتعالى فى جميع لغات الأرض معناه أنه موجود فى جميع أذهان البشر .. وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى موجود قبل أن توجد البشرية نفسها .. وقبل أن ينطق لسان بأى لغة ..

ولفظ الله معناه واحد في كل العقول .. وفي كل اللغات .. بل
أن تقبل العقل البشري لاسم الله سبحانه وتعالى معناه أن هذا العقل
يعرف الله بالفطرة .. وإن كان الله فوق قدرة العقل .. ومن هنا
نعود مرة أخرى الى الرسائل السماوية .. الى الآية الكريمة

« واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ..
وأشهدهم على أنفسهم .. الست بربكم .. قالوا بلى
شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين .. او تقولوا انما أشرك آبائنا من قبل وكنا
ذرية من بعدهم » ..

هذه الآية الكريمة التي أخبرنا بها الله تدلنا كيف أن الله يوجد
فينا بالفطرة رغم أنه فوق قدرة العقل .. فقد عرفنا وجود الله يقينا
.. وهذه المعرفة موجودة في داخلنا حتى وإن لم يدلنا عليها أحد ..
ومن هنا فإذا ذكر اسم الله فأننا لا نحس أن انسانا ينطق لفظا غريبا
لا معنى له .. ولكننا نحس أنه ينطق لفظا نعرفه جيدا .. ونحس به
في داخلنا .. ونحس بقدرته وقوته .. وبأن الحياة لا يمكن أن
تفسج إلا بوجوده .. وهناك أميون لا يقرأون ولا يكتبون .. وربما
لم يقرأوا كلمة واحدة في حياتهم .. فإذا أخبرتهم عن أى شئ في
هذه الدنيا .. سألك : ما معنى هذا الذى تتكلم عنه .. نحن لانفهمك
.. الا كلمة الله سبحانه وتعالى .. فانك اذا قرأتها عرفها الجاهل
والمتعلم .. والصبي والرجل .. والكهل .. وكل انسان يجلس امامك
.. ولن تجد أحدا يقف ليسألك : ماذا تعنى بكلمة الله .. اننا لانفهم
هذه الكلمة ؟ لماذا .. لأن الله يوجد فينا بالفطرة ومن هنا فان
العقل يعبد .. والانسان البسيط الذى لم يقرأ كلمة في حياته
يعبد .. والانسان المتعلم يعبد .. والانسان الذى تبحر في العلم
ووصل الى أعلى مراتبه يعبد .. وكل هذه العقول على اختلاف
مستوياتها قد تعجز عن فهم مشترك لقضية من القضايا .. ولكنها
جميعا لا يوجد بينها تضاد في عبادة الله ..

وأنت تدخل الى المسجد .. تجد عباد الله جالسين معا .. عقول كلها مختلفة في السن والثقافة والفكر والمركز الاجتماعي والطباع والعادات وكل شيء .. ولكنها كلها منسجمة في عبادة الله تركع له معا .. وتسجد له معا .. وتقرأ له القرآن معا .. وتسبح له معا .. كل هذه العقول لا يمكن أن تجتمع وتنسجم هكذا الا اذا كان الله موجودا فينا بالفطرة .. والا مصداقا للآية الكريمة :

« واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ..
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .. قالوا بلى
شهدنا .. »

على أن الذين يحاولون انكار وجود الله ، فمحاولة الانكار هذه وحدها اثبات .. لأنك لست محتاجا الى أن تنكر ما ليس له وجود .. فالأرض مثلا بعض الناس يقول أنها كروية .. وبعض الناس يقول أنها مبسوطة .. ويحدث جدل .. لو لم ير الناس أمامهم الأرض مبسوطة ولو أن العلم لم يثبت لهم أنها كروية لما حدث هذا الجدل .. فالجدل هنا حدث لأن هناك واقعا علميا يخالف واقعا تراه العين .. إذن فقبل النفي والجدل .. هناك وجود .. وإذا أردنا أن ننفي نظرية علمية إذن فهذه النظرية يجب أن تكون أولا موجودة والا فكيف ننفيها .. الخلاف هنا على النفي والوجود يجب أن يكون على واقع .. والا ننفي الجدل نفسه

إذن محاولة انكار وجود الله .. قد سبققتها حقيقة أن الله موجود فعلا .. والا فلماذا يحاول أى كافر أن ينكره .. محاولة النفي والجدل لا يمكن أن تتم الا لشيء موجود .. وإذا لم يكن هناك شيء أصلا .. ففيم أجادل .. ومن الذى أحاول أن أنفي وجوده ...

الشك في وجود الله سبحانه وتعالى هو اثبات لهذا الوجود .. والذين يحاولون وضع الأدلة للتشكيك في وجود الله .. هم في

الحقيقة أثبتوا هذا الوجود دون حاجة الى دليل .. فالدليل على وجود الله هو طلب الدليل على هذا الوجود .. واجهاد العقل فيه .. معناه أن الله موجود فينا بالفطرة ..

إذا انتهينا من هذه الحقيقة ، وأن الله موجود فينا بالفطرة .. يحس به كل قلب بشرى .. وكل نفس .. حتى أولئك الذين يكفرون به يخشونه .. ويخافون يوم الحساب .. وهم في محاولتهم الإنكار .. انما يحاولون أن ينكروا العذاب الذى ينتظرهم ويقنعوا أنفسهم ، ولو كذبا ، بأن هذا العذاب لن يحدث .. ولن يتم .. ولن يكون .. ومن هنا تأتى محاولة الإنكار خوفا من لقاء الله ورعبا مما توعدهم به .. ومحاولة أن يطمئنوا أنفسهم المرتعدة من الداخل والثى تحس بيوم الحساب .. محاولة طمأنتها خداعا .. بأنه ليس هناك حساب .. محاولة جمع الأدلة ولو باطلا على ذلك .. وتظل النفس الكافرة فى شقاء فى الدنيا حتى ينتهى أجلها .. فهى لا تعرف الطمأنينة أبدا .. وهى تخشى الغد دائما مهما أعطاهما اليوم من أمان واطمئنان .

على أننا يجب أن نتحدث عن منهج الله .. ولماذا يحدد عنه بعض الناس .. هل لأن منهج الله لا يحمل العدل والسعادة للناس .. كل الناس .. لماذا تحاول النفس البشرية أن تختار لها طريقا آخر .. مرة تسميه الفكر المعاصر .. ومرة النظريات الحديثة .. لماذا تهرب من طريق الله ... ؟

ان الله سبحانه وتعالى قد وضع قيودا على هوى النفس البشرية .. وهذه القيود لم يضعها لصالح فئة معينة .. وانما وضعها لصالح

البشرية جمعاء .. ولكن الطمع البشرى بلا حدود .. والانسان يريد أن ينطلق بقرائزه .. رغم أنه يعرف أن ذلك يأتي بضرر بالغ على المجتمع .. غريزة حب الامتلاك مثلا .. الانسان يريد أن يملك كل شئ .. الفناطير المقنطرة من الذهب والفضة .. وينظر الى ما يملكه بعض الناس ويتساءل لماذا .. ؟ هل سيستطيعون اتفاق كل هذا ولو عاشوا ضعف أعمارهم .. والجواب يكون فى كثير من الأحيان « مستحيل » ..

ويأتى السؤال الثانى : هل سيأخذون شيئا من هذا معهم بعد الموت .. بعد الأجل .. والجواب أيضا « مستحيل » .. إذا كان ذلك مستحيلا .. فلماذا كل هذه الحرب على الامتلاك ؟ .. والجواب أن النفس البشرية ، رغم يقينها أنها ستموت ، تظن أن عمرها سيمتد سنوات وسنوات .. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لم أر يقينا أشبه بالشك .. من يقين الموت) ..

ولكن الله سبحانه وتعالى حرص على أن يهذب غريزة التملك فمنع الاعتداء على ما يملكه الغير .. لماذا .. ليحمى كل فرد من المجتمع وليلتزم المجتمع كله بأن يحترم حقوق بعضه .. نهى عن المال الحرام .. وعن أكل حقوق الضعيف ليحميه من بطش القوى .. وعن أكل أموال اليتامى الذين لا حول لهم ولا قوة .. وسرقة أموال الناس .. لماذا .. ليحمى القوى اذا ضعف .. وليحمى القوى وهو قوى ..

قد تبدو العبارة متناقضة ولكنها صحيحة .. ان الله الذى حرم على ما يملك غيرى - حرم على غيرى وهو المجتمع كله من أن يأكل حقى .. وأعطى لكل ذى حق حقه .. حرم على أن أخذ حقوق غيرى وأنا قوى وهو الضعيف ليحميه منى .. ولكنه فى نفس الوقت حمانى من المجتمع الذى مهما كنت قويا كفرى .. فأنا ضعيف أمامه .. وإذا كان الله قد أباح لى أن أكل مال الضعيف فقد أباح للمجتمع كله أن يأخذ مالى .. بلا حق .. وبلا حساب ..

وهنا نرى عدل الله .. انه يحمي الضعيف من القوى .. وفي نفس الوقت يحمي القوى من المجتمع .. أى أن التشريع هنا فى صالح المجتمع كله .. غنيه وفقيره .. ضعيفه وقويه .. ثم وضع الرحمة والتعاطف والتآخى بأن يعطى الغنى من ماله للفقير لينعم المجتمع بالسلام .. وليخرج الحقد والبغضاء والكراهه من النفوس .. وتحل مكانها الرحمة والتآلف .. والتآخى .. هذا هو تشريع من تشريعات الله سبحانه وتعالى .. قد يقف ظاهرا ضد أطماع بعض النفوس البشرية التى تريد أن تملك بلا حدود وتطمع فى أن تأخذ حق غيرها بلا وازع .. وأن تستحوذ على كل شئ .. ولكنه وهو يضع القيد يحمى هؤلاء الناس من أنفسهم .. من أطماعها التى تؤدى بها الى الهلاك فى الدنيا والآخرة .. ويحمى المجتمع كله .. ليجعله مجتمعا سعيدا متآخيا

فإذا انتقلنا بعد ذلك الى الفريضة الجنسية .. فاننا نجد أن الله سبحانه وتعالى يحمى النفس البشرية مما يفسدها .. ويحميها من المجتمع أيضا ..

ويحكى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : انى أعاهدك على الاسلام .. ولكنى رجل أحب النساء .. ولا أستطيع أن أتخلى عن هذه العادة .. فهل تأذن لى .. ولم يقم رسول الله ليضربه .. أو يعنفه .. أو يدفع به ليرجموه .. لكنه وهو المعلم أراد أن يبين له الحكمة من التشريع هنا .. أراد أن يبين له .. كيف ذلك .. بطريقة يفهمها الرجل ويحسها .. فقال له صلى الله عليه وسلم بهدوء : أتحب أن يفعل ذلك بأمك ؟ فظهر الغضب على وجه الرجل وقال لا .. قال رسول الله : أتحب أن يفعل ذلك بأختك .. فأزداد غضب الرجل فقال : لا .. فقال رسول الله : أتحب أن يفعل ذلك بزوجتك .. فرد الرجل بسرعة : لا .. لا .. فقال رسول الله : وكلنا كذلك يا أخا العرب ..

وهكذا يبين له أن تشريع الله انما وضع ليحمي أمه وأخته وزوجته
مما لا يقبله أى انسان .. ولو تذكر أى فرد هذا الحوار وهو يهيم
بمعصية الزنا ، اذا تذكر أنه يكره أن يفعل ذلك بأمه أو أخته أو
بزوجته لامتنع فوراً عما ينوى أن يفعل .. اذن فالتشريع هنا حين
يسمو بالفرائض ويضع القيود عليها انما يضعها لحماية الفرد نفسه ..
لحماية أمه وأخته وزوجته من أى اعتداء .. للدفاع عن عرضه هو ..
والانسان يسعد بذلك .. ولكنه فى نفس الوقت الذى يريد فيه
تشريعاً يحمي أهله من أى اعتداء من المجتمع .. يقوم هو بالاعتداء على
أهل غيره

وهنا تظهر عدالة السماء لتقول لا .. كلكم سواء أمام الله واذا
كان الله بتشريعه .. قد حمى أهلك وعرضك .. فانه يحمي أهل
وعرض الآخرين .. فاذا انتهكته عاقبك .. واذا خالفته عذبك ..
لماذا ؟ .. لأنك تريد الافساد فى الأرض

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهانا عن تناول سير الناس بالباطل
والتجسس على أخبارهم .. فقد نهانا عن ذلك ليحفظ سيرنا وأسرارنا
.. فأنا لى عورات لا أحب أن يطلع عليها أحد .. وأنت لك عورات
لا تحب أن يطلع عليها أحد .. وكلنا يسيئه أن يطلع على عوراته أحد
.. أو يتناوله أحد بالسوء وهو غير موجود .. لا يستطيع أن يدافع
عن نفسه

ولكن بعض الناس يريد وضعاً متميزاً .. يحل لنفسه أن يسرق
هو .. ولا يحل لغيره أن يسرقه .. ويحل لنفسه أن يعتدى على
أعراض الناس .. ولا يرضى ولا يقبل أن يعتدى أحد على عرضه ..
ويريد أن يتجسس ويكشف عورات غيره ويتناوله بالسوء .. فاذا
تجسس أحد على عوراته هو .. أو تحدث عنه بالسوء .. ثار وهاج

وانفعل .. والله يقول لا .. كلکم أمام سواء .. عبیدی .. أنا خلقتکم
وأعاملکم بلا تمييز .. لا أحل لأحد ما أحرمه على الآخر مهما کان
هذا ذا قوة وسلطان .. والثانی لاحول له ولا قوة .. ومن
هنا فأننى عندما أحرم .. أحرم علیکم جميعا .. وعندما أحل ..
أحل لکم جميعا .. قویکم وضعیفکم .. فقیرکم وغنیکم .. وكل من
یحسب أن ماله .. أو جاهه .. أو سلطانه سيجعله ممیزا عندى
فهو واهم

ذلك هو العدل الالهی .. وهذا هو منهج الله .. لا یفرق بین أحد
.. ولا یحل لهذا .. ویحرم على ذلك .. فهو فى تشریعه انما یتستهدف
حماية المجتمع کله غنیه وفقیره .. قویه وضعیفه

اذن فما الذى یضعه الله .. انه یضع المجتمع الصحیح .. یضع
القواعد للمجتمع القوى ویهذب النفس البشریة وینبئها من الداخل
ویجعلها صلبة قوية عادلة .. تحافظ على حقوق غیرها .. كما تحافظ
على حقوق نفسها .. انه یلغى قانون الغابة السائد بین الحیوان ..
ویرقى بالانسان الى درجة الانسانیة .. یسمو به ویمیزه عن باقى
مخلوقاته ..

الله سبحانه وتعالى یضع لنا فى منهجه أساس بناء المجتمع الذى
یسود الأرض .. لماذا ؟ لأنه هو الوحید القادر على ذلك .. وهو أعلى
من البشر جميعا .. وأعلم منهم .. وهو الذى خلق هذا الكون ..
وسخر کل شیء فیة لخدمة الانسان .. سخر قوى أكثر کثیرا
من الانسان فالشمس والقمر والأرض والنجوم سخرها کلها لخدمة
الانسان .. وجعلها خاضعة له .. تعطیه دون أن یشعر له اختیار ..
ودون أن تملك الإرادة فى أن تمنع وتمنع ..

واذا کان الله سبحانه وتعالى قد خلق هذه القوى جميعا وسخرها
لخدمة الانسان .. وهى قوى یعجز الانسان أن یخلق مثلها .. فلا

الانسان يستطيع أن يخلق أرضا .. أو سماء .. أو شمساً .. أو قمرًا .. أو غلافا جويا أو جاذبية أرضية .. إذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق كل هذه القوى الجبارة وسخرها لخدمة الانسان .. فهو القادر وحده على أن يرسم لنا الطريق الصحيح للحياة السعيدة على هذه الأرض .. وليس للانسان مهما بلغ أن يتناول ويقول أنا أقدر من الله سبحانه وتعالى فى رسم الطريق الصحيح للحياة على الأرض .. لأن كلا منا مهما بلغ ، عاجز أمام قدرة الله .. ولأن كلا منا ، مهما حاول ، يريد أن يعدل له هوى فى نفسه .. والله لا هوى له .. ولذلك فهو يحكم بالعدل ويضع الصراط المستقيم .. وما دام الله قد قال .. فهو أعلم منا جميعا .. ولذلك فانا يجب أن نتبع منهج الله ودون أن نقارنه بمنهج بشرى مهما كان

على أننا حين نسأل بعض الناس من الذى خلق الحياة يقولون الله .. من الذى خلق السموات والأرض .. يقولون الله .. ثم تسألهم إذا كانت هذه هى الحقيقة فلماذا لا تتبعون منهج الله ؟ نجد بعضهم لا يجيب والبعض الآخر يحاول أن يضع منهجا بشريا مقابل منهج الله ثم يناقشك فيه .. ونحن نقول لهؤلاء جميعا انكم تناقضون أنفسكم .. إذا كان الله هو خالق الحياة وخالق الكون .. وإذا كان الله قد وضع منهجا للحياة التى خلقها كما وضع قوانين للكون .. أتترك هذا العطاء وتذهب الى ما يقوله بشر عن هوى .. أو عن أى شىء آخر .. كيف أترك من يعلم .. وأذهب الى من لا يعلم .. وكيف أجادل فيما وضعه الخالق بما وضعه مخلوق .

بل ان الأساس فى اتباع منهج الله هو الايمان .. ولذلك تجد الله سبحانه وتعالى حين يخاطب عباده فى منهجه .. يقول دائما « يا أيها الذين آمنوا » ويكررها فى آيات كثيرة من القرآن .. لماذا ؟ لأن الأساس فى اتباع منهج الله هو الايمان بالله والرسول والملائكة

والغيب . ذلك هو الأساس . . أما غير ذلك فهو باطل . . ولو أتيت
بما طلبه الله منك ولكن بلا إيمان فعملك باطل

ولنوضح هذه النقطة قليلا . . الله أمرنا بالتصدق على الفقراء . .
من فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله وإيماناً منه بالله ومنهجه فله النواب
. . ولكن هب أن انساناً يتصدق على الناس ليقال عنه أنه جواد
أو كريم . . يأتي أمام القوم ويجمع الفقراء ويعطيهم المال ويتباهى
بذلك ويتحدث عنه كثيراً ليقول الناس عنه أنه رجل كريم . . حتى
إذا جاء فقير بينه وبين نفسه ، طرده ولم يتصدق عليه . . أنه يريد
السمعة والشهرة ولا يريد رضا الله . . هذا الانسان لا يثاب رغم أنه
أتى عملاً من الأعمال التي حث عليها الله سبحانه وتعالى . . وطلب منا
القيام بها . . ولكنه أتاها بلا إيمان . . أتاها وقلبه غير مؤمن بالله
لا ينطبق عليه قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » . . كذلك رجل
يصلى أمام الناس فإذا كان وحده لا يصلى . . هل يثاب على صلاته . .
أبدا . . مع أنه يفعل ما أمره الله به ولكن بلا إيمان .

والله سبحانه وتعالى في النسي عن الشركه
العقل لوجهه براضه . . سبحانه وتعالى فانه يقبله . .
لارضاء البشر فانه . . لا يتقبله . . حتى . . جزء
لارضاء البشر . . لجام النسي . . فانه لا يقبله فانه . .
والحديث الشريف (. . الأعمال بالنيات . . وانما عمل . . ما توري . .
هو أكبر . . فيصيح . . ما جعلها القلب ، . .
. . يعرف ما يحفيه . . عسى . . ويعلم تماماً . .
في هذه الدنيا يعتقد . . يستطيع أن يخدع الله . . كارثة
الانسانية كلها .

ولقد أجهد الفلاسفة أنفسهم على مر السنين في الوصول إلى وجود
الله . . محاولين استخدام العقل بدلا من الرسائل السماوية التي
أنزلها الله سبحانه وتعالى . . ومن هنا فانهم أرادوا أن يستخدموا

العقل فيما لم يخلق له .. ذلك أن العقل له وظيفة .. أو وظائف
فى الحياة .. ليس من بينها أن يصل الى وجود الله بدليل فوق طاقته
.. أو غير مستخدم الوسائل .. أو الرسائل التى أنزلها الله لعباده
.. فهذه الرسائل قد وضع فيها الله سبحانه وتعالى الأدلة فيما هو
فى قدرة العقل البشرى .. منذ يوم خلقه .. الى يوم القيامة ..
ولكن الفلاسفة يريدون أن يتجاوزوا هذا .. بأن يقدموا للعقل البشرى
ما هو فوق طاقته .. وهذا مستحيل ..

ولقد قال لنا الله فى رسالاته هذا هو الطريق الى عبادتى .. وشرحه
لنا .. وبين لنا الثواب والعقاب .. وهذا دليل قوى على وجود الخالق
.. ذلك أن الذين يعبدون الشمس والأصنام .. أو أى شىء غير الله
.. فان هذه الأشياء لا ترسل لهم رسالات تقول لهم .. أو تبين لهم
.. أو تعلمهم طرق العبادة .. ولذلك لم نسمع عن رسول أرسلته
الشمس ليهدى الناس .. مع أن الناس عبدوا الشمس .. ولم نسمع
عن رسول أرسله صنم ليهدى الناس .. مع أن الناس عبدت الأصنام
.. والأحجار .. والحيوانات .. وكل شىء فى هذه الدنيا عبد بطرق
ابتدعها الناس أنفسهم حسب أهوائهم ..

واذا حكمنا المنطق وحده .. والعقل وحده .. فان الاثنين معا
لا يقولان لنا أن ندخل فى أشياء هى فوق قدرة الاثنين معا .. وبالرغم
من ذلك .. فان الانسان رغم عجزه يحاول أن يخترق هذه الحجب ..
بطريق الجهل .. وليس العدل .. ومن هنا فاننا لا نجد أى مدرسة
فلسفية حاولت أن تخترق الحجب الى ما وراء المادة .. أو الى العالم
غير المادى .. قد وصلت الى نفس النتائج التى وصلت اليها مدرسة

أخرى .. بل ان كل مدرسة تصل الى نتيجة قد تكون مخالفة .. أو مناقضة للمدرسة الأخرى .. ولم تصل أى مدرسة من هذه المدارس الى نتيجة تقبلها كل العقول ..

على أن الانسان في صلته بالعالم الخارجى يتمتع بما نسجه بالحاسة .. أو الحواس .. فأنت ككائن بشرى حين تتصل بالعالم الذى يحيط بك .. فانك تتصل به عن طريق حواس حددت بخمس هى : أن يسمع الانسان ويرى ويشم ويلمس ويتذوق .. هذه الحواس نفهم بواسطتها العالم الخارجى .. ونميز بواسطتها هذا العالم .. بل ونعطيه الصفات التى نطلقها عليه .. فصفات الألوان مثلا نميزها بحاسة البصر .. ونوع الطعام مثلا نعطيه لفظ الحلو .. ولفظ المر .. ولفظ الجيد .. ولفظ الرديء .. بحاسة الذوق الى آخر هذا الكلام .. اذن فنحن نتصل بالعالم الموجود خارجنا عن طريق هذه الحواس .. ولكن ماذا عن عالم ما هو داخل النفس البشرية .. وكيف يمكن أن يتم الاتصال بين الانسان .. وماهو موجود في داخله .. هل يتم هذا الاتصال عن طريق الحواس .. أو عن طريق أشياء أخرى يطلق عليها بعض الناس البديهيّات .. وبعض الناس لفظ الهام خاص .. وبعض الناس ألفاظا أخرى .. ولكن المؤكد أن هذا الاحساس الذى يتم بالنسبة لما فى داخل النفس البشرية لا يتم عن طريق الحواس الخمس التى تتصل عن طريقها بالعالم الخارجى .. وانما يتم عن طريق أشياء أخرى .. يطلق عليها كما قلت الهام أو بديهيّات .. أو احساس داخلى الى آخر هذا ..

ولنشرح الموضوع بشئ من التفصيل .. نبدأ أولا بالأشياء التى يصل اليها الانسان عن طريق حواسه التى تصله بالعالم الخارجى .. فهو يرى ألوانا مختلفة .. ويسمع أصواتا مختلفة .. ويلمس أشياء مختلفة .. ويتذوق أطعمة مختلفة .. ويشم روائح مختلفة .. هذا هو اتصال الانسان بالعالم الخارجى .. أما اتصّاله بما فى داخله فيأتى مثلا عن طريق شعوره بالجوع .. اننا لا نرى الجوع .. ولا

نلمسه .. ولا نشمه .. ولا نتذوقه .. ولكننا نشعر به .. وما ينطبق على الجوع .. ينطبق على الأشياء الأخرى .. مثل الحب والكره مثلا .. الانسان يحب شخصا ما .. ويكره شخصا ما .. أو شيئا ما .. دون أن يكون لذلك سبب حسي معروف .

اذن فهناك أشياء في داخلنا .. تسمح لنا بأن نشعر شعورا معيناً .. هذا الشعور نحس به ونعرفه تماما .. ولكننا لا نرى بحواسنا .. ان الانسان مهما قال في شرح أسباب الحب والكراهية لا يستطيع أن يصل الى الحاسة التى تسبب الحب .. أو التى تسبب الكراهية .. فهذه الحاسة لا تدخل ضمن الحواس الخمس .. التى يتصل الانسان عن طريقها بالعالم الخارجى .. أو التى تحدد علاقة الانسان بالعالم المادى .. ومن هنا فان العلماء حريصون .. حينما يتحدثون عن الحواس ، على أن يقولوا ان هذه الحواس هى التى توصل الانسان الى العالم الخارجى .. وأن الانسان له ملكات وغرائز وشعور والهام .. وأشياء أخرى فى داخله توصله الى داخل النفس البشرية .. وتؤثر فى هذه النفس ..

والذى لا يخضع للمنطق ، نحاول أن ننكر أن فى داخل الانسان أشياء كثيرة غير الحواس التى توصله الى العالم الخارجى .. وأن الانسان يستطيع أن يتصل بالعالم .. بينما ما بداخله يطرق بلا اتصال أو احساس معين .. الحقيقة أن الالهام أو الشعور والاحساس بما فى داخل النفس البشرية يوجد قبيل احساس هذه النفس بما حولها من العالم .. تلك سنة الخلق .. فالطفل الصغير مثلا يحس بالجوع والعطش .. ويعبر عنهما بالبكاء قبل أن يستطيع أن يستخدم حواسه فى الاتصال بالعالم الخارجى .. وهو يحس بالحنان والدفء .. والحب والكره .. والقسوة .. والرحمة .. كل هذه الأشياء توجد فى داخل نفسه مع دقائق الحياة الأولى .. بينما الحواس تنتظر أسابيع أو شهورا قبل أن تستطيع أن تؤدي مهمتها بشكل يمكن أن يعبر عنه الطفل ..

واذا درسنا هذه الحواس الداخلية .. نجد أن أقواها هو احساس
الانسان بوجود الله .. هذا الاحساس الذى قد يفتقر الى شىء من الدقة
بالنسبة لعظمة الله وقدرته .. والكون .. ووجوده .. وكل شىء من
هذا النوع .. ولكن هذا الاحساس يؤكد وجود قوة داخل الانسان
تدفعه الى أن يشعر ويحس بوجود الخالق سبحانه وتعالى ..

.. فاسم الله مثلا لا تدركه الحواس الخمس .. لأن
أكبر من قدرتها .. ولكن تدركه حاسة داخل الانسان .. حاسة غير
مرئية .. ومن هنا فإن كلمة الله التى هى فوق قدرة الحواس الخمس
.. نجد أن الأذن تفهمها عندما تسمعها .. ولا يمكن للأذن أن تفهم
شيئا لا يوجد أصلا داخل النفس البشرية .. بحيث يكون التصور
هنا ليس غريبا تماما .. على هذه النفس .. بل هو معروف لها بشكل
ما .. قد لا نفهمه نحن .. ولا نستطيع أن نحلله .. ولكنه معروف
.. فعندما يذكر لنا أحد اسم الله .. فإن الذى يقفز الى عقولنا هو
وجود قوة خارقة .. هى التى خلقت هذا العالم .. وأن هذه القوة
خارج نطاق العقل .. بل وخارج نطاق الحواس ..

اذن .. كيف ندرك وجود هذه القوة .. وكيف يكون اسمها
مألوفاً عندنا .. وهى خارج نطاق الحواس .. وخارج نطاق العقل ..
هنا يأتى ما فى داخل النفس .. وهو الالهام .. أو الشعور .. ليقول
لنا ان هذه القوة ، رغم أنها فوق مستوى العقل والحواس ..
موجودة داخل النفس .. والنفس تفهم وتحس بوجودها ..

وفى العصر القديم بدأ الفلاسفة .. خصوصا فلاسفة اليونان
يبحثون عما وراء المادة .. عما وراء هذا العالم المادى .. عن الخلق ..
وعن القوة التى أوجدت هذا العالم .. الى آخر فلسفة اليونان القديمة

عما وراء المادة .. من الذى قال لهم أن هناك شيئا وراء العالم المادى ..
يجب أن يدرس .. كيف عرفوا أن هناك شيئا خلاف المادة ..
مع أن الحواس الخمس لا تقول لنا شيئا الا عن المادة .. ونحن هنا
لا نناقش الفلسفة اليونانية .. وسواء نجحت هذه الفلسفة أو غيرها
.. أو فشلت .. موضوع لا يهمنا .. وانما الأمر الذى يهمنا أنهم
كانوا مدفوعين لينظروا الى ما وراء الطبيعة .. وأنه كانت لديهم أشياء
داخل أنفسهم .. ليست أشياء حواسية .. أى لا تخضع للحواس
ليفعلوا ذلك ..

يل ان الانسان منذ فجر التاريخ .. منذ بداية خلقه .. وهو
يبحث عما وراء المادة .. يبحث عنه بطرقه المختلفة .. وهو أحيانا
يتخذ سبيلا آخر لظهار خضوعه أو عبوديته لهذه القوة التى هى وراء
المادة .. ولكن المهم فى هذا كله .. أن هناك شعورا داخليا فى النفس
البشرية .. يقول لها ان هناك شيئا وراء الطبيعة .. ان هناك قوة ما
وراء هذا العالم .. وأن هذه القوة .. هى قوة عظيمة وخارقة ..
هناك شعور داخلى فى كل نفس بشرية بوجود الله .. تلك القوة التى
هى وراء هذا الكون .. هناك شئ داخل النفس البشرية يجعلها تدرك
أو تفهم أن العالم المادى الذى يرونه لا يمكن الا أن تكون وراءه قوة
خارقة قادرة منظمة قوية ..

ولكن العالم المادى نفسه الذى نعيش فيه .. لا يمكن أن يخلق
فيينا هذا الشعور .. لا يمكن أن يقول لنا اذا استخدمنا حواسنا فقط
ان هناك قوة قادرة قاهرة خلف كل هذا .. اذن لابد أن هناك قوة
أخرى خلاف هذا العالم المادى هى التى وضعت فيينا هذا التصور ..

وعلمتنا أن هناك شيئا خلاف المادة يجب أن يتم البحث عنه .. ومن هنا بدأ البحث والفكر والاتجاه نحو هذه القوة .. ولو لم يكن هناك شعور فى داخلنا .. واحساس قوى بوجود هذه القوة لما بحثنا .. ولما دخل كل هذا البحث عبر تاريخ البشرية ..

على أن هناك ملاحظة أخرى أحب أن أسجلها .. هى أن الانسان حين يصل الى مرحلة التفكير فى وجود الله .. أو المرحلة التى يعقل فيها أن هناك قوة خارقة وراء هذا الكون .. لابد أن تكون قد مرت فترة من عمره .. فالانسان عادة لا يبدأ فى التفكير فى مثل هذه الأمور .. أو يتحدث عنها بعمق دون أن يكون قد تجاوز سن العشرين أو الثلاثين على الأقل .. ليكون لديه نضج العقل الكافى لمناقشة أمر عميق كهذا .. والسؤال الذى يجب أن يطرح هنا .. هو بأى منطق عبد هؤلاء الناس الله .. قبل الوصول الى هذه السن .. وكيف تفهموا كل هذه الفلسفة التى تحتاج الى عقل ناضج .. وإلى علم ودراسة وتأمل .. حتى يستطيعوا أن يصلوا الى أن هناك شيئا وراء المادة .. ولكننا نجد العقول البسيطة التى لم تقرأ كتابا واحدا .. ولم تدرس ما هى المادة .. تعرف أن الله موجود .. وتعبد به بفهم .. ونجد أولئك الذين لم يناقشوا هذا الموضوع على الإطلاق .. يتقبلون وجود الله .. ويقومون بعبادته .. دون أن يحسوا أن هناك تناقضا بين الكون الذى يعيشون فيه .. وبين وجود الخالق سبحانه وتعالى .. بل أن أكثرهم يحس بانسجام فطرى غريب بأن الله سبحانه وتعالى .. ووجود الكون شيئان لابد منهما .. ووجودهما حقيقة داخل النفس ..

ولكن اذا كان يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد وجود الله .. فما الذى أوجد هذا القلق فى العالم .. وما الذى أوجد المذاهب المتضاربة ..

ولماذا يحاول بعض الناس أن يثبت وجود الله .. وبعض الناس أن ينكر وجود الله .. ما سبب هذا التضارب العجيب الذي نراه .. ما دامت النفس البشرية يوجد فيها بالفطرة ما يؤكد وجود الله ٩٠

الحقيقة أن الذى صنع هذا هو هوى النفس .. وكل من حاول أن يخوض فى هذا الموضوع .. وضع الخيال مكان المنطق .. ووضع التصور مكان التفكير .. ومن هنا فإن العقل البشرى فى محاولته أن يخوض فيما هو أكبر من قدراته .. لم يستطع أن يقدم ما يريده .. فانطلق الى الخيال ..

وأريد هنا أن أضرب مثلا يوضح ذلك .. اذا أقفلنا باب هذه الحجرة التى نجلس فيها .. ثم طرق أحدهم الباب فكلنا يعرف أن هناك شخصا ما هو الذى طرق الباب .. هذه قدراتنا .. وهذه نقطة لا خلاف عليها .. فاذا بدأنا نسال أنفسنا .. من الذى طرق الباب .. هل هو رجل أم امرأة .. قصير أم طويل .. أبيض أم أسود .. عربى أم أعجمى .. هنا يبدأ الخلاف .. لماذا ؟ .. لأننا لا نحكم المنطق والعقل .. ولكن نحكم الخيال ..

وهذا هو ما حدث بالنسبة لعدد من البشر .. لقد أرهقوا أنفسهم فى تخيل الله .. مع أن هذا التخيل خارج عن نطاق العقل البشرى .. ومستحيل .. ذلك لأننا لكى نتخيل شيئا ما .. فإن هذا الشئ يجب أن يشبه شيئا فى قدرات العقل .. فانت حين تريد أن تشرح شكلا معيناً لانسان .. ولا يستطيع أن يفهمك .. تقول له : انه شئ يشبه الكرة .. وحينئذ تكون قد نقلت هذا التصور من خارج قدرة العقل

البشرى الى داخلها .. فاستطاع الانسان أن يتصور ذلك الشيء ..
ولكن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء .. اذن كل ما سيقوله
الفلاسفة هو من باب التخيل الذى لا يمكن أن يدركه العقل .. ولا
يخضع لمنطق .. ومن هنا فاننا لو قطعنا المنطق لما اختلفنا .. ذلك
أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بنفسه عما يريدنا أن نعرفه عنه وعن
عبادته .. ولكننا نريد أن نتجاوز ذلك .. الى أشياء ليست فى قدرة
العقول البشرية .. فنضيع .. ولو أننا تمسكنا بما قاله لنا الله ..
لكان فى ذلك المنطق السليم .. اذن فان ما يؤكد وجود الله .. أنه
موجود فى قلوبنا بالفطرة .. وطريقة عبادة الله وطاعته .. وكل
ما يريدنا أن نعرفه عنه موجود فى رسالاته التى أرسلها بواسطة
أنبيائه المختارين .. فالمنطق يقول اننا نتبع هذه الرسالات ..
والخيال يقول أننا نبحث عما فوق قدرات العقل .. ونتوه مع أن
رسالات الله سبحانه وتعالى للبشر .. هى فى حقيقتها أكبر دليل على
وجود الله ..

على أننى أريد أن أنبه الى كلمة هامة قد وردت فى الآية الكريمة :
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ..
لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى سنريهم آياتنا فى الأرض واستخدم بدلا
منها لفظ الآفاق .. ونحن نعلم أن القرآن ، وهو كلام الله سبحانه
وتعالى ، غاية فى الدقة وفى اختيار اللفظ الذى يطابق المعنى تماما

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا الى أنه سيكشف لنا فى
المستقبل آياته فى الآفاق التى لا نعرفها حتى الآن .. أى أن الله
سبحانه وتعالى سيكشف لنا أكثر من آية ليست فى الأرض فقط ..

بل فى الآفاق المحيطة بالأرض ٠٠ ولعل وصول الإنسان للقمر ٠٠
ومحاولة وصوله للمريخ ٠٠ وكل ما يحدث من محاولة الكشف عن
أسرار الكون فى الآفاق المحيطة بالأرض ٠٠ يأتى مصداقا لهذه
الآية الكريمة ٠٠ ولكن بعض الناس يغتر بالعلم ٠٠ ناسيا أو متناسيا
٠٠ ان هذا العلم قد خرج الى البشر بقدرة الله سبحانه وتعالى

ولكن بعض الناس يحاول أن يفلسف العبادات بقدر طاقة العقل
٠٠ فيأتى المستشرقون مثلا يحاولون التشكيك فى القرآن الكريم
فيقولون ان الله سبحانه وتعالى قال « **ولله المشرق والمغرب** » ٠٠
٠٠ « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » ومع ذلك يأمرنا أن نتجه الى القبلة
فى صلاتنا وهى بيت الله الحرام وتكون الصلاة باطلة اذا لم تتجه
الى القبلة

اذا كان الله سبحانه وتعالى فى كل مكان ٠٠ فى المشرق والمغرب
٠٠ وأينما وليت وجهك فثم وجه الله ٠٠ ألا يتعارض ذلك مع وجود
مكان محدد يجب أن نتوجه فى الصلاة الى الله سبحانه وتعالى

فالقضية هنا قضية ايمانية كبرى ٠٠ أساسها الاعتراف بالألوهية
٠٠ وبأن الله سبحانه وتعالى علمه فوق كل علم ٠٠ وأنه ما دمت قد
آمنت بالله ٠٠ وأسلمت بهذه القوة الكبرى ٠٠ فان الله سبحانه
وتعالى بحق الألوهية يختار لك الطريق الأحسن والأصوب ٠٠ وأنت
تتبع هذا الطريق لأنه جاء من الله سبحانه وتعالى ٠٠ هذه هى قضية
الإيمان والتسليم ٠٠ ذلك كما قلنا ، ان القدرة هنا ليست متساوية
٠٠ والعقل ليس متساويا ٠٠ وشتان بين قدرة الله سبحانه وتعالى

وقدرة العقل البشرى .. والايمان بالله أساسه التسليم بالوحيته ..
ولهذا أتى الله سبحانه وتعالى بمسألة القبلة .

مكان القبلة لا يكلف المؤمن شيئا .. أى لا يضيف عليه أعباء
جديدة أو مشقة .. فالتوجه الى المشرق أو التوجه الى المغرب .. أو
التوجه الى اليمين أو اليسار .. كل هذا لا يكلف المؤمن مشقة فى
صلاته .. فهو لا يتحمل مشقة اذا توجه الى المغرب بدلا من المشرق
.. ونفس الجهد الذى سيبدله فى التوجه الى أى جهة .. جهد متساو ،
نأتى الى الآية الكريمة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز عن القبلة

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم

التي كانوا عليها .. »

وأنا أريد هنا أن أنبه الى شيء هام جدا وهو استخدام حرف (السين)
.. وحرف السين لا يستخدم الا فى شيء مستقبلي .. أى شيء
سيحدث فى المستقبل ولا يمكن أن أقول سيفعل فلان كذا ويكون
قد قام بالفعل .. بل لابد أن يكون لم يقم به ولكن سيحدث فى
المستقبل .. أى أنه لم يتم . ولكنه قادم

يأتى الله فى كتابه العزيز ويقول لنبيه الكريم « سيقول السفهاء »
.. ومعنى أنهم سيقولون أنهم لم يقولوا بعد .. ولكنهم بعد تغيير
القبلة سيقولون .. وهؤلاء الذين سيقولون هم أعداء الدين الذين
يحاولون التشكيك فيه وإذاعة الأباطيل عنه .. يأتى الله سبحانه
وتعالى ويقول « سيقول السفهاء » يعنى أن الله سبحانه وتعالى يصف
هؤلاء الناس قبل أن يقولوا بأنهم سفهاء .. ثم يخبر نبيه والمؤمنين
أن هؤلاء السفهاء سيقولون « ما ولاهم عن قبلتهم »

ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى هؤلاء الكفار فى أمر
اختياري مستقبلي لم يحدث .. وقال أنهم سيقولونه .. وان هؤلاء

الذين سرددون هذا القول هم سفهاء .. وهنا المعجزة .. فالأمر هنا اختياري يمكن للكفار أن يفعلوه وألا يفعلوه .. ويزيد على ذلك أن الله سبحانه وتعالى وصفهم بلفظ منفر وهو السفهاء .. والقرآن كلام الله المتعبد به إلى يوم القيامة لا تغيير فيه ولا تبديل .. ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن هؤلاء الناس حينما سمعوا هذه الآية لم يسألوا عن تغيير القبلة وتجنبوا كل هذا .. إذن لكانوا قد طعنوا القرآن وطعنوا الدين في قضية إيمانية كبرى ، ولكنهم جاءوا وقالوا أن محمداً عليه السلام قال في كلام يوحى إليه من الله أنه سيأتي أناس لقبهم بالسفهاء .. ويسألون ما الذي ولى المسلمين عن قبلتهم .. ولكن أحداً لم يسأل ولم يثر هذا الموضوع لتعلموا جميعاً أن هذا الكلام غير موحى به .. وأن هذا الدين من عند محمد

ولكن لأن الله سبحانه وتعالى هو القائل .. هو الفاعل .. يجعل على يده خصوم القرآن وخصوم محمد عليه السلام ما يثبت صدق رسالته ويؤكد حقيقتها .. فيقول سبحانه وتعالى أنه سيأتي سفهاء من الناس ويمنون .. سبب التورط القبلية من بيت المقدس إلى البيت الحرام .. والآن لكم عنهم شيء من آياتنا .. وأقول لكم ما يسردون في قوله أن يسألوا عن القبلة .. ثم أعلن أن هؤلاء الناس هم سفهاء .. ولأنهم فعلوا هؤلاء الكفر والظلم .. هذا الكلام ويرددون ما جاء به القرآن .. فيقولون صدق كلام الله .. بينما هم يحاولون أن يضلوا عن دينه .. وهكذا يأتي الله سبحانه وتعالى في يده خصوم القرآن والدليل الواضح على صدق هذا الكتاب الكريم .. يجعل الدين يحاولون فهم هذا الدين .. متبعين له بأمر الله وهم لا يملكون في ذلك اختياراً ..

إذن فتغيير القبلة فيه معجزة إيمانية كبرى .. على أن الله سبحانه وتعالى .. قد تحدى خصوم هذا الدين في أمر اختياري .. أما قوله تعالى « قل لله المشرق والمغرب » فهذا اعجاز آخر على أن الإسلام سينتشر في بقاع الدنيا كلها .. وأن المصلين في كل مكان سيتجهون

اتجاهات مختلفة .. فهذا سيوجه مشرقا الى القبلة .. وهذا سيوجه غربا .. وذاك شمالا .. وذاك جنوبا .. ولو أنهم جميعا يتجهون الى مكان واحد وهو بيت الله الحرام .. الا أن بعضهم سيوجه شرقا وبعضهم غربا وبعضهم شمال شرق .. وفي كل الاتجاهات هم يتجهون الى بيت الله .. كما أن الصلاة اذا تعذر على الانسان معرفة القبلة ، يمكن أن تكون صحيحة باتجاهه الى المكان الذي يعتقد أنه الاتجاه الى بيت الله .. كذلك تكون الصلاة في الطائرة .. أو الباخرة مع أن الطائرة أو الباخرة قد تغير اتجاهها أثناء الصلاة .. والمقصود هنا بالقبلة هو وحدة الهدف للمسلمين وهو التوجه الى بيت الله الحرام .. والمقصود أكثر هو التسليم لله سبحانه وتعالى بالالوهية .. فانت في الحج مثلا تقبل حجرا .. وترجم حجرا .. ولا تخضع ذلك الى منطق العقل المحدود .. ولكن تخضعه الى أمر الله سبحانه وتعالى .. وان له حكمته في كل شيء قد أمر به .. فانت في هذه الحالة أحد ثلاثة .. انسان مؤمن بالله تتبع ما يقوله الله بحق الالوهية ، وبحق عبوديتك له .. ولذلك نجد الخطاب في الطاعات بالنسبة للمؤمنين في القرآن الكريم فيما يتعلق بالطاعات فلا يقول يا أيها الناس لا تفعلوا كذا وافعلوا كذا ولكنه سبحانه وتعالى يقول « يا أيها الذين آمنوا » .. والخطاب هنا للمؤمن الذي يدرك يقينا أن قدرات الله وعلمه أكبر وأقوى من قدراته .. وهو يتبع ما قاله الله كما يتبع المريض ما قاله أكبر أطباء العالم ليشفى من مرضه .. ولا يناقشه في هذا الدواء وذاك .. ولا في النظام الذي يتبعه في العلاج لأن المفروض أن علم الطبيب أكبر كثيرا من علم المريض .. وفرق ، ولا مقارنة بين علم الله وعلم البشر

أما الكافر أو غير المؤمن فهذا يفعل ما يشاء فليس بعد الكفر ذنب .. تماما كما يمزق أوامر أكبر طبيب يعالجه ويتبع هواه .. فيشفى ولكن أحدا لا يلومه لأنه ليس بعد الكفر ذنب .. واذا لم تؤمن فافعل ما شئت

أما الثالث فانسان يعبد عقله وهو يريد أن يصل بعقله الى منزلة
مساوية مع علم الله سبحانه وتعالى .. وهذا يضل ويشقى ولا يصل
الى شئ لأن علم الله لا يحيط به أحد

هذه قضية ايمانية كبرى .. ولقد أراح الله العقول وجنبها كثيرا
من الشقاء بأن أعطاها من علمه خلال رسالاته ما يبين لها طريق الحياة
الطيبة على الأرض .. ولكن بعض هذه العقول يأبى أن تشمله رحمة
الله .. فيتعب نفسه ويتعب عقله ولا يصل الى شئ

ولقد جاء الله سبحانه وتعالى بقضية الايمان الكبرى وهي التسليم
لله في العبادة والتكاليف .. ولم يأت بها فى أى مجال آخر .. أى
أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون الايمان امتحانا للنفس البشرية
وتسليما لله سبحانه وتعالى .. فقال الله جل جلاله اذا أردت أن تعبدنى
وتؤمن بى وأنه لا اله الا أنا فهذا هو الطريق .. افعل كذا ولا تفعل
كذا .. وفى هذا اختبار لطاعتك وايمانك .. ومدى استقرار هذا
الايمان فى القلب .. فاذا كنت آمنت بى ربا وخالقا فاعبدنى كما
رسمت لك الطريق .. وأنا حين أعبد الله .. أعبده كما يريد هو أن
يعبد .. ولا أضع من تشريعى أنا وعقلى طريقا أعلم به الله سبحانه
وتعالى كيف يعبد .. فهو الله وأنا العبد

ولعل تغيير القبلة امتحان للايمان .. فالاتجاه الى المشرق أو
المغرب لن يكلف المؤمن جهدا .. ولكن الله سبحانه وتعالى يقول

« وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم
بتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت
لكبيرة الا على الدين هدى الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم »

ولكن الذين يناقشون قضية الايمان لا يقدمون الدليل أو الحجة على
ما يقولون .. ويتجنبون مناقشة جوهر الرسالة أو الطريق الذى

رسمه الله لعباده . يأتي الواحد منهم ليقول . ان هذا القرآن ليس منزلا من عند الله . وهذه قضية لا يستطيع أن يثبتها . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يخبره بهذا . وهو لم يأت بعلمه الانكارى عن طريق يقينى . بل أتى عن طريق هوى فى نفسه . يريد أن يحققه بالهروب من شريعة الله الى شريعة أخرى تعطيه فوق ما له من حقوق . وتسلب الآخرين ما لهم من حقوق . على أن الذين يجادلون ويحاولون أن يخدعوا الناس . يأتون بأشياء كثيرة لا تمت للعلم بصلة . نجد واحدا يقول أن أصل الإنسان قرد مثلا . . . هذا شيء مبنى على الظن . فالرجل الذى قال هذا الكلام لم يشهد قردا تحول الى انسان ولا يستطيع أن يحول قردا الى إنسان . ويجب حين نبدأ المناقشة معه . نقول له تعال : هل شهدت قردا تحول الى انسان ؟ سيقول لا . هل شهدت خلق الانسان ؟ سيقول لا . هل شهدت خلق القرد ؟ سيقول لا . هل تستطيع أن تحول قردا الى انسان ؟ سيقول لا . اذن على أى أساس بنيت نظريتك . . . سيقول بالملاحظة والتخمين

حينئذ نناقشه بالملاحظة والتخمين . نظرية الارتقاء التى يدعونها مبنية على التخمين والباطل . والا فليقولوا لنا . هل يستطيع انسان أن يميز بين عصفور وعصفور آخر . أو بين حصان وحصان آخر من نفس الجنس . أو بين قرد وقرد . . . الجواب طبعاً لا . ولكنك تستطيع أن تميز بين انسان وملايين البشر رغم أننا مخلوقون بنفس الشكل . فكل منا له عينان وأذنان وأنف وفم ويدان وقدمان الى آخر ذلك . . . أى أن الشكل واحد مثل الأمم الأخرى من الناحية الحيوانية . ولكن كل انسان له صورة تميزه عن ملايين البشر . . . فانت حين ترى انسانا بين الملايين التى تسكن الكرة الارضية تقول هذا على وهذا اسماعيل وهذه فاطمة . وهذا أبى وهذه أختى الى آخر ذلك . . . من الذى ميز الانسان عن أى انسان آخر ؟ اذا كان الخلق قد تم بالارتقاء من الناحية الحيوانية . . . من الذى وضع هذا

التمييز .. الذى ميزه هو الله سبحانه وتعالى ليستقيم ذلك مع الحياة التى رسمها له .. وهو مميز فى الدنيا ليحاسب فى الآخرة .. فلو ان الانسان غير مميز لكانت حياته على الأرض مستحيلة التنظيم .. ولكان من غير الممكن أن يكون شهيدا على نفسه فى الآخرة .. ولقد وضع الله التمييز فى الانسان باعجاز شديد حتى أن بصمة الأصبع لا تتشابه بين بلايين الخلق .. منذ بداية الدنيا الى نهايتها .. والانسان صورة لا تتكرر . ولعل أكبر دليل على ذلك صور وتمائيل الملوك التى تركوها فى الأرض وماتوا منذ مئات السنين .. فانت تستطيع أن تميز صورة رمسيس .. وكليوباترا ونابليون وغيرهم عن بقية الأحياء .. رغم أنهم ماتوا ورحلوا عن هذا العالم .. فالانسان قائم بذاته لا يتكرر رغم تكرار الخلق .. ليكون الحساب فى الآخرة حيث يعرف الناس بصورهم .. هذا التمييز الدقيق المعجز لا يمكن أن يأتى من خلق نشأ بالارتقاء أو بالصدفة .. ولكنه اعجاز الله وقدرته .. وآياته التى وضعها فى الانسان مصداقا لقوله تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . بل ان العقل البشرى الذى وضعه الله فى مساحة صغيرة جدا مكون من ألف مليون خلية عصبية .. هذه الألف مليون خلية تعمل وترجم وتهاجم وتدافع .. وتعطى الاشارات

هناك ثلاثة آلاف شعبة تتذوق الطعام لتعطيك طعم الحلو والمر .. وكل الألوان المختلفة لتذوق الطعام .. واذا اقترب شئ محرق من جسدك صرخت الثلاثون ألف خلية فى مخك : « احترس » .. وأشعرتك بالنار التى تقترب منها .. هذا الاعجاز لا يمكن أن يتم بالارتقاء أبدا .. والطفرة رهيبة بين الانسان وغيره من المخلوقات .. لا يمكن أن تكون الا من صنع قدرة الله .. وقدره الله سبحانه وتعالى .. هى التى أخذت حفنة من تراب ثم قالت « كن » .. فكان هذا الانسان الذى يعيش فى الأرض .. ويبنى ويعمر .. ويصعد الى القمر .. أنظر الى كل ما يستطيع أن يفعله البشر وما سيستطيعون

أن يفعلوه فى المستقبل .. تعرف ماذا يحدث عندما تمس قدرة الله
حفنة من تراب

على أن النفس البشرية فى أعماقها لغز حتى على صاحبها .. فيها
ملكات لم يكشف عنها الله سبحانه وتعالى للإنسان حتى الآن ..
فالإنسان فى كثير من الأحيان لا يفهم نفسه .. ولا يصل إلى أعماقها
وأسرارها .. والسلوك البشرى لا يزال لغزا أمام معظم الباحثين ..
وإذا كانت هناك قوانين تحكمنا ونعرفها .. فهناك قوانين كثيرة لا نعلم
عنها شيئا تحكم معظم تصرفاتنا .. فالإنسان عندما يحب مثلا ..
لا يعرف لماذا يحب فقد يكون الشخص الذى تحبه لا يستحق هذه
العاطفة .. وقد يكون إنسانا بالغ السوء .. وفيه من الصفات
ما نكره .. ومع ذلك تحبه .. فالحب والكره عاطفتان لا يعرف العقل
البشرى قوانين لهما .. بل أن فيهما ما هو ضد المنطق والعقل فى
كثير من الأحيان .. فالنفس البشرية فى عواطفها مزيج غريب من
المنطق والا منطق .. والعقل والا عقل .. والتضحية والأناية ..
وهي لغز وستظل لغزا

وإذا كانت النفس البشرية لغزا لا يستطيع أن يفهمه .. فإن
نظرة النفس بها جميعا .. تلك النظرة من صلة هذه النفس بالله ..
فإننا نرى بالقطرة .. يعرف الطفل .. والشباب والكمال ..
والعقل والجاهل .. وهؤلاء جميعا قد لا يستطيعون أن يشتركوا
فى استيعاب شيء واحد .. ولكنهم جميعا يفهمون كلمة الله ..
وتؤمن بقدوسهم عند سماع كلام الله رغم الفوارق بين العقول .. ذلك
أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ملكات فى النفس البشرية لا نعرفها
نحن .. ولكن الله سبحانه وتعالى عليم بها .. وأسعد النفوس هي
النفس مطمئنة .. تلك التى أعطاه الله سعادة الدنيا والآخرة ..
اطمأنت الى قوله وعدله .. وقوته وقدرته .. وعلمه ووجوده ..
اطمأنت الى أن الله حق وأن الآخرة حق .. وأن الدنيا حق .. فعملت
لكل عمله .. واطمأنت الى أن الله ينصرها لأنها اختارت الطريق

الصحيح .. واطمأنت الى أن قضاء الله خير .. ما أعطى خير ..
وما منع خير .. فالمنع رحمة لأنه بعد عن الشر أو حفظ منه

قضاء الله بالنسبة لهذه النفس هو خير في المنع وخير في العطاء ..
وهي تؤمن أن الله يدافع عن الذين آمنوا .. وأن الله يحب عباده
المؤمنين .. وأنه رحيم في قضاائه مع النفس المؤمنة .. وأنه لا يوجد
ظالم أقوى من عدل الله .. ولا جبار يعلو على قدرة الله .. ولا مفسد
يفلت من عقاب الله

ولكننا في كثير من الأحيان ننظر إلى الأشياء بمنظار آخر .. فنحن
نرى فيما يحدث اجحافاً وظلماً .. ونحس بأن المظالم تملأ الدنيا ..
ونسأل أين عدل الله .. ولكننا في الحقيقة تضيق صدورنا لأن جزءاً
من الحكمة مخفى عنا .. ولقد شاءت رحمة الله أن يفسر ذلك لنا .. وهذا
لنرى الفرق في كثير من الأحيان بين الظاهر والحقيقة .. وهذا
موضوع فصلنا القادم عن خواطري حول سورة الكهف



• الفصل الثالث •

خواطر حول سورة الكهف

عندما نتحدث عن معاني القرآن الكريم .. فإننا في كثير من الأحيان يجب أن نتنبه إلى الحكمة من بعض الآيات التي نقرأها .. ذلك أننا نمر أحياناً على أشياء دون أن نتنبه إلى المعنى الذي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها .. وأمرنا بأن نتدبر فيه ..

على أن ذلك لا يعني أن نحاول تحميل القرآن أكثر من معانيه .. وبعض العلماء اندفاعاً مع العصر .. أو محاولة في إثبات اعجاز القرآن .. يقومون بربط بعض النظريات العلمية التي تزداد والتي تبهر الناس .. يحاولون ربط هذه النظريات ببعض آيات القرآن الكريم ..

والخطورة هنا أن النظرية العلمية تحتل الخطأ والصواب .. فماذا يمكن أن يحدث إذا حملنا آيات القرآن ببعض النظريات .. ثم تبين بعد ذلك أن هذه النظريات غير صحيحة .. ماذا يكون الموقف .. إن الحماس لا يجب أن يأخذنا إلى الحد الذي نحاول فيه أن نجد في القرآن الكريم ما يتوافق مع نظريات العلم الحديث .

والذى أحب أن أبينه .. أن القرآن الكريم .. كتاب دين وليس
كتاب علم .. علم أرضى .. بمعنى أنه لا يشرح لنا نظريات الهندسة
.. أو قوانين الطب أو غير ذلك .. بل أن الله سبحانه وتعالى فى أول
كتابه العزيز قد حدد الهدف .. وقال فى أول سورة البقرة ..

« ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ..

الذين يؤمنون بالغيب .. وقيمون الصلاة وما

رزقناهم ينفقون »

ومن هنا وفى أولى آيات سورة البقرة .. أولى سور القرآن ..
حدد الله سبحانه وتعالى هدف هذا الكتاب وأنه للهداية لمن آمن ..

كانت هذه مقدمة لا بد منها .. عن خواطر حول سورة الكهف ..

فإن الذين يبحثون فى القرآن الكريم .. يجب أن يتأملوا فى كلام
الله سبحانه وتعالى .. فالله سبحانه وتعالى قد وضع فى آياته من
الأسرار ما يحتاج منا إلى التأمل وعدم المرور عليها مروراً عابراً ..
وإذا كنت سأحدث اليوم عن خواطرى عن سورة الكهف .. فذلك
لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع فى هذه السورة أشياء كثيرة يجب أن
يقف عندها العقل .. وقبل أن نبدأ الحديث عن بعض آيات سورة
الكهف .. فإننا نتوقف كثيراً عند اسم السورة .. الاسم هو سورة
الكهف .. ما هو الكهف .. الكهف كما نعرفه هو فجوة داخلية فى
الجبل .. ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق فى أماكن كثيرة
كهوفاً .. لنعرف ونحس ونرى ونشاهد الكهف ..

اذن فالكهف هو فجوة داخله فى الجبل .. هل تستطيع واثنت
 خارج هذه الفجوة أن تعرف ما بداخلها .. الجواب طبعا لا .. لابد
 أن تبحث قليلا وتكتشف حتى تصل الى ما هو داخل هذا الكهف
 وتعرفه معرفة حقيقية .. ومن هنا فان اسم السورة لا يجب أن يمر
 علينا دون أن نفكر فيه .. ونعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جاء فيها
 بكهوف معنوية .. يعنى أشياء تنبئنا بما يستتر هنا من حقائق ..
 فى الكون .. وفى أحداثه .. فمثلا نجد أن قصة موسى عليه السلام
 مع الخضر .. أو مع الانسان الذى آتاه الله العلم .. هى قصة ، المراد
 منها ألا نحكم على الأشياء بالظاهر .. فاغراق السفينة التى يملكها
 مساكين كان عملا اذا نظرنا الى ظاهره شرا .. ولكن حقيقته كانت
 خيرا لأنها أنقذت سفينة المساكين من ملك ظالم .. كان سيغتصبها
 .. وقتل الطفل ظاهره شر .. ولكن باطنه هو حفظ للام والأب
 الصالحين .. رزقهما بطفل تقى .. يحفظ لهما صلاحهما ..
 ولا يرهقهما طغيانا وكفرا .. وبناء السور لأهل قرية من اللثام الذين
 رفضوا أن يطعموا شخصين غريبين جائعين .. هو عمل لا يتفق مع
 منطق الخير .. ولكن الحقيقة أن هذا السور قد بنى ليحفظ كنزا
 لطفلين يتيمين كان أبوهما صالحا وتوفى .. ليحفظ لهذين الطفلين
 كنزا تحت هذا الجدار .. حتى يبلغ الطفلان أشدهما ويستخرجا
 كنزهما .. ولو تهدم الجدار لأخذ أصحاب القرية من اللثام الكنز ..
 وحرم الطفلان منه ..

على أننى سأحدث عن هذا بالتفصيل .. فتلك الآيات لا يمكن
 تناولها فى سطور بسيطة كهذه .. ولكننى أردت أن أشير إليها لسبب
 هام وهو معنى الكهف .. فالله يريد أن يخبرنا فى هذه السورة
 بحقائق مستورة عنا .. قد لا يصل إليها العقل البشرى .. وهو

يريد أن يخبرنا أيضا ألا نأخذ الأشياء بظاهر الأمور .. فالذى يبدو لنا شرا قد يكون فى قضاء الله خيرا والعكس صحيح ..

معنى الكهف

والكهف الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة .. كان كهفا حسيا أيضا .. أى كهفا حقيقيا .. التجأ اليه فتية مؤمنون .. وكان هذا الكهف سترا لحق إيماني .. خائف على نفسه من طغيان باطل كافر .. على أننى سأبدا فى خواطرى بثلاثة أشياء تبين المعنى .. وهذه الأشياء الثلاثة .. كانت مستورة عن علم الانسان وقت نزول القرآن .. ثم كشفها الله للعلم البشرى بعد نزول القرآن ..

فى قصة الاسكندر ذى القرنين .. ونحن لن ندخل هنا فى مناقشة حول من هو الاسكندر وتحديد شخصيته الى آخر هذا .. فليس المقصود فى القرآن الكريم من تحديد أعلام القصص .. أن يحدد شخص بذاته لأن التشخيص قد يفسد القضية .. فاذا حاولنا أن نحدد من هم أهل الكهف مثلا .. ومن هو فرعون موسى .. ومن هو قارون .. الى آخر الشخصيات التى ذكرت فى القرآن .. فاننا نتوه عن الحقيقة التى أراد الله سبحانه وتعالى أن نعرفها .. ذلك أن هذه الشخصيات تتكرر فى كل زمان ومكان .. وهى قصص مضروبة لكل عصر .. والعبرة هنا تأتى بالشيوع .. أى تأتى على من تنطبق عليهم القصة .. فى أى زمان كانوا وفى أى مكان وجدوا ..

فعندما يضرب الله مثلا بالذين كفروا .. امرأة نوح .. وامرأة لوط .. فهو لا يعنى بذلك هاتين المرأتين بالذات فقط .. وانما يعنى كل امرأة يكون زوجها صالحا وتخونه .. وعندما يضرب المثل بامرأة فرعون .. فانما يعنى كل امرأة مؤمنة وزوجها كافر .. وهذا يتكرر فى كل عصر .. والحادثة الوحيدة التى لن تتكرر هى قصة مريم .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : « ومريم ابنة عمران » أى أنه نسبها لأبيها لأنها لا تتكرر ..

اذن فالتشخيص في القرآن الكريم .. ليس معناه انتهاء الحدث
بالشخص .. ومن هنا فاننا حينما نتحدث عن ذى القرنين .. نتحدث
عن رجل مكن الله له من كل شيء .. وأتاه من كل شيء سبباً ..
ولا نتحدث عن الخلاف حول شخصية ذى القرنين .. ومن هو الى آخر
ما يراد به البعد عن الحكمة .. الى فروع ليست مطلوبة ..

نأتى الى آية هامة فى قصة ذى القرنين

« حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا .. »

وتتوقف القصة عند ذلك وتنتقل الى شيء آخر .. هنا لم يذكر الله
سبحانه وتعالى فى هذه الآية .. سوى أن ذا القرنين قد وصل الى قوم
لم يجعل الله بينهم وبين الشمس سترا ..

بعض الناس يمر على هذه الآية دون أن يتنبه اليها .. ولكن العقل
يجب أن يقف هنا ليسأل .. ما هى الحكمة فى هذه الآية .. فاذا
فكرنا فيها .. نجد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن هناك
قوما لم يجعل لهم من دون الشمس سترا ..

ما معنى هذا الكلام .. ما هو المقصود من أن الله سبحانه وتعالى لم
يجعل لهم من دون الشمس سترا .. هل المفروض أن هذه الأرض
قاحلة .. ليس فيها شجر يستر الناس عن الشمس .. أم المقصود
أنه ليس لديهم مساكن يجلسون فيها لتسترهم من الشمس .. أم
المفروض أنهم عرايا مثلاً .. ليس عندهم ملابس تقيهم الشمس ..

كل هذا قد يخطر على العقل البشرى .. ولكن الحقيقة أن كل هذه
الأشياء لا تستر الشمس فالشمس موجودة خارج المنزل .. ولو
جلست فيه .. كما أنها موجودة خارج ظل الشجرة .. ولو جلست
تحتها .. كما أنها موجودة حتى ولو ارتديت الملابس التى تقيك من

الشمس .. اذن كل هذا قد يبعد الشمس عنك .. ولكنه لا يسترها ..
.. أى لا يخفيها ..

ولكن ما هو الذى يستر الشمس .. الذى يجعلها تختفى .. تغيب ..
.. تذهب .. ما الذى يستر الشمس فى أى وضع من الأوضاع ..
بحيث لا تجدها .. انه الظلام .. انه الليل .. الليل هو الذى يستر
الشمس .. فلا تجد أشعتها فى أى مكان .. ولا تنظرها أينما كنت ..
وكيفما كنت .. ولو صعدت لأعلى مكان .. ولو خرجت الى الشارع
.. فانك لا ترى الشمس لأنها مستورة عنك بالظلام ..

هنا يجب أن نتوقف قليلا .. الله سبحانه وتعالى فى الآية الأولى
وضع لنا القوانين التى يجب أن يسير عليها الممكن فى الأرض ..
وقال لنا اننا يجب أن نضيف الى الأسباب التى يعطيها الله سبحانه
وتعالى أو يمكننا منها .. ثم بعد ذلك عندما بلغ ذو القرنين بين
السدين وجد يأجوج ومأجوج أنهم قوم مفسدون فى الأرض .. ولكنه
فى الآية الكريمة

« حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا » ..

ثم يزد الله سبحانه وتعالى شيئا مما قام به ذو القرنين عندما بلغ
هذه الأرض .. ولما كان القرآن الكريم كل حرف فيه بميزان دقيق
.. فلا بد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا شيئا فى هذه الآية
الكريمة وحدها .. اذن ما هى الحكمة المستورة فى هذه الآية
الكريمة ؟ ..

بعض الناس يمر على هذه الآية ولا يسأل نفسه هذا السؤال ..
الله سبحانه وتعالى جعل لذى القرنين عملا حين بلغ مغرب الشمس ..
وجعل له عملا حين بلغ بين السدين .. ولكن فى هذه الآية الكريمة لم
يجعل له عملا .. اذن لا شك أن المراد هنا هو ما ذكره الله سبحانه
وتعالى

« لم نجعل لهم من دونها سترا »

ومن هنا فان معنى الآية الكريمة

« لم نجعل لهم من دونها سترا » ..

أن الاسكندر قد وصل الى مناطق فى الأرض لا تغيب عنها الشمس فترة طويلة .. أى أنه لا يتعاقب عليها الليل والنهار كباقي أجزاء الكرة الأرضية .. بل تظل الشمس مشرقة عليها لفترة طويلة لا يسترها ظلام .. وإذا بحثنا الآن نجد أن هناك مناطق فى العالم تغيب عنها الشمس ٦ شهور فى العام .. فالشمس لا تغيب عن القطب الشمالى مدة ٦ شهور .. وعن القطب الجنوبى مدة ٦ شهور .. فكأن الله تعالى يريد أن يخبرنا أن هناك أماكن فى الأرض لا تخضع لقواعد تعاقب الليل والنهار كالتى تخضع لها باقى أجزاء الأرض .. وانما تشرق الشمس عليها دون أن يسترها الظلام لفترة طويلة ..

الأذن .. والحياة .. والبعث

على أن لنا عودة فى الحديث عن ذى القرنين والآيات التى ذكرت عنه فى القرآن الكريم .. ولكن فلنبداً الخواطر حول سورة الكهف من أولها ..

كما قلت .. الكهف فجوة داخلية فى الجبل .. لابد أن نبحث قليلا ونكتشف ما هو داخل هذا الكهف ونعرفه .. والكهف الحسى الذى ذكره الله أولا فى السورة هو الفتية الذين آمنوا بربههم .. هؤلاء الفتية كانوا مؤمنين .. خافوا على أنفسهم من طغيان باطل كافر .. فانتقلوا الى كهف يختبئون فيه حتى لا يدفعهم هؤلاء الكفار الى عدم الايمان ويعودوا بهم الى الكفر .. والله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا .. أنه مهما ظهر الباطل وطمع .. فان الايمان موجود فى الدنيا .. قد يكون مستورا عنا .. ولكنه موجود لا ينتهى أبداً ..

هذه هي الآيات الأولى من السورة .. ولكننا عندما نتأمل .. فأننا نجد في هذه الآيات عددا من المعجزات القرآنية .. التي يريد الله سبحانه وتعالى أن يخبرنا بها .. وأن يوجه نظرنا إليها .. يقول الله تعالى

« فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا »

وهذه هي المعجزة الأولى فالله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن الشيء الذي لا ينام في الحواس هو الأذن .. أنت حين تغمض عينيك لا ترى .. ولكنك لا تستطيع أن تغمض أذنك أبدا .. الأذن تظل مفتوحة تؤدي وظيفتها سواء أردت أو لم ترد .. إذا كنت لا تريد أن ترى شخصا .. فأنت تغمض عينيك فلا تراه أو تشيع عنه بوجهك .. ولكنك إذا لم ترد أن تسمع صوت نفس الشخص .. فأنت لا تستطيع أن تغمض أذنك ..

وإذا كان هناك انسان نائم .. فقد تمر بيدك قرب عينيه فلا يستيقظ .. ولكنك متى أحدثت صوتا بجانب أذنه فانه يستيقظ على الفور .. فالله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أولا أن الأذن لا تنام أبدا .. ثانيا أنها أداة الاستدعاء .. ثالثا : انك لو فصلت الأذن عن وضوء الدنيا .. فان الانسان يمكن أن ينام فترة طويلة .. ولكنه من المستحيل أن ينام اذا تعرضت الأذن لضوء الدنيا .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون سنين طويلة .. دون أن يحسوا بما حولهم .. فانه لم يأخذ أبصارهم .. ولم يجعل حركة قلوبهم تهبط قليلا .. كحركة قلب النائم .. ولكنه ضرب على آذانهم وكان هذا كافيا جدا .. ليفصل بينهم وبين الدنيا تماما طوال فترة نومهم .. والأذن هي أداة الاستدعاء في الآخرة .. ثم تنتقل الى آية أخرى .. يقول الله سبحانه وتعالى

« وتحسبهم أيقاظا وهم رقود .. ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » ..

العقل البشرى يجب أن يتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى

« ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » ..

لماذا قال الله سبحانه وتعالى هذا الكلام .. وما هو الداعى لأز
توضع هذه الألفاظ فى الآية .. مع أنها لو حذفت لا تغير من السياق
كثيرا .. كما قلت وأقول دائما .. ان لكل كلمة فى القرآن الكريم
معنى معجز .. بعضه وصل اليه العقل .. والبعض الآخر سيصل
اليه العقل بعد سنوات طويلة .. اذا تأملنا فى الآية الكريمة

« ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال »

نجد أن الله سبحانه وتعالى سيبعث هؤلاء الفتية كآية من آياته ..
أى سيعيدهم مرة أخرى الى حياة البشر .. ومن هنا فانه يضع قواعد
الصحة للرقاد الطويل .. فنجد أننا الآن اذا أصيب أحدا بمرض
يتطلب رقادا طويلا .. فان الأطباء يحذرون من أن المريض يجب أن
يقلب يمينا ويسارا حتى لا يصاب جسمه بالقروح .. أو تحدث له
انسدادات فى الدورة الدموية فى القدمين .. أو فى الجزء الأسفل من
الجسم ..

ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا الى أن الرقاد الطويل
يجب أن يتم معه تقليب للانسان الرقاد .. بحيث لا يرقد على جزء
واحد من جسده فترة طويلة .. فيصاب بأضرار بالغة يعرفها الطب
جيذا هذه الأيام ... كشف عنها الله سبحانه وتعالى من علمه للناس
فعرّفها لهم -

ومن هنا فانه سبحانه وتعالى .. وقبل أن يكتشف العالم البشرى
ذلك بسنوات طويلة وضع هذه الآية الكريمة ليخبرنا بأنه مادام هناك
رقاد طويل فيجب أن يقلب الانسان يمينا ويسارا .. وأن يكون هذا
أساسا فى المحافظة على صحته .. أو على الأقل فى منع أضرار
بالغة عنه ..

فاذا انتقلنا بعد ذلك الى النقطة التالية .. وكنت أنا على قيد الحياة .. وبصحة جيدة .. وانتفت جميع الظروف التي تمنعني من أن أتم هذه المقابلة .. فهناك الطرف الآخر .. وهو الشخص الذى سأقابله .. وقد أذهب فلا أجدّه فى مكتبه لأى سبب .. يتعطل فى الطريق .. يمرض .. يأتية عمل مفاجئ .. يحدث له أى شئ مفاجئ .. يمنعه من حضور المقابلة .. كأن تتعطل سيارته .. أو يصطدم بسيارة أخرى فيضطر للذهاب الى الشرطة .. أو تحدث له أى مشكلة فى الطريق .. أو فى المنزل ..

المهم فى هذا كله .. أننى لا أملك عنصرا واحدا من عناصر القدرة على العمل لأقول اننى سأفعل كذا .. ولكن من الذى يملك القدرة .. هو الله سبحانه وتعالى .. فهو الذى يقول كن فيكون .. حتى لا يموت .. باق لا يفنى .. لا يستطيع أحد أن يشغله عن شئ .. أو أن يمنع فعله أو قضاءه .. فانه متى قضى شيئا فانه يكون .. لماذا .. لأنه ليست هناك قوة تستطيع أن توقف .. أو تمنع .. أو تؤجل .. أو تؤخر .. أو تقدم ما يريدّه الله سبحانه وتعالى ..

ومن هنا فان الفعال لما يريد هو الله سبحانه وحده .. أما نحن جميعا كلنا .. كل البشر فعالون لما يشاء الله .. فما دام العمل يدخل فى المشيئة فهو سيتم .. لأن الله وحده هو الفعال .. وما دام العمل لا يدخل فى المشيئة فهو لن يتم .. لأن الله وحده هو الفعال ..

ومن هنا فان قول الله سبحانه وتعالى

« ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله »

يريد أن يلفتنا الى حقيقة كونية هامة .. لأن الذى يتم هو مشيئة الله واراادته .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى

« واذكر ربك اذا نسيت » ..

حتى تتذكر دائما أن الله هو الفعال ..

والانسان أصله من تراب .. ثم من نقطة .. وهو الخلق بعد آدم ..
التراب أو النقطة لا تستطيع أن تفعل شيئا من هذا التراب الذي
ندوس عليه كل يوم هو نفس الجسد الذي نمشى فوقه .. ومن هنا
فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يجعل الانسان يفيق من الغرور
ويذكره بخلقه .. وإذا كنت أنت من تراب وأنا من تراب .. فمن
أين جاءت القدرة الخارقة التي تجعلك تنسى الله وتعبد نفسك ..

الله سبحانه وتعالى هو الذي وهبك هذه القدرة .. هو الذي خلق
الكون لك .. وسخره من أجلك .. ولكي تعرف هذه الحقيقة يجب
أن تعلم جيدا أن الله فعل هذا كله من حفنة من تراب .. فهؤلاء الذين
تراهم أمامك يعبدون أنفسهم هم حفنة من تراب مستتها قدرة الله
سبحانه وتعالى .. ولكي تسجد لهذه القدرة تأمل قليلا فيما استطاعت
أن تفعله في حفنة من تراب .. وكيف حولتها إلى انسان يسود الكون
كله ..

إن الله يريد أن يذكرنا بنعمه وأن نعلم دائما أن الفضل منه ..
وأن الذي أعطى يستطيع أن يأخذ .. وأن الذي منح يستطيع أن يمنع
.. وهذه مسألة هامة جدا في سلوكيات الحياة .. لماذا ؟ .. لأن
الانسان حينما يغتر بقدرته يبطش ويظلم ويفتك بالضعفاء .. ويظني
في الأرض .. أما إذا تذكر أن هذا كله من قدرة الله وأن الله سبحانه
وتعالى الذي منح يستطيع أن يأخذ .. والذي أعطى يستطيع أن يوقف
هذا العطاء .. فإن خشية الله تدخل في قلبه فتجعله يراجع نفسه
فلا يبغى ولا يظلم ويخشى الله في كل عمل يعمل .. وفي هذا صلاح
الكون كله ..

الفضل لله وحده

ثم بعد ذلك تأتي الآية الكريمة في استكمال الحوار

« ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا

بالله .. ان ترن أنا اقل منك مالا وولدا .. فمسي

ربي ان يؤتين خيرا من جنتك » ..

هذه الآية ترد الشيء الى أصله .. فالرجل هنا يذكره بقدرة الله
 التى نسيها .. ويقول له أنت نسييت الذى وهب .. وظننت أن ذلك
 من فعلك أنت .. وأن الأسباب هى التى أعطتك كل هذا .. ولكن الله
 هو الواهب الحقيقى .. وهنا يجب أن نتنبه الى الكهف المعنوى الذى
 تحدثنا عنه فى أول الكلام فإعطاء هنا مستور داخل كهف الحقيقة
 .. المعطى هو الله سبحانه وتعالى .. ولكن هذه الحقيقة مسورة
 بالأسباب .. ومن هنا نجد بعض الناس يقول : انما أوتيته على علم
 عندى .. والبعض الآخر يقول أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا .. ولكن
 الله سبحانه وتعالى أراد أن ينبهنا الى الحقيقة فى كهف ظاهره الأسباب
 .. وباطنه قدرة الله سبحانه وتعالى ..

فماذا قال الله سبحانه وتعالى على لسان الرجل الأقل مالا
 وولدا .. قال

« فعى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
 حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح
 ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا »

هنا أراد الله سبحانه وتعالى أن يأتى بعاملين أساسيين فى النعمة
 التى يتمتع بها ذلك العبد الذى اغتر بماله وبقدرته .. فقال

« ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا
 زلقا .. أو يصبح ماؤها غورا » ..

لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى هذين العاملين .. ولم يذكر أية عوامل
 أخرى .. كان يقول له مثلا ربما الله يستطيع أن ينهى أجلك غدا ..
 أو يستطيع أن يضيقك بمرض فلا تستطيع الحركة .. أو أى نوع
 آخر من أنواع النعم التى يستطيع الله سبحانه وتعالى أن يسلبها من
 هذا الرجل الذى أصابه الغرور ونسى نعمة الله ..

السبب الأساسى فى ذلك أن هاتين النعمتين بالذات .. هما سبب
 وجود هذه الجنة .. أو الأرض الكثيرة الثمر .. الكثيرة الخير ..

وهذان العاملان لا دخل لهما في قدرة الرجل نفسه على العمل والعطاء
 .. حتى يمكن أن يقال انه هو الذي استطاع أن يهب لنفسه هذه
 الأرض الكثيرة الخير .. والله سبحانه وتعالى يريد هنا أن يذكرنا
 بأسباب قد تكون خافية علينا .. ولكنها الأساس في الخير كله ..
 فالماء الذي يسقى منه الرجل هذه الجنة الصغيرة .. هذا الماء لم يخلقه
 هو .. ولن يستطيع أن يخلقه .. بل أن الله سبحانه وتعالى هو الذي
 ساقه إليه .. ذلك أن العالم كله الآن وبعد أربعة عشر قرناً من نزول
 القرآن الكريم عاجز عن أن يوفر كوب ماء لشخص واحد .. وأمامنا
 المثل الحي .. هذه المساحات الشاسعة من الصحراء .. لو أن الانسان
 يستطيع بعلمه أن يخلق الماء .. لخلق لها الماء الذي يحولها من صحراء
 قاحلة الى جنات وافرة الظلال والثمر .

فالأساس هنا في هذه الجنة وفي الزرع والثمر الموجود فيها هو
 قدرة الله سبحانه وتعالى الذي وفر لها الماء .. وهذه ليست قدرة أي
 بشر .. ولا يستطيع بشر أن يدعيها حتى يومنا هذا .. فالعلم البشري
 بكل قدراته عاجز عن أن يخلق نهراً وسط صحراء .. ولكن قدرة الله
 سبحانه وتعالى خلقت مئات الألوف من الأنهار .. التي تسقى كل من
 يعيش على الأرض من انسان وحيوان وزرع .. وتسقيه بما يحتاج
 .. وأحياناً بأكثر من حاجته ..

اذن العامل الأساسي في وجود الخير كله هو الماء .. هو توافر الماء
 الذي خلقه الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى
 يريد أن يذكر الانسان الذي أصابه الغرور في نفسه .. بأن الأساس
 في كل هذا هو الماء الذي وفرته لك والذي لا تستطيع أنت أن توفره
 .. ويقول سبحانه وتعالى

« او يصيح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا » ..

والله سبحانه وتعالى يحفظ هذا الزرع من كل ما يهلكه من أنواء
 وعواصف وصواعق قد تقضى عليه .. وهذا ليس في قدرة البشر ..

بل هو ارادة الله سبحانه وتعالى .. يعطيها لمن يشاء ويمنعها ممن يشاء ..
ومن هنا قوله تعالى

« ويرسل عليها حسبانا من السماء .. فتصبح
صعيدا زلقا » ..

الله .. هو الفعال

أى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينهبنا الى حقيقتين مستورتين
عنا فى هذه النعمة .. وهاتان الحقيقتان هما الأساس .. الحقيقة
الأولى أن الله سبحانه وتعالى قد أعد هذه الجنة بالماء أساس الحياة
والزراع فيها .. والحقيقة الثانية قد حفظها وبارك فيها ..
وكلا الأمرين ليس للبشر فيهما مشاركة .. بحيث يستطيع أن يجادل
ويقول أنا فعلت وفعلت .. فالإنسان مثلا حين يزرع .. يضع الحب
فى الأرض ويرعاه .. ولكن قدرة الله سبحانه وتعالى هى التى تجعل
هذا الحب فى الأرض ينمو ويثمر .. ولكن هنا مشاركة بشرية
ظاهرية قد تجعل البشر يقول أنا الذى زرعت .. ولكن الله سبحانه
وتعالى أتى بحقيقتين لا يستطيع أى إنسان فيهما أن يقول أنا شاركت
.. الحقيقة الأولى توفير الماء الذى يكفى لاعطاء الحياة لهذه الأرض
وجعلها صالحة للزراع .. وبدون هذا الماء لا يمكن أن توجد مثل هذه
الجنة .. والحقيقة الثانية أنه حفظها وبارك فيها .. وكلتا الحقيقتين
كما قلت لا يستطيع الإنسان أن يشارك فيهما أو يدعى أنه هو الذى
أوجدهما ..

وهكذا

« واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها
وهى خاوية على عروشها » ..

ولكن لماذا أحيط بثمره؟ حتى يعرف أنه لا حول له ولا قوة .. وأن
المال والنفر اللذين أعتز بهما من دون الله لا يملكان له نفعا ولا ضرا ..

ومن هنا فإنه أصبح لهجد الجنة خاوية على عروشها .. وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين له أن من يعتز بهم من دون الله لن يستطيعوا أن يوقفوا قضاء الله .. وأن الله سبحانه وتعالى وحده هذه الجنة بقدرته هو .. فلما كفر بالنعمة .. واقتصر بالمال والولد .. زالت عنه وذمبت .. والتفت حوله فوجد الآية الكريمة

« ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان

مقتصرا » ..

أى أنه بحث عن أولئك الذين كان يعتز بهم فلم يجد أحدا يستطيع أن ينصره أمام قدرة الله .. وما كان منتصرا أى أنه حتى لو حاول ذلك بما له من مال أو نفر فلن يكتب له النصر ..
هنا تأتي لحظة الندم فيقول :

« يا ليتني لم أشرك بربي أحدا »

فقد أحس عندما ذمبت النعمة أن الواهب هو الله وحده وهو الذى أخذها .. ولكنه كان قبل ذلك يقول .. أن المال والنفر الذين عنده هم الذين يحفظون هذه النعمة من الزوال ويرونها .. وتمضى هذه الآية الكريمة .. بعد أن ضرب الله هذا المثل للرجل الذى أنتم عليه .. فأشرك غير الله فى هذه النعمة .. فأخذ الله منه ذلك .. أن الله سبحانه وتعالى هو أغنى الممركاء من الشرك .. فالصل الذى يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى .. يتقبله الله ، والذى يقصد به ارضاء بشر ما .. ويفسر صاحبه على أنه تقرب الى الله سبحانه وتعالى .. فانه غنى عنه .. وكذلك النعم ..

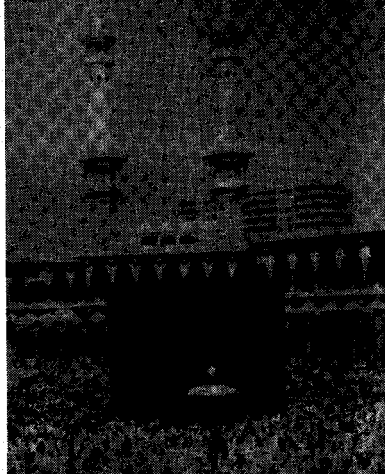
والله يضرب لنا هذا المثل .. حتى نتخذ الطريق السليم فى الحياة .. فلا أدفع مبلغا من المال مثلا لعمل خير ويكون القصد الحقيقى من ذلك هو ارضاء شخص ما .. أو قضاء مصلحة دنيوية .. أو الحصول على سمعة أو شهرة .. أو أى غرض دنيوى آخر .. فإذا أتيت الى حفل ما .. وقمت أعلن تبرعى بمبلغ من المال حتى يقال عنى رجل

خير ورجل ير وإحسان فاني لا أفصل ذلك لوجه الله .. وإنما أشرك
في ذلك ما ابتغيه من سمعة الدنيا .. والله سبحانه وتعالى أغنى
الشركاء عن الشرك .. وإذا قدمت مبلغا من المال وأنا ابتغى مرضاة
الله .. فالله أغنى الشركاء عن أن يشرك معه أحدا في عمل يقصد
به وجهه ..

ومن هنا .. فإن الذي فعله صاحب الجنة في أنه نصب الفضل الى
نفسه .. وأنكر نعمة الله أو الفدى يفصله بعض الناس في أنه يريد أن
يحقق مصلحة دنيوية بصل ظاهره الخير .. كل هذا يخبرنا الله
سبحانه أنه لا يتقبله .. العمل الصالح لله وحده .. أما إذا كان عملا
صالحا نقصد به مصلحة دنيوية وفي نفس الوقت يقال انه لله .. فالله
غنى عنه ..

حكاية قرسي

● ● قال الله عز وجل لآدم : يا آدم اني عرضت
الأمانة على السموات والأرض فلم تطعها فهل أنت حاملها
بما فيها ؟ قال : وما لي فيها يارب ؟ قال : ان حملتها
أجرت وان ضيعتها عذبت . قال : فقد حملتها بما فيها ،
فلم يلبث في الجنة الا ما بين صلاة الأولى الى العصر حتى
أخرجه الشيطان منها .



حلیث قرسی

● ● ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات
يبقين من الليل ، فينظر الله في الساعة الاولى منهن في
الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره ، فيمحو ما يشاء وينظر ،
ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه
الذي لا يكون معه فيها أحد الا الانبياء والشهداء
والصديقون ، وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب
بشر ، ثم يهبط في آخر ساعة من الليل فيقول : الا من
مستغفر يستغفرني ، فأغفر له ؟ ألا سائل يسألني ،
فأعطيه ؟ ألا داع يدعوني ، فاستجيب له ؟ حتى يطلع
الفجر ، وذلك قول الله : (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر
كان مشهودا) فيشهد الله وملائكة الليل والنهار .

• الفصل الرابع •

علم الله .. وعلم الأرض

وقبل أن نترك الحوار حول سورة الكهف .. يجب أن نتعرض إلى قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام وقصة ذي القرنين

واسم هذا العبد الصالح مسألة لا يحدث عليها جدال .. إنما هو عبد علمه الله من لدنه علما .. والله سبحانه وتعالى حين يضرب الأمثال في القرآن الكريم يريد أن يعطينا الحكمة والموعظة .. ولا يريدنا أن ندخل في مجادلة حول من هذا الشخص أو من هذه المرأة .. ذلك أن الأسماء هنا لا قيمة لها .. وإنما القيمة الحقيقية في الموعظة والحكمة .. ولذلك لم يعرف الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم إلا اسمين هما مريم ابنة عمران .. وعيسى ابن مريم .. لأن ما حدث لهما لن يحدث لغيرهما .. ولذلك كان التعريف هنا واجبا .. أما فرعون مصر وذو القرنين .. وفرعون موسى .. وكل ذلك تركه الله سبحانه وتعالى بلا تعريف .. حتى لا ندخل في جدل حول الأسماء .. ونترك الحكمة .. فرعون هو كل رجل يريد أن يعبد في الأرض .. وذو القرنين هو كل من أعطاه الله الأسباب للأشياء .. إلى آخر ذلك ..

يقول الله سبحانه وتعالى « فوجدنا عبداً من عبادنا آميناه وحمية عن
عندنا وعلما من لدنا علما » وفي قول الله سبحانه وتعالى هذا كهف
يستر حقيقة .. فموسى رسول الله .. والرسول هو المبلغ عن الله ..
ومن هنا فالمفروض أن كل علم يأتى عن طريقه .. لأنه مكلف بإبلاغ
الرسالة ..

ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أنه ليس على مشيئته قيود
أو حدود .. وهو يفعل ما يشاء ويختار .. ومن هنا فإنه قد يختار
عبداً من عباده يؤتیه علماً لم يؤته لأحد من رسله .. وهذا فضل الله
سبحانه وتعالى يؤتیه من يشاء .. ومشية الله ليس عليها قيود ..
وليس لها حدود ..

ثم نأتى بعد ذلك الى قصة العبد الصالح موسى عليه السلام ..
وفيها عدة حقائق فى كهوف .. ولكن الكهوف التى تستر الحقيقة
تأتى أولاً .. ثم بعد ذلك تأتى الحقائق .. ومن هنا فإن موسى عليه
السلام عندما يرى الكهوف .. ولا يرى الحقائق التى تسترها ..
لا يستطيع الصبر على ذلك .. ومن هنا يقول له العبد الصالح
« اذك أن تستطيع معى صبراً » ثم يضيف « وكيف تصير على ما لم
تخط به خيراً » ..

العبد الصالح حكم بعلمه الذى علمه الله له .. وموسى عليه السلام
حكم بما يعلمه .. ومن هنا أصطدم الحكمان .. فالعبد الصالح كان
يقوم بعمل خير ، حقيقته مستورة فى كهف ظاهره الشر .. وموسى
كان يرى فى هذه الأعمال ما هو ظاهر فقط ويحكم به .. لأنه لا يعلم
باطن الأمور .. وفرق كبير بين الظاهر والحقيقة .. فالظاهر يراه
الناس جميعاً .. أما الحقيقة فإن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى
يعلمها .. قد يؤدى الإنسان الصلاة ليقال عنه انه رجل صالح ..
بينما هو يعصى الله فى كل أمور الدنيا .. وقد يصلحها رجل يملأ
قلبه بالإيمان .. كلاهما أمامنا يصلى .. ولكن الله يعلم الذى يصلى

خشية له واتباعا لدينه .. والذي يصل لي قال عنه أنه رجل صالح ..
ثم يفعل كل ما نهى الله عنه ..

ومثل ذلك الإحسان .. قد يحسن الإنسان وسط جمع من الناس
لينال هدفا دنيويا .. وقد يبتغي فضل الله بحيث لا تعرف شماله
ماذا أعطت يمينه .. كلاهما أمامنا يحسن .. ولكن الجزاء هنا
مختلف ..

ومثل ذلك ينطبق على أشياء كثيرة في الحياة .. الحياة كلها كهوف
تخفي حقائق .. إنسان يقول أنه يريد لك الخير بينما هو يضمر الشر
.. وآخر يسعى لا يذالك ويقسم أنه يسعى لفائدتك إلى آخر ذلك ..

عندما يصطدم الحكماء

هنا عندما يصطدم الحكماء .. يقول موسى عليه السلام
« ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا » .. ولكن الذي
يستطيع أن يصبر هو المكلف بهذه الأعمال الذي يعرف حكمها ..
والذي تلقى الأمر من الله سبحانه وتعالى .. أما من سترت عنه هذه
الحكمة فإنه لا يستطيع أن يصبر .. ومن هنا يأخذ العبد الصالح
عهدا على موسى فيقول له .. « فإن اتبعنتي فلا تصالنني عن شيء حتى
أحدث لك منه ذكرا »

وفي هذا حكمة أنه ما لم يعلم الله سبحانه وتعالى الإنسان الحقائق
المستورة وراء الأفعال الظاهرية التي تحدث أمامه فإنه يضيق صدره
ولا يستطيع الصبر .. وموسى عليه السلام رسول الله ووكيله ولكنه
لم يستطيع أن يصبر على أفعال أخفى الله سبحانه وتعالى عنه حكماتها ..
فإذا كان هذا قد حدث لموسى عليه السلام .. فنحن كبشر في كثير
من الأحيان تضيق صدورنا بما هو ظاهر أمامنا .. فنرى رجلا يعصى
الله سبحانه وتعالى ومع ذلك يوسع الله له في رزقه .. ورجلا آخر
يسعى في الشر .. ومع ذلك يمكنه الله سبحانه وتعالى من أمر من الأمور
.. ورجل ثالث يسعى في الأرض فسادا .. فلا يخسف الله به الأرض
.. بل يبدو ظاهريا للناس أنه يستطيع أن يفعل ما يريد ..

الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا .. أن هذا الذى ترونه أمامكم هو الكهوف الظاهرية للحقائق التى أسترها .. والتى يصل اليها علمى وعلم من أعلمه ..

وبذلك لا تحكموا بالظاهر .. تحسبون أن الخير الظاهرى هو خير حقيقى .. وأن الشر الظاهرى هو شر حقيقى .. فقد يحدث لك شيء تعتقد أنه شر .. ثم تمضى الأيام ويظهر ما هو مستور عنك .. فتجد أنه كان فيه الخير العقيم .. وانك لعدم ادراكك وعلمك قد حسبته شرا وقت حدوثه .. وقد يحدث لك خير وتفرح به .. ثم بعد ذلك يظهر أنه شر كنت تتمنى عدم حدوثه ..

والأمثلة فى حياة كل منا كثيرة .. فكلنا ضاعت منه فرص اعتقد أنها خير .. وحزن على ضياعها .. ثم جاءت الأحداث التالية لتمنحه فرصا أحسن .. وكانت حكمة الله أن يمنع عنه شيئا ليعطيه ما هو خير منه .. كذلك ما نعتقده شرا فى يوم من الأيام يصبح فجأة خيرا بعد أن تتكشف لنا الأحداث وتظهر الحكمة .. حامدين الله سبحانه وتعالى على أن ذلك حدث .. وكلنا لو استعرض شريط حياته لوجد عشرات الأحداث التى تبين له هذه الحكمة ..

ولكننا مع ذلك لا نطبق صبرا .. حين تقع الأحداث رغم علمنا بهذه الحقيقة .. لأنه ما دامت الحكمة خافية عنا فان الصدور تضيق والصبر يصبح بلا طاقة .. ولكن المؤمن هو الذى يعلم أن الخير فيما اختاره الله .. والشر فيما منعه وأبعده ..

نعود بعد ذلك الى قصة موسى والرجل الصالح .. حين دخلت التجربة فى الحركة الفعلية فى الأحداث التى نعيشها .. ماذا جرى .. الكلام النظرى شيء .. وعندما تحدث الأفعال شيء آخر .. عندما تحدث الأفعال لا يملك الانسان نفسه وينسى كل شيء .. وينفعل مع الأشياء بظاهريتها .. وذلك أمر يجب أن نتنبه اليه .. هناك فرق فى التأثير داخل النفس البشرية .. بين كلام يقال .. من السهل أن

يصبر عليه الانسان .. وبين الوقائع التي تحدث .. فان النفس
تفعل بالوقائع وفي لحظة الانفعال ننسى أشياء كثيرة ..

ركب موسى والعبد الصالح سفينة .. والسفينة مملوكة لمساكين
.. وموسى كتبى فيه الخير .. يعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوصى
برعاية المساكين .. ومن هنا فإن من واجبه أن يعاونهم ويقدم لهم كل
ما يحتاجونه ابتغاء مرضاة الله .. يركب موسى والعبد الصالح
السفينة .. فإذا بالعبد الصالح بدلا من أن يقدم العون لهؤلاء المساكين
أو يقدم لهم المساعدة .. أو حتى يمنع عنهم الأذى وهو أقل ما يجب
.. إذا بالعبد الصالح يخرق السفينة ليعييبها ولا يطيق موسى صبرا
على ذلك ..

كيف يقوم العبد الصالح بهذا العمل .. كيف يخرق السفينة
ويعييبها حتى لا يستطيع هؤلاء المساكين أن يحصلوا على رزقهم بواسطتها
.. أو حتى يقطعوا من قوتهم لاصلاحها .. وفرق بين سفينة سليمة
.. وسفينة معيبة فى طلب الرزق وفى خدمة هؤلاء المساكين ..

ولا يطيق موسى صبرا .. فيحتج ويقول « أخرجتها لتفرق أهلها
لقد جئت شيئا امرا » .. وهنا يذكره العبد الصالح بعهده ويقول له
« ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا » .. فيتنبه موسى عليه
السلام الى ما فعل ويقول « لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من
أمرى عمرا » ..

لو أوتى العلم

ولو أن موسى عليه السلام أوتى علم العبد الصالح لفعل ما فعله
العبد الصالح فى السفينة .. ولكنه هنا حجب عنه العلم .. فضايق
صدره بظاهر الأحداث ..

ويمضى العبد الصالح وموسى عليه السلام فى رحلتهما .. وينطلقان
فيلقى العبد الصالح غلاما قتيله .. وهنا ينفذ صبر موسى مرة أخرى

.. كيف يقتل هذا العبد الصالح غلاما لم يؤذهما .. ولم يفعل شيئا .. وهنا نلاحظ أن حادث قتل الغلام أكبر من حادث خرق السفينة .. ويقول موسى عليه السلام « اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا » ..

هنا يظهر الفرق بين من عنده الحقيقة .. وبين من حجبت عنه الحقيقة .. ولكن قتل الغلام مسألة تحتاج الى قدر أكبر من عدم الانفعال لا يقدر عليه البشر .. فيذكره العبد الصالح بعهد .. ويقول له « ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا » .. وهنا يتذكر موسى عليه السلام أنه نسي هذا مرتين فيقول له « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا » .. أي أنني أعذرك اذا رفضت مصاحبتي لأنني لا أطيق الصبر ..

وينطلق الاثنان معا الى قرية .. هما غريبان وجائعان .. ويطلبان من أهلها طعاما .. والمفروض أن الغريب اذا مر بقرية فان أهلها يعرضون عليه الضيافة ولو لم يطلب .. والخلق الانساني يقضى بان يكرم أهل القرية الغريب الذي يدخل قريتهم ويطعموه حتى اذا لم يطلب الطعام .. فما بالك اذا كان جائعا .. وطلب منهم لقمة ليقيم بها أوده .. فاذا بهم يرفضون حتى ذلك ..

شخصان غريبان جائعان .. موسى عليه السلام والعبد الصالح .. دخلا القرية .. وطلبا من أهلها لقمة صغيرة فرفضوا أن يعطوها أي شيء .. ماذا يكون سكان مثل هذه القرية .. يكونون من اللثام الذين لا يستحقون أي معروف ..

ولكن موسى عليه السلام يفاجأ .. العبد الصالح يجد جدارا متهدما في القرية فيعيد بناءه ويكملة ويجمله .. ويذهل موسى عليه السلام من هذا التصرف .. لقد طلبنا لقمة من أهل هذه القرية لنسكت بها صراخ الجوع فرفضوا .. وأنت تجمل لهم قريتهم .. وتبنى جدارا متهدما جزاء لهم على ذلك .. كان من الأولى أن تطلب أجرا تأكل به

طعامنا بدلا من أن تقوم بذلك مجانا .. فهؤلاء أناس لا يستحقون
المعروف .. وهنا قال موسى عليه السلام « لو شئت لاتخذت عليه
اجرا » ..

ولان هذا هو الفراق بين العبد الصالح وموسى عليه السلام ..
فقد عاهده أول مرة ونسى .. وعاهده ثانی مرة ونسى .. واتفقا على
أن المرة الثالثة تكون فراقا بينهما فلا يصاحبه .. فقال له العبد
الصالح « هذا فراق بيني وبينك » ..

ولكنه لم يقل له هذا الكلام ويمضى .. بل بين له الحكمة فى كل
ما حدث .. قال انه خرق السفينة التى يملكها المساكين .. ولكنه
خرقها لينجىها من ملك ظالم كان يأخذ كل سفينة غصبا .. ومن هنا
لكى تنجو هذه السفينة ولاتضيع .. وتبقى لهؤلاء المساكين .. كان
لابد أن يعييبها حتى لا يأخذها الملك الظالم .. والسؤال أيهما خير ..
أن تبقى للمساكين سفينة فيها عيب يستطيعون اصلاحه أم لا تبقى
لهم سفينة على وجه الاطلاق .. أيهما خير للمساكين أ تكون لديهم
سفينة مخروقة .. أم يستولى الملك الظالم على السفينة .. ولا تبقى
لهم سفينة أصلا .. لو خيروا لاختاروا ما حدث .. ووجدوا فيه الخير
العميم لأن الذى حدث هو شئ بسيط أنقذ لهم السفينة وأبقاها ..
ومن هنا فلو عرفوا الحكمة لاختاروا الواقع .. ولكن غياب الحكمة عن
موسى عليه السلام جعله لا يطبق صبورا على الواقع ويعتبره شرا ..
وجدا غلاما قتلته

نأتى بعد ذلك الى قصة الغلام الذى قتله العبد الصالح .. ماذا
كانت الحكمة .. « فكان أبواه مؤمنين فغشمينا أن يرهبهما طفينا
وكفرا » ..

أى انسان ينظر الى الابن كقرة عين .. وامتداد له .. وذكرى
حسنة يتركها فى الدنيا .. ولكن الانسان اذا نظر الى ابنه فى آله
سيكون السبب فى شقائه وتمبه .. ويفتنه فى دينه .. وهو رجل

• صالح .. فانه فى هذه الحالة يتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يبذله
بابن غيره صالح مؤمن ..

فالابن .. أو الابنة .. وهذا ما نراه كثيرا فى حياتنا كل يوم ..
عندما لا يكون صالحا .. قد يفتن أبويه فى دينهما .. قد يجعلهما
يسرقان من أجله .. أو يرتكبان ما يفضب الله ليرضياه .. ومن هنا
فانت أحيانا تسرق من أجل ابنك .. وأحيانا تطفى من أجل ابنك ..
والأب دائما والأم ضعيفان أمام الابن فى مطالبه ..

والانسان الصالح لا ينظر الى هذه الحياة وحدها .. وإنما ينظر
الى الحياتين معا .. الدنيا والآخرة .. ومن هنا حين يمد يده الى مال
غيره يعرف أنه سيحاسب .. وأنه سيعذب من أجل ذلك .. فلا
يكون سعيدا بهذا المال الحرام .. بل يكون شقيا به .. وهكذا كل
ما يفضب الله مهما كان فيه من بهجة دنيوية .. فانه بالنسبة لرجل
غير صالح .. أو غير مؤمن قد يسعده ذلك الذى يبتغى لذة عاجلة ..
أما الانسان المؤمن فانه مهما أعطته الدنيا بطريق يفضب الله لا يمكن
أن يكون سعيدا بما حصل عليه لأنه يعلم يقينا أنه باغضابه لله ..
وارتكابه ما نهى عنه لن يحصل على شئ الا الشقاء فى الدنيا والآخرة
مهما كان ذلك الظاهر السريع يحمل من أشياء تفتن الكافر أو
غير المؤمن .

اذن .. إذا خير الوالدان الصالحان فى أن يهبهما الله ولدا فاسدا
يضيع لهما دينهما ويخرجهما من الطاعة الى الاثم .. أو لا يهبهما
ولدا على الإطلاق .. اختارا الثانية .. ذلك أنهما يعلمان يقينا أنه
من الخير لهما ألا يكون لهما ولد .. على أن يكون لهما ولد أو ابنة
يورثهما الشقاء .. ويجعلهما يخرجان عن طاعة الله ..

الله سبحانه وتعالى لو خير الوالدين الصالحين وقال لهما هذا الابن
سيؤدى بكما الى النار .. وسيجعلكما تطفیان وتكفران .. لقالا
يا ربى لا نريده .. إذن الاختيار هنا هو اختيار الرجل الصالح لما

فيه الخير .. لو خير هذا الرجل بين ابن فاسد .. أو ابنة فاسدة
تؤدى به الى الكفر والطغيان وبين ذهاب هذا الابن .. أو هذه الابنة

ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى اختار لهذين الوالدين الخير ..
بل انه اختار لهما رحمة منه هائلة .. فالابن الذى قضى أجله وهو
غلام قد منع عنهما الشرور التى كان سيرتكبها فى الدنيا .. وبذلك
لحقه الله بوالديه فى الجنة رحمة بهما .. هذه واحدة .. والثانية
الله سبحانه وتعالى يريد أن يبدل بهذا الابن غلاما آخر صالحا مصداقا
لقوله تعالى .. « فاردنا أن يبدلها وبهنا خيرا منه زكاة والقرب رحما »
.. فالله سبحانه وتعالى قد اختار أن يبدل هذا الغلام الذى كان
سينشأ فاسدا غير صالح .. وسيؤدى بأبويه الى الكفر والى النار ..
وأبواه صالحان مؤمنان قد اختار الله سبحانه وتعالى برحمته أن يبدلها
خبيرا منه .. أى ولدا صالحا .. يكون خير ذكرى لهما يتركانها فى
هذه الدنيا ..

ونحن حين نتابع الأحداث .. لا يجب أن نربط الحدث بزمن ..
ذلك أن الزمن شيء نسبي موجود عندنا فقط .. أما الله سبحانه
وتعالى فلا يحده زمن .. ومن هنا فأننا حينما نستحضر أى عمل يجب
أن نستحضر العمل والجزاء عليه .. فنحن حين نرتكب معصية من
المعاصي .. قد يفرح بها غير المؤمن .. يفرح بأنه حصل على مال حرام
.. أو أنه أخذ ثمرة عمل غيره .. أو أنه ظلم انسانا وطفى فى الأرض
ليحصل على مكسب عاجل ..

ولكن الأمور لا تؤخذ هكذا بالنسبة للانسان المؤمن .. والفرق هنا
بين المؤمن والكافر .. أن الجزاء قد حجب عن الاثنين معا .. ولكن
الانسان المؤمن يرى الجزاء عن يقين .. وكأنه حاضر أمامه .. بينما
الكافر لا يرى الجزاء لأنه مستور عنه .. وهو لا يؤمن به .. ولو كان
الجزاء مكتشفا عنا لتساوى المؤمن والكافر فى الطعام .. فاذا ملأنا
حجرة بالذهب .. وقلنا لانسان هذا مال حرام هو لك .. خذه وتمتع

به أياما معدودة .. ثم فتحنا له باب الحجرة فرأى عذاب الله فى نار جهنم .. وقلنا له بعد أن تتمتع بهذا المال لأيام معدودة سنلقى بك فى هذه الحجرة لتلقى جزاءك من الله .. فى هذه الحالة لن تمتد يده الى قطعة واحدة من هذا الذهب .. وكذلك كل معاصى الله لن يقربها .. ولكن الذى يحدث .. ان الانسان المؤمن يرى هذا فى عقله .. ولو أنه غيب عنه .. فهو حين يمد يده الى مال حرام .. تظهر أمام عينيه صورة النار .. وعذاب الله .. فيبتعد مسرعا مستعيذا بالله من هذه المعصية .. أما الكافر .. أو غير المؤمن فانه لا يستحضر هذا العذاب .. وينكره .. أو على الأقل يحاول أن ينكره .. وأن يقنع نفسه بأن كل هذا غير صحيح .. ومن هنا فانه ينطلق الى الحرام معتقدا موهما نفسه أنه لا عقاب بعده .. وأن الذى سيفنيه فى الدنيا هو مكسب له لن يحاسب عنه فى الآخرة .. بينما الحقيقة المستورة هى غير ذلك تماما ..

ومن هنا فان الانسان المؤمن يرى المعصية جزاء وعذابا من الله .. وأنسان غير المؤمن يرى المعصية مكسبا ومغنا .. وباختلاف النظرة يختلف العمل .. ولكن الحقيقة تبقى وان كانت خافية مستورة عنا .. وهى أن كل عمل له حسابه ..

أى اختيار للأبوين

نعود بعد ذلك الى قصة الغلام الذى قتله العبد الصالح .. لو أن هذا الغلام عاش ولم يأت أجله .. ونشأ فاسدا وأورد أبويه النار وجعلهما يسرقان ويطفيان ليرضياه .. أكان ذلك خيرا لهما .. أم أن يبذله الله بغلام صالح يحفظ لهما دنياهما وآخرتهما ؟ ..

لو رأى الأبوان الصالحان الغيب لاختارا الواقع .. لأنهما يعرفان يقينا أن هناك حسابا .. وأن هناك بعثا .. وهما يرعيان الله فى أمورهما فى الدنيا .. بهذا اليقين المستقر فى قلوبهما ..

أذن الذى حدث رغم أن ظاهره الشر ، حقيقته خير للابوين ..
الصالحين .. وللغلام .. ولكن الذى ستر عنه القيب يحسب أنه شر ..

والغريب أننا فى حياتنا نفعل أشياء كثيرة من أجل أن نحصل على
حياة أفضل فى المستقبل .. فالأب والأم مثلاً يحرمان نفسيهما من
كل مباحج الحياة .. ليوفرا لأولادهما العلم الذى يجعلهم قادرين على
حياة كريمة .. بل أنهما يسميان ليوفرا لأولادهما حياة أسعد من
تلك التى عاشوها معها .. والانسان المريض يحرم نفسه من طعام
يحب .. أو من شراب تشتهيه نفسه .. أو من أشياء كثيرة يهواها
قلبه .. ويتحمل مرارة الدواء .. وربما الرقاد الطويل ليحصل على
الصحة .. هذه سنن الحياة لا اختلاف عليها .. فإذا جئنا الى الحياة
الدنيا والآخرة وجدنا بعض الناس يسرعون الى مغنم عاجل .. ناسين
ذلك القادم وهو جزاء الله ..

وتعجب أنت من انسان يحرم نفسه من بهجة الحياة فترة طويلة
.. ويظل يذاكر ويكدح حتى يحصل على حياة طيبة .. ثم هذا الانسان
نفسه ينكر سنة الله سبحانه وتعالى التى اتبعها هو فى الأمور الدنيوية
.. فيقترب الآثام .. ويرتكب المعاصى .. ناسياً أو متناسياً ان ذلك
مثل الذى يلعب فى صباه .. ويفعل ما تهواه نفسه .. فإذا كبر لم
يجد عملاً يقات منه .. بل انه أكثر من ذلك بكثير .. فالحياة الدنيا
أيام معدودة .. والحياة الآخرة خلود .. والحياة الدنيا أن يتمتع
الانسان بقدراته هو .. والحياة الآخرة أن يتمتع الانسان بقدرة الله
سبحانه وتعالى .. التى لا تحدها حدود .. وفرق هائل بين قدرة
المخلوق وقدرة الخالق .. والحياة الدنيا فيها مباحج محدودة ..
إذا أسرف فيها الانسان هلكت صحته .. ولم يستطع التمتع بها ..
فالذى يفرط فى الطعام علاجه الحرمان من الطعام .. والذى يفرط
فى أى لذة أخرى دنيوية حرمه الله منها .. ويجعله غير قادر عليها ..
أما الحياة الآخرة .. ففيها ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت ..
ولا خطر على قلب بشر ..

هنا في هذه الحكمة أساس ايماني .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى « وكان ابواه مؤمنين » .. فقد قدم الله سبحانه وتعالى حقيقة هامة قبل الحدث نفسه .. وهو أن الأبوين مؤمنان صالحان .. هذا الايمان في الأبوين يجعلهما اذا خيرا بين ابن يضيع هذا الايمان .. وبين لا ابن على الاطلاق .. أن يختارا الحقيقة الثانية .. ولكن الله سبحانه وتعالى بهذا العمل الذي اذا نظرنا اليه بالمقاييس الدنيوية نحسبه شرا .. بهذا العمل قد حفظ ايمان الأبوين وبدلتهما ابنا صالحا .. ثم أكرم الابن بأن قضى أجله وهو غلام .. ولم يتركه حتى يدخل محك التجربة ويصبح فاسدا يكتب عليه العذاب في الآخرة .. وكما قلت لو خirt أبوين مؤمنين بين قضاء الله .. وبين ما كان سيحدث لاختارا قضاء الله سبحانه وتعالى .. واعتبراه رحمة منه وفضلا .. ولكن الذي يجب ألا يغيب عنا في هذه الحقيقة هو ايمان الأبوين أولا .. فالإيمان هنا هو أساس هذا الاختيار ..

العمل الصالح .. لا يذهب

وننتقل بعد ذلك الى الحقيقة الثالثة .. وهي القرية التي استطمعا أهلها فأبوا أن يضيفوها .. اثنان غريبان دخلا الى قرية وهما في حالة جوع شديد .. أبسط الأشياء أن القوم الكرام .. اذا دخل غريب القرية أطعموه .. ولو لم يكن جائعا .. أو على الأقل عرضوا عليه الطعام .. فإذا كان جائعا وجب عليهم إطعامه .. ولكن أهل هذه القرية التي دخلها موسى والعبد الصالح قابلوها بلؤم ونفالة .. ذلك أن موسى والعبد الصالح كانا جائعين وغريبين .. وطلبيا الطعام من أهل القرية .. ولم يطلبيا طعاما فاخرا .. أو مائدة تحوى عشرات الأصناف .. ولكنهما طلبا لقمة تقيم أودهما وتسكت جوعهما .. فعادا فعل أهل القرية .. أبوا .. رفضوا أن يعطوهم حتى هذه اللقمة الصغيرة .. وإذا بالعبد الصالح يجد جدارا متهدما في القرية فيبنيه ويجمله ويجدده .. ولم يطق موسى صبرا .. هؤلاء الناس رفضوا اعطاءنا لقمة ونحن جائعان .. وأنت تقوم بهذا العمل لمجانا

.. تقدم لهم خدمة .. تبنى لهم جدارا متهدما .. جزاء على هذا اللؤم .. وهذه النذالة .. وتأتى الحقيقة المستورة لتبين لموسى عليه السلام الحكمة من بناء هذا الجدار .. فهذا الجدار لم يكن خيرا لأهل القرية الذين تخلوا عن كل مبادئ الشهامة .. بل كان خيرا لأولاد رجل صالح يخشى عليهم من أهل هذه القرية الذين لا يرعون عهدا ولا يطعمون جائعا .. ولأنهم يفعلون ذلك لا يطعمون الجائع .. ولا ينفقون شيئا فى سبيل الله .. فقد منع الله سبحانه وتعالى عنهم الخير .. وإبقاه لأولاد رجل كان صالحا وتوفاه الله .. ذلك أن العمل الصالح للأب يبقى لأولاده فى الدنيا وينفعهم .

وهنا يحدث الفراق بين موسى والرجل الصالح .. ولكن بعد أن يبين لنا الحكمة فيما حدث .. والحكمة هنا تختلف عن الحادثتين السابقتين ..

فكانت الحادثتان السابقتان فى ظاهرهما شر .. وفى حقيقتهما خير .. حادث خرق السفينة أنقذها من الملك الظالم الذى كان سيغتصبها .. وقتل الغلام حفظ لأبويه صلاحهما .. وعوضهما الله سبحانه وتعالى عنه بولد صالح .. أما هنا فالظاهر لأهل القرية أن هذا الرجل الصالح قد قدم عملا خيرا طيبا لهم بأنه وجد جدارا قديما يكاد يتهدم فبناه .. ولكن الحقيقة غير ذلك تماما .. أتضح أنه حدث لمنع الخير عنهم .. فالجدار المتهدم كان تحته كنز .. وهذا الكنز كان لغلامين يتيمين فى المدينة .. وكان أبوهما صالحا .. أذن فصلاح الأب ينعكس على الأبناء .. والأب الصالح يهيم الله لأبنائه سبل الرزق فى الحياة .. بالعمل الصالح ..

والسؤال هنا .. وهل كان الكنز سيبقى لهذين الغلامين ؟ .. أبدا .. ذلك أن أهل هذه القرية وأخلاقهم عدم اطعام الضيف الجائع .. كانوا سينقضون على الكنز ويأخذونه .. ولا يعطون الغلامين شيئا .. فالله سبحانه وتعالى بسبب أن هذه هى أخلاق أهل القرية .. منع

عنهم هذا الخير .. أو الكنز .. وفي نفس الوقت بسبب صلاح أبي
الغلامين .. حفظ للغلامين كنزهما

هذه هي الحكمة المستورة .. ولكن ما هو الظاهر أمام أهل القرية
.. أن غريبين دخلاهما جائعين فرفضوا اطعامهما .. فاذا بهذين الغريبين
أو أحدهما يجد جدرا متهدما .. فيبينه ويجمله ويزينه ..

لو أنك كنت تعيش في هذه القرية .. ورأيت هذا الحادث ..
لقلت سبحان الله .. قوم لنأكل يرفضون اطعام الجائع الغريب ..
ويرفضون العمل بما أمر به الله من اطعام مسكين .. ومن أكرام
الغريب يرفضون أن يقدموا لقمة واحدة لرجلين جائعين .. ثم يأتي
أحد الرجلين فيقيم جدرا جميلا في القرية .. ثم كنت تنظر إلى السماء
.. وتقول يا ربى .. ما هذا .. هؤلاء الناس أشرار .. وقاموا بعمل
شرير .. عمل لا ترضى أنت عنه .. سبحانك وتعاليت .. وهو اطعام
الجائع الغريب .. ثم ترسل إليهم من يحمل لهم القرية .. ويقوم
فيها جدرا متهدما .. ويعمر فيها .. كيف تجازى يا ربى هؤلاء
اللائم بهذا الخير ..

وكننت تتمتع كيف أن الله سبحانه وتعالى يسخر لقوم هم أبعد
ما يكونون عن طاعته - من يزين لهم قريتهم ويجملها .. وهذا هو
الذى جعل موسى لا يطيق صبرا .. ولكن عندما انكشفت الحقيقة
عن المستور في علمه .. تبين أن ما حدث لأهل هذه القرية لم يكن
خيرا .. بل كان منعا للخير .. رغم أن ظاهره أمام من لا يعلم خير ..
ولكن حقيقته عكس ذلك تماما ..

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قد ساق لنا هذه الأمثلة في سورة
الكهف .. ليقول لنا لا تحكموا بالمقاييس الدنيوية .. فعندى أنا
العلم .. ولا تحكموا بالظاهر أمامكم .. وأنا أعلم أن صدوركم يضيق
بما يحدث .. وأنكم لا تستطيعون الصبر .. وأنكم تتمتعون من
أشياء كثيرة حين تجدون شرا .. يحدث لأناس طيبين صالحين ..

وخيرا يحدث لآناس يصنون الله .. ذلك ليس المقياس .. لأن ما أمامكم هو الظاهر .. وما عندي هو الحقيقة .. والظاهر أمامكم قد يكون عكس الحقيقة تماما .. وما تحسبونه شرا .. قد يكون خيرا .. وخيرا عميما .. وما تحسبونه خيرا قد يكون شرا .. أو منعا للخير .

كهوف الحياة

ولقد ساق الله سبحانه وتعالى هذه الأمثلة ليبين أن هناك كهوفا في هذه الحياة .. توارى الحقائق عنا .. وأن على الإنسان ألا يفتر بظواهر الأشياء .. وأن يعلم أن هناك حقائق مخفية .. وليعلم كل إنسان أن كل قدر قد يقع عليه ليس له فيه اختيار .. فيه حكمة .. والحكمة ليست دائما ظاهرة .. ومن هنا فعلينا ألا نحكم نحن بعلمنا فمصا يحدث لنا من أقدار .. وأن نتقبل الأشياء بلا أنزعاج من شر نحسبه حدث .. ولا فرح شديد من خير نحسبه تم .. والله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم .. وقد نكره شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وقد نفرح لأشياء ثم بعد ذلك نتمنى لو لم تحدث .. هذه حكمة .. يريد أن يبينها الله لنا سبحانه وتعالى حتى نتحمل الحياة .. ونحن نؤمن أن قدر الله سبحانه وتعالى هو ما نرضى به وأن ما يقسمه الله سبحانه وتعالى هو الخير لنا .. وهذا كما قلت فى القدر الذى يقع علينا .. ولا يكون لنا اختيار فيه ..

ونمود فى ختام الحديث عن سورة الكهف الى قصة ذى القرنين .. فيقول سبحانه وتعالى « ويسألونك عن ذى القرنين .. قل صالوا عليكم منه ذكرا » وهنا يحاول بعض الناس أن يخرج بالصورة عن هدفها الى فرع لا يفيدنا .. وليس مطلوبا منا أن نبحث عنه .. فبدلا من أن يتأمل ما قاله الله سبحانه وتعالى عن ذى القرنين .. يدخل فى جدل حول من هو ذو القرنين .. ومتى عاش .. وفى أى بلد كان .. الى آخر هذا الكلام ..

والقصص فى القرآن ليس مقصودا بها تحديد أو تشخيص أعلام القصة .. ليس مطلوبا منا أن نترك الحكمة من الآية .. وندخل فى

جدل حول من هو ذو القرنين .. فذو القرنين موجود في كل عصر ..
باسماء مختلفة ..

القرآن .. والحقيقة

نعود مرة أخرى الى قصة ذي القرنين .. ولا نريد ولن ندخل في
تعريف من هو ذو القرنين .. وانما نتحدث عن الحكمة فيما رواه الله
سبحانه وتعالى ..

ذو القرنين رجل مكن الله له في الأرض .. أى أعطاه الملك ..
وأناه الله سبحانه وتعالى من كل شيء سببا .. أى أعطاه الأسباب
التي تمكنه من أن يفعل ما يريد ..

ماذا فعل ذو القرنين عندما أعطاه الله الأسباب من عنده .. لم
يكتف بذلك .. بل أتبعها بأسباب من فعله .. ومن هنا فإن الله
سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا انه اذا مكننا في الأرض بأسباب من
عنده .. لا بد أن نضيف اليها أسبابا أخرى .. ولا نكتفى بذلك ..
وهذا ينفي قضية التواكل والتكاسل عن العمل .. فاذا مكنني الله
بأن أعطاني أرضا .. فيجب أن أضيف اليها بأن أزرع هذه الأرض
لتنتج الثمار .. فاذا تركت الأرض بورا .. لا أضيف اليها عملا من
عندي .. وانما أخذت أسباب الله دون أن أضيف اليها سببا .. فأنا
لا أعمل بشريعة الله في الأرض ..

واذا مكنني الله سبحانه وتعالى من مال .. فيجب أن أستخدمه فيما
ينفع الناس ويفتح أبواب الرزق لهم .. ويعمر في الأرض ..
ولا أكتفى بأن أضعه في خزائني .. وأغلق عليه الباب .. وأنفق
منه على حاجاتي .. أى أن الله سبحانه وتعالى اذا أعطاني أسباب
المال .. فيجب أن أضيف اليها من عندي .. وهكذا في كل أمور
الدنيا .. اذا مكنني الله سبحانه وتعالى من أى شيء .. فيجب أن
أضيف له من عندي فيبارك فيه الله .. ويزيده .. والا أكتفى بما مكنني

الله فيه .. فاذا مكنتى الله من علم مثلا .. فيجب أن أنشره لينتفع
به الناس .. الى آخر هذا ..

ثم تمضى الآية الكريمة

« حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى
عين حمئة .. ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين
اما ان تعذب .. واما ان نتخذ فيهم حسنا »

وهكذا خيره الله سبحانه وتعالى بعد أن مكن له فى أن يواجه
هؤلاء الناس : المخطئ بالعذاب .. والمحسن بالحسن ..

كما روى الله لنا فى القرآن الكريم .. « اما من ظلم فسوف نعذبه »
.. لماذا ؟ .. لم يقل ياربى .. اما من ظلم فسوف أتركه ليعذب
فى الآخرة .. لأن قوانين الحياة .. وهذه نقطة هامة جدا ..
تقتضى الحساب أولا ليستقيم كل شئ .. وحياة دنيوية بلا حساب
تنتهى الى نوع من الفوضى ..

فالدنيا فيها المؤمن والكافر .. وفيها المحسن والمسيء .. أساس
الحياة الدنيا أن يكون الحساب قبل الثواب .. هناك قواعد وضما
الله للحياة الكريمة فى الأرض .. انسان غير مؤمن سرق .. لابد
أن يحاسب فى الدنيا .. انسان غير مؤمن خرج عن أى حد من
حدود الله لابد أن يحاسب .. ولكن ذلك لا يمضى على حدود الله
وحدها .. فاذا أردنا أن تمضى الحياة بشكل مستقيم يضمن
انتظام العمل .. وتحمل المسؤولية .. فيجب أن يكون هناك حساب
أولا لمن يخطئ ..

وهنا يجب أن ننتبه الى هذه الآية جيدا .. لماذا قدم الله سبحانه
وتعالى قوله وهو يروى لنا قصة ذى القرنين .. « اما من ظلم فسوف
نعذبه » .. ثم جاء بعد ذلك قوله « واما من آمن وعمل صالحا فله
جزاء الحسنى » .. ذلك أن المحاسبة أو الحساب يجب أن تسبق

اية مكافأة .. أو ما نسميه نحن بلغتنا حوافز أو مكافآت تشجيعية ..
 أو ما نطلق عليه نحن جزء دنيويا .. أو ماديا .. فإذا أخذنا إلى
 عمل من الأعمال في الدنيا كلها .. وبدأنا لا نحاسب المهمل ..
 ونجزل العطاء لمن يحسن العمل .. فإن ذلك العمل لا يستقيم أبدا
 مهما كان العطاء الذى نعطيه .. بل ان الأساس أن تأتى المحاسبة
 أولا .. ثم بعد ذلك .. وبعد أن يمضى العمل على أساس سليم ..
 ويؤتى ثماره ويزيد .. يأتى التشجيع .. واجزال العطاء ..

الظالم .. لنفسه

على أننا يجب أن ننتبه هنا إلى نقطة هامة جدا .. هي أنه من يظلم
 فى الأرض له حسابان .. حساب عقاب الدنيا .. وعقاب الآخرة ..
 والظلم هنا لكى نعرف دقة التعبير فى القرآن الكريم .. نوعان ..
 انسان يظلم نفسه .. وانسان يظلم غيره .. وكلاهما له حساب
 .. فالانسان الذى يظلم نفسه هو الذى يوردها مورد الهلاك فى
 الآخرة .. بالأا يؤدي فروض الله .. وقد يكفر بالله ونعمه .. قد
 لا يحسن وهو يملك المال الكثير .. ولا يؤدي الصلاة .. ويقوم
 بالايذاء حبا فى الايذاء .. ودون أن ينال جزء دنيويا .. ومن هؤلاء
 كثيرون .. كالذى يرسل خطابات مجهولة بتهم كاذبة .. ضد زملائه
 أو مرءوسيه أو جيرانه .. أو كالذى يشهد شهادة الزور ابتغاء الأذى
 .. ودون أن يكون له جزء يحصل عليه .. هذا الانسان يظلم
 نفسه بأنه يوردها مورد التهلكة .. وفى نفس الوقت لا يعطيها جزء
 الدنيا العاجل الذى قد تستفيد منه النفس الظالمة .. والنوع الآخر
 من الناس هو الذى يظلم نفسه ويظلم غيره .. كالذى يسرق مال
 غيره .. أو يزور ليحصل على مال حرام .. أو لنة عاجلة .. ذلك
 الانسان قد باع الدنيا بالآخرة .. أعطى نفسه ما هو زائل ..
 وسلبها ما هو دائم وخالد ..

العذاب هنا يكون على شقين .. الشق الأول هو الشق الظاهر
 .. كان يضبط انسان انسانا وهو يسرق المال .. أو يأخذ حقوق

الإنسان بالظلم .. وهذا يجب أن ينال عقابه .. الشق الثاني
.. إنسان يفعل في الخفاء ما نهى الله عنه .. ولا يعبد الله .. وهذا
يرد الى ربه .. فيعذبه عذابا نكرا ..

اذن .. الله سبحانه وتعالى حدد لنا مهمة كل من يمكنه الله
سبحانه وتعالى في الأرض .. ومهمته أن يقف ومعه ميزان يزن به
حركة الحياة .. حتى تستقيم هذه الحركة .. واستقامة حركة
الحياة أساسها أن الظالم يعاقب .. ولا نقول أنه يترك الله ليعاقبه
.. فلا بد أن تكون هناك عقوبة دنيوية ردعا لمن لا يؤمن بالله .. أو
لمن نسي الله .. وهذا لا يعفيه من عقاب الله ..
ثم يقول الله سبحانه وتعالى

« وإمامن آمن وعمل عملا صالحا .. فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا »

ولكننا نقف عند هذه الآية الكريمة ونقول : ولماذا لم تكمل بأن
هذا الإنسان يرد الى ربه فيدخله جنات النعيم .. وهنا حكمة بالغة
.. هي أن الإيمان هو بين العبد وربّه .. والله سبحانه وتعالى وحده
هو الذي يعرف من المؤمن حقيقة .. ومن الذي يتظاهر بالإيمان
.. بينما يفعل في الخفاء ما ينهى عنه الله .. ومن هنا فنحن مهما
أوتينا من مقاييس الدنيا .. لا يمكن أن نفرق بين مدعى الإيمان
.. والمؤمن حقيقة .. ولذلك فأمر هؤلاء متروك لله سبحانه وتعالى
الذي يعرف ما تخفيه الأنفس وما تكتمه الصدور .. وهو يعلم الذي
يعمل عملا يبتغى به مرضاة الله .. والذي يعمل عملا ظاهره الخير
.. وباطنه طلب الجاه في الدنيا .. ومن هنا فإن الأمر متروك
لله سبحانه وتعالى .. ما كان مخفيا في الصدور .. فينال المؤمن
الحقيقي الجزاء .. أما الذي آمن رياء أو نفاقا .. أو ابتغاء سعة ..
أو ابتغاء لجاه دنيوى .. فأمره الى الله .. وهو الذي يحكم ..

وتمضى الآية الكريمة لتقول

« حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا » ..
« كذلك وقد اذننا بها لديه خيرا » ..

وقد تحدثت عن ذلك فى أول هذا الفصل وبينت أن معنى الآية
الكريمة « لم نجعل لهم من دونها سترا » .. أن الاسكندر قد وصل
الى مناطق فى الأرض لا تغيب عنها الشمس فترة طويلة .. أى أنه
لا يتعاقب عليها الليل والنهار كباقي أجزاء الكرة الأرضية .. بل
تظل الشمس مشرقة عليها لفترة طويلة لا يسترهما ظلام .. وإذا
بحثنا الآن نجد أن هناك مناطق فى العالم لا تغيب عنها الشمس ٦
شهور فى العام .. فالشمس لا تغيب عن القطب الشمالى مدة ٦
شهور .. وعن القطب الجنوبى مدة ٦ شهور .. فكأن الله تعالى يريد
أننا نخبرنا أن هناك أماكن فى الأرض لا تخضع لقواعد تعاقب
الليل والنهار كالتى تخضع لها باقى أجزاء الأرض .. وإنما تشرق
الشمس عليها دون أن يسترهما الظلام لفترة طويلة ..

المال .. وما أعطاه الله

ثم ننتقل بعد ذلك الى ذى القرنين عندما بلغ ما بين السدين ..
فيقول الله سبحانه وتعالى

« حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا .. قالوا يا ذا القرنين ان
ياجوج وماجوج مفلسون فى الأرض » ..

وتمضى الآية الكريمة فيقول ذو القرنين وهم يعرضون عليه المال :
« ما مكنتى فيه ربي خير فاعينونى بقوة اجعل
بينكم وبينهم دمما » ..

وهنا نصل الى قانونين من قوانين الله سبحانه وتعالى يريد أن
يخبرنا بهما .. القانون الأول .. قول ذى القرنين ما مكنتى فيه

ربى خير .. وهذا دليل قوى على أن الرجل الصالح المؤمن المصلح
فى الأرض .. لا يتكالب على المال .. ولا يعمل من أجل جمع المال
وكنزه .. بل انه يعلم يقينا أن الخير الذى يعمله .. هو أبقى
وأحسن من المال الذى يمكن أن يحصل عليه .. وأنه اذا أنفق ماله
فى الخير .. فانه لا يضيعه ولكنه يضاعفه .. وهذا يدلنا دلالة
واضحة على أن ذا القرنين رجل صالح .. ولو أنه كان رجلا يدعى
الصلاح .. ويعمل من أجل الدنيا لفرح بالمال كشيء عاجل .. ولم
يفضل عليه الخير الذى هو أبقى عند الله .. والذى يضاعفه الله
سبحانه وتعالى ..

أى أن الله يريد أن يقول لنا لا تفرحوا بالمال .. ولكن افرحوا
بخير أسوقه اليكم لتؤدوه .. فذلك أحسن من المال وأبقى .. وهو
النافع فى الدنيا وفى الآخرة .. ثم يمضى الله سبحانه وتعالى ليقول
على لسان ذى القرنين « فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما »
.. ومعنى هذه الآية الكريمة أن الله يريد أن يقول لنا اننا يجب
أن نعمل لندرك الظلم عن أنفسنا .. فاذا كان هناك أناس ظالمون
مفسدون فى الأرض .. فاننا يجب أن يكون بعضنا عوناً لبعض فى درء
هذا الخطر أو هذا الظلم الذى يهددنا .. وأننا فى حياتنا الدنيوية
يجب أن نستخدم الامكانيات العقلية التى أعطاها الله لنا لندرك عن
أنفسنا كل ما هو شر .. ونأتى أو نعمل لما هو خير .. الله سبحانه
وتعالى قد أعطانا نعمة العقل .. لا لنضيعها فى الجدل عن غيبات
لا نعلم عنها شيئاً .. ولا لنفسدها بالدخول فى أشياء لن نصل فيها
الى نتيجة .. ولا نستطيع أن نثبتها .. ولكن لتعيننا فى حياتنا
الدنيوية فنستخدم عقولنا لنكتشف ما فى الأرض من أسرار وضعها
الله سبحانه وتعالى .. ومن مواد خلقها الله سبحانه وتعالى .. ثم
نستخدم عقولنا لنصنع من هذه المواد .. وهذه القوانين التى
خلقها الله ، ما يوفر لنا درء الخطر عن أنفسنا .. وتوفير الحياة
الكريمة لنا .. والله سبحانه وتعالى قد خلق لنا العقل .. وخلق
لنا ما يشغله .. وميادين نشاطه فى الأرض .. ولكن بعض الناس

يحاولون استخدام العقل فيما لا ينفع الناس .. بل يضرهم ..
وفي التشكيك في الغيبيات .. وفي النهي عن سبيل الله .. وفي
الانفساد في الأرض .. تلك كلها أشياء لم يجعلها الله سبحانه وتعالى
من وظيفة العقل .. فالعقل البشرى له حدود .. والله سبحانه وتعالى
لا تحده حدود .. ولا قيود ..

ومن هنا فإن وظيفة العقل البشرى في أن يشتغل فيما خلق له
.. وهو الأرض وما وضعه الله فيها .. والكون وما يريد الله
سبحانه وتعالى أن يكشف فيه من أسرار للعقل البشرى ..

وهكذا يريدنا الله سبحانه وتعالى أن نستخدم عقولنا في حياتنا
الدنيوية .. ولا نعطلها .. ولا نلغي تفكيرها .. وفي نفس الوقت
ينهاها عن أن نهدر العقل البشرى فيما لم يخلق له .. وفيما لن
يصل فيه الى نتيجة ..

حماية .. أهل الضعف

كان أول ما فهمه ذو القرنين من هؤلاء الناس أنهم أهل ضعف
.. يطلبون حمايتهم من أهل قوة وجبروت .. وهم يأجوج ومأجوج
.. وأنهم مستعدون لدفع الأجر لدى القرنين مقابل أن يحميهم من
هؤلاء الجبارين الذين يفسدون في الأرض .. فيقتلون أولادهم
ويأخذون مالهم .. الى آخر ما كان يحدث .. وهؤلاء أناس ضعفاء
لا حول لهم ولا قوة .. ولم تمكنهم عقولهم من أن يجدوا الطريقة
ليحموا بها أنفسهم من هذا الجبروت ..

وهنا قال ذو القرنين .. ان ما مكنى فيه ربي خير .. ما معنى
هذا القول الكريم ؟ .. معناه أن ذا القرنين أوتي من العلم ..
بحيث عرف أن الخير في الدنيا أفضل من المال .. لأن المال يأتي
ويذهب .. أما الخير فيبقى الى الأبد .. العمل الذي يقصد به وجه
الله سبحانه وتعالى هو أحسن ما يمكن أن يكسبه الانسان .. لماذا ؟

.. لأنه باق خالد .. يذهب السيئات .. ويقرب من الله ..
ويبقى خالدًا للإنسان في آخرته يزيد ولا ينقص .. والعمل الصالح
الذي يؤتيه الرجل المؤمن .. قاصدا به وجه الله سبحانه وتعالى ..
يجعله ممن ينطبق قول الله تعالى عليهم ..

« نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم
فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا
من غفور رحيم » ..

ويجعله ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى « إن الله يدافع عن
الذين آمنوا » .. ويجعله ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى « ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .. ومن هنا
فإننا نرى أن عمل الخير جزاؤه في الدنيا دعوة مجابة من الله
سبحانه وتعالى بما تشتهيه نفس المؤمن .. وأن يكون الله سبحانه
وتعالى هو المدافع عنه الذي يقف أمام أي إنسان يحاول أن يؤذيه
.. فيحبط كيده .. ويضعف سلطانه .. ويجعل الأذى لا يصل
إلى المؤمن أبدا .. لأن المدافع عنه هو الله سبحانه وتعالى .. ومن
يستطيع أن يؤذى من كان الذي يدافع عنه هو الله ذا القوة المتين ..
ثم إن هذا الخير الذي يقرب من الله .. يجعل الله سبحانه وتعالى
يوجد له من كل ضيق فرجا .. ومن كل أزمة مخرجا .. من حيث
لا يدرى ولا يحتسب .. هذا بخلاف أنه إذا ضاقت به أسباب الرزق
.. فإن الله يفتح له من هذه الأسباب أبوابا لم يكن يفكر فيها ..
أو يصل إليها فكره أو علمه .. هذا في الدنيا .. بجانب جزاء
الآخرة .. وهو الفوز العظيم .. وهو الجنة ..

إذا كان هذا هو جزاء الخير .. وإذا كان ذوالقرنين على يقين من ربه
الذي علمه الأسباب .. فهل يبيع هذا الجزاء كله .. ويتقاضى بدلا
منه أجرا .. بلا شك أن قوله : « ما مكنتني فيه ربي خير » .. معناه
أنه على علم يقيني بأن جزاء الله عن الخير لا يمكن أن يقابله أجر ..

ولو كان مال الدنيا كلها .. وهكذا اختار ذو القرنين .. وهكذا
يختار كل مؤمن إيمانا حقيقيا الخير عن المال .. اختار أن يحيى
هؤلاء الضعفاء ، الذين لا يكادون يفقهون قولا ، من الجبارين الذين
يفسدون فى الأرض .. ويأخذ بذلك أجرا من الله سبحانه وتعالى
لحماية الضعيف .. ونصرته ، الذى لا حول له ولا قوة ..

ولكن كيف اختار أن تتم هذه العملية .. هل قام هو ببناء السور
.. أو قام هو بعمل أى نوع من الحماية لهم .. أى أدى لهم مهمة
تنتهى بانتهائه .. وتغيب عنهم بضيائه .. لا .. بل اختار أن
يعلمهم شيئا يعملونه هم بأنفسهم .. حتى إذا غاب عنهم أو رحل
عنهم يستطيعون أن يقوموا بهذا العمل بذاتهم .. أى أنه أضاف
إليهم ما أعطاهم قوة ذاتية يستطيعون أن يحموا بها أنفسهم ..
فقال « فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما » .. أى أنه أشرکہم
فى العمل .. وعلمهم كيف يستطيعون أن يبنوا بينهم وبين هؤلاء
القوم الجبارين سدا يمنع الأذى عنهم .. أى أنه علمهم كيف يحمون
أنفسهم من الظلم الذى يقع عليهم .. ونتيجة عملهم واجتهادهم
استطاعوا إقامة السد بينهم وبين هؤلاء الجبارين .. وبذلك دفعوا
الظلم عن أنفسهم .. وتعلموا شيئا جديدا يحميهم ..

وفى هذا حكمة .. هى أن الضعفاء مهما كان ضعفهم .. فإن
الممكن فى الأرض يعلم .. ويستطيع أن يجعلهم أقوياء .. وأن يمينهم
على أن ينهضوا بأنفسهم .. ويزيلوا أسباب تخلفهم وضعفهم ..
بشرط أن يشتركوا جميعا فى العمل .. لتستمر الدفعة .. ويتم
العمل نفسه .. فإذا اشتركوا تعلموا .. وإذا تعلموا تقدموا
واستطاعوا أن يحموا أنفسهم .. وأن يضيفوا الى ذاتيتهم أشياء لم
تكن موجودة ..

وقبل أن أختتم خواطرى عن سورة الكهف .. أحب أن أبين أن
هذه السورة ترينا من كهوف الحياة ما يجعلنا نفهم كثيرا .. فالفهم

الأول أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى .. وأنه لا شيء يتم إلا بإرادة الله .. ومن هنا فإن الإنسان يجب أن يرجع كل شيء إلى الله سبحانه وتعالى فلا يقول سأفعل كذا .. إلا بعد أن يضيف إليها أن شاء الله .. لأن الذي يملك عناصر الفعل المستقبل هو الله سبحانه وتعالى .. وثاني هذه الأشياء هو نظرة الإنسان إلى الأسباب .. فالإنسان إذا رزقه الله بمال أو بأرض .. أو فضله على غيره في الرزق .. فيجب أن يعرف يقينا أن الفضل في ذلك هو لله سبحانه وتعالى .. وأن يفتر بنفسه ويقول إنما أوتيته على علم عندي .. ذلك أن الغرور هو بداية عبادة النفس .. وبداية عبادة النفس تبعد عن عبادة الله .. فالله الذي أعطى يستطيع دائما .. ودائما أبدا أن يأخذ .. والله الذي وفق يستطيع دائما ودائما أبدا أن يحجب هذا التوفيق .. ومن هنا فإن من المهلكات في الدنيا أن يعتقد الإنسان أنه يستطيع أن يصنع قدره ، وأنه بذكائه يستطيع أن يفعل كذا وكذا .. ولكنه يستطيع فعلا أن يفعل .. وأن ينجز بتوفيق الله له .. ذلك التوفيق الذي هو أساسه نجاح العمل .. والذي لولاه لفشل كل شيء .. العمل نفسه مطلوب وواجب .. ولكن الغرور ليس واجبا .. بل أنا أعمل .. والله يوفق ويبارك .. ويرزق ..

والحكمة الثالثة أن ظاهر الأشياء ليس هو حقيقتها .. الخير والشر لا يمكن أن يحكم عليهما إنسان من ظاهر الأمور .. ومن هنا فإننا لا يجب أن نضع من أنفسنا حكما على ما يحدث .. ونقبل قضاء الله دون أن نبكي حزنا اعتقادا منا أنه شر .. أو نظير فرحا لأننا نحسب أنه خير .. فحقيقة الخير والشر لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى .. يجب أن نتقبل قضاء الله دائما بالرضا .. وبأن هناك حكمة مستورة .. وما دمننا مؤمنين .. فإن الله لا يضيع مؤمنا .. ولقد ساق الله لنا سبحانه وتعالى من خلال قصة موسى والعبد الصالح أمثلة عديدة على ذلك ..

رابعاً .. أن هناك أموراً قدرية تقع على الإنسان بدون حركة منه

.. ولا دخل له فيها .. وأن هذه الأمور لا تحدث عشوائيا ..
ولا تتم هكذا .. بل هناك وراءها دائما مدبر هو الله سبحانه وتعالى ..
وهي وإن كانت في بعض الأحيان تبدو بغيضة عن ادراك عقولنا ..
فيجب أن نفهم أن كل قدر في الكون له سبب يعلمه الله سبحانه
وتعالى الذي يسبب الأسباب ..

وأن القضاء الذي يجرى على الانسان من الله سبحانه وتعالى هو
قضاء مرسوم .. وإن بدا لنا في كثير من الأحيان كأمر عادي ..
كذلك الذي خرق السفينة وأقام الجدار لا أحد يستطيع أن يفهم سر
هذا القدر إلا بعد أن بينه الله سبحانه وتعالى لنا ..

وأخيرا فأننا مهما كنا مستضعفين في الأرض .. نستطيع أن
نتعلم من أولئك الذين مكنهم الله بأسباب العلم .. أو أعطاهم لهم
.. وأن نضيف الى هذا العلم عملا يبارك لنا فيه الله ..

وأخيرا فان علينا أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى حين يمكننا من
الخير .. ومن عمل الخير .. انما يمكننا من أحسن عمل يمكن أن
نقوم به في الجزاء وفي الثواب .. في الدنيا والآخرة .. وأن الذي
يرضى عنه الله سبحانه وتعالى ليس هو الذي يمكنه من المال أو الجاه
أو من النفوذ .. ولكنه ذلك الذي يمكنه من عمل الخير



• الفصل الخامس •

عذابُ النبي في القرآن الكريم

بعض المستشرقين الذين لا يحلو لهم الا الطعن في هذا الدين .. ومحاولة أخذ الأشياء وتأويل معناها بالتأويل غير السليم .. يحاولون التشكيك في هذا الدين فيما يحويه القرآن الكريم من عبارات يعاتب فيها الله سبحانه وتعالى نبيه .. ويتخذون من هذه المواقف ذريعة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على صواب في أشياء قام بها .. وهم يستخدمون من القرآن الكريم الآيات مثل

« واستغفر للذنبك » .. و « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا .. اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا »

وقول الله سبحانه وتعالى معاتبا النبي بعد أن أخذ أسرى في غزوة بدر . وجعل فداءهم من الأسر بتعليم المسلمين القراءة والكتابة

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . تريدون عرض الدنيا . والله يريد الآخرة » ..

وما قيل عن بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية .. الى آخر الآيات التي يعاتب الله سبحانه وتعالى رسوله فيها .. والتي يستخدمها أولئك الذين يريدون الطعن في هذا الدين كوسيلة للتخطيء واظهار أن النبي لم يكن على صواب

وقيل أن أبدا الحديث عن كل هذه الآيات ومغزاها ومعناها .. فان لنا وقفة مع الذين يستخدمون هذه الآيات .. هي أنهم يشبتون بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن الكريم منزل من عند الله سبحانه وتعالى .. وانه لم يحدث فيه تبديل ولا تغيير حتى وصل اليهم .. فلو حدث فيه تبديل أو تغيير .. لحذفت منه الآيات التي تتضمن عتابا من الله لرسوله .. أو على الأقل حرفت .. ولكن كون القرآن قد جاءنا .. وفيه هذه الآيات مع ما يمكن استغلاله فيها .. وكونها لم تتغير .. ولم تتبدل .. فهي دليل على أن القرآن قد وصلنا كما أنزله الله سبحانه وتعالى .. تأكيدا للآية الكريمة

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون »

وكون هذه الآيات نزلت في القرآن الكريم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكان رسول الله يتلقى القرآن من الوحي .. ويبلغه للمؤمنين .. ومن هنا فانه صلى الله عليه وسلم لو لم يكن أمينا في ابلاغ الرسالة .. لأخفى هذه الآيات .. وما كان أحد من البشر يستطيع أن يعرف اذا كانت قد أنزلت .. أم لا .. ولو أن هذا القرآن كلام بشر ما كان يحوى عتابا لرسول الله .. فالبشر من عادتهم لا يتقبلون النقد .. ويدعون الكمال .. وما من منهج بشري يلوم فيه صاحبه نفسه أو يعاتبها .. بل كل منهج وضعه بشر يحاول أن يوهم الناس بأن هذا هو الكمال المطلق

ومن هنا فكون هذه الآيات قد نزلت دليل على أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى .. وليس كلام بشر .. وكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بإبلاغ هذه الآيات دليل على أنه أمين

فى ابلاغ الرسالة التى كلفه الله سبحانه وتعالى بها .. لم يخف منها
 حرفا واحدا .. وكونها موجودة فى القرآن حتى الآن رغم مرور ١٤٠٠
 سنة على نزوله .. دليل على أن كلام الله قد وصلنا كما أنزل بلا
 تحريف .. ولا تبديل .. تلك حقيقة هامة يجب أن نذكرها قبل أن نبدأ
 الحديث فى الموضوع .. ذلك أن الذين أرادوا أن يهدموا هذا الدين
 انما قد ثبتوه وأثبتوا أن هذا القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى وأن
 نبيه كان أمينا فى ابلاغ رسالته .. وأن القرآن الكريم قد وصل إلينا
 كما أنزله الله

نأتى بعد ذلك الى الحديث عن الآيات التى فيها عتاب من الله
 سبحانه وتعالى لرسوله .. وقبل أن نبدأ أحب أن أجيب على سؤال
 حول هذا الموضوع .. وهو التشكيك فى القرآن الكريم ذلك أن
 ما يقوله بعض المستشرقين من أن سورة التوبة هى السورة الوحيدة
 فى القرآن الكريم التى لا تبدأ بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » ..
 ويفسرون ذلك بأن محمدا عليه السلام قد نسى لأنه كلام بشر .. ولكننى
 أقول لهم ان سورة التوبة هى السورة التى ذكر الله فيها سبحانه وتعالى
 أولئك المطرودين من رحمته ومن هنا فلا يمكن أن تبدأ بالرحمة ..
 وبسم الله الرحمن الرحيم .. لأن الله سبحانه وتعالى قد حجب الرحمة
 عن هؤلاء الذين تناولتهم هذه السورة الكريمة والتى يبدوها الله
 سبحانه وتعالى بقوله :

« براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
 المشركين » ..

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

« أن الله برئ من المشركين ورسوله »

ثم يقول :

« وبشر الذين كفروا بعذاب اليم » ..

ثم يقول :

« فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُلُوهُمْ
وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ »

ثم يقول :

« كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ »

ثم يقول سبحانه وتعالى :

« كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا
ذَمَّةَ يَرْضَوْنَكُمْ بَأْفَاقِهِمْ وَيَتَابَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ۝ اشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَفُتِلُوا
عَنْ سَبِيلِهِ ۝ أَنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ »

ثم يقول سبحانه وتعالى :

« فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
۝ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ
الرَّسُولِ وَهُمْ بِدُوكُمْ أُولَ مرة ۝ اتَّخَشُونَهُمْ فَأَلَّهِ
أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمْ
اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُم عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ
قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ »

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

« مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي
النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ »

وتمضى الآية الكريمة لتؤكد أن الله لا يهدى القوم الظالمين
فبقول الحق

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا آباءكم وأخوانكم
أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولم
منكم فاولئك هم الظالمون » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم • ويأبى الله
الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ؟

هؤلاء الذين ذكرهم الله في هذه الآية .. ولقد حرصت على أن أورد
جزءا كبيرا منها .. هؤلاء مطرودون من رحمة الله فكيف تبدأ الآية
الكريمة بالرحمة وهي تخبرنا بالمطرودين من رحمة الله الخالدين في
عذابه .. اذن محمد صلى الله عليه وسلم لم ينس .. ولكن الله
سبحانه وتعالى أراد أن تبدأ هذه الآية دون ذكر رحمته لأنها عن
المطرودين من رحمة الله الذين لا نجاة لهم من عذابه

نعود الى موضوعنا الاساسى بعد هذا التفسير الذى كان لابد منه
للرد على المستشرقين لنتحدث عن عتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى القرآن الكريم

الله عاتب رسوله فى القرآن وقال

« واستغفر لذنبيك »

ثم قال الله سبحانه فى سورة الفتح

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من

ذنبيك وما تأخر » ..

كيف يكون الغفران لما تقدم وما تأخر وفى نفس الوقت يقول الله
سبحانه وتعالى « واستغفر لذنبيك » .. وما الذنب الذى ارتكبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

اذا بدأنا الحديث عن معظم آيات العتاب .. فهى عتاب على رسول
الله فى الاصراف فى الدعوة وتحميل نفسه فوق ما يطيق وفى ذلك
يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة طه

« طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة
لمن يخشى »

ثم يقول الله سبحانه وتعالى
« فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى لرسوله
« لم تحرم ما أحل الله لك » ..

ويقول الله سبحانه وتعالى
« قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون » ..

ويقول الحق لنبيه
« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به
صلوك »

ويقول سبحانه وتعالى لرسوله
« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » ..

ويقول الحق للنبي
« عسى وتولى ان جاءه الأعمى » ..

ويقول « لولا كتاب من الله سبق » .. الى آخر هذه الآيات التى
تحمل عتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الله « لست
عليهم بمسيطر » وقوله « قل لست عليكم بوكيل »

كل هذه الآيات فيها عتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..
ولكن عتاب على ماذا ؟ على أن رسول الله يحمل نفسه ما لا تطيق ..
ولماذا يحمل رسول الله نفسه ما لا تطيق ؟ حبا فى الله وفى دينه .
ورغبة فى أن يدخل الايمان الى كل نفس وفى كل قلب .. حب
رسول الله سبحانه وتعالى واخلاصه فى دعوته وتفانيه فيها جعله
يحمل نفسه ما لا تطيق .. ومن هنا أراد الله سبحانه وتعالى رحمة

يرسوله أن يقول له « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » ٠٠ أى أنك يا محمد تحمل نفسك ما لا تطيق فى هذه الرسالة ٠٠ ونحن لم ننزل عليك هذا القرآن لتشقى نفسك به ٠٠ ذلك أن القرآن هو بلاغ للناس ٠٠ « فمن شاء فليؤمن ٠٠ ومن شاء فليكفر » ٠٠

ويقول الله سبحانه وتعالى لرسوله

« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ٠٠

هنا حدد الله سبحانه وتعالى الدعوة الى دينه بدمم الاكراه ٠٠ ولذلك حكمة بالغة هى حكمة الثواب والعقاب فى افعل ٠٠ ولا تفعل فإله سبحانه وتعالى قال افعل كذا ولا تفعل كذا ٠٠ وأبان للناس طريق الحق وطريق الباطل ٠٠ ومن هنا يقتضى عدل الله سبحانه وتعالى أن يتم الاختيار بالارادة الحرة وبلا اكراه ٠٠ ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعث رحمة للعالمين يرى ما ينتظر غير المؤمنين من عذاب عظيم ٠٠ يراه يقينا ويعرفه ٠٠ ومن هنا فهو مشفق على غير المؤمنين ٠٠ يحاول أن يبذل كل ما يستطيع ٠٠ وفوق ما يستطيع ٠٠ ليدخلهم الى رحمة الله ٠٠ لأنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ٠٠ وفى هذا يحمل نفسه فوق ما تطيق .

وقبل أن نبدأ فى النقاش حول هذه الآيات هناك أمران أحب أن أتحدث عنهما ٠٠ الأمر الأول أن الذين يحاولون التشكيك فى الاسلام باستخدام آيات العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ انما يحكمون على أنفسهم بأنهم مغرضون ٠٠ ذلك أنك اذا أخذت القرآن ٠٠ فيجب ألا تستشهد بجزء منه ثم تستبعد جزءا آخر ٠٠ فالآيات التى نزلت ثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة ٠٠ فإله سبحانه وتعالى قال لرسوله « وانك لعلى خلق عظيم » ٠٠ وقال « وانك لتهدى الى الحق » ٠٠ وقال « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقال « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول »

وآيات كثيرة في القرآن الكريم أثنى فيها الله سبحانه وتعالى على رسوله .. فهل من العدل أن نتجاهل هذه الآيات ثم نهأتى بالآيات التي فيها عتاب .. ونحاول أن نأخذها وحدها لنحدد علاقة الله برسوله على طريقة « لا تقربوا الصلاة » ان في هذا محاولة لطمس الحقيقة وإخفاؤها .. وإظهار الشيء بغير حقيقته .. ولكنني لن أسترسل في هذه الناحية ..

والأمر الثاني أن مسألة العتاب على رسول الله .. كانت في ماذا .. هناك فرق بين العتب على .. والعتب لى .. والعتب هو لون من اللوم على ما حدث .. لأن القوانين التي بينى وبينك تمنع حدوثها وهذا اللوم معناه أولا وقبل كل شيء هو وجود الود بينك وبين الشخص الذي تلومه .. ذلك لأنك لا تلوم انسانا بينك وبينه قطيعة .. فالكافر لا يلام على ذنب يرتكبه .. لأنه ليس هناك بعد الكفر ذنب .. ومن هنا فهو لا يعاتب .. والعدو لا يلام على ما يفعل لأنك تتوقع من عدوك أى شيء .. ومن هنا فمهما فعل فانك لن توجه اليه اللوم ..

يبقى بعد ذلك الذى بينك وبينه ود .. وعلى قدر الود يكون اللوم .. فإذا كان الود عظيما .. كان هناك مكان للوم ولو على شيء صغير .. وإذا كان الود بسيطا لا يكون اللوم الا على الأشياء الكبيرة .. فأنت لا تلوم رجلا تعرفه على هفوة صغيرة ارتكبها .. ولكن أن حدث هذا من أخ عزيز عليك جدا فانك تتأثر بقدر حبك له .. وودك اليه .. ومن هنا فأنت تعاتب أخاك على ما لا تعاتب عليه صديقا .. وتعاتب صديقك على ما لا تعاتب عليه غريبا .. وبقدر الود يكون اللوم على الأشياء الصغيرة

اذن هنا .. وعدس ما يريد المشككون ، هناك ود عظيم بين الله ورسوله .. وهذا الود هو الذى جعل الله يوجه الى رسوله هذا الكلام .. ولكن يوجهه له لماذا .. هل لشيء فعله ضد قوانين الله .. أم رحمة به وخوفا عليه ..

فلنضرب مثلاً يقرب ذلك الى الأذهان .. عندي ولدان ولد مهمل
 في دروسه لا يستذكر .. فأنا أوجه اليه اللوم لأنه أهمل واجبه ..
 وولد آخر لا يترك المذاكرة لحظة واحدة يمنع نفسه من الراحة والطعام
 والنوم ويظل يذاكر طوال النهار والليل فأنا أوجه اليه اللوم كذلك ..
 أنا أعتب على الأول لأنه خالف القوانين التي يجب أن يتبعها لينجح ..
 ولكن الثاني لم يخالف هذه القوانين فلماذا أعتب عليه .. لأنه أسرف
 فيها .. وحينئذ يكون العتب أو اللوم لصالحه دليلاً على شدة الحب له
 والخوف عليه .. حينما أقول له اترك المذاكرة .. واسترح قليلاً
 لترفع عن نفسك .. فأنا ألومه على شيء أنا أطلب منه أن يعمل ..
 أنا الذي طلبت منه أن يذاكر لينجح .. وكنت سألومه لو لم ينفذ
 كلامي .. ولكنني ألومه الآن لأنه أسرف في ذلك .. أي أن العتب له
 وليس عليه .. ورحمة به وليس عتاباً على إهماله ارتكبه

والآيات التي فيها عتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
 تحمل معظمها هذا المعنى .. شيء حمل رسول الله نفسه عليه .. وهو
 غير محمول عليه بحكم التشريع .. شيء مباح ورسول الله قيد نفسه
 حتى في المباح .. خرج من السهل إلى الصعب .. « **عجى وتولى أن
 جاءه الأعمى** » .. أيهما أسهل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يدعو إلى الهدى رجلاً أعمى جاء وفي قلبه إيمان .. أم أن يتعب نفسه
 مع صناديد قريش الذين ملأ الكفر قلوبهم .. الأسهل طبعاً أن يجلس
 مع ذلك الذي جاء يطلب الأيمان فيهديه إلى طريق الله .. ولكن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يختار الطريق الأصعب .. أنه يريد أن يعز
 الاسلام بصناديد قريش وزعمائها .. وهنا تتدخل الإرادة الإلهية ..
 الرسول يترك أمراً سهلاً ميسراً .. وكلف نفسه بالجانب الشاق ..
 لماذا ؟ .. لصالح الدعوة .. هنا يقول له الله لماذا تترك السهل وتدخل
 الصعب .. ان الله غنى عن هؤلاء جميعاً .. فيا محمد لا تضيق على
 نفسك وتحملها المشقة لتهدى من يرفض قلبه الهداية .. أنا أنا
 أريد منك أن تهدى كل قلب يتشوق للإيمان ويهفو إلى الله .. وألا
 تأخذ الطريق الصعب تضيق على نفسك .. وهكذا معظم آيات العتاب

الله سبحانه وتعالى قد أخبر رسوله أنه غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر .. ولكنه يقوم الليل .. ولا ينام .. ويصلي حتى تتورم
قدماء الشريقتان .. وتساله عائشة في عجب .. يا رسول الله ألم
يقفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .. فيقول رسول الله أفلا
أكون عبدا شكورا .. اذن .. ومع المغفرة التي أعطاه الله له لا يريد
الا أن يعبد الله حق عبادته .. ويأبى رسول الله أن يكون مقصرا في
مقام الشكر .. لماذا ؟

إذا نظرنا الى الانسان بالنسبة لربه .. وقارنا نعم الله عليه ..
وما كلفه به من الطاعات .. لوجدنا أن نعم الله لا تعد ولا تحصى ..
وأن المطلوبات منا لله سبحانه وتعالى محدودة وبسيطة .. وهنا يحس
القلب المؤمن بعماء الله .. وبأن الله سبحانه وتعالى لو شاء أن يكلفنا
بقدر ما أعطانا من نعم .. لما كانت عبادة الليل والنهار كلها تكفي

القلب المؤمن يحس أن نعم الله أكثر مما يؤدي عليها من شكر ..
فيدخل في مقام الود والاحسان .. ويقوم الليل .. ويصلي والناس
نيام .. صلاة لم يكلف بها في أصل التكليف .. يسرف في الطاعة
.. وفي المناجاة .. وفي الشكر .. وفي قراءة القرآن .. وهو في
كل هذا في نظر نفسه مقصر .. لأن نعم الله عليه أكبر من هذا كله
.. هل يكون مثل هذا الانسان مخالفا لما أمر به الله .. أبدا ..
ولكن - وهنا اشفاق الله سبحانه وتعالى على رسوله .. فالرسول
يحمل نفسه مسئولية أولئك الذين لم يؤمنوا .. ويحاول أن يهديهم
بقدر طاقته من الايمان ويشقى ويحرم نفسه من متع الدنيا كلها ..
يأتى الله سبحانه وتعالى .. فيقول لنبيه يا محمد ليس عليك ذنب
.. ان لم يؤمنوا فلا تحمل نفسك أشياء لم يكلفك الله بها .. وكفاك
أنك بلغت الرسالة .. وأديت الأمانة .. وأبنت لهم الطريق .

هذا هو عتاب الله لرسوله .. فهل هذا عتاب عن ذنب .. أم عتاب
عن ود .. وحب .. ورحمة من الله سبحانه وتعالى .. فيقول الله
لرسوله « فلعلك باخع نفسك على آثامهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث

أسفا .. ويقول « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .. ويقول
 « لم تحرم ما أحل الله لك » .. كلها آيات تمثل حب الله لرسوله ..
 حبا عظيما .. ورحمة بلا حدود .. ويقول الحق تبارك وتعالى لرسوله
 « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » لقد أبلغتهم رسالة ربك فلا تجعل
 حبك لله وحبك لهدايتهم الى طريقه يدخل الحسرة الى نفسك .
 هذه هي آيات العتاب التى يتجلى فيها حب الله لرسوله

بقى أن نتحدث عن آيتين يكثر حديث المستشرقين عنهما .. الآية
 الاول « واستغفر للذنبك » .. وفى نفس المقام تكمل المعنى آية أخرى
 « اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا
 فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » .. هنا فى الآيتين
 يطلب الله من رسوله الاستغفار .. والاستغفار معناه طلب المغفرة
 .. فما هو الذنب .. وما هو طلب المغفرة ..

الآية الكريمة فى سورة غافر وهى تبدأ كما يل
 « فاصبر ان وعد الله حق واستغفر للذنبك وسبح
 بحمد ربك بالعشى والابكار »

والاستغفار هنا اذا دققنا فى هذه الآية مرتبط بالتسبيح أى أن
 الله سبحانه وتعالى يقول

« فاعلم انه لا اله الا الله .. واستغفر للذنبك
 وللمؤمنين والمؤمنات »

ومن هنا فان سياق الآية يدل دلالة واضحة على أنها كلها
 تتعلق بالعبادات .. وأن ليس فيها ذنب يجازى عليه بالعقاب بل هى
 توجيه من الله سبحانه وتعالى .. بأن الاستغفار للذنوب والتسبيح
 بالعشى والابكار .. هى من المكملات للعبادة والطاعة والقرب من الله
 سبحانه وتعالى .. هنا ليس مقام لوم .. وليس مقام مؤاخذه ..
 ولكنه مقام زيادة القرب بالاستغفار والتسبيح . والشهادة أنه
 لا اله الا الله .. والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات .. فى مقام العبادة
 ايضا ..

كل ما يقال عن أن هذه الآية هي في مقام اللوم غير صحيح ..
 ذلك انها في مقام العبادة وزيادة القرب من الله سبحانه وتعالى ..
 والرسول كان يستغفر للمؤمنين وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قيل ولا أنت يا رسول الله
 .. قال الا أن يتغمدني الله برحمته) .

اذن طلب الرحمة والمغفرة من الله مطلوب من كل مؤمن مهما بلغت
 درجة ايمانه .. ومكمل للعمل الصالح مهما كان هذا العمل الصالح
 مقبولا عند الله .. ورسول الله لا يشرع لنفسه ولكنه يشرع لامته ..
 ومن هنا .. فانه صلى الله عليه وسلم ، وهو القدوة ، كان يحرص
 على أن يؤدي ما يجب .. أو ما يجب على أمته أن تقتدى به .. حتى
 ولو كان هذا العمل قد أعفاه الله منه .. والله سبحانه وتعالى غفر له
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. ولكنه كان يقوم الليل ويصلي حتى
 تتورم قدماه الشريفتان ويستغفر الله في اليوم مائة مرة .. لماذا ..
 لانه هو القدوة الذي ستتبعه الامة المسلمة كلها .

ومن هنا فان هذه الآية الكريمة هي في مقام العبادة والقرب من
 الله وليست في مقام اللوم كما يدعى المستشرقون الذين أخذوا جزءا
 منها فقط ليشوهوا به هذا الدين .

على أنني رغم ما قلت سأناقش رأيهم لاريهم أنهم على ضلال ..

لقبل أن نمضي يجب أن نحدد ما هو الاستغفار .. الاستغفار هو
 نوع من الايمان الذي يحس الانسان فيه بالذلة لله سبحانه وتعالى ..
 ومتمتع المؤمن العزة أمام غير الله .. والذلة لله .. ولا تجد انسانا
 ليس في قلبه ايمان يستغفر الله سبحانه وتعالى .. بل انه قد يكون
 مستعدا لان يذل نفسه لبشر .. وأن يرتكب في سبيل ذلك من
 المعاصي ما حرمة الله .. ولكن عندما يأتي الى الاستغفار تأخذه العزة
 بالاثم .. ولذلك لا يستغفر الله .. ويطلب منه مغفرة الذنوب الا
 قلب مؤمن بالله سبحانه وتعالى .. ذلك الذي يجد لذة الخضوع

والخنوع لله .. والاعتراف بمظلمة الله وقدرته في الاستغفار وطلب
المغفرة منه .

فلذلك يقول الله سبحانه وتعالى

« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون » ..

هذه الآية الكريمة توضح لنا معنى الاستغفار .. وكيف أنه لا يحدث
إلا إذا كان الإنسان في قلبه إيمان ومعنى الآية الكريمة أنه ما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم لأنني أرسلتك رحمة للعالمين .. وحيث أن
رحمتي سبقت عذابي .. لذلك فانا لا أعذبهم وأنت فيهم الرحمة
المهداة .. ثم تمضي الآية الكريمة لتشرح ماذا سيحدث بعد انتقال
رسول الله إلى جوار ربه .. وهنا يكمل الله الحديث فيقول « وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون » .. إذن بعد انتقالك يا محمد إلى جوار
الله فإن الله سبحانه وتعالى لن يصيب بمذابحه المستغفرين .. لماذا ؟
لان الاستغفار هو الخضوع والخنوع لله .. لا يوجد إلا في قلب
مؤمن .. ومادام الإيمان موجودا في القلب فرحة الله تحيط بمعبده .

وهكذا يبين الله سبحانه وتعالى لنا قيمة الاستغفار عنده .. وكيف
أنه يمنع العذاب .. ويمحو الذنوب .. ويمضي الله سبحانه وتعالى
في بيان فضل الاستغفار إليه فيقول

« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »

إذن أولى مراحل المغفرة وأهمها هي الاستغفار .. والخضوع لله
.. والخشوع لله .. من أقوى علامات الاستغفار .. والقلب غير
المؤمن ليس فيه رحمة ولا فيه مغفرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدعو أمته دائما للاستغفار وكان يقول (استغفروا الله فاني
أستغفره في اليوم مائة مرة) .. فإذا كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم الذى غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله فى اليوم
مائة مرة فكيف يكون حالنا نحن !؟

اذن الاستغفار مرتبة من مراتب الايمان والخشوع لله سبحانه
وتعالى .. لا تدخل الا قلب مؤمن .. ولا ينطقها بصدق الا انسان
يخشى الله .. ولا يهرع اليها الا من يخاف ربه ويخشى يوم الحساب
.. ومن هنا فان الاستغفار يوجد فى قلب كل مؤمن .. ويكفى أن
تذهب فى يوم من الأيام الى الكعبة الشريفة وتنظر الى وجوه حجاج
بيت الله الحرام الذين جاءوا من أقصى الارض ليؤدوا فريضة من
فرائض الله .. وتسمعهم وهو يستغفرون الله سبحانه وتعالى بكل
لغات الارض .. فيفيض الله عليهم من رحمته .. تنزل الدموع من
عيونهم .. ويجهش حتى أقوى الرجال بالبكاء عندما تمس قلبه
رحمة الله .. حتى ذلك الذى يمكن أن يواجه أحداث الدنيا كلها ..
يأتى الى هذه البقعة الطاهرة نادما مستغفرا من ذنبه .. ويتجشم
الصعاب والمشاق ليستغفر الله .. فى مكان فضله الله سبحانه وتعالى
واختاره بيتا له .. عسى أن يقبل الدعاء .. ويغفر الذنب ..
وتفيض الرحمة ..

اذن الاستغفار جزء هام من الايمان .. ومن لا يستغفر بقلبه فهو
محروم من نعمة كبرى من نعم الايمان .. فالله سبحانه وتعالى حين
يأمر رسوله بالاستغفار .. والرسول قدوة لكل المسلمين وهو قدوة
حسنة .. عندما يأمره بذلك فانه من خلاله يأمرنا جميعا أن نستغفر
لذنوبنا .. واذا كان الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله الذى غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر بالاستغفار .. فهذا أمر لنا بالاكثار من
طلب المغفرة ، والغفران من الله .. لنمحو ذنوبنا ولنكون دائما
خاشعين لله مدركين أنه اذا غرتنا قوتنا على ظلم الناس فلنتذكر قدرة
الله علينا .. وحينئذ نهرع الى الاستغفار .. ونرفع الظلم ونتوب
الى الله ونخضع قلوبنا ..

اذن الاستغفار يحرض الله سبحانه وتعالى .. على أن يبقى بينه وبين المؤمن .. لان في هذا تذكيرا دائما بقدرة الله وقوته وضعف العبد وعجزه .. وفي هذا تذكير لنا بالله كلما نسينا .. وبالحساب كلما أخذتنا الدنيا بعيدا عما أمرنا الله به .. وخضوعا وخشوعا للقدرة الكبرى والقوة الكبرى التي نعبدّها وهي الله سبحانه وتعالى .. قلب مستغفر لله يخلق بينه وبين الآثام حجابا .. قلب مستغفر لله لا يمكن أن يمضي في اثم ارتكبه أو ظلم قام به لانه يتذكر الله .. فيستغفر .. ويعدل عن الظلم ويتوب عن الاثم .. قلب يستغفر الله لا يعذب صاحبه .. لان الله سبحانه وتعالى ..

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

هذه هي نعمة الاستغفار وهي نعمة لا تحس الا في القلب المؤمن .. ولا توجد الا في النفس الخاشعة .. ومن هنا يقول الله تعالى

« اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في

دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه

كان توابا » ..

التسبيح والاستغفار هما خشوع لله .. وخضوع لله .. وذلل لله .. يعيشه القلب المؤمن .. ولذلك ارتبطت هذه الآية بالفتح .. وفي نفس الوقت لم يرتبط بالذنب .. اى أن التسبيح والاستغفار كليهما حمد لله .. كلاهما يقربنا من الله .. وكلاهما ينقى النفس من الدنيا .. ويقربها من الجنة ..

ولكن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله « واستغفر لذنبك » .. فما هو الذنب الذي اقترفه رسول الله حتى يستغفر له .. لكى نفهم هذا يجب أن نضع أمامنا الحقيقتين الآتيتين :

أولاهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين .. ومن هنا فانه رحمة .. وان الله سبحانه وتعالى هو القوى القادر العزيز الجبار .. الذى يمهّل ولا يهمل .. فاذا أخذ كان

أخذه أخذ عزيز مقتدر .. رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يحاول
 بقدر طاقته .. وفوق طاقته مع الكفار والمنافقين عسى الله أن يهديهم
 .. ويعذب نفسه من أجل ذلك ويشقى .. والله سبحانه وتعالى يقول
 له « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .. يأتى المنافقون ويمتدرون
 لرسول الله عن الجهاد فيأذن لهم .. كل بعذره .. فيأتى الله سبحانه
 وتعالى ويقول له « عفا الله عنك لم أذن لهم » هنا الله سبحانه وتعالى
 يلوم رسوله على الإفراط فى الرحمة .. يموت الكفار الذين عذبوا
 رسول الله .. والذين حاربوا دين الله .. ولكن رسول الله الذى
 هو رحمة مهداة يأتى فيصلى عليهم عسى الله أن يرحمهم .. فيقول
 له الله سبحانه وتعالى « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » .. هل
 صلاة رسول الله ذنب .. انها افراط فى الرحمة .. واجهاد لرسول
 الله .. يتمب نفسه ويطلب الرحمة من الله حتى لأولئك الذين رفضوا
 الهداية .. بل ان رسول الله يطلب لهم المغفرة فيرد الله سبحانه
 وتعالى « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »

هنا رحمة أهداها الله الى الارض .. تنظر الى السماء وتقول يارب
 أنا رحمة أرسلتني الى عبادك .. الى خلقك .. فلترحم بى حتى
 أولئك الذين رفضوا الايمان .. حتى أولئك الذين رفضوا الهداية
 .. ولكن الله سبحانه وتعالى قد حرم من رحمته المشركين والظالمين
 والفاسقين .. ومن هنا فان الله يرد على رسوله ويقول له يا محمد
 أنت رحمة للمؤمنين أنت رحمة لهذا العالم كله بأن تريهم الطريق الى
 الله طريق الهداية والنور .. أن تبين لهم طريق الحياة الآمنة المطمئنة
 الطيبة التى رسمتها لعبادى .. وكلفتك ببلاغها لهم .. من اتبعها
 فله الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة .. ومن لم يؤمن بى ورفض
 اتباعها فسيلقانى وسيلقى جزاءه .. فلا تسرق يا محمد فى طلب
 الرحمة لأولئك الذين لم يؤمنوا .. ولا تستغفر لهم .. ولا تذهب
 نفسك عليهم حسرات فانى أنا القوى القادر .. وسأجزئهم بما كانوا
 يفعلون .

رسول الله هنا .. اتعب نفسه في الدعوة .. والرحمة والمغفرة أكثر مما كلفه الله .. والله سبحانه وتعالى يطلب اليه أن يستغفر من ذلك .. لان التجاوز في هذا هو تجاوز في أمر من أمور الله .. ولو كان هذا بالزيادة فهل يعتبر هذا ذنباً ؟ .. وهل يعتبر تشريع الله لرسوله الاجزاء من الرسالة ..؟ هنا الرحمة المطلقة التي تحاول أن تصل حتى الى قلب غير المؤمن .. لانها تعرف العذاب الذي ينتظره ولكن الله سبحانه وتعالى يرد « ان أنت الا نذير » .. « كسبته عليهم بمصيطن » .. « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً » .. الى آخر ما جاء في القرآن الكريم .

هنا يأتي بعض الناس فيقول ان تجاوز رسول الله في الدعوة وفي طلب الرحمة وفي اتعاب واجهاد نفسه للهداية لمن لا يريد الهداية يتعارض مع الآية الكريمة « وما ينطق عن الهوى » .. أى أنه - وأنا أذهب هنا مع مغالاة المستشرقين - حتى في اجهاد رسول الله نفسه في الدعوة قد نطق عن هوى في نفسه وهو محاولة للوصول بالعاصين للايمان رغم أن الله سبحانه وتعالى لم يفرض عليه ذلك .. اذن فقد اتبع هوى في نفسه وهو الاسراف في الدعوة واجهاد نفسه فيها .. واشقاء نفسه بها .. رغم أن الله لم يلزمه بذلك .

أقول لهؤلاء جميعاً أن معنى « وما ينطق عن الهوى » .. انه مادام الله سبحانه وتعالى قد أرسل الى رسوله الحق .. وبين له الطريق فان رسول الله يتبع هذا الحق ولو كانت نفسه تهوى شيئاً آخر .. ومتى قال الله سبحانه وتعالى « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً » فانه بعد نزول هذه الآية وتحديد أمر الله لا يقوم رسول الله أبداً بالصلاة على أحد من الكفار قد مات ولو كانت نفسه تهوى ذلك .. وبعد نزول الآية الكريمة « عيسى وتولى أن جاءه الأعمى » فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يترك رجلاً جاء يطلب الهداية لينصرف الى عظيم مهما كان شأنه .. أخذته العزة بالانتم ولو كانت

نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم تهوى أن يمر الله الاسلام بهذا الرجل العظيم فانه لا يتبع هوى النفس أبدا ولكن يتبع ما أوحى اليه .. ومن هنا فان الآية الكريمة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم متى أوحى اليه بأمر من الأمور ومهما كانت نفسه تهوى فانه لا يمكن الا أن يتبع هذا الامر ولا يجعل النفس تميل مع هواها ضد ما أوحى اليه مهما كان .

ومن هنا فان الآية الكريمة « تبث يدا ابي لهب وتب » نزلت فيمن .. في عم رسول الله .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب له الهداية .. والوحى كما قلت كان بين الله ورسوله .. لكن عندما نزلت الآية الكريمة تلاها رسول الله رغم أنها نزلت في عمه وأنها تتوعده بالنار والعذاب الاليم .. وهكذا في كل حكم من أحكام الدين لا يتبع رسول الله هوى النفس أبدا .. انما يتبع الحق وما أنزل مهما اصطلم هذا الحق بقوة وعنف مع هوى النفس .

وننتقل بعد ذلك الى الآية الثانية وهي قول الله تعالى

« ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا .

اذ لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم

لا تجد لك علينا نصيرا » ..

هذه الآية الكريمة يفسرها بعض المستشرقين .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد يستجيب لدعوة الكفار .. الذين قالوا نعبد الهك عاما والهنأ عاما .. ولكن كل ما يقوله المستشرقون في هذا الموضوع غير صحيح .. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يركن اليهم ولم تمل نفسه الى ما يقولون ولنتأمل معنى الآية الكريمة : « ولولا ان ثبتناك » .. « لولا » هنا حرف امتناع أى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثبت من الله .. ومن هنا فان كل ما يأتي بعد ذلك في هذه الآية ممتنع بحرف لو .. اذن فالله سبحانه وتعالى يقول انك مثبت منا يا محمد .. وهذا التثبيت يمنع عنك أى انحراف عن

دين الله أو خروج عنه ثم تضى الآية الكريمة « لقد كذبت »
 وكذت معناها مقارنة الفعل دون اتيانه .. أى أنك لم تفعل ذلك
 .. وإذا أردنا المعنى اللغوى نقول قرب أن يفعل .. فالفعل منفى
 على الإطلاق .. بل أن القرب من الفعل منفى بكلمة لو .. ماذا كان
 يحدث لو لم تثبتك وتركناك لفطرتك يا محمد بدون مدد من السماء
 .. حتى لو لم تثبتك بفطرتك السليمة ما كنت تفعل هذا .. وإن
 كانت البشرية بدون امداد من السماء لاي انسان تجعل فيه الميل الى
 ذلك .. لكنك مثبت من السماء .. ومثبت بفطرتك السليمة .. اذن
 امتناعك عن أن تركز اليهم .. أى أن تقترب بخاطرك دون فعل مما
 يقولون ممتنع بتثبيتك من السماء وبفطرتك السليمة .

ثم تضى الآية الكريمة « إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات »
 .. وهنا لنا وقفة .. من المقصود بضعف الحياة وضعف الممات هل
 المقصود هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الممتنع عن ذلك بمدد
 من السماء وبفطرتة السليمة مادام مدد السماء يمنعه ومادامت فطرتة
 السليمة تمنعه - فالآية الكريمة لا تنطبق على رسول الله ولكنها تنطبق
 على من يفعل ذلك .. ولكن رسول الله لم يفعله ولم يقترب منه .

ولكن هناك حكمة كريمة لورود هذه الآية .. والحكمة هنا واضحة
 .. الله سبحانه وتعالى يختار من عباده من يشاء .. ويمطيه من المنزلة
 ما يشاء .. ثم يأتى بعد ذلك اغراء الدنيا وكيد الشيطان .. الله
 سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا فى هذه الآية انه على قدر القرب منه
 يكون الجزاء .. ولننظر ماذا قال الله سبحانه وتعالى فى سورة
 المائدة

« اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
 ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال اتقوا
 الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها
 وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها

من الشاهدين • قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا
 أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا
 وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين •
 قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى
 أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين »

الحواريون هم الذين آمنوا مع عيسى بن مريم وهاجروا معه
 وجاهدوا فى المسيحية •• أرادوا أن يروا آية من آيات الله •• فاستجاب
 الله لدعاء رسوله عيسى ولكنه قال « فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه
 عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » •• لماذا •• لأن الله سبحانه وتعالى
 أراهم آية بينة من آياته ولذلك يكون حسابهم غير حساب من لم يره
 الله آية من آياته

الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا •• أنه بقدر القرب من الله
 يكون الحساب •• وحساب الذى يرى آية من آيات الله يكون أدق
 من حساب العادى •• ولذلك يأتى الله سبحانه وتعالى ليقول لنساء
 الرسول « يا نساء النبی لستن كأحد من النساء » لماذا •• لأن قريكن
 من رسول الله يجعل لكن حسابا آخر وميزانا آخر • فامتنعن عن
 موطن الشبهة تماما •• فالذى يدخل فى مقام الود من الله له
 مقاييس بقدر ما فتح الله عليه من آياته ومن فيضه •

اذن معنى الآية الكريمة التى جاءت بعد « ولولا أن ثبتناك » ••
 انه يا محمد فلتعلم أمتك كلها •• وليعلم العالم أجمع أن من هو
 قريب منى •• وأكشف له عن آياتى •• ثم يعصى ويبتعد له حساب
 أقسى كثيرا من ذلك الذى لم أكشف له عن هذه الآيات •• وحكمة الله
 سبحانه وتعالى جاءت فى بداية الآية « ولولا أن ثبتناك » •• ولولا حرف
 امتناع ومعنى ذلك أن كل ما بعدها ممتنع لوجود التثبيت من الله

اذن فمضى الآية الكريمة : أنت يا محمد مثبت من السماء ••
 ومثبت بفطرتك السليمة •• ولكن الذى يقترب ذنبا من عامة الناس

له مقياس فى الحساب ٠٠ والذى يقترف ذنبا ممن نريه آياتنا يضاعف
له العذاب ٠٠ مقام الود من الله يدقق المقاييس ٠٠ وهذا واضح فى
الآية الكريمة التى طلب فيها عيسى بن مريم من الله أن ينزل عليهم
مائدة من السماء لقد رأوا المائدة تنزل من السماء ٠٠ آية محسوسة
ملموسة اختص المسيح والحواريون برؤيتها ولذلك قال تعالى ٠٠
« فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين »

اذن فالآية الكريمة ليس المقصود بها أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ٠٠ وافق على ما طلبه الكفار من أن يعبد الههم عاما ٠٠ ويعبدوا
الله عاما ٠٠ ولكن المعنى أنك يا محمد مثبت من لدنا فهذا ممتنع عنك
تماما أن تميل اليهم ولكن القرب منى وكشف آياتى لمن أريد يجعل
أولئك الذين فى مقام الود والكشف من الله سبحانه وتعالى ٠٠ لهم
عذاب مضاعف لأنهم رأوا ثم كفروا بعد رؤيتهم لآيات الله

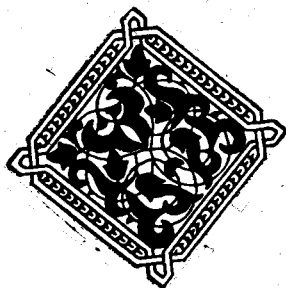
الآية ليست لوما لرسول الله ولا أخذا عليه والا لما ابتدأت بحرف
امتناع يمنع وقوع الفعل ٠٠ ولكنها شرح لكل بشرية مؤمنة ٠٠ بأنه
على قدر الود يكون الحساب ٠٠ وأن من يكفر بعد أن رأى آيات الله
وعرفها فإن حسابه ليس بميزان كحساب باقى الناس ٠٠ ولكنه
بميزان أدق وحساب مضاعف

هذه هى بعض الخواطر التى أردت أن أشرحها حول عتاب الرسول
فى القرآن الكريم ٠٠ فالعتاب كان على الاسراف فى الاجتهاد للدعوة
٠٠ والحزن على غير المؤمنين ومحاولة الاستغفار للكفار أو الصلاة عليهم
بعد موتهم ٠٠ وفى ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
رحمة للعالمين يجهد نفسه فى هذا ٠٠ ويحملها ما فوق طاقتها ٠٠
فنهاه الله عن هذا وقال له ٠٠ استغفر لهذا الاسراف الذى قمت به
ولم يكن مطلوباً منك

أما مسألة ميل رسول الله الى الكفار وأخذ الآية الكريمة « ولولا أن
تبتناك » على أنها لوم للرسول فالرسول لم يميل للكفار قط ٠٠ والا

لما بدأت الآية بحرف الامتناع لولا ! .. ليؤكد الله سبحانه وتعالى
 امتناع حدوث هذا الشيء .. ثم ليخبرنا أنه بقدر الود الى الله والقرب
 منه وكشف الله لآياته لعباده يكون الحساب للذي يضعه الله في
 منزلة أعلى ويريه آياته، اذا كفر بعد ذلك .. يكون حسابه ضعف
 عامة الناس أو كما قال الله لعيسى والحواريين « فمن يكفر بعد متاكم
 فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين »

على أن الله سبحانه وتعالى كان دائما يثبت رسوله كلما ذهب
 نفسه حسرات على عدم ايمان الناس .. وعدم استجابتهم للدعوة ..
 واشفاقه عليهم وما سيقون في الآخرة .. وفي هذا لا بد من الحديث
 عن معجزة الاسراء والمعراج .. وهو موضوع الفصل القادم ..



● الفصل السادس ●

مُعْجَزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ

معجزة الاسراء والمعراج تختلف عن المعجزات التي سبقتها في المفاهيم والمعنى .. وفي جوانب كثيرة .. ولعل ما من معجزة حدثت لنبي أثارت جدلا مثل معجزة الاسراء والمعراج .. ذلك أن المعجزات السابقة كانت تخرق قوانين الكون .. وكما بيتت في الجزء الأول من كتاب معجزة القرآن أن الله سبحانه وتعالى حين خلق الكون لم يتركه هكذا عشوائيا ، بل خلق كل شيء بقانون دقيق : الأرض لها قوانين .. والشمس لها قوانين .. والنجوم لها قوانين .. والماء له قوانين .. وكل خلق من خلق الله سبحانه وتعالى له قوانين

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون ويتركه لهذه القوانين بل هو قائم على خلقه الى يوم الدين .. ومن هنا فان الله وهو القيوم مادام قد خلق هذه القوانين ، وأوجدها ، هو وحده القادر على أن يخرق هذه القوانين لمن يشاء من عباده .. وهذه هي المعجزة .. والمعجزة تتم لتثبيت المؤمنين في حالات ايمانية معينة ، يواجه فيها المؤمنون بالله بمحنة شديدة فتأتي ارادة الله سبحانه وتعالى لتحدث معجزة تثبت الايمان في القلوب .. فتتصر المؤمنين على الكافرين .

على أن هذه المعجزات كلها معجزات مشهدية .. أى أنه يشهد
 حدوثها مع رسول الله عدد من المؤمنين الذين يريد الله سبحانه وتعالى
 أن يثبتهم .. وهنا الاختلاف بين معجزات الرسل .. ومعجزة الاسراء
 والمعراج .. ذلك أن المعجزات السابقة حدثت أمام جمع من المؤمنين
 .. وهى معجزات كونية .. أى أنها خرق لقوانين الأرض .. أما
 معجزة الاسراء والمعراج فقد حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 وحده .. وخرقت له فيها قوانين السماء .. وهنا الفارق الكبير ..
 ذلك أن رسول الله هو البشر الوحيد الذى أسرى به الله سبحانه وتعالى
 بالجسد من البيت الحرام الى المسجد الأقصى .. ثم عرج به الى السماء
 .. وهو البشر الوحيد الذى فتحت له أبواب السماء حتى وصل الى
 سدرة المنتهى بالجسد ولروح معا .

على أن بعض الناس يجادل فى هذه النقطة .. وهى مسألة الاسراء
 والمعراج بالجسد أو بالروح .. وهم يقولون لماذا يصر بعض العلماء
 على أن معجزة الاسراء والمعراج تمت بالجسد والروح .. بينما الأقرب
 الى العقل والمنطق أن تكون قد تمت بالروح وحدها .. وأن يكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما رأى وهو نائم .. كما يرى
 أى انسان أشياء فى الحلم .. وأنه لا يجب أن يتعب العلماء أنفسهم
 فى نقطة الاسراء بالجسد ما دامت تصطدم مع العقل والمنطق ..
 والاسراء بالروح لا يقلل من قيمة المعجزة .. وإلى هؤلاء جميعا أحب
 أن أقول أن مسألة الاسراء بالجسد مسألة أساسية .. لماذا ؟
 لأننا لا يمكن أن نطبق العقل والمنطق على قدرة الله سبحانه وتعالى ..
 فإذا كان الله هو الفاعل فلا نقول أن ذلك أقرب الى العقل .. أو أبعد
 عن العقل .. بل هنا يتوقف حكمنا بالمنطق والعقل لأن قدرة الله
 سبحانه وتعالى فوق كل العقول

ومن هنا فأننا اذا حاولنا أن نضع قيودا لمعجزة الاسراء والمعراج ..
 ونقول أنها أقرب الى العقل أن تتم بالروح ، بدلا من أن تتم بالجسد
 الى آخر ما نقول فى هذا الشأن .. فأننا بذلك نضع قيودا على قدرة

الله سبحانه وتعالى في أن يفعل ما يشاء .. وهنا الخطأ .. ذلك أننا حين ننقل الأمر من قدرة البشر الى قدرة الله سبحانه وتعالى فلا يجب أن نقيس هذه القدرة بقدرة العقل البشرى مهما كانت .. فإذا قال لي أحدهم أنه أقرب الى المنطق والعقل أن يتم الاسراء والمعراج بالروح .. أقول له انك تحاول أن تضع على قدرة الله قيودا من صنع عقلك .. والمخلوق لا يستطيع أن يقيد قدرة الخالق .. وفرق كبير بين قدرة الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون وقوانينه .. وبين قدرة العقل البشرى الذى أعطى امكانية اكتشاف هذه القوانين .. وفهمها والانتفاع بها .. فالقانون الأرضى يخرج من علم الله الى علم البشر كما سبق أن أوضحنا .. والله سبحانه وتعالى أعطى العقل القدرة على الاستفادة بهذا القانون واستخدامه .. لماذا ؟ لأنه سخر كل ما فى السموات والأرض لخدمة الانسان ونفعه

ومرة أخرى أقول .. أن المعجزات الحسية التى تتم .. هى معجزات لتثبيت الايمان .. فى وقت يزلزل فيه المؤمنون .. فيأتيهم من السماء ما يشبههم .. وهى معجزات تحدث فى وقتها .. وتنتهى ولا تتكرر .. من رآها صدقها .. ومن لم يرها يمكن أن يصدقها .. ويمكن ألا يصدقها .. ولو أن هذه المعجزات لم ترد فى القرآن الكريم .. ويخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها .. لو أنها وردت فى كتب التاريخ مثلا .. لكان من الممكن أن يصدقها انسان .. ولا يصدقها انسان آخر .. كل حسب تفكيره وقدراته العقلية .. ولكن ورودها فى القرآن الكريم جعلها صادقة ثابتة .. يقينية ..

ولكن معجزة الاسراء والمعراج .. تختلف عن هذه المعجزات كلها .. فهى لم تقع على مشهد من المؤمنين .. تثبيتا لايانهم .. بل وقعت لرسول الله سبحانه وتعالى وحده .. ومن هنا لم يكن الهدف منها كالمعجزات الحسية الأخرى .. تثبيتا للايمان .. بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أبلغ الناس بها .. لم يصدق عدد منهم .. افن لماذا كانت معجزة الاسراء والمعراج .. مادامت تختلف عن

معجزات الرسل الأخرى في تثبيت الايمان .. كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم للتبليغ .. عن الله سبحانه وتعالى .. فى اهم أركان الاسلام .. وهى الصلاة .. التى فرضت من الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة .. أى بلا وحى .. تعظيما لشأنها .. واجلالا لقدرها .. حيث أن الله سبحانه وتعالى قد جعلها الفرض الوحيد الذى لا يجوز لانسان أن يتركه أبدا .. فصوم رمضان مثلا مباح تركه للمسافر والمريض .. على أن يصوم أياما آخر .. وغير القادر .. على أن يطعم مسكينا .. والزكاة مثلا ليست مفروضة الا على من له مال .. أما من لا يملك مالا أو المستحق للصدقة مثلا .. فلا زكاة عليه .. والحج لمن استطاع اليه سبيلا .. الا الصلاة .. فى الحرب والسلام .. وقت المعارك .. وفى ميادين القتال .. وقت المرض ووقت الصحة .. وقت القدرة على الحركة .. ووقت عدم القدرة على الحركة .. والانسان يستطيع أن يصلى وهو نائم .. اذا كان المرض يقعه عن القيام .. وهو جالس اذا كان المرض يقعه عن السجود والركوع .. ولكن ترك الصلاة أمر لم يجعل له الله سبحانه وتعالى بديلا .. ولم يرفعه عن عبادته .. ويجعل بدلا منه فداء .. وفرضه وقت السفر .. ووقت المرض .. وجعل فيه من التيسيرات ما يمكن كل انسان من أداء الصلاة .. فى الحالة التى يكون عليها .. فأجاز الجمع بين الصلوات فى السفر .. الى آخر ما نعرفه من أحكام الصلاة ..

اذن .. الصلاة التى هى صلة بين العبد وربّه .. لا يجب أن تنقطع أبدا .. وكل وقت له ميعاد .. وله أداء .. ولعظم شأن الصلاة .. ولكونها تنهى عن الفحشاء والمنكر .. ولكونها صلة العبد بالله .. ولكونها خشوع العبد لخالقه .. فقد فرضت مباشرة من الله سبحانه وتعالى للرسول .. وفرضت فى اكرم مكان عند سدرة المنتهى .. فرضت فى مكان من الرقى .. والقرب من الله سبحانه وتعالى بحيث لا يستطيع جبريل عليه السلام أقرب الملائكة لله أن يصل الى هذه

المكانة .. بل ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله عندما وصل الى سدره المنتهى .. وطلب منه أن يتقدم .. قال جبريل لرسول الله اذا تقدمت احترقت .. واذا تقدمت أنت احترقت .. ومعنى ذلك أن نور الله سبحانه وتعالى فى هذا المكان بالذات لا يستطيع أن يتحملة حتى أعظم الملائكة .. المكان عظيم وجليل .. يتناسب مع جلالة ما فرضه الله سبحانه وتعالى على عبده .. ومن هنا نستطيع أن ندرك القيمة العظمى للصلاة كركن من أركان العبادة ..

على أننا قبل أن نستطرد فى هذا الحديث .. ونبين مدى اختلاف المعجزة .. فانما يقفز الى أذهاننا عدة تساؤلات .. السؤال الأول : لماذا كان الاسراء والمعراج .. ولم يكن معراجا فقط .. أى لماذا أسرى الله برسوله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .. ثم بعد ذلك عرج به الى السماء ..

ان فى ذلك حكمة تقتضيها المعجزة .. ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان عليه أن يبلغ ما كلفه به ربه .. والله سبحانه وتعالى كلف رسوله .. ليس أمام جمع من الناس .. على مرأى من أحد من أمته .. ولكنه كلفه بينه وبينه .. ومن هنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى هذه الحالة أميناً فى الاخبار عما أبلغه الله به .. أى أنه يكون وسيلة فى أمر يريد الله أن يعرفه خلقه .. ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى الاسراء مقدمة للايمان بالمعراج ..

الاسراء آية أرضية من مكة الى بيت المقدس .. والمسافة من مكة الى بيت المقدس فى ذلك الوقت لم تكن أمراً مستحيلاً .. بل كانت القوافل تقطعها فى أيام أو أسابيع .. المهم أنه كان يتم السفر من مكة الى بيت المقدس .. مهما اختلفت الوسيلة .. اذن المعجزة هنا فى الاسراء .. فى الزمن وحده .. معجزة الزمن هنا هى المقصودة .. فالله سبحانه وتعالى لا يحده زمن ولا مكان .. رسول الله أسرى به .. ثم صعد الى السماء ثم عاد فى نفس الليلة .. معجزة الزمن هنا

جعلت الناس لا يصدقون .. فأخبرهم رسول الله بالقوافل القادمة ..
 وبأشياء رآها على الأرض خلال الاسراء به من مكة الى بيت المقدس ..
 والعودة .. ووصف لهم بيت المقدس .. أى أنه أعطاهم آيات أرضية
 حسية مشهودة على المعجزة .. وكان هذا مقصودا .. لأنه متى أعطاهم
 رسول الله هذه الآيات .. وهذه المعالم التى رآها فى الطريق بين بيت
 المقدس ومكة .. ثم بعد ذلك تأكدوا من أنها صحيحة .. فلا شك أن
 هذا يصبح دليلا على أن الله سبحانه وتعالى قد خرق له القانون فصعد
 الى السماء .. اذن يكون ما علموه من آيات أرضية .. أو دلائل
 أرضية .. دليلا على صدق ما علموه مما حدث لرسول الله حين صعد
 الى السماء ..

فالاسراء معجزة ، المراد بها الدليل الأرضى .. على أن الله سبحانه
 وتعالى قد خرق قوانين الكون لرسوله .. وأسرى به من مكة الى بيت
 المقدس فى زمن وجيز .. أو فى لا زمن .. ويكون فى هذه الحالة قد
 تأكد لهم أن الله قد خرق قوانين الأرض لرسوله .. ومادام الله سبحانه
 وتعالى قد خرق له قوانين الأرض .. فهو قادر على أن يخرق له قوانين
 السماء .. فاذا أخبرهم رسول الله بعد ذلك بشئ حدث .. فلهم أن
 يصدقوا المعجزة .. ولا يشكوا فيها ..

اذن .. الاسراء كان مقدمة أرضية للتشبيث .. وللدلالة على صدق
 ما حدث طبقا لمقاييس العقل البشرى .. ولكن بعض الناس يأتى
 الآن ويقول .. ان الانسان يستطيع أن يسافر الآن من مكة الى بيت
 المقدس فى أقل من نصف ساعة مثلا .. وأنا أقول لهم ان هذا لايمس
 المعجزة .. فمعجزة الله تبقى معجزة خالدة مهما تقدم العلم .. فميسى
 عليه السلام مثلا كان يبرىء الأكمه والأبرص .. ولكنه كان يبرئه
 بلمسة من يده .. والطب تقدم الآن .. وأصبح الطبيب باستخدام
 الدواء ربما يستطيع أن يبرىء الأكمه والأبرص ولكن المعجزة بقيت
 معجزة وهى أنه لايمكن أن يقوم أحد من البشر بإبراء الأكمه والأبرص
 بمجرد لمسه .. كما كان يفعل عيسى .. كذلك المعجزة بالنسبة لمحمد

عليه السلام قد يستطيع انسان أن يتخذ وسيلة ما ليقطع المسافة بين مكة وبيت المقدس في زمن قياسي ٠٠ ولكنه لن يستطيع أبدا أن يقطعها بجسده مجرد ٠٠ فتلك معجزة من الله لن يصل اليها بشر ٠٠ لا يستطيع انسان أن يطير هكذا وحده في الهواء ٠٠ ويقطع أى مسافة فى لحظات ٠٠ كما حدث لمحمد عليه السلام ٠٠

اذن المعجزة هنا خالدة ٠٠ باقية فى طريقة حدوثها ٠٠ ولا يتأتى لأحد من البشر أن يصل اليها

يبقى بعد ذلك سؤال هام ٠٠ لقد كلم الله موسى عليه السلام ٠٠ وهو على الأرض ٠٠ فلماذا أسرى بمحمد عليه السلام الى السماء ليفرض على عباده الصلاة ٠٠ ولماذا لم يكلم رسوله وهو على الأرض ٠٠ كما حدث لموسى ؟ ٠٠

ان المعجزة الأولى وهى الاسراء ٠٠ تمت كآية أرضية ٠٠ وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وروى ما رآه بين مكة وبيت المقدس ٠٠ رواه كآية أرضية ليقرب الى أذهان البشر الآية السماوية التى حدثت ٠٠ فان كان قد صدق فيما رواه عن القوافل ٠٠ والمشاهد التى مر بها وهو يسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ٠٠ فان ذلك يدل على صدق روايته عن المعجزة الكبرى ٠٠ ويؤكد لمن يروى له أنها حدثت ٠٠

وهكذا كان الله رحيمًا دائمًا بالعقل البشرى ٠٠ فالله سبحانه وتعالى حينما يذكر غيبا هو فوق قدرة العقل البشرى ٠٠ وفوق طاقة البشر ٠٠ انما يأتى بشئ قريب الى فهمها ٠٠ ليستطيعوا من استيعاب هذا الشئ القريب ، أن يثبت ايمانهم ٠٠ ولا يسهل خديعتهم من غير المؤمنين الذين يحاولون التشكيك في هذا الدين ٠٠ فنجد الله سبحانه وتعالى مثلا ٠٠ وقد كان فى علمه أن الناس سيعبدون العلم ٠٠ مبهورين بما يحقق ٠٠ ناسين قدرة الله سبحانه وتعالى ٠٠ يقول لهم : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له »

.. ثم قال الله سبحانه وتعالى « **ضعف الطالب والمطلوب** » .. وجاءت الآية الأرضية فوصل العلم بالانسان الى القمر .. ولكنه لم يستطع أن يخلق جناح ذبابة .. وهناك آيات أخرى كثيرة عن الموت والحياة .. والبعث تقرب الى الاذهان .. كل هذا وتؤكد .. ليكون دليلا دامغا ضد الذين يحاربون هذا الدين .. وفي القرآن معجزات كثيرة تحدثنا عن بعضها .. وسنتحدث عن بعضها في المستقبل ان شاء الله .

نعود مرة أخرى الى معجزة الاسراء والمعراج .. وقد توقفنا عند سؤال هام .

لقد كلم الله موسى عليه السلام وهو على الأرض .. فلماذا أسرى بمحمد عليه الصلاة والسلام الى السماء ؟ ولماذا لا يكلم رسوله وهو على الأرض .

وقبل أن نبدأ في الاجابة على هذا السؤال .. نعود للآية الكريمة التي تبدأ « **سبحان الذي أسرى** » .. والذي أسرى هنا الله سبحانه وتعالى .. أما الذي أسرى به وعرج به الى السماء .. وصعد به الى السماء .. فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اذن فالفاعل هو الله .. وما دام الفعل من الله .. فيجب أن تنسب القدرة الى الفاعل .. أى الى الله سبحانه وتعالى .. والله لا تحده حدود .. ولا قيود .. ولا تنطبق عليه مقاييس البشر .. وليس عنده زمان ولا مكان .. ومن هنا فعندما نتحدث عن المعجزة .. يجب أن تكون فى اذهاننا قدرة الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى ..

ونعود مرة أخرى الى السؤال .. لماذا كلم الله موسى .. ورفع محمدا الى السماء .. ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرا أن يكلم رسوله وهو على الأرض ؟ .. وهل الله سبحانه وتعالى يحده مكان .. بحيث يرفع رسوله اليه .. أم أنه لا يحده مكان ولا زمان ؟ ..

حينما نتحدث عن هذا كله .. لا يجب أن نضع أمامنا مقاييس البشر .. فالزمان والمكان هما خلق من خلق الله سبحانه وتعالى ..

خلقهما للانسان فى حياته الارضية .. ولكن الله لا يحدد زمان ولا مكان .. ولا قدرة .. ومن هنا فاننى لا يجب أن أفهم المعجزة بمقاييسى أنا .. وقدراتى أنا .. كبشر .. ولكن يجب أن أفهمها بقدرات الله سبحانه وتعالى الذى لا يوجد عنده زمان ولا مكان .. فاذا قلت المسافة .. واذا قلت رفعه .. فمعنى الرفع هنا شئ مختلف تماما عن معنى الارتفاع فى الجو مثلا .. ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى حين صعد برسوله الى السماء .. ليس معنى هذا الصعود الذى نفهمه .. ولكن معناه الصعود الذى هو من قدرة الله .. والعمل يتناسب دائما مع القدرة .. ومن هنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد غير الله بقدرات الله من طبيعة الأشياء .. بحيث وصل الى منزلة هى أكبر من منزلة أكبر الملائكة المقربين الى الله سبحانه وتعالى .. وكما أن الأرض خلق الله لها قانونا .. فالسماوات قد خلق لها سبحانه وتعالى قوانين .. ومن هذه القوانين أنه لا أحد بصورته البشرية يستطيع أن يصل الى السماوات .. أو يخرج من عالم الأرض .. وعالم الأرض هنا ليس معناه القمر .. ولا النجوم المحيطة بالأرض .. ولا الشمس .. فهذه كلها مجموعة شمسية .. هى مجموعة الأرض .. وكلها تتفاعل معا .. وتتأثر معا .. بقوانين قد وضعها الله لها ليكمل بعضها بعضا فى المهمة التى حددها الله لها .. فالشمس مثلا اذا غابت اختلت الحياة فى الأرض .. والقمر اذا اختفى .. ربما حدث خلل فى قوانين المجموعة الأرضية .. اذن فهذه المجموعة الأرضية التى تضيئها الشمس التى نراها كل صباح انما هى مجموعة واحدة .. خلقها الله سبحانه وتعالى وسخرها لخدمة الانسان .. فالشمس تخيم الانسان .. فتعطيه الدفء .. وتمكن له سبل الحياة .. وتنبئ له الزرع .. الى آخر ما يحدث .. ولو غابت هذه الشمس لتحولت الأرض الى كتلة من الجليد لا يعيش عليها البشر .. والرياح .. والسحاب .. ونظام الكون .. كل ذلك مسخر للانسان .. اذن فى داخل هذه المجموعة الشمسية حركة الانسان .. وفى خارجها مئات من المجموعات الشمسية والكواكب .. مثل المجموعة الشمسية

الموجودة فيها الأرض .. كلها من خلق الله .. وكلها لها قوانين تتبعها ..
ولها مهام يعلمها الله سبحانه وتعالى ..

ولكن الله .. وهنا يجب ألا ننسى أن القدرة منسوبة الى الله سبحانه وتعالى .. قد خرق كل هذه القوانين لمحمد عليه السلام .. وجعله باذن الله وبأمره يخرج من هذه المجموعة الى الكون الأعلى ليرى من آيات الله ما لم يره بشر .. وليصل الى سدرة المنتهى .. وليسمع صرير الاقلام .. وليس معنى هذا أن كل ذلك محدود بمسافة ومكان .. ولكن معنى الرؤية هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. أنه انتقل بقدرة الله من هذه المجموعة الأرضية .. الى ما هو أرقى وأعلى منها .. وهذا الانتقال يقتضى تغيير طبيعة البشر من حال الى حال ..

ولكى أقرب هذا الى الأذهان .. أحب أن أقول ان الله سبحانه وتعالى مع كل آية سماوية يعطينا ما يقربها للأذهان .. فى حياتنا الأرضية .. فالانسان مثلاً طبيعته وهو نائم تتغير عن طبيعته وهو مستيقظ .. فهو حين يكون مستيقظاً يعيش الحياة الأرضية العادية .. فإذا نام فقد يرى أشياء لا تخضع لقوانين الكون .. كان يرى مثلاً أماكن لم يرها فى حياته .. ولم يسمع بها .. وقد يلتقى مع أناس انتقلوا الى رحمة الله منذ سنوات طويلة .. ويكلمهم ويكلمونه .. وقد تحدث له أشياء لا تتفق مع طبيعة العقل البشرى .. كان يقفز من فوق جبل عال .. وينزل سالماً على الأرض .. أو ينتقل من أقصى الأرض الى أقصاها فى لحظات .. أو يرى عالماً لا يوجد فى حياتنا الأرضية .. أو يذهب الى مكان بعيد مئات الآلاف من الأميال .. كل ذلك يحدث فى لحظات .. والانسان نائم .. فإذا استيقظ ذهب عنه كل هذا .. وبدأ حياته الأرضية العادية ..

ما معنى هذا الكلام كله .. معناه أن طبيعة الانسان .. والقوانين التى تحكم الانسان وهو نائم .. تختلف اختلافاً كلياً عن تلك القوانين

التي تحكمه وهو مستيقظ .. فهو يرى وعيناه مغلقتان .. ويتكلم
ولسانه لا يتحرك .. ويسمع بينما لا أصوات حوله على الإطلاق ..
كل ذلك يحدث خلال النوم .. لماذا ؟ لأن طبيعة البشر هنا اختلفت
.. ومع اختلاف الطبيعة اختلفت القوانين .. فأصبحت تلك القوانين
التي تحكم الانسان وهو مستيقظ بالمكان والزمان .. والرؤية بالعينين
والكلام باللسان .. أصبحت كل هذه القوانين ملفاة .. وانتقل
الانسان الى طبيعة أخرى .. تحكمها قوانين أخرى .. ألغت الى وقت
محدود .. كل القوانين الأرضية التي اعتدنا الحياة بها .. فإذا كان
هذا يحدث للانسان عندما ينام .. وهو جسديا لا ينتقل من مكانه
.. فكيف بقدرة الله سبحانه وتعالى التي لا تجدها قيود ولا حدود ..
وآلا تستطيع هذه القدرة أن تخضع الجسد البشري وهو مستيقظ
لنفس القوانين التي يخضع لها وهو نائم ؟ .. بل هي تمكن له من
معجزات أكثر بكثير من ذلك .. فإذا اقتربت الصورة من العقل
البشري الى هذا الحد .. استطعنا أن نفهم أن المعجزات التي تمت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. من خرق للقوانين البشرية ..
والصعود الى الملكوت الأعلى بالجسد .. هي معجزات أراد الله أن يقربها
لنا بأن جعل البشر العادي يخرج من قوانين الأرض أثناء النوم ..
فكيف بقدرة الله حين يريد أن يخرج رسوله من قوانين الأرض ..

اذن .. فالمعجزة تمت .. وتمت بقدرة الله .. ورأى رسول الله
من آيات ربه الكبرى في السماء .. أي أن موسى عليه السلام رأى
آيات ربه الأرضية .. أما محمد عليه الصلاة والسلام .. فقد رأى
آيات ربه الكبرى في الملكوت الأعلى .. وهنا الاختلاف .. بين
المعجزتين ..

أما حديث الله سبحانه وتعالى .. فقد تم في مكان المعجزة .. أو
مكان الآيات .. التي أراد الله أن يكشف عنها لرسوله .. فكشف
الله لموسى آياته الكبرى في الأرض .. وكلمه وهو على الأرض ..

وكشف الله لمحمد عليه السلام آياته الكبرى في الملكوت الأعلى ..
 وكلمه عند سدرة المنتهى .. والله موجود في كلا المكانين .. وفي كل
 مكان وزمان .. ومن هنا فان الحديث لم يكن مرتبطا بتحديد مكان
 الله سبحانه وتعالى .. فهو موجود في الأرض .. وموجود في السماء
 .. ولكنه كان مرتبطا بكشف الله سبحانه وتعالى لآياته الكبرى ..
 فعندما كشف الله آياته الكبرى لموسى في الأرض .. كان الحديث
 وموسى على الأرض .. ومحمد عليه السلام رأى آيات ربه الكبرى في
 الملكوت الأعلى .. فكان الحديث حيث المعجزة .. وهذا دليل على أن
 الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان .. وليس كما يقول بعض
 المشككين بأن الله قد رفع اليه محمدا عليه السلام ليكلمه في
 الملكوت الأعلى .. وأن هذا تحديد لمكان يوجد فيه الله سبحانه وتعالى
 .. فالله بالآيتين كلام موسى على الأرض .. وكلام محمد في الملكوت
 الأعلى .. انما أعطانا البرهان والدليل على أنه موجود في كل مكان
 .. وأنه يستطيع أن يخاطب من يشاء .. وكيف يشاء سواء تم ذلك
 على الأرض .. أو في الملكوت الأعلى .. أو في أى مكان في ملك الله
 .. فالآية هنا دليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يحده مكان ولا زمان .

اذن الاسراء والمعراج تما .. بالروح والجسد معا .. ولقد أعطى
 الله سبحانه وتعالى أنبياء معجزات .. وهذه المعجزات هي خرق لقوانين
 الأرض التي وضعها الله سبحانه وتعالى .. ومعجزة ابراهيم ..
 ومعجزات موسى وعيسى كلها جاءت لتبطل مفعول قوانين أرضية وضعها
 الله سبحانه وتعالى للحياة في الأرض .. فسلب الله النار خاصية
 الاحراق في معجزة ابراهيم .. وأبطل قوانين الماء ليعبر موسى البحر
 .. وأعطى عيسى عليه السلام القوانين التي يشفى بها المرضى ..
 ويحيى بها الموتى باذن الله .. وفي معجزة سيدنا محمد عليه الصلاة
 والسلام .. خرق الله له قوانين الأرض .. وقوانين السماء .. فجعله
 ينتقل من الكعبة المشرفة الى بيت المقدس في لحظات .. وفي هذا خرق
 لقوانين الأرض .. كمعجزة أرضية أن ينتقل الانسان بجسده وبلون
 استخدام أى وسيلة أرضية متاحة من مكان الى آخر في وقت لا يستغرق

أكثر من دقائق .. ولكن الله سبحانه وتعالى زاد على ذلك بأن خرق له
قوانين السماء .. فقانون السماء الذى وضعه الله سبحانه وتعالى هو
ألا يصعد انسان بجسده الى السماء .. ولكن هذا القانون أبطل الله
مفعوله لرسوله .. وجعله يصعد بالجسد حتى سدرة المنتهى .. ثم
أراه الآيات الكبرى فى السماء ..

على أن لنا حديثا بعد ذلك حول الآية الكريمة « ثم دنا فتدلى فكان
قاب قوسين أو أدنى » .. أى نزل من مكانه الى مكان أقرب .. وهنا
تدخل المسافات .. ولكن المعنى مختلف تماما .. فنحن نقيس البعد
والقرب بالمسافة .. ولكن الحقيقة هى غير ذلك .. فنحن نأخذ الزمان
والمكان أساسا لنا .. والزمان والمكان مخلوقان لله سبحانه وتعالى
.. وما دام كل منهما مخلوقا لله .. فلا زمان ولا مكان فى حكم الله
.. فلا يجب هنا أن نطبق قوانين البشر ..

على أننا فى هذه الحالة .. وكما قلت عدة مرات .. فإن الله
سبحانه وتعالى رحمة بمقول البشر .. يعطيهم فى الحياة ما يقرب اليهم
فهم ما هو فوق طاقة العقل وقدرته .. فاذا أردنا أن نحلل هذه العبارة
بالمقاييس البشرية .. عندما أقول ان فلانا قريب من قلب فلان ..
أو قريب من فلان .. هل أنا أستخدم فى هذه الحالة المسافة ..
أبدا .. ذلك أنه قد يكون جالسا الى جوارى تماما .. ولكن بين قلبيهما
مسافة كبيرة خلقتها الأحداث من بغض وتنافر وتناحر .. ومن هنا
فان انسانا يجلس الى جوار انسان قد يكون أبعد الناس عنه أو عن
فهمه .. أو قد يكون أبغض الناس وأبعدهم عن قلبه .. بل انه أحيانا
يعيش اثنان فى بيت واحد .. وتحت سقف واحد .. وكلاهما فى
عالم مختلف تماما عن الآخر .. وكلاهما بعيد عن الآخر فى كل شئ ..
.. فى حبه وبغضه وعاداته .. وتقاليده .. وكل ما يمكن أن يقال
فى هذا الموضوع .. ومن هنا فان قرب الانسان فى المسافة لا يعنى
قربه من الانسان الذى يجلس الى جواره .. وانما القرب يمكن أن

يكون مع انسان بعيد من ناحية المسافة .. فقد يكون أكثر الناس رؤية لك .. وقربا من مكانك .. هو أبعدهم عنك .. وقد يكون اقل الناس مقابلة لك .. وأبعدهم عن مكانك هو أقرب الناس الى قلبك .. اذن فالقرب والبعد لا يمكن أن يقاسا بالمسافة .. ولا يمكن أن تنطبق عليهما مقاييس المكان .. ولكن تطبق عليهما مقاييس أخرى قد يكون أقلها شأنا هو المسافة .. ومن هنا فاننا لا يجب أن نأخذ الآية الكريمة « فكان قاب قوسين أو أدنى » .. بأن معناها دنو في المسافة .. ولكن معناها قرب من القلب .. وهذا يأتي بالكشف ..

وإذا أردنا أن نوضح هذه العبارة .. فاننا نقول مثلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. سبج الحصى في يده .. وأنا شخصيا أحب أن أعدل هذه العبارة .. بحيث أقول لأجعلها أقرب الى الدقة .. ان رسول الله سمع تسبيح الحصى في يده .. فالحصى يسبح في يد المؤمن .. وفي يد الكافر .. وكل شيء في الكون يسبح لله .. ولكننا لا نفقه ولا نسمع تسبيحهم .. وهذه الأشياء لا تسبح بإرادة الانسان .. ولا دخل له فيها .. ولكنها تسبح بإرادة الله سبحانه وتعالى .. فرسول الله حين أمسك بالحصى .. سمع تسبيحها .. لأن الله سبحانه وتعالى كشف له عن ذلك .. ولكن أى انسان يمسك بالحصى لا يسمع تسبيحها .. لأن الله لم يكشف له عن هذا التسبيح .. ومن هنا فان الكشف يكون دنوا من الله سبحانه وتعالى .. وقربا منه .. بحيث يرى من شاء ما يشاء من أسرار كونه .. والله سبحانه وتعالى يكشف ما يشاء لمن يريد .. فيقول الله سبحانه وتعالى عن داود عليه السلام :

« انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق
والطير محشورة كل له اواب »

هل معنى ذلك أن الجبال توقفت عن التسبيح .. ان الله سبحانه وتعالى يقول :

« وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون

تسبيحهم »

ومعنى ذلك أن كل ما فى الأرض يسبح لله .. ولكن الذى أعطى
لغة تسبيح الجبال .. واستطاع أن يفهمها .. وسمعها .. هو داود
عليه السلام ..

والسؤال الذى يحاول بعض الناس أن يوجهوه .. هو باى لغة
يتم هذا ؟ .. وأنا أتعجب كثيرا من هذا السؤال .. فاللغة ليست
محدودة بالألفاظ .. الاشارات اللاسلكية التى تنتقل عبر العالم ..
هى لغة لا يستطيع أن يفهمها الا من يقوم بالعمل فى هذا المجال ..
ويدرس هذه اللغات .. فاذا جئنا بانسان لم يدرس هذه اللغة ..
وجعلناه يستقبلها فلن يفهم شيئا .. والشفرة السرية المستخدمة
بين الدول .. هى لغة أيضا لا يستطيع أن يفهمها الا من يعطى مفاتيحها
.. والاشارات البحرية مثلا لغة ثالثة يفهمها رجال البحار ..

اذن هناك بجانب الألفاظ المنطوقة لغات متعددة يفهمها أهل الأرض
.. ويصطلحون عليها .. ولا يستطيع أن يفهم هذه اللغات الا
من أعطى مفاتيحها .. فكذلك تسبيح الجبال .. وتسبيح كل شيء ..
.. لا يفهمه انسان ولا يسمعه الا من أعطى مفاتيحه .. تماما كما أن
هناك تخاطبا بعشرات اللغات يتم عبر العالم .. سواء بالشفرة ..
أو باللاسلكى .. أو بغيره .. ونحن لا نحس بها .. ولا ندرى ..
حتى بمجرد وجودها .. ولا بما يتم فيها ..

ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى حين كشف للنبي صلى الله عليه
وسلم أسرار السماء .. وأراه الله آياته الكبرى .. كان ذلك فضلا
من الله لنبيه .. ولا يمكن أن نضع نحن البشر بمقاييس الزمان
والمكان .. ماهية هذا الكشف .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى منزله
عن الزمان والمكان .. لا أستطيع أن أقيس المسافة .. وأقول كم

صعد رسول الله في السماء .. لأن الله ليس عنده مسافة .. ولا
 أستطيع أن أقول .. كم من الزمن استغرق ذلك .. لأن الله سبحانه
 وتعالى ليس عنده زمن .. ولكنني أستطيع أن أقول ان ذلك حدث ..
 لأن الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض وكل شيء .. يستطيع
 أن يعطل القوانين لتتم معجزة من المعجزات لأنبيائه .. والمعجزة كما
 قلت سابقا لا تتكرر أبدا ..

وكما نقول في صعود محمد عليه السلام الى السماء .. نقول في
 القرب منه .. فالقرب ليس بالمسافة كما أوضحت .. ولكن معناه
 التصاق بالقلب والروح .. لأن الوحي حين كان ينزل على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليبلغه كلام الله .. كان قريبا الى قلبه .. وإلى
 روحه قريبا لم يحدث لبشر قبله .. ومن هنا كان النبي صلى الله عليه
 عليه وسلم .. أثناء الوحي يغيب عن الوعي .. وبعد الوحي يبدو
 مرهقا من امتزاج الوحي بالطبيعة البشرية .. وهو امتزاج لا يحدث
 الا بأمر الله .. ومن هنا أيضا عندما نزل القرآن على رسول الله وهو
 يصف نزول الوحي .. ان جبريل جاءه وقال له اقرأ قال ما أنا
 بقارئ .. قال أخذني ففطني حتى بلغ مني الجهد .. ثم أرسلني
 فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ .. فأخذني ففطني الثانية حتى بلغ مني
 الجهد .. ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ .. فأخذني
 ففطني الثالثة ثم أرسلني وقال اقرأ .. فقلت ما أنا بقارئ قال

« اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من
 علق • اقرأ وربك الاكرم • الذي علم بالقلم • علم
 الانسان ما لم يعلم »

والفظة أو « الضمة » هنا هي تعبير من رسول الله عن القرب
 والامتزاج الذي يتم من خلال الوحي بالقرآن

ولقد رأى رسول الله في السماوات السبع ما رآه .. وجاء وقص
 ذلك على الناس .. فمنهم من صدق .. مثل أبي بكر تصديقا ايمانيا

.. لأن أبا بكر عندما روى له ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاسراء والمعراج .. سأل سؤالا واحدا هو هل قال محمد هذا ؟
قالوا نعم .. قال : اذن فهو صادق .. وكان التصديق هنا أن
رسول الله لا يكذب أبدا .. ولا ينطق عن الهوى .. ولذلك لقب
أبو بكر بالصادق .. ولكن بعض الناس أنكروا ما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم

وهنا أخبرهم رسول الله من أنباء القوافل التي بين بيت المقدس
ومكة .. فقالوا له صف لنا بيت المقدس .. فوصفه وصفا دقيقا ..
وكانت هذه الآيات الأرضية مقصودا بها .. أنه ما دام رسول الله قد
صدق في ذلك .. فهو صادق فيما رآه عن المعراج .. وعن صعوده
إلى السموات .. وعن اختراقه الحجب .

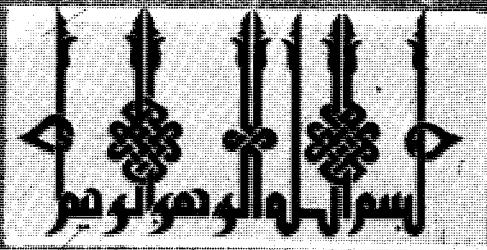
تلك هي معجزة الاسراء والمعراج .. وهي معجزة خرق الله فيها
لرسوله قوانين الأرض .. وقوانين السماء ليريه من آياته الكبرى ..
ويثبت به .. ويفرض عليه أقدس العبادات .. وأقربها إلى الله سبحانه
وتعالى وهي الصلاة .. والمقصود بالمعجزة هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم .. فهي لم تحدث أمام جمهرة من الناس .. أو على
مشهد من الملا .. بل حدثت بين الله ورسوله .. وكشف له فيها
أسرار السماوات .. وأسرار الكون ..

ماذا تعلمنا هذه المعجزة .. تعلمنا أولا قدرة الله سبحانه وتعالى
على أن يفعل ما يشاء .. لعباده الذين يختارهم .. وتعلمنا أن خاتم
الرسالات قد فتح الله له .. ليس فقط ملك الله في الأرض .. ولكن
ملك الله في السماوات .. تعلمنا أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل
مكان .. يكلم نبييا وهو على الأرض .. ويكلم نبيه وهو عند صدره
المنتهى .. ولو كان الله سبحانه وتعالى موجودا في السماوات وحدها
.. ما كلم نبييا له على الأرض .. ولو كان موجودا في الأرض وحدها
.. ما كلم نبييا عند صدره المنتهى .. وأخيرا .. أن معجزات الرسل

قد تمت على مشهد من المؤمنين .. لتثبتهم .. ما رسول الله فكونه
خاتم المرسلين .. فقد اختص وحده بالصعود الى السماء .. أما
لمعجزة الخالدة الباقية فهي القرآن الذى يعطى عطاء لكل جيل ..
يختلف عن عطاء الجيل الذى سبقه .

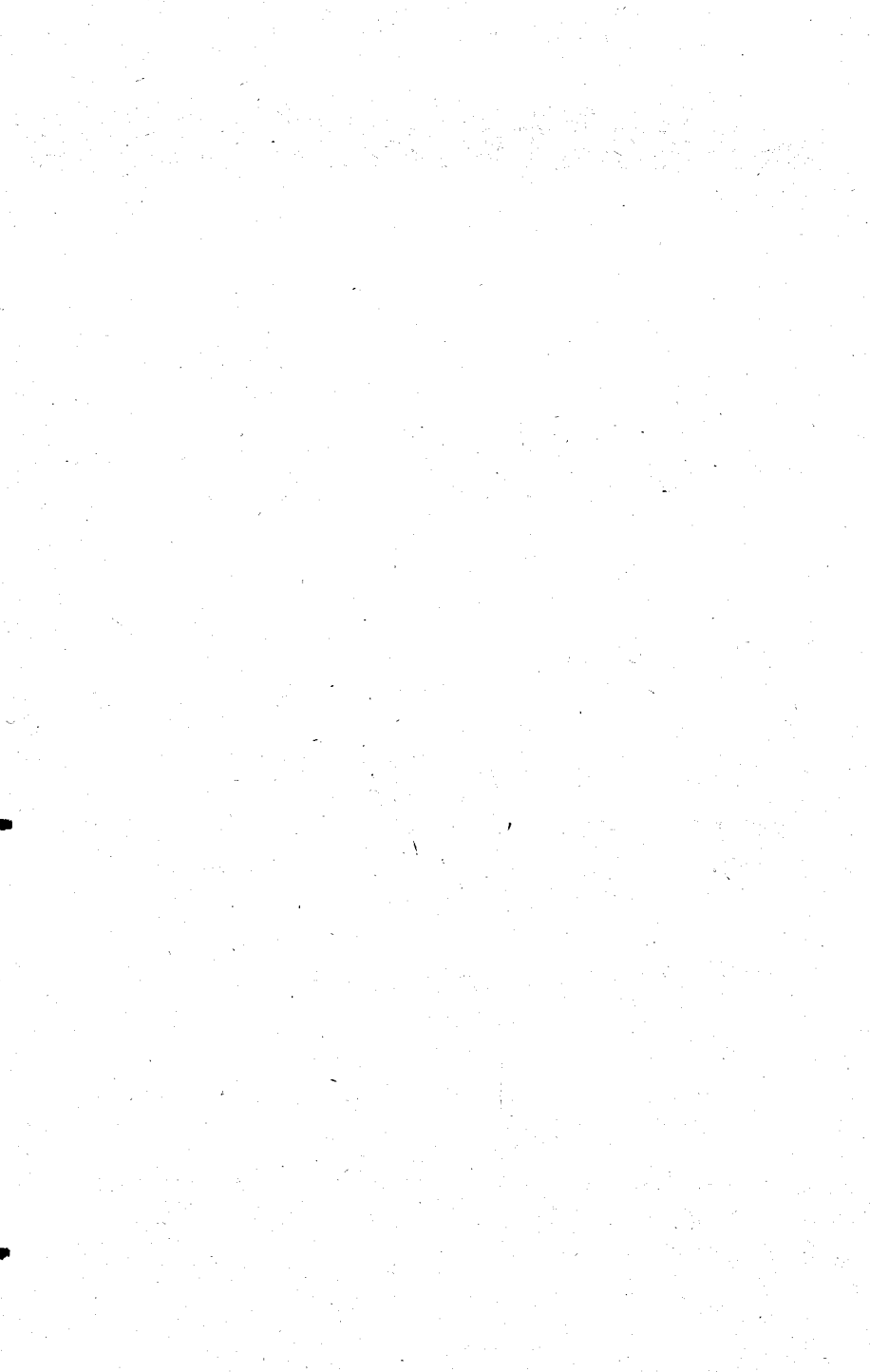
حديث قدسى

● ● اذا كان ليلة القدر ينزل جبرائيل فى كبكبة
من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله ،
فاذا كان يوم عيدهم باهى بهم ملائكته فقال : ياملائكتى
ما جزاء أجير وفى بعمله ؟ قالوا : ربنا جزاؤه أن يوفى
أجره . قال : ياملائكتى : عبيدى وامائى قضوا فريضتى
عليهم ثم خرجوا يعجبون - يصيحون - الى بالدعاء ،
وعزتى وجلالى وكرمى وعلوى وارتفاع مكانى لاجبينهم ،
فيقول : ارجعوا فقد غفرت لكم وبدلت سيئاتكم حسنات
فيرجعون مغفورا لهم .



معجزة القرآن

الجزء الثالث



• الفصل الأول •

وحدة الكون.. وقدرة الله

الله سبحانه وتعالى يريد أن يذكرنا بوحدة الكون وقدرة الخالق .. وحدة الكون في قول الله سبحانه وتعالى :

« خلق لكم ما فى الأرض جميعا » ..

وقدرة الخلق فى الإعجاز الذى نراه فى كل خلق من مخلوقات الله .. سر الحياة المغلق .. مهما تقدم الانسان فى العلم .. وتطور عقله وأعطاه الله وكشف له عن أسرار الحياة المادية فى الكون .

وبعض الناس يأتى الى الآية الكريمة « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » ليجادل فيها .. فهناك أشياء فى نظر بعض الناس قد قام البشر بالمساهمة فيها ، مثل الزرع .. مثلاً .. والاختراعات الجديدة التى دخلت فى خدمة الانسان كقدرته على الطيران مثلاً .. أو الاستخدامات الحديثة للتليفزيون والاذاعة الى آخر ذلك .. بعض الناس يقول ان هذا من عمل البشر .. فهذا من اختراع أو صنع العالم الفلانى .. وذلك من انتاج أبحاث أجريت الى آخر ما يقال .

ولكى تبحث هذا الموضوع من أساسه نقول ان الارض مرتبة
هكذا .. جماد .. فنيات .. فحيوان .. ثم الانسان .. الجماد ..
فيأتى نمو فيكون نباتا .. ويأتى حس فيكون حيوانا .. فيأتى
فكر فيختار بين البديلين فيكون انسانا .. هذه هي كل الاجناس
المرئية فى الأرض أو التى يراها الانسان أو يحس بها .. ولسنا
بصدد الحديث عن الأجناس غير المرئية فذلك يخرج عن موضوعنا
.. كل الأجناس المرئية من جماد ونبات وحيوان والانسان فى غير
ما يفكر فيه ويختاره بارادته الحرة بين البديلين .

كل هذه الأجناس بما فيها بما يدخل فى الانسان نفسه ..
ويعمل بحركة لا ارادية لا دخل لارادة البشر فيها .. كالتنفس مثلا
.. ونبضات القلب .. والدورة الدموية .. وعمل الجهاز الهضمي
الى آخر هذه الاشياء .. لاتدخل ارادة الانسان فى عملها .. فانت
لا تستطيع أن تقول لقلبك انبض فينبض .. أو توقف عن العمل
فيتوقف .. وأنت بارادتك لا تستطيع اذا توقف القلب عن العمل
أن تعيده مرة أخرى أو اذا توقفت الرئتان عن التنفس بأن تجعلهما
يتنفسان .. أو اذا توقفت المعدة عن هضم الطعام .. أن تصدر
اليها تعليماتك فتعود مرة أخرى الى عملها .. كل ذلك خارج عن
الارادة البشرية .. أو عملية الاختيار التى اختص بها الله سبحانه
وتعالى الانسان .. فى افعل ولا تفعل .. وأعطاه فيها حرية
الاختيار بين البدائل المختلفة .

الجماد والنبات والحيوان .. والاجزاء التى تدخل ضمن جسد
الانسان ولا تخضع لارادة ومنها خاصية النمو مثلا .. فهى غير
خاضعة للارادة البشرية .. كل هذه الاشياء منضبطة انضباطا
قسرياً قهريا لا دخل لأحد فيها .. فالجماد مضبوط ضبطا مقصورا
على مهمته .. والنبات مضبوط بحيث يودى مهمته .. فانت تزرع
البذرة فى الأرض فتتفاعل وتنبت لها جذور وساق .. دون أن
يكون لك أنت أى دخل فيها .. بل انك تستطيع أن تشاهد هذه

العملية من خلال أنبوبة اختبار تأتي بها .. وتضع فيها البذرة
فترى كيف تنمو بذاتها بما أودعه الله فيها من انسجام مع مهمتها
فى الكون .. فتجد أن البذرة رغم أنها توضع فى أرض واحدة
وتسقى من ماء واحد .. الا أن كل نبات منها يمتص من الأرض
ما يجعله صالحا لمهمته .. فتختلف الألوان .. ويختلف المذاق
.. رغم أن الأرض واحدة .. والماء واحد .

هذا هو انسجام النبات مع مهمته فى الحياة .. وقد وضع الله
سبحانه وتعالى فى هذا النبات خاصية الاختيار من مواد الأرض بما
يلابسه ليتم انسجامه مع الكون ومع مهمته .. والحيوان أيضا
منسجم مع مهمته فى الكون .. سواء ذلك الذى أخضعه الله سبحانه
وتعالى وسخره لخدمة البشر .. أو ذلك الذى لم يسخر ولم يخضع
لإرادة البشر كالحيوانات المفترسة مثلا .. كل هؤلاء فى انسجام
مع مهمتهم فى الكون .

● الانسان .. والقدرة

يأتى بعد ذلك الانسان .. الاجزاء غير الخاضعة لاختيار الانسان
منسجمة مع مهمتها فى الكون .. فالتنفس مثلا يتم بطريقة تلقائية
وبلا صعوبة .. وكل انسان يجد حاجته من الهواء دون تعب أو
مجهود .. والقلب ينبض دون أن تحس به .. بل ان القلب
والتنفس والجهاز الهضمى وكل الاجزاء غير الخاضعة لإرادتك ..
تعمل وأنت مستيقظ .. وتعمل وأنت نائم .. وتعمل دون أن تحس
بها فى انسجام كامل .. الى أن تأتي أنت وتفسد مهمتها كأن
ترهق المعدة بالطعام .. أو القلب بالمجهود أو تدخن مثلا بشراهة
بما يفسد رئتيك .. هذا الفساد الذى جاء .. أنت الذى أدخلته
بارادتك .. وسوء استغلالك لنعم الله التى أنعم بها عليك ..
وهكذا الفساد فى الأرض جميعا .. يأتى من تدخل هوى النفس
ليحاول الانسان أن يغير ما فى الكون حتى يخضع لهواه .. هنا

تبدأ عملية الافساد .. فكل انسان فى الأرض مرجعه الى هوى النفس البشرية واذا أردنا أن نصلح عدنا الى القوانين والقواعد التى وضعها من لا هوى له .. وهو الله سبحانه وتعالى .. اذا فعلنا ذلك يصلح كل شيء .

ولكن الانسان يريد أن يمضى كل شيء على هواه .. وأن يضع موازين الحق لا على أساس الحق نفسه .. ولكن على أساس ما يشتهى ويريد .. ومن هنا نشأت التعاسة وجاء الشقاء الى الأرض .. فلو أخذ كل انسان حاجته فقط ما وجد جائع ولا فقير .. ولكن بعض الناس يأخذ أكثر من حاجته لا ليومه فقط .. ولكن لحياته كلها .. محاولا بذلك أن يصل الى ما يسميه الأمان .. بينما لو عرف الحقيقة لعلم أن الأمان بيد الله لأن الغد بيد الله .. وما تحرص عليه أنت اليوم .. قد يذهب الله اذا شاء غدا .. وما ليس معك اليوم .. قد ينعم الله به عليك بعد ساعات .. اذن الضمان البشرى فى حقيقته يجب أن يكون متصلا بالله سبحانه وتعالى .. وليس بماديات الحياة .. ذلك أن قدرة الله هى التى تعطى وتمنع .. وتنعم وتذهب النعم .

نعود بعد ذلك الى الآية الكريمة :

« خلق لكم ما فى الارض جميعا » ..

وخلق الأرض والسموات وكل ما فيهما هو الله سبحانه وتعالى .. وهذه قضية لا جدال فيها .. فلم يأت أحد ويدعى أنه خلق الأرض .. أو خلق السموات .. أو خلق الشمس والقمر والنجوم .. أو خلق ما على الأرض من حياة .. ولو أن هذا الخلق لغير الله سبحانه وتعالى لوجدنا من يجيء ويقول أنا خلقت .. ولكن أحدا لم يدع ذلك حتى ولو مجرد ادعاء .. ومن هنا فان قضية الخلق ثابتة لله سبحانه وتعالى بلا جدال .. وبلا مدعين .. على أن هناك خلقا بالقدرة .. وخلقاً بالقوة .. الخلق بالقدرة هو ما وضعه الله

سبحانه وتعالى فى الأرض منذ بداية الخلق .. وما وضعه من قوانين لاستمرار هذا الخلق .. فأنت حين تجيء وتدعى أنك أنت الذى زرعت هذه النخلة .. نقول لك من أين جئت بالبذرة أو النواة التى زرعتها ؟ .. فتقول من نخلة كانت مزروعة .. ومن أين أتت بذرة أو نواة هذه النخلة التى كانت مزروعة ؟ .. فتقول من النخلة التى سبقتها .. وهكذا حتى تصل الى الخلق الأول .. فكان هذه البذرة التى وضعتها فى الأرض هى ثمرة البذرة الأولى التى خلقها الله سبحانه وتعالى - فقدره الله هى التى أوجدت هذا .. رغم أنك تكون قد حرثت الأرض لتضع البذرة .. مهمتك كلها فى الزرع هى الحرث فقط .. أما البذرة نفسها فهى من الخلق الأول الذى تكرر حتى وصل اليك .

قد يقول بعض الناس ان هناك أصنافا جديدة .. تأتي من تطعيم بذرة ببذرة .. أو من أبحاث معينة على البذرة نفسها .. تطعيم بذرة ببذرة هو من خلق الله للبذرة الأولى والثانية .. وكل ما فعلته أنت .. هو أن الله هداك الى هذه الطريقة .. ولكنك لم تخلق شيئا جديدا .. وتحسين البذرة بما تستخدمه من مواد فأنت أيضا تستخدم ما خلقه الله دون أن تخلق شيئا جديدا .

● والعلم الحديث

فاذا انتقلنا بعد ذلك الى الاختراعات الحديثة نجد أنها اكتشافات لقوانين الكون .. فالذى اخترع الطائرة لم يخلق الغلاف الجوى الذى تطير فيه .. ولا خلق المادة التى تصنع منها الطائرة .. وانما خلق بقوة الله سبحانه وتعالى الذى أعطاك المادة وأعطاك القوانين التى تعمل بها .. ثم أعطاك القوة التى تجعلك تكتشف كل هذه الاشياء .. وما يقال عن الطائرة يقال عن باقى الاختراعات .. فلم يخلق انسان مادة .. ولا خلق قوانين فى الكون .. وانما هو كشف لخلق الله سبحانه وتعالى فى كونه بما يريد سبحانه

وتعالى أن يكشفه لخلقه من أسرار الإبداع في الكون .. اذن فقول
الله سبحانه « خلق لكم ما في الأرض جميعا » ينطبق على ما كان
موجودا قبل نزول القرآن .. ووقت نزول القرآن .. وبعد نزول
القرآن الى أن تقوم الساعة .. وكل ادعاء بأن هناك انسانا خلق
شيئا هو ادعاء غير صحيح .. وفي سور كثيرة من القرآن الكريم
ينبها الله سبحانه وتعالى الى أنه خلق مظاهر الكون الثابتة الرتيبة
التي يحسب الانسان أنها لا تتغير كالشمس والقمر والأرض
والنجوم .. كل هذه الآيات انما هي لحياة الانسان على الأرض ..
فمتى ذهبت هذه الحياة .. وجاءت الساعة تغيرت الأرض والسماء
والنجوم وكل ما حولها .. وانقلبت الحياة كلها من حياة تستخدم
فيها الأسباب .. الى حياة ينعم الله فيها على عباده دون أسباب ..
فتتفعل الاشياء لك بمجرد أن تأتي الى خاطرك .. فاذا تمكنت
الشيء وجدته أمامك بقدرات الله وليس بقدراتك أنت .

ووحدة الكون .. تنبع من قدرة الخالق سبحانه وتعالى .. والله
يريد أن يذكرنا دائما بقدرته .. ولذلك وضع في الكون آيات
تذكرنا بهذه القدرة .. وأبقى فيه مع الاسباب طلاقة القدرة حتى
لانعبد الأسباب .. وأرسل لنا الرسل لتتذكر أن الله سبحانه وتعالى
هو الذي خلقنا .. واننا ملاقوه .. وان بدء الحياة من الله والحياة
تعود لله سبحانه وتعالى .. وان الله ينصر الذين آمنوا في الحياة
الدنيا والآخرة .

وقبل أن نتحدث عن قدرة الله سبحانه وتعالى وكيف يذكرنا بها
نريد أن نقف وقفة صغيرة هي موضوع جدل كبير بين المستشرقين
.. ذلك هو تأييد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالملائكة في
غزوة بدر .. بعض المستشرقين يثير هذا الموضوع على أساس أن
النتيجة لا تتناسب مع حجم الحدث نفسه .. والمعروف أن الملك
الواحد له قدرة وقوة من الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يدمر بها
مدينة بأكملها .. فكيف يمد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذا

العدد من الملائكة في معركة محدودة كمعركة بدر ، عدد القتل من الكفار فيها يزيد قليلا عن سبعين .. وهل يتناسب هذا العدد مع من قتله المسلمون ومن قتلهم الملائكة .. نقول لهم .. انكم لم تفهموا الحكمة من تأييد الملائكة للمسلمين في هذه الغزوة .. فالذى لاشك فيه أن الملائكة ثبتوا المسلمين على القتال لأن قریشا كانت لها هيبة كبيرة بين القبائل .. وكان هذا التثبيت عاملا حاسما في النصر .. ولكن الحدث نفسه من الله سبحانه وتعالى العليم بالغيب وبما هو قادم .. يتناسب مع النتيجة .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه من أصلاب بعض هؤلاء الذين جاءوا ليحاربوا المسلمين في بدر سيخرج من يدافع عن دين الله .. ويقاتل في سبيله .. ويكون نصيرا ونصرا للاسلام .. ولكن المقصود بالقضاء عليهم في غزوة بدر هم أئمة الكفر الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون .. والذين نستطيع أن نشبههم الآن بمجرمي الحرب .. أى الذين لا يكتفون بقتال المسلمين بل يحرضون غيرهم ويدفعونهم الى محاربة دين الله .. هؤلاء علم الله سلفا أنهم أعداء دينه .. وانهم سيحاربون الله ورسوله ما بقى فيهم نفس يتردد .. ولذلك كان القضاء على هؤلاء دون غيرهم من الذين جاءوا لمقاتلة المسلمين في غزوة بدر اما مدفوعين أو بحمية الجاهلية .. فاذا قلنا ان الملائكة قد ثبتوا المؤمنين بأنهم معهم يكون ذلك صحيحا .. واذا قلنا ان الملائكة شاركوا فعلا في المعركة يكون بأنهم قد قتلوا أئمة الكفر الذين لم تصل اليهم سيوف المسلمين .. واذا كان الحدث هنا لا يتناسب مع القدرة .. فانه يتناسب مع الحكمة والهدف .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يهلك الكفار جميعا .. بل لو أراد أن يهلك من في الأرض جميعا لأهلكهم في لحظة بكلمة « كن » .. ولكن الهدف هنا لم يكن الكفار على اطلاقهم لأن الله يعلم أنهم سيهتدون وسيكونون من الداعين لدينه .. المجاهدين في سبيله .

تبقى بعد ذلك عدة أسئلة .. اذا كان هذا صحيحا فلماذا لم

يهلك الله سبحانه وتعالى أئمة الكفر بلا قتال .. وهو قادر على ذلك .. والجواب سهل ويسير .. فالله سبحانه وتعالى يريد أن ينصر دينه على أيدي المؤمنين من عباده ولا يريد أن ينصر دينه بطلاقة قدرته .. والا لكانت طلاقة القدرة هي الأساس .. ولما احتاج الله سبحانه وتعالى لأن يرسل رسولا أو نبيا .. فالله يريد منا أن نأتيه طوعا واختيارا .. أى نأتيه بارادتنا الحرة طائعين ونحن فى نفس الوقت نملك الخيار فى أن نفعل ذلك أو لا نفعله .. فإذا فعلنا وجئنا طائعين مؤمنين فإن الله قد كتب على نفسه أن ينصر الذين آمنوا ويؤيدهم ويدافع عنهم ويثبتهم .. وهو يريد هنا أن يثبت الذين آمنوا ويعطيهم ثقة فى النفس وقدره تدعمهم للمهام القادمة من فتح مكة والجزيرة العربية وباقي أنحاء العالم .. ولذلك فهو يثبتهم بالملائكة .. ويخبرهم بذلك حتى إذا جاء قتال جديد .. دخل المؤمنون المعركة وكلهم ثقة فى أن الله سبحانه وتعالى معهم .. وأنه سينصرهم مهما كان عدوهم .. فزالت الخشية من قلوبهم .. وملأتهم شجاعة الايمان .. وصلابة الايمان .. وبذلك يكونون قد أعدوا الاعداد الصحيح والسليم لكل ما يكلفهم به الله سبحانه وتعالى من جهاد قادم .. ويأتى القرآن وهو كلام الله .. الذى لا يتبدل ولا يتغير الى يوم القيامة — يأتى ليذكر هذه الواقعة حتى يعرف الذين لم يشهدوا معركة بدر ، أن الله مع المؤمنين دائما وأنه يمدحهم بالملائكة ليثبتوهم وينصروهم .. وهكذا يحس المؤمنون حتى قيام الساعة بتأييد الله ونصرته لهم .. وتبقى هذه الروح الايمانية .. وتحول أولئك المجاهدين الى رجال أشداء لا تدخل قلوبهم الرهبة من أعداء دين الله ولا يخافون الهزيمة مهما كانت قسوة عدوهم .

● الملائكة وغزوة بدر

ولأن الله سبحانه وتعالى يشرع للبشر فى الأرض .. فهو يأتى بالنظرية والتطبيق معا .. وكانت النظرية هي ما أورده الله سبحانه

وتعالى فى كتابه .. وتطبيقها هو ما حدث فى بدر .. فالتثييت
بالملائكة له هدف ايمانى باق حتى قيام الساعة .. أما الخسائر
فى المعركة فهى بالنسبة للكفار فهم أئمة الكفر الذين يحرضون
الناس والقبائل على قتال المؤمنين .. وهكذا نجد أن الآية منسجمة
تماما مع الهدف الايمانى وهو تأييد الله للمؤمنين .. والهدف
الواقعى وهو التطبيق العملى لهذا التأييد بواقع حدث فعلا ..
والهدف الضيق وهو أن من هؤلاء الذين دفعوا لمحاربة المسلمين
فى بدر .. من سيدخل الاسلام .. ومن سيحارب فى سبيل الله
.. ومن سينصر دين الله .

هذه لمحة سريعة للرد على بعض الذين يحاولون النيل من دين
الله بالتشكيك فى القرآن .. نأتى بعد ذلك الى تذكير الله سبحانه
وتعالى لنا بقدرته دائما .. وهذا التذكير هو رحمة بخلق الله ..
ذلك أنه يبعدهم عن العذاب .. ويعطيهم الحياة الكريمة فى الأرض
.. وفى هذا ساذكر بعض خواطرى عن سورة « الطارق » التى
هى تتناول - كباقي سور القرآن - التذكير بقدره الله سبحانه
وتعالى .. وبأنه لاشئ فى هذا الكون يخرج عن هذه القدرة ، يقول
الله سبحانه وتعالى فى السورة الكريمة :

« والسما والطارق » ..

والسما معناها : كل ما علاك وأظلك، وكل ما يعلو الانسان يطلق
عليه اسم السما .. وقد تحدث العلماء فى أول الأمر عن السما
على أساس أنها العلو المباشر فوقهم .. وكلما اهتمدى كشفهم الى
ارتفاع جديد فى هذا العلو أطلقوا عليه اسم السما .. حتى تم
اكتشاف سبعة كواكب تدور حول الشمس .. فقالوا انها السموات
السمع .. ثم كشفت كواكب أخرى .. فبطل هذا التفسير لأنها
وصلت اليوم الى عشرة .

والحقيقة أنه ما من تفسير أخذ يضيق المسافة كالتفسير العلمي
للسماء والله سبحانه وتعالى قال عن بناء السماء :

« **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون** »

أى أنه أعطى صفة السعة لبناء السماء .. ولقد سبق أن تحدثنا
عن قدرة الله سبحانه وتعالى وقدرة البشر .. وقلنا ان الفارق بين
القدرتين هائل .. بحيث لا مقارنة .. وان كل شئ تعتقد أنه
وصف حقيقى لصفة من صفات الله فهو ليس كذلك .. لأن الله
ليس كمثله شئ .. فاذا وصلت الى شئ .. وأردت أن تضع لله
صفة مثله نقول انك قد أخطأت .. لأن الله ليس كمثله شئ ..
فاذا قال الله سبحانه وتعالى « **وانا لموسعون** » .. فمعنى ذلك أن
البعد لا نهائى .. لا يمكن أن يصل اليه عقلك المحدود .. فكل قول
بأن الكواكب والنجوم التى نراها هى السموات قول غير صحيح
ذلك أن الله حين تكلم عن الكواكب قال :

« **انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب** » ..

فهذه الأجرام التى نرصدها هى فى السماء الدنيا .. وبقيت
بعد ذلك السموات سقفا محفوظا كما أرادها الله سبحانه وتعالى ..
وسعة لا نهائية لاتدخل تحت ادراك العقل البشرى .. فحين يقسم
الله بها يجب أن نعلم أنها شئ هائل فوق قدرة كل العقول ..
وان بنائها وحفظها من معجزات الله سبحانه وتعالى .

● **ما هو الطارق ؟**

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول « **والسماء والطارق** » .. ما معنى
كلمة الطارق ولماذا يقسم الله بهذه الكلمة .. ان الرد على ذلك
يأتى فى الآية التى تاتى بعدها .. « **وما ادراك ما الطارق** » ..
كانه لايمكن لعقولنا أن تعرف المعنى الذى يريده الله سبحانه وتعالى
من كلمة « **الطارق** » .. وانه سيمطينا هذا المعنى .. ولنقف عند

هذه النقطة قليلا .. طارق اسم فاعل من طرق .. وطرق معناها ضرب بشدة ليحدث صوتا ننتبه اليه .. والطارق ايضا هو السائر بالليل .. ذلك أن الليل سكون وصوت الأقدام يسمع فيه ولا يسمع بالنهار وسط الحركة والضجيج .. وهناك ما يطرق الفكر ليمتلك الانسان .. كل هذه المعاني تلتقى فى شئ واحد .. هو أن هناك شيئا حسيا .. أو ماديا .. أو نفسيا .. ينبهك بما يشبه الطرق .. فيجعلك تنتبه الى ما لم تكن تفكر فيه أو مستعدا له .. وذلك يأتي من خارج نفسك وليس من داخلها ولكنه يؤثر فى هذه النفس .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

« وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب » ..

والنجم الثاقب هو الذى يرسل شعاعه بالليل لتهتدى به .. أى أنه يشق الظلام ليريك الطريق .. ومادام الله قد أحل لنا السعى بالليل والنهار .. فقد جعل طرق الهداية فى كل منهما فجعل الشمس والنور للنهار .. والنجوم والقمر لليل .. كل وقت له هداية .. فاذا استيقظت فى الصباح وجدت الدنيا يملؤها النور .. واذا سعت فى الليل كان القمر والنجوم هاديا لك .. فإله لا يتركك وحدك بلا هداية .. وتمضى السورة الكريمة :

« ان كل نفس لما عليها حافظ »

ما هي العلاقة بين السماء والطارق .. والنجم الثاقب .. والحفظة على النفس .. لو نظرنا نظرة سطحية لقلنا لا علاقة بين هذا كله .. ولكنه فى الحقيقة مرتبط ببعضه ليعززك بقدرة الله سبحانه وتعالى .. فالله يريد أن يلفتنا الى قدرته .. فقسمه بالسماء هو قسم القادر الذى بنى السماء بهذه العظمة من الاتساع وحفظها .. فقدرة الله سبحانه وتعالى فى خلق السماء يعرفها كل من

يدرس علم الفلك .. وهو ينظر الى هذا البعد اللانهائى من ملايين السنوات الضوئية دون أن يصل الى السماء الأولى .

● وبالليل ايضا

ولكن السموات السبع غيب عنا محفوظ من الله سبحانه وتعالى .. وان كنا نستطيع أن ندرك عظمة القدرة الالهية فيه .. فانها ليست شيئا محسوسا فى حياتنا .. ولكن قدرة الله فى الارض ومن حولنا يجب أن تطرق عقولنا فى كل ثانية .. لاننا أينما ننظر الى شجرة .. الى زهرة .. الى جبل .. الى البحار .. الى مخلوقات الله فى كل مكان .. هناك فى كل شىء آية تطرق عقولنا لتذكرنا بقدرة الله سبحانه وتعالى .. هذه الآيات التى تنبه العقل الى عظمة الله وقدرته هى أمامنا فى حياتنا كلها .. وهى كالطرق الذى ينبهنا دائما الى القدرة الالهية .

والله سبحانه وتعالى حين يذكر بعد ذلك « النجم الثاقب » .. أى الذى يشق الليل بنوره فانه يريد أن ينبهنا الى أن القدرة معنا .. سواء كنا مع الناس أو كنا فى مكان بعيد سحيق تستره الظلمة من كل مكان .. فاليل ستر للانسان يعتقد فيه أن أحدا لا يراه .. لأن الظلام يخفى .. والسكون يضل .. والناس فى الليل ينامون فلا يوجد أحد الا أقل القليل .. ولذلك فائنا يجب أن نعلم أنه رغم هذا كله فان هناك نورا يأتى ليثقب أى ظلام ويعرف كل سر .. حتى اذا غاب الناس عن الوجود وكنت أنت وحدك المستيقظ .. تلك هى قدرة الله وعلمه .. أى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يذكرنا بهذا القسم أنه لاشىء يسترنا عنه .. نهارا أو ليلا فى أى مكان كنا فيه .. فاذا اعتقدنا أن النهار ونوره فيه رقابة من البشر .. وان حركة الحياة قد تمنعنا من شر نريد أن نرتكبه .. فلنعلم أن الظلام لا يحمينا من الله .. ولنعلم أن هناك من يشق الظلام .. ويعرف الخبايا التى تدور فى الليل .. فالله سبحانه وتعالى قدرته بلا حدود .. قد يقربها الى أذهاننا عظمة

السماء وسعتها وسر بنيانها .. والله يرانا .. سواء أضاء لنا
الكون أو أظلم .. كنا بمفردنا أو كنا مع الناس .. هذه القدرة
لا بد أن تطرق أذهاننا باستمرار وتذكرنا كلما أردنا أن نقوم بمعصية
أن الله يسمع ويرى .. واننا لا نغيب عن قدرته أبدا .

ثم يذكرنا الله سبحانه وتعالى بأن ما نفعله لا يعلمه الله فقط ..
ولكنه يسجله علينا .. فكل نفس عليها حافظ .. وكل شيء
محفوظ عنده .. وكل صغيرة وكبيرة تحسب على الإنسان بحيث
يذهل الناس يوم القيامة من دقة الحساب .. ويقول الكفار :

« ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .
ووجدوا ما عملوا حاضرا . ولا يظلم ربك أحدا » ..

القدرة موجودة بالليل والنهار .. قادرة على أن تثقب كل ستر
.. وهناك من يكتب ما لك وما عليك .. ما لك عند الله ..
وما عليك مما سيحاسبك عليه الله .. فالإنسان في كل كلمة
يقولها .. وفي كل عمل يأتيه .. هو يتعامل مع الله سبحانه
وتعالى .. فان ظلم أحدا من عباده .. فالله يقتص للمظلوم .. وإذا
أحسن لأحد من عباده فالله يجزي المحسن .. وإذا أخذ أحد مالا
حراما فالله يحاسبه .. في كل عمل أنت تتعامل مع الله سبحانه
وتعالى .. ولا تحسب أنك تستطيع أن تخدعه .. لأنك في هذه
الحالة تخدع نفسك .. فإذا أنت تظاهرت بشيء وأخفيت قصدك
الحقيقي .. فتذكر أن قدرة الله سبحانه وتعالى تصل الى ما في
داخلك وتحاسبك عليه .. وعدل الله سبحانه وتعالى شاء أن تكون
قوته مع الضعيف ضد القوى .. ومع المظلوم ضد الظالم حتى يكون
هناك تكافؤ في الفرصة .. وتعادل في القوة .. يضع الميزان
للحياة في الأرض .. فلو أن الله كان مع القوى ضد الضعيف ..
ومع الظالم ضد المظلوم لفسدت الحياة .. ولاستشري الظلم في
الأرض .. ولأصبح الناس أسيادا وعبيدا .. ولزاد القوى قوة
وزاد الظالم ظلما .. ولكن قدرة الله تأتي للقوى لتقول له اذا غرتك

قوتك .. فتذكر أننى مع الضعيف ولا تغتر بنفسك ولا تمض بقوتك تفسد فى الأرض .. فان القوى الحقيقى الذى لا يغلب هو الله سبحانه وتعالى وهو مع الضعيف ضدك فاحذره .. وتذكر جيدا واجعل هذا يطرق فكرك كلما أقدمت على عمل يفضب الله .. فاذا طرقت قدرة الله عقلك فستتردد .. وربما توقفت اذا دخل الايمان الى قلبك لأنك ترى مع ذلك المخلوب على أمره .. قدرة الله .. التى هى أقدر منك بملايين المرات .

وفى الحياة أمثلة كثيرة لقدرة الله سبحانه وتعالى .. انسان تراه فى قمة السلطان والجاه والقوة .. وفى لحظة واحدة .. يتغير الموقف كله .. ويجد هذا الجبار نفسه فى السجن لا حول له ولا قوة .. قد يستجدى حارسه كوب ماء .. وقد كان قبل ذلك بساعات يحيط به مئات الحراس يتمنون اشارة من يده .. تلك عبرة من عبر الحياة وضعها الله سبحانه وتعالى كما وضع اذلال الجبارين فى الأرض .. لئذكرنا أن الله مع الضعيف وانه لا قدرة الا قدرة الله .

والله سبحانه وتعالى لا يحب أحدا الا لعمله .. ولا يكره أحدا الا لظلمه .. وبذلك يكون عدل الله سبحانه وتعالى تاما بين البشر .. وقدرة الله عندما تطرق العقل دائما .. تذكرنا بهذه الحقيقة .. تقينا من كل شر ننويه .. ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يعطى .. وإن كل قدرات البشر تتضاءل بل تكاد تنمحى أمام قدرة الله .. والله الذى يعطى الرزق لبلايين البشر على الأرض .. قادر على أن يعطى المؤمن ما يريد ويشتهى .. والله الذى ينجى ملايين الناس كل يوم من كرب وازمات .. ويأخذ بيدهم بعيدا عن كل سوء .. قادر على أن يفرج كرب المؤمن وينجيه من كل سوء .. والمهم أن يعرف الانسان أن كل شئ مكتوب ومحفوظ فيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله فى الآخرة .. وهذه وقاية للنفس البشرية من أن تظلم وتظنى .

على أنه بجانب أن الكرام الحافظين يسجلون على الانسان أعماله فانهم يحفظون المؤمنين من شرور قد لا تستطيع القوة البشرية أن تردّها .. فهناك أشياء فى كثير من الأحيان تحدث لك .. فإذا سألت أى شخص من الذين وقعت لهم هذه الأشياء وكيف نجوت يقول لك لا أعلم .. لولا فضل الله ما استطعت أن أنجو .. ذلك أن قوة البشر المادية وقدرته المحدودة عاجزة عن دفع هذا الضرر .. ولذلك فهو لا يستطيع أن ينسب الفضل الى نفسه .. وإذا كان الله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا .. فهو يحفظهم من أشياء وشرور قد تدبر لهم أحيانا دون أن يعلموا بها .. والحفظ هنا يكون بقدرة الله وقوته .

ثم تستطرد الآية الكريمة :

« فليُنظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » ..

وهنا يجب أن ندقق فى المعنى .. الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا الى شيء هام حتى لا يأخذنا غرورنا فنحسب أننا نستطيع أن نغيب عن قدرة الله أو أن نخدعه .. فيقول للانسان قبل أن تفرك قوتك .. وتبارزنى بالمعاصى .. وتكفر بنعمتى .. تدبر قليلا لتعرف مقدار نفسك .. أنت تحسب نفسك سيذا فى الكون .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى جعلك سيذا .. وأخضع لك كل قوى الكون اخضاعا جبريا .. لا دخل لارادتك فيه .. وكان هذا أولى أن تسجد لله شكرا على نعمه .. ولكن الغرور يأخذك .. وعبادة النفس .. وعبادة الفرد .. وظاهر الحياة الدنيا تجعلك تغتر بقدراتك .. فإذا حدث لك هذا .. فاجلس دقائق وتدبر مم خلقت .. من ماء دافق .. من خلية فى غاية الدقة لا ترى بالعين المجردة .. هذه الخلية الدقيقة .. هى أصلك ..

من بعد آدم وحواء .. تتشكل هذه الخلية التي هي غاية في الدقة ..
 .. ثم تبدأ في العمل بقدرة الله .. فيسير كل شيء في مساره ..
 .. فتجد أن هذه الخلية غير القادرة على أن تفعل شيئاً - إذا تركت
 وشأنها - عندما تمسها القدرة تتشكل وبعضها يخلق عظاما ..
 وبعضها يخلق عضلات .. وبعضها يخلق أعصابا .. وبعضها
 يخلق عقلا .. وبعضها يخلق رئة .. وبعضها يخلق قلبا ..
 وبعضها يخلق عينين ولسانا وشفتين .. ويدين وقدمين .. وبعضها
 يبقى في الجسم ليخلق نموا بعد أن تأتي أنت الى الدنيا ..
 وهكذا نجد أن هذه الخلية غاية في الدقة - تخلق ملايين الأشياء
 التي يتكون منها جسم الانسان ودمه وكل ما يحتاجه هذا الجسم
 من حياة .. بل انه من الشيء الواحد نجد أشياء في الخلق .. فمن
 العظام .. نجد عظاما جوفاء .. وعظاما مسطحة وعظاما دقيقة ..
 ثم تتصل هذه الاجهزة بعضها ببعض لتبدأ العمل كوحدات
 متكاملة فينشأ جهاز عصبي متكامل .. وجهاز هضمي متكامل ..
 كل ذلك يدل على قدرة فائقة وهندسة الهية .. هي وحدها القادرة
 على اتمام هذه المعجزة .

والله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا .. لا تقترب بما أنت فيه
 من ابداع خلق .. ولكن اذا أردت فارجع هذا الى أصله .. لتعرف
 عظمة القدرة الالهية .. فقدرات الخلق لا تكمن في هذه الخلية ..
 ولكنها تكمن في قدرة الله .. والله سبحانه وتعالى يقول ..

« فلينظر الانسان هم خلق »

حتى لا يفره ما هو عليه الآن ..

على أن هناك بعض الناس يتساءلون .. ان آدم لم يخلق بهذه
 الطريقة .. فهل الخطاب في القرآن موجه اليه .. نقول لهم ان
 هناك فرقا بين مشهدية الخلق .. وغيبية الخلق .. والله سبحانه
 وتعالى حين خلق آدم كانت هناك مشهدية الخلق .. أى أن آدم

عرف كيف خلق ورأى الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا فهو غير محتاج لهذا التذكير .. ولكننا نحن وكل من خلق بعد آدم .. كانت هناك غيبية في خلقه .. أى انه لم يعه ولم يشهده .. ولذلك فانه في كثير من الاحيان يضيّب عن عقله أن يتدبر فيه .. ويأخذ الأشياء على أنها بديهيات .. أو مجرد تفاعلات تتم ، متناسيا قدرة الله سبحانه وتعالى .. الذى جعل من هذه الخلية الدقيقة كل الاجهزة المعقدة فى الجنس البشرى .. ثم بعد هذا أعطاها كل أطوار النمو حتى الموت .

● لفحة من الخالق

فاذا كان الانسان تغره قوته ، وقدرته فالله يلفته الى خلقه .. ويقول له تذكر مم خلقت .. لتعرف قدرتى .. ولا تغتر بنفسك .. تذكر الخلية الدقيقة الصغيرة التى بدأ خلقك بها .. وقبل ذلك كنت عدما .. والله الذى اتى بك الى الحياة .. وهنا نلاحظ دقة المعنى فى السورة الكريمة .. فالله سبحانه وتعالى يريد لقدرته أن تطرق عقولنا دائما لتكون حاجزا واقيا لنا من المعاصي .. فكلما أخذتنا الدنيا .. وغرنا ما نحن فيه من جاه وسلطان ونفوذ طرقت قدرة الله عقولنا .. لتذكرنا ان الله موجود .. وان هناك من يسجل علينا اعمالنا .. وان نتدبر فى خلقنا لنرى القدرة .. بعض الناس يتساءل ما هى العلاقة بين النجم الثاقب والكرام الحافظين وخلق الانسان ؟ كلها اشياء قد يخيّل للناس انها غير مترابطة .. ولكنها مترابطة تماما .. وان كانت تنتقل من موضوع الى آخر فى اشياء يبدو أنها لا علاقة لبعضها ببعض .. بعض الناس يتساءلون ما هى العلاقة بين النجم الثاقب وخلق الانسان مثلا ؟ .. ونحن نقول انها تذكير بقدرة الله سبحانه وتعالى .. فالنجم الثاقب يذكر بأنه لاشئ يضيّب عن علم الله مهما حاولت ان تذكره .. والخلق تذكير بعظمة الله وقدرته بالنسبة للانسان .. وكيف ان هذه القدرة تأخذ خلية دقيقة لاترى بالعين المجردة لتصنع منها الانسان الذى يسود الكون .

ثم تمضى السورة الكريمة .. بعد أن ذكرتنا بالنجم الثاقب ..
والكرام الحافظين .. وعظمة خلق الانسان يقول الله سبحانه وتعالى
« انه على وجهه لقادر » اذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا كله
من عدم .. وأوجده وركبه .. من خلية متناهية فى الدقة .. أفلا
يستطيع أن يعيده .. القدرة هنا تقول نعم ..

ولنضرب مثلاً على ذلك والله المثل الاعلى .. اذا أتيت بصانع صنع
لك شيئاً وتحطم هذا الشيء .. أفلا يستطيع أن يصنع غيره .. فى
هذه الحالة يكون عليه أهون .. لان الصناعة الاولى أكسبته خبرة
تجعل إعادة صناعة الشيء أسهل وأيسر .. واذا كان ذلك فى
القدرات البشرية المحدودة .. فما بالك بقدرة الله سبحانه وتعالى
التي هى بلا قيود ولا حدود .. واذا كان الانسان قد خلق من عدم
.. أى انه خلق من لا شيء ظاهر .. فإنه حين يموت ويتحلل لا يخرج
عن قدرة الله .. لان الله فى هذه « الحالة » يستطيع ان يعيده .. وهو
امهل عليه .. فالخلق الاول من عدم .. والخلق الثانى من شيء
كان موجوداً .. ولا شك أن الخلق من عدم اصعب من الخلق من
وجود .. ونحن نقول هذا لنقرب المعنى الى العقل البشرى ، فليس
هناك عند الله سبحانه وتعالى سهل وصعب .. بل كل شيء يخضع
لكلمة « كن »

والله حين يذكرنا بانه على رجعتنا لقادر .. ليس لان الله محتاج
الى خلق من خلقه .. فالله غنى عنا جميعاً .. لا يزيد من ملكه شيء
اذا آمننا .. ولا ينقص من ملكه شيء اذا لم نؤمن .. ولكنه يذكرنا
رحمة بنا لأن القرآن رحمة للناس جميعاً .. وهو يريد أن تطرق
عقولنا دائماً عظمة الخالق ، وضآلة المخلوق .. عل هذه التذكرة
تعود بنا الى طريق الله .. وتمنعنا من المعصية .. فقول الله سبحانه
وتعالى « انه على وجهه لقادر » .. اى لاتحسبون انكم تستطيعون
أن تخرجوا على سلطان الله احياء كنتم أو أمواتا .. أو تخرجون من
قدرة الله أينما كنتم .. وكيفما كنتم .. وهذا الاعجاز فى خلق
الانسان يزيد ايماننا بقدرة الله سبحانه وتعالى .

● وتبلى السرائر

ثم تمضى السورة الكريمة فيقول الله سبحانه وتعالى « يوم تبلى السرائر » ٠٠ وهى تمضى فى نفس المعنى وهو اننا لا نستطيع أن نستتر شيئاً عن الله سبحانه وتعالى ٠٠ والنية هى أساس الحساب عند الله ٠٠ ولذلك قال الله « يوم تبلى السرائر » ٠٠ النية محلها القلب ٠٠ وهى القصد الحقيقى الحر للانسان ٠٠ فليس لأحد فى هذه الدنيا ان يجبر قلبك على ما لا تريد ٠٠ قد يخضع جسدك ويجعلك تفعل ما يطلبه منك كرها واجباراً ٠٠ وقد يخضع لسانك ويجعلك تقول ما يريدك خوفاً أو رعباً ٠٠ وقد يخضع حركتك فيضعك فى السجن أو فى مكان لا تستطيع أن تغادره ٠٠ كل هذه القوالب المادية للجسد تخضع للقهر ٠٠ الا القلب ٠٠ فلا انسان يستطيع أن يخضع قلبك على شئ أنت لا تريد ٠٠ وأن يضع فى القلب مشاعر لا ترضى انت عنها ٠٠ بل ان ما فى داخلك لو اجتمعت الدنيا كلها على أن تضع فيه ما لا تريد انت ما استطاعت ٠٠ ولقد ترك الله هذه المنطقة فى حرية تامة لان الحساب يكون عليها ٠٠ ولكي يكون الحساب عدلاً يجب ألا تتدخل أى قوى بشرية بالاكراه بل يخضع لارادتك الحرة وجدها وهذه شهادة عليك لا لك ٠٠

ولذلك اسقط الله سبحانه وتعالى الحساب عن كل من يكره على شئ مادام قلبه مستنكراً له ٠٠ ياباه ولا يريد ٠٠ حتى الايمان والكفر ٠٠ القمة فى هذه الحياة ٠٠ قال الله سبحانه وتعالى ٠٠ « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ٠٠ وحتى الاكرام على الفاحشة فان الله لا يحاسب عليها ٠٠ فالحساب أساسه الارادة الحرة التى هى فى قلبك ٠٠ مشاعرك الحقيقية التى لا يستطيع انسان أن يكرهك فيها على شئ ٠٠ ولكن الله يحذرنا فى نفس الوقت من ان نمتقد أننا نستطيع أن نخدع الله ٠٠ فتقول « اكرهنا » ٠٠ مع أننا لم نكره ٠٠ بل فعلنا طامعين مختارين ٠٠ فهو يقول سبحانه وتعالى « يوم تبلى السرائر » أى يظهر الله سبحانه وتعالى

حقيقة ما فى القلوب .. ونحن مهما بلغنا من الذكاء والفطنة
والعبرية .. قد نستطيع ان نخدع بشرا مثلنا .. أو مجموعة من
البشر .. ولكننا لا نستطيع أن نخدع الله .. وفى الآخرة يظهر
الله ما فى انفسنا واضحا جليا بعد ان كان الانسان يخفيه فى الحياة
الدنيا .. والله لا يعلم السر فقط .. ولكنه يعلمه ويظهره يوم
القيامة .. فاذا كنت قد حسبت انك نجوت .. لان احدا لا يعرف
ما فى نفسك .. أو حقيقة ما اخفيت .. فان الله سيظهر هذا فى
الآخرة .. فاذا أوجدت الفرصة لتعمل شيئا أنت متأكد انك
تستطيع أن تخفيه عن الدنيا كلها ولا تحاسب عليه .. فاعلم أنك
لن تغفل من حساب الله .. فالسر يعلمه الله .. واذا كانت لك قوة
فى الدنيا تحمى هذا السر من أن يكتشف .. فانه لن تكون لك
قوة فى الآخرة .

وتمضى السورة الكريمة « فما له من قوة ولا ناصر » .. القوة
تنقسم الى قسمين أساسيين .. أما أن تكون قوة ذاتية تملكها أنت
بأية وسيلة من الوسائل فتحميك .. كقوة جسد .. أو قوة سلاح
.. أو اية قوة اخرى تقف منعة من أن يصل اليك القصاص ..
واما أن يكون لك أقوياء ينصرونك على عدوك .. كأن تكون من
عائلة ذات عزوة أو يكون حولك اناس أقوياء مسلحون يقفون معك
وينصرونك على عدوك .. والسورة تمضى فى نفس المعنى .. فهى
بعد ان تذكر الانسان بالا يفتر بخلقه واخضاع الكون له ، تذكره
بالا يفتر بقوته ولا بمن ينصرونه .. وفى الآخرة لن تكون لك قوة
من ذاتك .. ولن تكون لك عزوة تنصرك وتعينك على من تظلم ..
ولكن لماذا التذكير هنا بالقوة .. لان القوة تغرى الانسان بالظلم ..
والمظلوم هو ضعيف أخذ قوى حقة .. فهو لا يستطيع ان يسترده
.. والذى يبغى فى الارض ويتجبر هو من له قوة تنصره وتعينه على
هذا .. والله سبحانه وتعالى يقول لا تجعل الظلام يفرك بأنه
سيسترك .. ولا تعتقد ان الله سبحانه وتعالى يتركك هكذا .. بل
هناك حافظون يسجلون عليك كل ما تفعل .. ولا تجعل غرور

البشرية يأخذك .. بعيدا عن الله .. ولا تحسب ان ما تخفيه
ينجيك .. ولا تعتقد ان قوتك فى الدنيا .. سواء أكانت قوة ذاتية
أم من أهلك واتباعك يمكن ان تحميك من الله .. دع كل هذا يطرق
عقلك فى كل ثانية .. حتى تعرف قدرة الله فتتبع منهجه وطريقته ..

● ذات الرجع

والله سبحانه وتعالى حين يذكرنا بالآخرة .. فلأن هذه هى أمنية
كل انسان أسرف على نفسه وأطلق لها العنان فى شهواتها بلا حساب
.. وأمنية الكافر الكبرى هى ألا يكون بعد الموت شئ .. لأنه اذا
استحضر الجزاء اصاب نفسه الخوف والهلع ..

ثم تمضى السورة الكريمة .. « والسما ذات الرجع » ..
والرجع هو المطر .. والله سبحانه وتعالى يريد أن يذكرنا هنا
بحقيقة علمية هامة لم يكشفها الله لعباده الا بعد نزول القرآن بمئات
السنين - ولقد عرفنا فيما كشفه الله لنا من علم بشرى ان مياه
البحار تتبخر ثم بعد ذلك تصعد الى السماء فتصبح سحابة ثم تعود
الى الارض مرة أخرى على شكل مطر .. أى ان السماء ترجع الماء الى
الارض .. ومرة أخرى تتم الدورة ، وتتبخر مياه البحار والمحيطات
وينشأ السحاب ثم يعود الماء .. أى أن الماء الذى يترك الارض يعود
اليها مرة أخرى .. وانظر الى دقة الاداء القرآنى فى قوله تعالى
« والسما ذات الرجع » .. أى السماء ذات المطر .. هكذا تفهم
لمن لا يعلم شيئا عن عملية البخر التى تتم .. ولا يوجد فيها تصادم
مع عقل بشرى يجهل هذه الحقيقة العلمية .. فاذا عرفنا الحقيقة
العلمية تكون الآية ادق فى المعنى واشمل .. ثم يقول الله سبحانه
وتعالى « والارض ذات الصدع » أى الارض التى تتشقق ليخرج منها
الزرع .. وهذه ايضا تتكرر فى كل دورة زراعية .. فتتشقق
الارض ليخرج منها زرع .. ثم يأتى زرع جديد فتتشقق الارض
ليخرج منها المحصول الجديد .. كل شئ يأتى ويعود .. هذه هى
قوانين الله فى الارض .. واذا كان كل شئ يعود .. مثلما يأتى ..

فلماذا الانسان وحده لا يعود !!! اذا كان لله سبحانه وتعالى قد جعل للماء دورة يعود بها الى الارض مطرا .. وجعل الارض تعطى المحصول بعد المحصول الى ما شاء الله .. فما الذى يجعل الانسان يشذ ويقول .. انه لن يعود مرة أخرى اذا كانت دورة الحياة فيها عودة .. والله سبحانه وتعالى اراد أن يبسط امام عقولنا ويعطينا مثلا لما يمكن ان يحدث فى عوثة الانسان .. فاعطانا مثل الماء والزرع .. ليبين لنا أنه قادر على اعادة الشئ مرات ومرات .. وأن المسألة ليست شيئا عسيرا .. ولكنها شئ يسير جدا يتكرر فى الحياة أمامكم .. وتراه عيونكم كل يوم .

ثم تمضى السورة الكريمة «انه لقول فصل وما هو بالهزل» .. وهنا يعطينا الله سبحانه وتعالى عمق القضية وجديتها .. فالله لا يسوق لنا كل ما تقدم لناخذه باستخفاف .. ولكن لناخذه بعمق وجدية .. لماذا لانه فى الآخرة سيكون الفصل .. ولن تكون هناك أى فرصة أخرى للانسان ليتوب أو ليرجع مرة أخرى الى الحياة الدنيا .. ومادام فصلا فهو نهاية .. ليس بعدها الا الجزاء .. فلا يريد الله سبحانه وتعالى من أحد ان يأخذ هذا الكلام الا بعمق وجدية .. حتى اذا جاء وقت الفصل لم تكن له حجة .. ولم يقل يارب لقد كنت أحسب أنني سأعود مرة أخرى الى الدنيا .. أو كنت اطمح فى رحمتك لكى تميدنى اليها .. وقد أعددت نفسى حين أعود على ان اعمل صالحا ترضاه .. اراد الله ان يبطل كل هذا فقال « انه لقول فصل » .. أى حكم لا رجعة فيه .. وقال سبحانه وتعالى « وما هو بالهزل » .. أى ما سيلقاه العاصى فى الآخرة ليس هزلا .. كان يقول بعض الناس « لن نقسنا النار الا أياما معدودة » .. أو يقولون أننا كنا نحسن الظن بالله .. أو يتحدثون باستخفاف حول النار وعذابها .. الله سبحانه وتعالى ينبهم ان هذه المسألة لا يجب ان ناخذها بهسول .. لانه سيكون يوما عظيما .. وكل تذكيرى بهذا اليوم هو رحمة بكم .. وهو بذلك يريد ان يلفتنا الى هول اللقاء الذى سيتم فى الآخرة حتى لا نستخفف به .. بل ناخذ

كلام الله سبحانه وتعالى على انه بقدرات الله .. وقدرات الله ليس
كمثلها شيء .. وكلما عظمت قدرة الله فى نفس المؤمن أحس بالهول
الرهيب فى يوم القيامة ..

● امهلم رويدا

نأتى بعد ذلك الى ختام السورة الكريمة « **انهم يكيّدون كيّدا**
واكيد كيّدا فمهل الكافرين امهلم رويدا » .. هنا يريد الله أن
يلفتنا الى أن هناك من يكيّدون للمؤمنين .. ويكيّدون لمحاربة دين
الله .. واذا سمعنا أو رأينا لفظا لا يصح ان ينسب الى الله سبحانه
وتعالى مثل الله يكيّد وهم يكيّدون .. فلنعلم ان ذلك اللفظ لوقوعه
فى صحبة غيره .. ويبسط الامور لنا .. فمثلا قول الله سبحانه
وتعالى « **وجزاء سيئة سيئة مثلها** » .. هل عندما تجازى صاحب
السيئة يكون ذلك سيئة ايضا .. أبدا .. انك عندما تجازى
صاحب السيئة على سيئته يكون ذلك حسنة .. وانما سميت
سيئة لوقوعها فى صحبة السيئة الاولى .. فالمعنى اذا كنت قد أسأت
بفعلك هذا فنحن حين نعاقبك على ذلك نسيء اليك .. أى نعمل شيئا
يصيبك بالسوء .. وان كان هذا الشيء فى حقيقته هو شيئا حسنا
لانه يدفع السيئة .. أو على الأقل لا يجعلك تكررهما مرة أخرى ..
فاذا كان يدفع السيئة ، وذلك شيء يسوءك لانك لم تتصلل الى
هدفك الذى كنت ترجوه فانت قصدت بالسيئة ايذاء معين أو عملا
تسيء به الى انسان .. ومادام الضرر لم يقع فانك تحس .. ان
كل ما قدرته وأعدته قد أبطله الله .. فيسوءك ذلك رغم أن
ما حدث هو فعل حسن .. وأما اذا قوبلت السيئة بالسيئة كأن
تضرب انسانا ضعيفا فيأتى من هو أقوى منك فيضربك .. فانه فى
هذه الحالة يكون ما حدث حسنا لانه يعلمك الا تفترى على الضعيف
والله سبحانه وتعالى قادر على أن يسلط عليك من هو أقوى منك
.. وتعلم أنه اذا أغرتك قوتك فعليك أن تتذكر قدرة الله سبحانه
وتعالى وحينئذ يكون الفعل الذى قوبلت به السيئة هو فعلا حسنا

.. وانما سميت سيئة كما قلنا لوقوعها في صعبة الاولى .. فاذا كان اولئك الذين يكيّدون ويخططون ويدبرون .. يفعلون ذلك لا يذء المؤمنين ومحاربة دين الله .. فان الله يواجههم بنفس جنس عملهم .. أى أنه يتركهم يدبرون ما يدبرون .. ويدبر الله سبحانه وتعالى ما يبطل كيدهم ..

ولذلك فعندما نرى اناسا يحاولون أن يستغلوا العلوم المادية في صرف الناس عن الايمان أو مستشرقين يدعون البحث في الاسلام .. وهم في الحقيقة يحاولون أن يصلوا الى أى تناقض ظاهرى يستغلون به عقول السذج والضعفاء .. وعندما أرى من يجادل في خلق السموات والارض الى آخر ما يحدث أمامنا هذه الايام .. نعرف ان هؤلاء جميعا يحاولون الكيد لدين الله .. وتزيين الطريق الموعج .. مستخدمين في ذلك كل الوسائل ..

وقبل ان نمضى في الحديث عن هؤلاء الناس .. يجب ان نلتفت الى حقيقة هامة أن دين الله سبحانه وتعالى يشهد ويقوى عندما يوجد من يحاربه .. فاذا رأيت الاسلام يضطهد في أى مكان فاعلم أن ذلك بداية ليصحو الدين في نفوس المؤمنين ويصبح قويا عاتيا يحصف بمن يحاربه .. وإى اعتداء على الاسلام انما يعطى قسوة دافعة لهذا الدين في قلوب الناس .. وبعض المؤمنين يشفق من كيد الكافرين ضد الاسلام .. اما خوفا من أن يؤثر ذلك على المؤمنين ويجذبهم بعيدا عن الطريق المستقيم .. وأما جزعا أن يؤدى ذلك الى ضعف الدين وانصراف المؤمنين عن عبادتهم .. وكلا الرأيين غير صحيح .. لماذا ؟ .. لان هؤلاء الكافرين يكيّدون بقدراتهم البشرية .. فهم يأتون في قضايا يحاولون اظهار تصادم القرآن مع حقائق الكون مثل تفسيرهم الخاطيء لكروية الارض والذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة واثبتنا أن قول الله سبحانه وتعالى « والارض مددناها » دليل على كروية الارض .. أو يأتون في محاولة لاطهار تناقض في القرآن الكريم .. كقول الله سبحانه

وتعالى « ولا تزوروا الزرة ووزر أخرى » ثم قوله تعالى « وليحملن أثقالهم
وأثقالا من أثقالهم » .

والحقيقة ان النفس الاولى التى يعينها الله سبحانه وتعالى فى
قوله « ولا تزوروا الزرة ووزر أخرى » هى النفس التى ترتكب المعصية
.. فكل انسان يحاسب عن معاصيه .. ولا يسأل عما فعله غيره
من المعاصي .. اما النفس الثانية التى يبينها الله سبحانه وتعالى فى
قوله « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » .. هى النفس التى
لا تكفى بالمعصية . بل تحاول أن تفضل غيرها وتدفعها الى المعصية
.. فقد يكون هناك انسان يصلّى فيأتى شخص ويظل يجادله
بالباطل حتى يصرفه عن صلاته .. وقد يكون هناك انسان يدفع
انسانا آخر الى المعصية دفعا .. وهناك نوع ثالث يحاول ان
يستخدم كل مهاراته ومنطق خداعه ليضل الناس عن سبيل الله ..
هؤلاء لا يحملون اوزارهم فقط ولكن ينالهم نصيب من اوزار الذين
أضلوه .. وقد يأتى انسان ليحاول أن يخرجك عن مفهوم الايمان
.. بأن يصل العبادات لغير الله .. كأن يقول ان الصلاة مثلا نوع
من الرياضة الى آخر ما نسمعه ونراه .. ذلك كله نشهده هذه الايام
.. ونراه أمامنا فى كل لحظة .

● الله خير الماكرين

على أن الله سبحانه وتعالى فى ذكره لهذه الحقيقة وهى أن هناك
ناسا سيأتون ويكيدون لدين الله .. ويكيدون للمؤمنين .. من
الآن وحتى قيام الساعة .. لا يذكرها ليعلمنا بهم فقط .. ولكن ليؤكد
لنا أنه اذا كان هؤلاء الكافرون يكيدون .. فهناك كيد الله سبحانه
وتعالى .. وهو أقوى منهم وأقدر .. ومن هنا فانهم اذا فعلوا لا يجب أن
يدخل فى انفسنا أى جزع أو خوف لان الله لهم بالمرصاد .. وانى
أعجب لبعض الناس يدبرون ويخططون ضد دين الله فى الارض ..
وليعملوا كلمة الباطل .. وهم فى تخطيطهم هذا يعملون حسابا لكل
خطوة .. ويدرسون كل الاحتمالات .. ومن كل الزوايا ..

ويتوهمون انهم سينجحون فيما ينوون فعله .. نقول لهؤلاء انكم
 تنسون شيئا هاما .. وهو أن الله موجود .. وأنه يخطط ويدبر ..
 وأن الفرق هو انكم تخططون بقدرة مساويكم من البشر .. ولكنكم
 لا تشعرون بما يعده الله سبحانه وتعالى لكم .. فالله سبحانه وتعالى
 يشعر بمكركم .. وانتم لاتعرفون ماذا يعد الله .. والله سبحانه وتعالى
 يقول في ذلك « **واذ يمكر بك الذين كفروا** » .. ثم يقول الله
 « **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » .. لماذا قال الله سبحانه
 وتعالى أنه خير الماكرين .. لان ما يعده الله ليعلمه أحد .. ومادام
 لايعلمه أحد فهو يأتي بفتنة ليبهت أولئك الذين وضعوا كل مكرهم
 وحيلتهم فيما أرادوا أن يفعلوه .. انهم يكيدون كيذا للدعوة ..
 وماداموا لم يستطيعوا الوقوف أمام الدعوة وامام دين الله وقوف
 مواجهة بدأوا يمكرون .. أى يمدون الخطط في السر .. ويتحايلون
 على مواجهة دين الله .. ولكن كل ما يفعلونه مفضوح امام الله ..
 والله سبحانه وتعالى لاتنطلي حيلة .. ولا ينطلي عليه خداع ..
 وهو يعرف أمورا يظن من يكيد للدين أنها خافية عليه .. ولكن
 هذه الاشياء كلها هي عند الله بأدق أسرارها .. ولذلك تفشل
 المخططات .. وتقلب على اصحابها .. كما يحدث في كثير من
 الاحيان .. وربما تساءلوا عن السبب .. والسبب واضح .. فهم
 قد نسوا قدرة الله سبحانه وتعالى .. وهي القدرة الحقيقية في
 الكون .. واتجهوا الى الاسباب .. وهي تعطى .. ولكن أمر الله
 .. ذلك ان الله سبحانه وتعالى يعطل الاسباب اذا شاء .. ويجعلها
 تعطى اذا شاء .. ومن هنا فالكون كله خاضع لمشيئته .. وليس
 لقدرة البشر بالاسباب التي خلقها الله سبحانه وتعالى للعيش على
 الارض .. واننى أقولها بصراحة .. ما من انسان قدر شيئا ونسى
 قدرة الله سبحانه وتعالى .. الا جعل الله من اسباب هذا الشيء ما
 يأتيه بمكس ما يطلب .. ثم سلط عليه نفسه وتركه في الدنيا
 يذهب هنا وهناك .. ويخطط ويدبر .. ويتمزق قلقا وخوفادون
 ان ينال شيئا .

فأله سبحانه وتعالى يريد أن يدخل الطمأنينة الى قلب المؤمنين ..
 وبفس وحدة المعنى التى فى السورة الكريمة .. سورة الطارق ..
 بأن تطرق قدرة الله عقلك كل دقيقة .. ولا تغييب عنه أبدا .. ففى
 حالة الاتم والعدوان تطرق قدرة الله عقلك لتذكرك أن محاولة أى
 كافر للنيل منك .. لن يتركها الله سبحانه وتعالى تنجح .. وهو
 يعلم كيد الكافرين وقادر على أن يعطيهم ويجزيهم أضعاف أضعاف
 ما يكيدون لدين الله .. حين تتذكر ذلك تدخل الطمأنينة الى قلبك
 .. وتواجه أى قوة فى العالم دون خشية الا لله .

ثم نأتى بعد ذلك الى ختام السورة الكريمة « فمهل الكافرين
 أمهلهم وويدا » .. الله سبحانه وتعالى يطلب من رسوله أن يمهل
 الكافرين وينتظر أمر الله فيهم .. وبعض الناس يستعجل الجزاء
 ويريد أن ينزل الله سبحانه وتعالى بالظالم الجزاء فور ظلمه ..
 وبعض الناس يتساءل فى كثير من الأحيان وهو يرى انسانا ظمى
 وبنى .. أين عدل الله وأين قدرة الله .. نقول له ان عدل الله موجود
 .. لا يفلت منه أحد .. وقدرة الله موجودة .. لا يستطيع أحد أن
 يخرج منها .. ولكن الحكمة من الخلق كله تنتقى لو أن كل
 سيئة قوبلت بالجزاء فى اللحظة التى تتم فيها .. والله سبحانه
 وتعالى يريد من عبده المؤمن أن يأتيه اختيارا .. لا اجبارا ..
 فالفرق بين الانسان وباقي المخلوقات أن الانسان قادر على الاختيار
 .. ولذلك فأله لا يريد أن يجبر الناس على الايمان .. ولو أراد
 أنزل عليهم آية من السماء ظلت أعناقهم خاضعة لها الى يوم القيامة
 .. ولما كلفهم هذا شيئا .. والاختيارية هنا تقتضى شيئين
 أساسيين .. أن تكون قادرا أن تفعل .. وقادرا ألا تفعل .. وأن يتم
 اختيارك بحبك لله دون ما قهر على نفسك .. وأن يتعاضد هذا الحب
 ليتغلب على كل معصية مزينة لمتعة وقتية .

● الجزاء غيب

ولو أن الله سبحانه وتعالى استعصر الجزاء مع العمل .. ماشد

واحد عن الايمان .. ذلك انه لو رأى الانسان ، وهو يمد يده الى مال حرام ، النار التى سيحرق فيها جزاء على عمله .. لهرب وترك مال الدنيا كله .. ولو رأى الانسان الذى يغضب الله بأى عمل لو أتيح له أن يرى جزاءه عما فعل لما أقدم على ذلك أبدا .. ولو أتينا بمال الدنيا كله .. وشهوات الدنيا كلها .. ووضعناها فى مكان وأتينا بانسان فى مقتبل العمر ممتلئا قوة .. حتى يستطيع أن يتمتع بهذا كله اكبر متعة .. وقلنا له : لك كل ما تراه أمامك .. ثم فتحنا له بابا من أبواب جهنم .. وقلنا له قبل أن تتمتع بكل هذا كما تشاء وكيفما تشاء .. فان مصيرك هنا الى الابد .. لو فعلنا ذلك ورأى الانسان ما سيحدث له بعد المعصية عين اليقين .. لما وجد القوة والقدرة فى نفسه على أن يقدم على معصية .. ولكن الذى يدفع الانسان الى أن يقدم على معصية هو أن الجزاء مستور لا يراه .. ولذلك فانه يمتنى نفسه مرة بأنه ليس هناك عقاب ولا آخرة .. ومرة بأنه سيفخر له .. ومرة بأنه سيتوب فى آخر حياته .. ومرة بأنه سيفلت من العقاب الى آخر ما يدخله الشيطان فى النفس البشرية من محاولة لتزيين المعصية حتى يقدم الانسان عليها .. ولذلك فان ستر الجزاء .. هو الاختيار الحقيقى للنفس البشرية وفتح الله الابواب لبعض العاصين ليزيد ظلمهم ، هو فتنة .. والفتنة هى امتحان أو اختبار .. اما أن تنجح فيه أو تفشل .. وأساس الاختبار أن تكون شهيدا على نفسك .. فلا تقول لو أنه حدث كذا لما فعلت .. ولكنه حدث وفعلت وكنت على نفسك شهيدا .. وسجل ذلك الكرام الحافظون عليك .. فأصبح لا جدال ..

والله سبحانه وتعالى حين يقول « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » فهو يريد أن يقول ان الله لا يأتى بالجزاء مع نفس العمل .. بل أحيانا يمد للظالم .. ولكن هذا لا يجعلك تياس .. ولا تحس أن الله قد تخل عن المؤمنين .. فالجزاء لا يدق قادم .. وانما الامهال هنا هو الاختبار الحقيقى لايمان المؤمنين .. اختبار لمدى قوة هذا الايمان .. فاذا فتن بذلك الاختبار كان الايمان ضعيفا ..

على أن بعض الناس يمتقد أن الجزء في الآخرة فقط .. وأنا أقول أن الجزء في الدنيا والآخرة .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يترك ظالما بلا نهاية .. ولا عاصيا بلا عقاب ليصبح عبرة لكل من حوله .. وهو حين يقتص من الظالم لا يسلط عليه مؤمنا .. ولكنه يسلط عليه من هو أظلم منه حتى يكون الجزء رادعا .. ويكون الانتقام من نفس نوع العمل وأحيانا هو أشد .. ولذلك فإن قول الله سبحانه وتعالى « وتذيق بعضكم بأس بعض » .. إنما يدلنا على أن من يسلط على الظالم يكون ذا بأس شديد ليزيقه من نفس بأس عمله .. والمهم أن الله في قضائه يجعل الظالمين عبرة ليستريح الناس من أعماقهم إن ربك يمهّل ولا يمهّل .. على أن أمهال الله للعاصي هو من أبواب الرحمة التي كتبها على نفسه حتى للعاصين من عباده .. فلو أن الله أخذ الناس بذنوبهم ما أبقى عليها من دابة .. ولكن الله يمهّل كامتحان للمؤمن .. وفرصة توبة لغير المؤمن .. وكل شيء مسجل بواسطة الكرام الحافظين .

وإذا تأملنا سورة الطارق .. نجد أن الله يريد منا أن نتذكر .. وأن تطرق عقولنا قوته وقدرته .. وأنه لا يغيب عن علمه شيء .. ولا نمتقد أن الظلام يخفينا عنه .. وأنه هو الذي خلق النجم الذي ينقب الظلام ويظهر ما فيه .. وهو بعلمه يعلم ما نخفي وما نعلن .. وحتى نعرف جيدا أننا سنكون شهداء على أنفسنا .. وأن كل ما نعمله مسجل علينا بكرام حافظين يكتبون ما نفعل .. والله يطلب منا أن تطرق قوته عقولنا إذا أصابنا الغرور بما مكننا الله فيه في الأرض .. فنعلم أننا موجودون بقدره الله .. وأننا مخلوقون من خلية دقيقة مستها القدرة .. فكان الإنسان .. وإن الإنسان سيد الكون بقدرات الله وليس بقدراته هو .. وأنه سيعود إلى الله سبحانه وتعالى الذي خلقه من عدم .. واعادته أسهل من خلقه .. والناحية الثانية للغرور هي الاغترار بالقوة .. سواء كانت القوة الذاتية أو قوة من ينصرونك .. فهذه وتلك لن تكونا معك وأنت تلاقى الله ولن تجد قوة من ذاتك ، ولن تجد من ينصرك .. والوجه الثالث للاغترار

هو الاغترار بالذكاء بأن تعتقد أنك تستطيع أن تخفى على الله شيئاً وماتحاول اخفاءه الله سيعلمه وهو يعلم السر وما تخفيه في صدرك .. ثم يذكرنا الله في دورات الحياة المتكررة فالماء يصعد الى السماء في هيئة بخار .. فترجعه السماء الى الأرض كمطر .. وتكون هذه العملية هي مد الأرض بماء عذب سائغ للشاربين من مياه البحر المالحة التي لا يستطيع انسان أن يشرب منها كوباً واحداً .. وهذه العملية تبين لنا أن كل شيء يدور عدة دورات فكوب الماء الواحد يشربه ملايين الاشخاص كل في عصره .. فهو يدخل الجسد البشري ويخرج منه ثم يتبخر .. والأرض (نفس قطعة الأرض) أطعمت ملايين الاشخاص على مر السنين .. فاذا كان لكل شيء عودة .. فلماذا يشذ الانسان ويحسب أنه لن يبعث .. ويضيف الله بأن هذا قول فصل يجب أن يؤخذ بعين جدية .. وأن الذين يحاربون دين الله يجب أن نواجههم .. وقدرة الله تطرق عقولنا فنعرف أنهم لا حول لهم ولا قوة .. وأن الله مذهب كيدهم .. وألا يصرفنا عن الايمان ما نراه من ظالم لا يقتص منه في التو واللحظة ، أو كافر لا ينزل به عذاب الله .. ذلك لان لكل من هؤلاء موعداً .. ولكن الله يتركهم فترة امتحان للايمان وليكون الكافر على نفسه شهيداً .. وأساس الكون كله .. هو الفرصة المتكافئة .. في قواه الظاهرة وقواه الخفية .. ولكن ما هي القوى الخفية في الكون ؟ ..



• الفصل الثاني •

القوى الخفية في العالم

الله سبحانه وتعالى حينما خلق هذا الكون • وضع لكل شئ فيه قانونا • وجعل القوانين تخضع لمن خلقت من أجله • • فالانسان له القانون البشرى الذى يناسب خلقه من طين • • والجان له القانون الذى يناسب خلقه من نار • • فهو يستطيع أن يخترق الجدران بحكم طبيعة خلقه • • ويستطيع أن يتشكل كما يشاء • • والشياطين لها قوانينها • • والملائكة كخلق من نور لها قوانين • • وهى تصعد الى السماء وتنزل الى الارض بأمر ربها •

ونحن حين نتحدث عن العلم • • فاننا نطلب من العقول أن تنطلق كما تشاء • • لتبحث فيما تشاء من ظواهر الكون المادية • • فقوانين الشمس والارض والنجوم والرياح والنبات والحيوان • • وكل ما يستطيع الانسان أن يبحث فيه بحثا معمليا متاح للعقل البشرى • • يجتهد فيه كما يشاء • • ومطلوب من الانسان أن يكتشف آيات الله فى الكون • • والله سبحانه وتعالى حين قال فى كتابه العزيز :

« سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق » ..

انما اعطانا أنه سيكشف عن هذه الآيات لغير المؤمنين .. لانه
سبحانه وتعالى قال « حتى يتبين لهم انه الحق » .. أى أن هؤلاء
الذين سيرىهم الله آياته منكرون للحق .. ولو أنهم كانوا مؤمنين
.. لما كانت هناك حاجة لان يذكر الله سبحانه وتعالى « حتى يتبين
لهم انه الحق » .. ذلك أن المؤمن يعرف أن الله حق .. والقرآن
حق .. ورسول الله حق .. وهذا الدين بمنهج حياته وبالاعلام عن
الآخرة حق .. ولكن ارادة الله قضت أن يكتشف غير المؤمنين آيات
الله ليدحضهم .. ويكونوا هم بعدم ايمانهم المثبتين للايمان فى
الأرض .. ذلك أن الكفار يحاولون أن يضلوا عن سبيل الله .. فى
مرات مستخدمين نظريات يطلقون عليها العلم زيفا .. وفى مرات
مستخدمين ما يوجد فى عقول البسطاء من تضاربات يحاولون الايهام
بها .. بين القرآن وحقائق الكون .. ولذلك يأتى الله سبحانه وتعالى
بهم هم .. ليسخر من كل قدراتهم .. ويستخدمهم فى تثبيت
الايمان ..

والله سبحانه وتعالى .. قد استخدم الكفار فى تثبيت الايمان ..
منذ بداية نزول القرآن الكريم حتى الآن .. ففى أول أيام الرسالة
نزلت الآية الكريمة :

« تبث يدا أبى لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب •
سيعصل نارا ذات لهب • وأمراته حمالة الحطب • فى
جيدها حبل من مسد »

وكانت هذه الآية كما ذكرنا فى الجزء الأول .. أول تثبيت
للايمان على أحد أئمة الكفر .. ذلك أن أبى لهب كان يستطيع زيفا
أو كذبا .. أن يأتى فى جمع من العرب ويقول « لقد قال فى
كلام متعبد بتلاوته الى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل .. قال أننى

سأموت كافرا وأصلي نارا ذات لهب .. وهأنذا أمامكم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. لاثبت أن محمدا كاذب فيما يقول ، .. كان أبو لهب بهذه الشهادة يستطيع أن يهدم الدين من أساسه .. ولكنه حتى هذا الامر الاختيارى لم يجرؤ عليه .. وعند تغيير القبلة .. قال الله سبحانه وتعالى :

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم » ..

واستخدام حرف السين هنا يدل على أنهم لم يقولوها الا بعد نزول الآية الكريمة .. وكان من الممكن ألا يقولوا .. ثم يأتوا الى العرب ويقولوا أن محمدا قد قال « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم » .. ولكن أحدا لم يقل ذلك .. وكان ذلك هدمًا في قضية الدين .. ولكنهم جاءوا وقالوا ..

واذا انتقلنا الى التحديات في العصر الحديث .. نجد أن الله سبحانه وتعالى قد قال :

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض .. ولا خلق أنفسهم » ..

« وما كنت متخذ المضلين عضدا » ..

أى أنه سيأتى اناس يضلون عن سبيل الله .. أى يحاولون اضلال غيرهم .. وأنا لم أشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق انسان .. ولم أتخذهم سندًا لى .. فلو أنه لم يأت من يجادل فى خلق السموات والأرض ولا خلق أنسان .. ويقول أن الانسان أصله قرد الى آخر النظريات التى نسمعها عن خلق السموات والأرض وخلق الانسان .. لقلنا أين هؤلاء الذين أنبأ عنهم القرآن .. ولكن كونهم أتوا .. وكونهم يحاولون الاضلال عن سبيل الله بنفى القدرة الالهية فى الخلق .. فقد جاءوا مثبتين للايمان .. وسيأتون على مر السنين والقرون .. فعماء القرآن مستمر حتى يوم القيامة .. سيأتى من الكفار وغير المؤمنين من يكشف لهم الله آيات من آياته ..

يحاولون هم الوصول اليها بالتشكيك فى دين الله .. وتأتى نتيجتها
بأنه الحق .. وتأتى مثبتة للايمان ..

● قوانين الجن والملائكة

تلك مقدمة كان لابد منها .. لبيان القدرة الالهية .. وكيف
تستطيع أن تسخر الكافر وغير المؤمن بدين الله لتثبيت هذا الدين
واظهار أنه الحق .. وهذه العقول غير المؤمنة تحاول أن تدخل
فى مجالات لم يخلقها الله للعقل البشرى .. فتجادل فى الملائكة
والآخرة والجان والشياطين .. الى آخر هذه المخلوقات .. التى لم
نعرف عنها شيئا ولا نستطيع أن ندخلها الى المعمل لنضعها تحت
الميكروسكوب .

وليس هذا محاولة للحجر على العقل البشرى .. بل للعقل البشرى
الحق فى أن يبحث فى كل شئ .. بشرط ألا يقدم لنا خرافات ..
لا يملك عليها دليلا ..

فاذا تحدث عن قوانين الجن والملائكة .. أو عن خلق الانسان
بطريقة تتنافى مع ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى .. نقول ما هو
برهانكم ؟ .. فاذا كان مجرد فرض أو وهم .. فاننا نرفضه ولا نقبله
.. واذا كان عليه دليل مادى فاننا نناقشه .. والله سبحانه وتعالى
حين خلق أعطانا قوانين المخلوقات الأخرى التى خلقها .. ولكننا
لا نتحدث عن خصوصيات وانما نتحدث عن الأشياء العامة .

حين يأتى انسان ويجادل فى ذلك .. ويحاول أن يكذب قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الشيطان يجرى فى الانسان
مجرى الدم) .. ويقول هذا غير ممكن .. نقول له : هل عرفت
قوانين الشيطان .. فيقول لا .. نقول أليس الدم مكونا من كرات
حمراء وكرات بيضاء الى آخره .. الا يستطيع أى ميكروب أن يدخل
الى مجرى الدم ويجرى فيه .. أذن فلماذا تنكر أن الشيطان يجرى
فى الانسان مجرى الدم .. مادمت لاتعلم شيئا عن قوانين الشيطان

.. ومادمنّا نعلم جميعا أن كل شئ، فى هذا الكون له قانون يخضع له .. فقانون الشمس ليس كقانون الأرض .. وقانون الجراد ليس كقانون الانسان .. والملائكة لهم قانون يفعلون ما أمرهم الله .. والجان لها قانون مختلف عن قانون الانسان .. وهناك عباد يعطيهم الله علما ورحمة .. فيصبحون بقوانين خاصة لهم قدرات على الكون .

على أننا يجب أن ننتبه الى سورتين هامتين نقرأهما كل ليلة .. هما سورة الفلق وسورة الناس .. وفى سورة الفلق نتجه الى الله ونستعين به فى الأمور التى لا ارادة لنا فيها .. وفى سورة الناس نتجه الى الله ونستعيز به فى الأمور التى لنا فيها ارادة .. ولكننا نخاف أن نضعف أمامها .. ولنوضح هذا الموضوع قليلا .

السورة الأولى ..

« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد » ..

كل هذه الشرور التى نستعيز بالله منها .. تأتى من خارج أنفسنا .. أو من خارج منطقة الحساب والتكليف فى أفعل .. ولا تفعل .. فعندما يقول الله سبحانه وتعالى « قل أعوذ برب الفلق » .. فالاستعاذة هنا .. هى الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى من شئ يفرع الانسان ويهدد أمنه وأمانه .. ولا يستطيع الانسان أن يواجهه بقدراته .. ومن هنا فهو يلجأ الى الله سبحانه وتعالى لانه القادر على دفع السوء بقدرته تفوق قدرة البشر جميعا .

والله سبحانه وتعالى هو الذى طلب منا أن نستعيز به .. ومن هنا فنحن حين نفعل ذلك .. انما نطبق منهج الله فى أنه أمان الخائفين وجار المستجيرين .. والمنهج هو النور والهداية للانسان فى حياته .. والفلق هو النور بعد الظلمة .. أو هو ماينفلق عنه الوجود والحياة .. وإذا كان الفلق بمعناه الاول أو الثانى ..

والله سبحانه وتعالى هو الذى أوجد النور فى الكون لتسير الحياة على هداه .. وهو الذى أوجد النور فى القلوب .. ليهديها الى الايمان واليقين .. وهو الذى أوجد الكون وخلق هذا الخلق المبدع وهو فائق الحب والنوى .. من هنا فكلا المعنيين يلتقيان .

والله سبحانه وتعالى .. حين طلب منا أن نفرع اليه قال « من شر ما خلق » .. وهنا لنا وقفة .. فما دام الله سبحانه وتعالى قال « من شر ما خلق » .. فلا بد أن هناك شرا .. قد خلقه الله بالنسبة للانسان .. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يخلق لنا الا النافع فى حياتنا .. والانسان هو الذى أوجد الشر .. وأوجد المعصية .. وأوجد كل ما يفسد هذا الكون .. ويسفك الدماء فيه .. وينشر الظلم والبغى والظفیان .. فما هو الشر الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ؟

● معنى الفيضانات والزلازل

هناك رايان يجب أن نتناولهما فى هذا الموضوع .. الرأى الاول .. يتعلق بحكمة الخالق .. والرأى الثانى يتعلق بالخلق نفسه . أما ما يتعلق بحكمة الخالق فالله سبحانه وتعالى قد خلق لنا قوى هائلة فى الكون لنؤدى مهمتنا فى الحياة .. وأخضع لنا هذه القوى بمشيئته هو .. فالشمس والقمر والأرض والنجوم وكل ما فى الكون والحيوانات التى ألفت البشر .. كل هذه القوى مسخرة للانسان بأمر الله .. ولكن الانسان بفروره يحاول أن يدعى أن هذه القوى مسخرة له بأمره وذاته .. أى يحاول أن يأخذ مما أعطاه الله له من أسباب الحياة فى الكون ، على أساس أنه شئ طبيعى .. لم تتدخل قوة الله سبحانه وتعالى فى تسخير .. ومن هنا يأتى الله سبحانه وتعالى بعلامات تذكر الخلق بنعم الله عليهم .. فتأتى الرياح لتصير أعصارا مدمرا .. وتحدث الزلازل والفيضانات بأعداد قليلة .. وبصورة نادرة .. لانه ليس المقصود منها الدمار .. فلو شاء الله لدمر الكون كله فى لحظة .. ولكن المقصود منها التذكير .. ليقول

الله للانسان .. اذا كنت تدعى أن الريح مسخرة لك بأمرك .. أو بقوانينها .. فانا سأحرق قوانين الريح لتصبح اعصارا مدمرا .. وقوانين الأرض الطيبة التي تعطيك كل شيء لتبتلع ما فوقها .. لعلك تتذكر أنك لا تملك السيطرة على هذه القوى .. وإذا كنت تستخدمها وتتفجع بها ، فذلك بقدرات الله سبحانه وتعالى التي سخرها لك .. فاعبد .. واسجد له .

وإذا كانت هناك اشارات وقتية تأتي بين الحين والحين .. وفي مساحات محدودة جدا لتذكرنا بقدره الله سبحانه وتعالى .. فان هناك بجانب ذلك ما يذكرنا دائما بهذه القدرة .. فمثلا اذا جئنا الى الحيوانات .. نجد بعضها مسخرا للبشر .. ليعلمه في الحياة .. فالفرس مثلا أقوى من الصبي الصغير مئات المرات .. ولكن هذا الصبي يستطيع أن يركبها ويسخرها لما يريد .. وقوة الصبي وعقله وقدراته لا يمكن أن تجعل الحصان خاضعا له خضوعا اراديا .. أى بإرادة الانسان .. فلو وجدت الفرصة لمركة بين الحصان والصبي .. لقضى الحصان على الصبي في دقائق .. ولكن هذا الحيوان ذلله الله لخدمة الانسان .. فأصبح مقهورا بقدره الله .. يستطيع أن يستخدمه في الأغراض التي يريد .

فإذا جئنا الى الثعبان مثلا .. وجدنا أن الله سبحانه وتعالى لم يخضعه للانسان .. وليس معنى هذا أن الثعبان شر مطلق .. بل ان من السموم الناقعات دواء .. فنحن نستخرج من سم الثعبان دواء . ربما أنقذ حياة مئات الألوف من البشر .. ونحن نستفيد بجلد الثعبان .. وبعض الشعوب تستفيد بلحمه وتأكله .. إذن فهو ليس شرا مطلقا .. ولكنه شر يمكن أن يؤذى الانسان ويقتله .. ومن هنا فنحن نستعبد بالله منه .. لماذا ؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى لم يخضعه لنا . ولذلك فهو يستطيع أن يهاجم الانسان ويقتله .. وإذا انتقلنا بعد ذلك الى المخلوقات المجهولة لنا .. كالشياطين والجان .. نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يسخرها لنا .. ولم يجعلها خاضعة لخدمة البشر .. وهي تستطيع أن تؤسس

للانسان بالشر .. وان تؤذيه .. ومن هنا فاننا لانستطيع بقوتنا
 الذاتية أن نواجهها لأننا لانراها .. ولكن الله طلب منا ان نستعيد
 به منها .. فإذا استعذت بالله من شر هذه المخلوقات وقفت ارادة الله
 سبحانه وتعالى بينك وبينها حجابا لانستطيع أن نخترقه ، فاصبحت
 لا تملك لك ضرا .. اذن فهناك أشياء لم يخضعها الله سبحانه وتعالى
 بقدرته للبشر .. ولا يستطيع البشر أن يخضعها بقدراته ..
 وسواء آكانت هذه الاشياء من قوى الطبيعة .. أم من قوى الحيوانات
 .. والانسان الذى يعيش معنا أو من القوى الخفية فى الكون
 التى لا نراها .. فانها شر للانسان .. لأنه لا يستطيع أن يقف أمامها
 بقدراته الذاتية .. ومادامت كذلك .. فقد أمرنا الله أن نستعيز به
 منها .. ونحن حين نلجأ الى الله فى ساعة المرض .. نلجأ اليه
 لتكون قدرته مع الدواء ليتفاعل معه فى الجسم ويقضى على
 الميكروبات .. ففى كثير من الاحيان يتناول مريضان بنفس الداء
 نفس الدواء .. احدهما يشفى والثانى يشتد عليه المرض ..
 ونسأل الطبيب فيقول لك انها قدرة الله التى جعلت الدواء يتفاعل
 هنا مع الميكروب فيقتله .. ولا يتفاعل هناك .. والميكروبات
 ليست شرا مطلقا فاننا نستخرج منها الامصال التى تقينا من
 الامراض .. واحيانا نستخرج منها الدواء .. ولكنها شر للانسان
 .. ونحن بجانب العلاج الطبى نتجه الى الله سبحانه وتعالى ليحقق
 لنا الشفاء .. وهذا هو معنى الآية الكريمة « **واذا مرضت فهو**
يشفين » .. ذلك فان الأخذ بأسباب الارض جزء من محاربة الداء
 .. اما اسباب الشفاء فهى فى يد الله سبحانه وتعالى .. ولقد
 أمرنا ان نأخذ بالدواء الذى خلقه الله لشفاء الداء .. ثم نترك اتمام
 الشفاء لقدرة الله .. ولعل اكثر الناس فهما لهذه النقطة هم الاطباء
 الذين يشاهدون معجزات الشفاء كل يوم .. والذين ينتظرون
 بعد إعطاء الدواء قدرة الله على الشفاء .

اذن فعلمة الخالق فى كل ما تحدثنا عنه من شر للبشر . هو
 لغت للمقدرة التى سخرت كل شئ للانسان .. بقوة الميكروب ..

أو الثعبان .. أو أى خلق من خلق الله لا تقاس بجانب قدرات الكون كله من شمس وقمر ورياح وبحار وانهار .. والله يريد دائما أن يلفتنا الى أن الاشياء مدللة بقدرته وليست بعقولنا .. فيأتى بأشياء متناهية فى عدم القدرة أمام قدرات الكون .. كالميكروبات امام الشمس مثلا .. ليعلمنا انه هو الذى ذلل لنا قوى الكون الهائلة .. وأنها بقدراتنا لانستطيع ان ندلل ادنى الاشياء المتناهية فى الصغر كالميكروبات .. وذلك حتى لا يظن الانسان الذى سخر له الله الكون كله انه مستغن عن الله .. بل تأتى هذه الاشياء لتذكره بالنعم .. وفى نفس الوقت تجعله يحس انه محتاج الى الله فى كل دقيقة .. وخوف الانسان من الاشياء التى لم تذلل له هو ربط للانسان بالخالق .. وفى نفس الوقت اشعار للانسان بضعفه وقدرته خالقه .. ذلك انه ضعيف لا يستطيع ان يتغلب على هذه الاشياء .. ولكنه فى نفس الوقت قوى اذا استعاذ بالله .. فلا تستطيع هذه الأشياء أن تمسه .

● الحكمة من الخلق

هذه حكمة الخالق .. اما الحكمة من الخلق .. فهى فى المقارنة الدائمة بين ما هو مسخر لنا .. وما لم يسخر لنا .. هذه المقارنة الدائمة المستمرة .. آية يومية لكل من تبعد نفسه عن الايمان .. انه جبار فى الارض .. نسى الله .. وحسب انه ملك الدنيا ومن عليها .. وأخذ يملأ الارض ظلما وطغيانا .. يأتى الله ليعلم عليه أدق مخلوقاته وهى الميكروبات .. فيصبح عليلا مريضا .. لا يقدر على المشى .. وربما لا يقدر على الكلام .. وهنا تظهر حكمة الخلق أمام خلقه .. حينما يرون هذا الجبار وقد أذله المرض .. فيصيحون (سبحان الله) .. وتتجلى القدرة الالهية امام هؤلاء الذين ينسبهم بريق الدنيا وزخرفها قوة الله وقدرته .

ثم يمضى الله سبحانه وتعالى ليقول « ومن شر غاصق اذا وقب » .. والغاصق هو الليل .. « واذا وقب » معناها اذا دخل بظلمته

.. والله سبحانه وتعالى يريد ان يقول لنا .. انا خلقت الليل والنهار .. وجعلت النهار مضيئاً آمناً لتسير حركة الحياة فى الكون .. وجعلت الليل ساكناً مظلماً لتنام فيه وتستريح .. وتصبح قادراً على حركة الحياة فى اليوم التالى .. ولكن ليل ظلمة .. والظلمة تخفى الاشياء .. وتغرى بالشر .. ومعظم الجرائم والشرور ترتكب فى الليل .. وانت فى النهار قد ترى عدوا يتربص بك .. أو تلمح حشرة يمكن ان تؤذيكَ وتشعر بالامن والامان لان الدنيا حولك مليئة بالحركة والحياة .. ولكن ذلك ينتفى مع ظلمة الليل .. ومن هنا فانا اعطيك نعمة الامان بالليل كالنهار .. وهى ان تستعِذْ بى .. ثم تنام انت هانئاً مطمئناً .. لانى انا الله الحى القيوم .. الذى لا تأخذه سنة ولا نوم .. فانت اذا استعذت بى ستنام فى حراستى وأنا لن اغفل عنك لحظة واحدة مادمت قد لجأت الى واستعذت بى .. فلا تخش ان تأخذنى سنة من النوم .. أو أغفل عن اى شىء .. لاننى لا أنام .. ولا يفوتنى شىء مما يحدث فى الدنيا .. ظاهراً أو باطناً .. وحراستى لك .. لاتستطيع جيوش العالم كله ان تمنحك اياها .. فاذا جاء الليل فاستعذ بى ونم آمناً مطمئناً فانا الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم .. لن أغفل عنك لحظة .. ولن اتركك ثانية .. بل ستكون دائماً فى حراستى بقدراتى التى لاتستطيع ان تصل اليها كل المخلوقات

وتمضى الآية الكريمة فتقول « ومن شر النفاثات فى العقد » .. ولقد وقف العلماء عند هذه الآية الكريمة وقفة طويلة .. فقد قالوا .. النفاثات هن الساحرات ولكن فرعون كان له سحره .. ومن هنا اطلق بعض العلماء النفاثات على السحرة على اطلاقهم الذكر والانثى .. وحدث الخلاف .. لماذا .. لاننا نواجه قضية غيبية وليست قضية عقلية .. فانت لاتستطيع ان تدخل السحر فى المعمل .. ولا تستطيع ان تضع مواصفات له .. ولذلك فان هذه الاشياء كانت ولا تزال محل جدل كبير .. فبعض الناس ينكرها انكاراً تاماً على اساس انه لا يصدق الا ما يراه .. ونحن نقول له

هل كان اجدادنا يرون الميكروبات والفيروسات كما نراها الآن ..
 الجواب كلا .. لانها كانت غيبا عنهم .. ولكن كونها غيبا لا يمكن
 ان ينفي وجودها .. وكوننا حين اخترعنا الميكروسكوب ليكبر الوف
 المرات .. فان هذا الاختراع لم يوجد الميكروبات والفيروسات ..
 ولا يستطيع احد ان يقول انه خلقها .. ولكنه فقط ازال سترا من
 الاستار التي كانت موجودة على عقولنا .. فاستطعنا ان نرى ما كان
 موجودا ولكن لم نكن نراه .. والله في ذلك حكمة كبيرة .. فهو
 يكشف لنا كل يوم عن اشياء في الكون كانت غيبا عنا وربما لم
 نكن نصدقها لنراها امامنا رؤيا العين .. وتصبح حقيقة واقعة ليقول
 لنا هذا ما كان غيبا عنكم .. وكانت تنكره عقولكم لانكم لاترونه
 .. قد اصبح حقيقة واقعة امامكم .. وعرفتم انه موجود .. حتى
 اذا حدثتكم عن غيب لم تروه حتى الآن .. فاعلموا ان عدم رؤيتكم
 له لاينفي حقيقة وجوده

ومادام الله سبحانه وتعالى قد ذكر السحر في القرآن الكريم ..
 وذكر السحرة .. فلا بد ان يكون هناك سحر وسحرة .. ولكن
 العلم لا يعرف شيئا عن السحر ونحن نقول لهم هذه قضية غيبية
 قد تكون علما غدا .. وبعد غد .. ولكنها حقيقة مادام الله سبحانه
 وتعالى قد اخبرنا عنها

● السحر وأعين البشر

ولكن ماهو السحر .. ؟ .. يقول الله سبحانه وتعالى ..
 « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .. والسحر نوعان .. نوع
 فيه قدرة البشر .. ونوع فيه الاستعانة بقوى غير قوى البشر ..
 النوع الاول وهو مافى قدرة البشر لا يغير طبيعة الاشياء وانما
 يصورها في عين الانسان بغير شكلها الحقيقي .. اى ان العين هي
 التي تسحر .. والنظر هو الذى يخدع .. وليست المادة هي التي
 تتغير مصداقالقوله سبحانه وتعالى « سحروا أعين الناس واسترهبوهم »
 .. واذا تتبعنا السحر من ابسط مايقوم به البشر الى اكبر مايقوم

به الذين يستعينون بغير البشر .. نجد أنه في أبسط اشكاله خداع للنظر .. فالسحرة البسطاء الذين يقدمون الالعاب في الحفلات (الحواة) .. يعتمدون على خداع النظر أو خفة اليد .. ذلك انهم يتدربون على تحريك اليد بسرعة لا تلاحظها العين .. وبذلك يحسب الانسان ان ما يحدث امامه هو تغيير لطبيعة الاشياء .. والحقيقة ان ما يحدث هو خداع للنظر .. والنظر يخدع باشياء كثيرة .. السراب تحسبه العين ماء وبعض ألوان الطيف تبدو كأطباق طائرة للعين .. والحركة السريعة لاتستطيع ان تصل اليها عين الانسان .. وانت اذا أدركت مروحة كهربائية وحاولت ان تحدد شكلها وهي ساكنة لاتستطيع الا بعد ان توقف دورانها لترآها ساكنة أولا .. فخداع النظر لايمكنك من معرفة الشكل مع الحركة السريعة

اذن فخداع النظر نوع من السحر .. وهذا معروف الآن لاجدال فيه .. والسحرة الذين يقومون بالالعاب السحرية يعتمدون على سرعة حركة اليد .. فيخدعون العين .. ويبدون وكأنهم يأتون بنوع من السحر

هذا تفسير بسيط ليفهم الناس ان السحر لايفير طبيعة الاشياء .. وانما يسحر العين .. فترى مايريد منها الساحر أن تراه .. هذا اذا كان السحر مجرد استعراض للقدرات .. اما اذا كان السحر للشعر .. فلا يمكن أن يصل الساحر الى مراده الا اذا أضاف الرعب والرغبة بجانب خداع النظر .. أى أن الساحر يجب أولا أن يدخل الخوف فى قلب المراد التأثير عليه بالسحر حتى يخضعه تماما .. ويجعله يفعل ما يريد .. ومن هنا فان بعض هؤلاء السحرة يستعينون بأصوات مخيفة .. أو بجماجم وعظام الموتى .. المهم أنهم أولا يدخلون الرعب الى نفوس الناس .. ثم بعد ذلك يسحرون اعينهم ويستخدمونهم فى الشر والايذاء .. ونادرا ما يمارس مثل هؤلاء السحرة أعمالهم فى ضوء النهار .. بل هم يمارسونها دائما فى غرفات مظلمة وسط اصوات مثرية

للعرب .. يتسلط من خلالها الساحر على المسحور .. ورغم ان الساحر لا يستطيع ان يغير طبيعة الاشياء .. فانه بادخال الرهبة الى القلب مع استخدام سرعة الحركة .. واليد المدربة .. والحيلة المتقنة .. يخيل للرائى انه يرى قوى خارقة ويخضع لها تماما .. ولذلك عندما واجه السحرة موسى عليه السلام وألقوا حبالهم وعصيهم .. قال الله سبحانه وتعالى :

« **فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى** »

واستخدام كلمة (يخيل) التى استخدمها الله سبحانه وتعالى يجب أن نلتفت اليها .. وهى أن السحرة لم يغيروا طبيعة الأشياء .. ولكن خيل للحاضرين أن حبال السحرة وعصيهم هى حيات وأفاع تسمى .. فاستخدام الله سبحانه وتعالى كلمة (يخيل) مضاعف ان الحبال والعصى لم تتغير طبيعتها الى حيات .. ولكن جر الرعب الذى احدثه السحرة بجانب حيلتهم وخفة ايديهم قد خدع اعين الناس .. فجعلهم يتخيلون انها افاع وثعابين .. حينذاك ماذا حدث .. القى موسى عصاه .. فاذا هى حية تسمى وتلقف ما يافكون .. حينئذ سجد السحرة لرب موسى .. وصدقوا أنه رسول .. لماذا .. لانهم ايقنوا انه ليس ساحرا .. فهم اعرف الناس بخداع النظر .. وهم أعرف الناس بفنون السحر .. وهم اعلم الناس ان الساحر لا يستطيع ان يغير طبيعة الاشياء .. ولكن طبيعة الشيء هنا قد تغيرت .. وتحولت عصا موسى الى ثعبان هائل .. وهذا ليس من صنع ساحر .. ولكنه من قدرة الله سبحانه وتعالى .. وكان السحرة اول الساجدين .. لانهم ايقنوا ان موسى رسول صادق عن ربه .

● التجربة والتدريب

ولقد دخل موسى هذه التجربة بعد ان دربه الله سبحانه وتعالى

.. ليعلم الفرق بين السحر والمعجزة .. وحتى لا يسحره السحرة
ويستترهبوه .. فقال له الله سبحانه وتعالى :

« وما تلك بيمينك يا موسى .. قال هي عصاى أتوكأ
عليها .. واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ..
قال القها يا موسى .. فآلقاها .. فإذا هي حية تسعى »

حينئذ أوجس موسى خيفة .. بعد أن رأى العصا التى كانت فى
يده تتحول الى حية هائلة فقال له الله سبحانه وتعالى :

« قال خلها ولا تخف . سنعيدها سيرتها الأولى » ..

وأعادها الله مرة أخرى عصا ..

لماذا فعل الله سبحانه وتعالى ذلك مع موسى .. يجب أن نعرف
أن كل شئ يحدث له حكمة .. لا شئ فى أمر الله يحدث عشوائيا
.. أو بلا هدف .. وهذه معجزة ليست فى تحويل العصا الى حية
فقط .. ولكن نفس ماحدث هو اعجاز .. ذلك أن الله فى علمه ان
فرعون سيأتى بالسحرة ليحاول ان يهدم بهم رسالة موسى عليه
السلام .. وان هؤلاء السحرة سيخدعون الناس ويسحرون أعينهم
.. فدرب الله سبحانه وتعالى موسى على تغيير طبيعة الاشياء ..
ليستطيع ان يتبين الفرق بين السحر والمعجزة .. ولو أن الله
سبحانه وتعالى أدخل موسى التجربة دون تدريب .. لكان موسى
عندما رأى المصى تنقلب الى حيات .. خاف وذعر .. وربما حاول
الابتعاد عن المكان حتى لا يؤذى .. وكانت هذه كافية لتدخل الشك
فى قلوب من آمن .. ومن سيؤمن .. فمادام الرسول نفسه قد
خاف من السحرة فلا بد أنهم هم الاعلى .. ومن هنا جاء الله سبحانه
وتعالى برسوله ودربه اولا .. فزال الرهبة من نفسه ورأى الفرق
بين الحية الهائلة التى تحولت عصاه اليها وبين كيد السحرة الذى
لا يمكن ان يقارن بقدرة الله سبحانه وتعالى .. وحين واجه السحرة

.. كانت التجربة فى قلبه تحييه .. ومع ذلك « فاجس فى نفسه خيفة موسى »

فقال له الله سبحانه وتعالى :

« قلنا لا تخف انك انت الاعلى والى ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انها صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى »

وكذلك ايد الله نبيه ليثبتته مرتين .. مرة بتحويل عصاه الى حية تسمى .. ومرة اخرى بتأييده عندما أوجس فى نفسه خيفة من السحرة ..

على أن هناك لفظة ايمانية وهى ايمان السحرة بربهم .. ولقد آمن السحرة بالله قبل ان يقتلهم فرعون بساعات .. وبذلك دخلوا الجنة - وهذه الواقعة .. تجعل الانسان لا يأس ابدا من رحمة الله .. ذلك ان هؤلاء السحرة ظلوا على كفرهم .. وجاءوا ليحاربوا دين الله بسحرهم .. ثم آمنوا حينما رأوا المعجزة .. وكان الايمان قبل أجلهم بساعات فغفر لهم .

● قوانين لغير البشر

اذن فالسحر بالنسبة للانسان العادى أو بالنسبة للبشر الذين لا يستعينون بقوى أخرى قد بينه الله سبحانه وتعالى ووضحه بأنه يعتمد أساسا على خداع الاعين وادخال الرهبة فى النفوس والحيلة .. هذه الاشياء الثلاثة تجعل المسحور يستسلم لارادة الساحر .. متوهما انه يستطيع أن يغير طبيعة الاشياء وأن يأتى بمعجزات .. والله سبحانه وتعالى يأمرنا ألا نخاف هذا النوع من السحر ولا نخشاه .. واذا حاول احد ان يدخل الرهبة فى قلوبنا بهذا النوع من السحر .. فعلينا ان نستعيز بالله فلا يستطيع ان يؤثر فىنا

هناك نوع آخر من السحر ، يعتمد على قوى أخرى غير قوى
الانسان .. وإذا أردنا أن نوضح ذلك فعلينا أن نقرأ فى سورة
النمل قصة ملكة سبأ .. فعندما أراد سليمان أن يأتى بعرش ملكة
سبأ من اليمن الى بيت المقدس

« قال يا أيها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى
مسلمين » ..

ولم يحدد سليمان الذى اعطى من الله السيطرة على الجن والانس
والشياطين .. لم يحدد ممن يطلب احضار عرش ملكة سبأ .. بل
معناه أن بلقيس ومن معها قد غادروا اليمن وانهم فى الطريق اليه
يعتبر خرقا لقوانين البشر .. وربما لا يكون خرقا لقوانين الجن ..
أو لقوانين مخلوقات أخرى لا نعلم عنها شيئا .. ولكنها بطبيعة
قوانينها والخواص التى أعطاها الله لها .. تستطيع ان تقوم بهذا
العمل .

ماذا حدث عندما طلب سليمان القيام بهذه المهمة ، وما معنى
طرح السؤال « ايكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » ..
معناه أن بلقيس ومن معها قد غادروا اليمن واتهم فى الطريق اليه
.. وهو يريد واحدا ان يذهب الى اليمن ويأتى بالعرش .. وبلقيس
ومن معها مازالوا فى الطريق اليه .. ويصل العرش قبل أن تقطع
بلقيس ملكة سبأ ومن معها المسافة الباقية بينها وبين مكان سليمان
عليه السلام .

هنا ملاحظة هامة .. من الذى تكلم .. هل تكلم بشر عادى ..
وقال أنا أستطيع أن آتيك به .. لا .. لأن هذا فوق قوانين البشر
وقدراتهم .. هل تكلم الجن على طلاقته .. لا .. انما الذى تكلم
هو أقوى الجن وليس جنا عاديا .. ولذلك كان المتكلم هو فسرذا
واحدا .. فقال الله سبحانه وتعالى « قال غفريت من الجن » ..
أذن .. فالذى تكلم ليس الجن على طلاقته وانما أقوى الجن الذى يقدر

على هذه المهمة الصعبة .. وحينما تكلم أقوى الجان اعطى زمنا
يناسب القانون الذى يتبعه .. أى الذى خلقه الله له .. فقال

« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » ..

أى قبل أن يقوم سليمان من مجلسه .. وكم يستغرق مجلس
سليمان .. ساعة ، ساعتين .. ثلاث ساعات .. المهم أنه حدد مدة
زمنية طويلة الى حد ما حتى يأتى بالعرش .

هنا تدخل الذى عنده علم من الكتاب .. لماذا .. لان الذى أعطاه
الله سبحانه وتعالى علما من الكتاب سيأخذ قانونا أقوى من قوانين
الجان ..

« قال الذى عنده علم من الكتاب . أنا آتيك به قبل
أن يرتد اليك طرفك »

هنا يجب أن ننتبه الى الحكمة الكبرى ، فكل خلق فى حضرة
سليمان يتكلم بالقانون الذى أعطاه الله سبحانه وتعالى له ..
فالإنسان من طين .. مادة عتمة .. الله سبحانه وتعالى جعل قوانينه
تناسب خلقه .. ولذلك عندما عرضت مسألة احضار العرش لم
يتقدم انسان .. ولم يقل واحد من الحاضرين من البشر ..
أنا آتيك به اذا أعطيتنى عددا من الجياد القوية أو أى شئ آخر ..
وانما سكمت البشر على إطلاقه .. لان قوانينه تمنعه من التعرض
لهذه المسألة .

ولم يتكلم الجن العادى .. لأنه لا يقدر على هذه المهمة .. رغم أن
قوانينه قد تؤهله لان يقوم بهذا العمل .. فالجن بقوانينه أخف
وأقوى من البشر .. ويستطيع أن يقطع المسافات أسرع .. وأن
ينفذ من المادة .. وهذا قانون اعطته له طبيعة خلقه من نار ..
والنار لها قوانين غير قوانين الطين .. أقول سكمت الجن على طلاقته
خوفا من فشله فى هذه المهمة . ونطق أقواهم وهو عفريت واحد .

ولكن الذى عنده علم من الكتاب استطاع أن يتجاوز كل القوانين ..
وان يأتى بعرش ملكة سبأ فى لا زمن تقريبا بما اعطاه الله من علم
الكتاب .. والجميع استمدوا قوانينهم من الله سبحانه وتعالى .

وهكذا يجب ان نعلم ان لكل خلق قانونا .. وان الله سبحانه
وتعالى قد جعل من هذه القوانين ما يجعل من بعض خلقه قادراً على
أن يفعل مالا يستطيعه البعض الآخر .. وجعل الذى عنده علم من
الكتاب يستطيع ان يخرق القوانين كلها .. لتبقى له سبحانه وتعالى
وحده القدرة على أن يغير طبيعة الاشياء .. ويعطى للادنى ما يجعله
فوق الأعلى .. فهو أعطى لبشر من قوانين الكتاب ما جعله يتفوق على
جميع خلقه .. ويأتى بعرش ملكة سبأ فى لا زمن تقريبا .

وبعض الناس يستعين فى السحر بقوى لها قوانين تفوق قدرة
الانسان .. فيستعين بالجان والشياطين ..

● حكمة هاروت وماروت

وهنا نأتى لقصة هاروت وماروت .. وقبل أن نبدأ هذه القصة
يجب أن نعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون على أساس الفرص
المتكافئة .. أى أن لكل انسان فى الحياة نفس الفرصة المتساوية
التى للانسان الآخر .. فاذا استعان انسان بقوى لها قوانين تفوق
قدرة البشر .. فانه أخذ فرصة غير متكافئة مع سائر البشر .. وهو
حين يأخذ هذه الفرصة .. انما يتحدث كذبا انه سيستخدمها من
أجل الخير .. ولكن قدرته تغريه فيبدأ فى استخدامها فى الشر
والايناء .. وحينئذ يسلط الله عليه نفس القوة التى استعان بها
فتؤذيه .. ويموت اما منتحرا أو مجنونا أو فى فقر مدقع .. والمهم
أن نهايته دائما تكون سيئة مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم وهقا » ..

تلك لحظة سريمة .. سنتحدث عن ذلك بالتفصيل

يقول الله سبحانه وتعالى فى قصة هاروت وماروت :

« **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** »

.. ولهذا قصة تروى .. فقد قيل انه عندما اعطى الله سليمان الملك كان الشياطين يستخدمون السحر فى الافساد فى الارض .. فقام سليمان بجمع كل تماث هذا السحر ودفنها فى الأرض .. ولما مات سليمان .. قالت الشياطين انه كان يحكمهم بالسحر .. ودلت على المكان الذى أخفى فيه هذه التماث فتم استخراجها .. نعود الى الآية الكريمة ..

« **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** » ..

اى ان الشياطين حاولت الخداع بان سليمان قد أوتى ملكه عن طريق السحر وليس برسالة من الله سبحانه وتعالى .. « **وما كفر سليمان** » .. اى ان الله سبحانه وتعالى يبرىء سليمان من هذه التهمة ويقول أنه لم يكفر .. بل أوتى رسالة حقيقية من الله سبحانه وتعالى .. واذا كان سليمان لم يكفر .. فالذين اكفروا هم الشياطين التى أطلقت هذه القصة غير الحقيقية على سليمان ..

وتمضى الآية الكريمة « **يعلمون الناس السحر** »

واذا وقفنا عند هذه الآية .. نجد كلمة السحر لنعلم انه بجانب السحر البشرى الذى هو خداع البصر .. يوجد سحر من اجناس اخرى هى الشياطين .. وان الذين يمارسون هذا النوع من السحر من الشياطين .. هم كفرة .. أو مردة .. عاصين لله سبحانه وتعالى .. والشياطين بحكم قوانينها تستطيع ان تتشكل فى أشكال مختلفة مثل الحيوانات والانسان احيانا الى آخر ذلك .. وهى حين

تتشكل فى هذه الاشكال فانه يحكمها قانون الشكل .. وهذا رحمة من الله سبحانه وتعالى لأنه لو كانت الشياطين تستطيع أن تتشكل بأشكال مختلفة .. ولا يحكمها الا قانونها .. لكانت الحياة على الارض عملية صعبة للانسان .. ولتحكمت فيه الشياطين وازعجته .. ولكن كونها محكومة بقانون الشكل الذى تتشكله .. فانها تخشى ان هى بقيت فيه أكثر من لحظات ان يستطيع الانسان القضاء عليها .. فاذا تشكل الشيطان فى شكل انسان .. أو قرد .. أو حمار .. فانك اذا أطلقت عليه الرصاص أو ضربته بسكين قتلتة .. وهو يعرف ذلك ، ومن هنا فانه لايبقى على هذا الشكل لأنه يعرف انه معرض للخطر من الانسان .. فلا يتشكل الا لحظات .. ثم يعود الى طبيعته .. وهذا التشكل هو الذى تقوم به الشياطين لخداع البشر .. واحيانا يتشكل الشيطان على شكل قبيح جدا ويقف بين المرء وزوجه .. وكلما نظر الزوج الى زوجته وجدها على صورة قبيحة تجعله يكرهها .

وتمضى الآية الكريمة ..

« وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله . ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق » ..

● الفرصة والحساب

نأخذ من هذه الآية الكريمة عدة مبادئ .. أولها : ان السحر بهذه الطريقة أى بطريقة التشكل لحجب الحقيقة عن الرائي انما هو من قوانين الجن .. أو الشياطين .. أما الانسان فلا يملك من فنون السحر غير خداع البصر ..

وثانيها : ان هذا السحر نزل به ملكان هما هاروت وماروت ..

وان كل من اذن له الله ليتعلم على ايديهما قال لا اله الا نحن فتنه فلا تكفر .. اى ان هذا النوع من السحر هو فتنة للبشر .. وكل من يتاح له معرفة اسراره .. انما هو معرض للكفر .. لماذا ؟ .. لان هذا النوع من السحر يعطى الانسان فرصة كبرى على غيره من بنى جنسه .. واذا ملك الانسان الفرصة ويستطيع ان يتحكم فى بنى جنسه بقوى اكبر منه فانه بهذه الحالة يجد نفسه متجهبا الى الظلم والبغى والكفر ..

ولنوضح هذا قليلا .. هب اننا نعيش فى قرية صغيرة .. واتيح لاحد افراد هذه القرية ان يحصل على بندقية او سلاح نارى .. انه عندما يحصل عليها يقول : اننى سأستخدمها فى حماية نفسى ودفع الاذى عن اهل بيتى .. ثم بعد ذلك يجد انه يستطيع ان يخضع بها اهل القرية كلها .. فيبدأ فى فرض الاتاوات والارهاب والافساد فى الارض .. وهكذا تعطيه الفرصة غير المتكافئة اغراء كبيرا للافساد ..

ولكن لماذا أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الفتنة .. الفتن كلها هى امتحان للايمان .. المال فتنة والولد فتنة والنفوذ والسلطان فتنة والترف فتنة ، وهذه الفتن كلها انما وضعها الله سبحانه وتعالى فى كونه كامتحان للبشر .. مصداقا لقوله تعالى :

« ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ..

اذن .. فالفتن كثيرة فى الكون .. يأتى انسان فيقول اللهم ارزقنى مالا لاتصدق وأكن من الصالحين .. فاذا رزقه الله المال .. منع الصدقة واخذ حق اليتيم والمساكين .. ويأتى آخر ويقول اللهم ارزقنى ولداً أو اولادا يكونون عزوة لى .. فاذا اعطاه الله الاولاد

استخدمهم ليرهب بهم الناس ويفرض الاتاوات .. وهكذا .. وكل
هذا يدخل فى معنى الأمانة .. أى أن الله سبحانه وتعالى حمل
الانسان الأمانة .. ومعنى ذلك أنه حمله وديعة عنده .. والمهم
هو وقت السداد .. وإذا اردنا ان نوضح هذه النقطة قليلا .. فان
الله قد عرض على الانسان الإمانة أى حرية الاختيار .. فى افعل
ولا تفعل .. ويأتى الانسان ليقول : ربى بما اعطينى من حرية
الاختيار فاننى ساعبدك حق عبادتك واصلح فى الارض .. ويمضى
الانسانا ليفسد فى الارض بدلا من أن يصلح فيها .. ويهلك
الحرث والنسل .. ثم يأتى وقت اداء الامانة .. وهو ساعة الموت
.. وهنا المفروض ان يقدم الانسان حسابا لخالقه .. ولكنه
لا يستطيع الوفاء بما وعد .. ويأتى وقت السداد فلا يجد شيئا
يقدمه .. وكذلك الانسان الذى يطلب من الله سبحانه وتعالى أن
يجعله قادرا على تسخير قوى فوق قوى البشر .. ويقول ياربى
استخدمها فى الخير .. ويستخدمها فى الشر وايداء الناس .. ثم
يأتى وقت يحدد فيه أنه قد خان عهد الله ولم يرع الامانة .. وكل ما
يصيب الانسان فى هذه الدنيا من فتن .. هو اختبار للايمان ..
فالانسان يطلب والله يعطيه ليختبر ايمانه .. وليس لان الله لا يعلم
هذا الايمان .. ولكن ليكون الانسان شهيدا على نفسه .. فيجادل
ويقول لو اننى اعطيت لفعلت الخير .. ولكنه يعطى الانسان ليفعل
الشر ليكون شهيدا على نفسه .. والانسان العاقل هو الذى يبتعد
عن هذه الفتنة ويقول ياربى أنا لا اضمن نفسى واخشى ان افتن فى
ايمانى فلا اريد شيئا لا اقدر عليه .. مثل هذا الانسان يكون بعيدا
عن الفتنة .. لانه عرف ضعف النفس البشرية فرفض أن يحمل
أمانة لا يستطيع الوفاء بها .. مكثفيا بما حمله الله . فى افعل
ولا تفعل .. وهذا الانسان عادة ليس له صلة بموالم اخرى وانما
يحيا الحياة الطيبة .. ولكن من لهم تطلعات فى الدنيا هم الذين
يطلبون الفتن ثم يسقطون فيها .. والفتن كما قلنا .. امتحان
للنفس البشرية وامتحان عسير .

● الخير ممتنع هنا

نعود بعد ذلك الى الآية الكريمة .. نقول أن السحر عند البشر هو باخضاع قوى غير بشرية للانسان يستعين بها .. وهذه القوى .. قوانينها غير قوانين البشر فهي تستطيع ان تقطع المسافات في زمن قياسي .. وتستطيع أن تتشكل بأشكال معينة .. ومن هنا فانه يمكنها ان تأتي بأشياء بعيدة في زمن بسيط .. أو تقوم بالتشكل حسب ارادة البشر التي سخرت له ..

ولما كان هذا السحر من قوانين الجن والشياطين .. فإن الله سبحانه وتعالى قد اطلعنا على ما يمكن ان يفعله .. فتقول الآية الكريمة

« فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من احد الا باذن الله . ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » .

اذن فالخير ممتنع هنا .. لأن الله سبحانه وتعالى قد حدد لمثل هذا السحر ما يمكن أن يؤديه .. فهو يستخدم في التفرقة بين المرء وزوجه .. أو في بث الكراهية في العائلة الواحدة .. أو في ارتكاب الجرائم والسرقات .. المهم في انه يستخدم فيما يضر ولا ينفع .. والضرر هنا يضر الاثنين معا .. من استخدم السحر .. ومن استخدم ضده السحر .. ولكن الله وقى من استخدم ضده السحر .. وطلب منه ان يستعيذ به .. ويقرأ « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد » .. ومن هنا وضع الله سبحانه وتعالى سياجا للوقاية للمؤمن .. فالاستعاذة بالله .. وقراءة القرآن الكريم وقراءة سورة الفلق .. ومن يفعل ذلك لاتمسه مثل هذه الاشياء .

على انه في قول الله تعالى « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » .. معناها ان الذين يتعلمون هذه الاشياء يقع عليهم الضرر .. ذلك

لأنهم استغلوا الفرصة غير المتكافئة في الشر .. ومن هنا فإن الذي يستعين بهذه القوى نجد أن رزقه قد وضع في يد من هم أدنى منه .. أى أن الله سبحانه وتعالى يرزقه على يد من هو أقل منه علماً بتلك القوانين .. هذه واحدة .. والثانية أن الله يسلط عليه من استعاذ بهم من الجن .. فتحدث له الكوارث في نفسه وأولاده وبيته .. لا يستطيع أن يواجهها .. وتكون نهايته أسوأ نهاية .. فيموت فقيراً .. مصاباً بالكوارث .. كافراً .. مصداقاً لقوله تعالى :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » ..

أى أنهم باستعانتهم بهذه القوى غير البشرية لايزدادون خيراً ولكن يزدادون رهقا وعنتاً .. ثم يصل بهم الحال الى الكفر والعباد بالله وهكذا تكون الفرصة غير المتكافئة وبالا على صاحبها .. لا يرى فيها خيراً ابداً .. ولكن يعيش في بؤس وشر ورعب حتى ينتهى اجله كافراً .

فالسحر سواء كان بقانون البشر .. أو بقانون غير البشر .. لا يغير طبيعة الاشياء .. ولكنه بقانون البشر هو خداع للعين واسترهاب للنفس .. وبقانون غير البشر هو اشياء تحدث بقوانين مخلوقات أخرى يخيل لنا نحن المحكومين بقانون ادنى .. أن اشياء قد تغيرت .. ولكنها في الحقيقة لم تتغير .. بل تشكل شيئاً ما .. بين بصرك وبين حقيقة الاشياء .. وهى فى الحالتين استخدام لنوع من الخداع بقانون البشر .. أو بقانون غير البشر .. تسترهب الناس وتفتنهم وتسحر اعيانهم فيخضعون لها .. والحقيقة أن السحر تخيل وسيطرة على المرء .. سواء بقوانين متساوية أو بالاستعانة بقوى أخرى .. والذي يحدث مجرد تخيل يوقع الانسان تحت سيطرة الساحر .. ولكن ذلك كله لا يصيب

الانسان المؤمن .. لان الايمان يجعلك تعرف يقينا .. انه لا يوجد جنس فى الكون يستطيع ان يغير طبيعة المادة .. والانسان المؤمن الذى يستعيز بالله دائما لا يمكن أن يصيبه كيد ساحر مهما كان .. لان الله يدافع عن الذين آمنوا .. ويقهم كل شر .. والانسان الذى يريد الشر للمؤمن لا يصيب به الا نفسه .. مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى « **ولا يحق المكر السيئ الا باهله** » .. ثم ان الله سبحانه وتعالى قد حكم على هؤلاء الذين يحاولون بالسحر خداع البشر واسترهابهم مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى « **ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق** » .. أى ان الذين اشتروا بالايمان خداع الناس واسترهابهم ليس لهم فى الآخرة عند الله اجر .. بل لهم عذاب مهين .. لما اشتروا الكفر بالايمان .. والله سبحانه وتعالى لا يمكن كافرا من مؤمن .. فالذى يخيل اليه انه بالسحر واستخدام الشر قد نجح .. يقول له انك وقعت فى فتنة .. وتمضى الايام .. ويجد الانسان الذى أراد الشر بالناس ان هذا الشر يعود اليه ليصبح ذليلا منبوذا تسلط عليه الكوارث .. وتأتى الآخرة .. فاذا هو كافر ليس له فيها نصيب .

بقيت بعد ذلك مسألة الحسد .. يقول الله سبحانه وتعالى « **ومن شر حاسد اذا حسد** » .. ما هو الحسد .. الحسد هو تمنى زوال النعمة .. بمعنى اننى ارى انسانا فى نعمة فأتمنى زوالها عنه .. واعمل فى سبيل ذلك .. ولكن هل للحسد علاقة بالعين .. علاقة مادية .. أو ان الأعمى لا يستطيع ان يحسد مثلا .. هذا خطأ شائع .. فالأعمى والمبصر كلاهما يستطيع الحسد .. أى تمنى زوال النعمة عن شخص آخر .. فالحسد متعلق بإرادة الحاسد وليس ببصره .. والانسان الذى يحسد .. يفعل ذلك اختيارا .. فانت لست مكرها على الحسد .. ومكان الحسد هو القلب وليس العينين

ولكن الذى يحسد .. لا يفهم معنى النعمة .. فالنعمة من الله سبحانه وتعالى ولا يوجد عبد تأتى اليه بعلم منه .. بل أن الله

سبحانه وتعالى يفتح الابواب امام من يشاء ويجعلها صعبة أو مستحيلة امام من يشاء .. تلك حقيقة يجب أن نفهمها .. النعمة من الله .. وللإبقاء على النعمة عليك ان تردد قول الله تعالى : « ماشاء الله لا قوة الا بالله » .. في هذه الحالة تنتقل النعمة الى واهبها الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى فيبطل الحسد .

ومرة أخرى يجب ان نتذكر ان الله سبحانه وتعالى .. قد وضع تكافؤ الفرص في الكون .. وليس معنى انه ميسر لك في الرزق .. او في الجاه والسلطان .. انك تملك اسباب الجاه والسلطان والتمتع .. فهناك من يملك المال وهو عاجز عن التمتع به .. وقد تضع امامه أشهى الاطعمة ولكنه لا يستطيع ان يمد يده الى لقمة واحدة مما امامه .. لما يعانيه من مرض .. وقد تأخذه الى أجمل بقاع الدنيا ولكنه يجلس فيها حزينا كئيبا .. لا يحس بالجمال حوله .. وقد يعيش في قصر كبير .. ويكون حارس هذا القصر لو من يخدم فيه أكثر تمتعا من صاحب القصر نفسه .. أكثر تمتعا بالحياة والجمال في هذا القصر .. الى آخر ما نراه في الدنيا كلها .. وقد يجعل الله الانسان الذي يملك كل اسباب الدنيا محتاجا الى من هم ادنى منه .. وربما حاجة تنقص عليه حياته .

والفرص المتساوية قد تخفى علينا ونحن نبحث عن المال والجاه .. ولكننا يجب ان نعلم ان الله سبحانه وتعالى قد وهب انسانا نعمة المال .. وانسانا نعمة الصحة .. وانسانا نعمة البركة .. وانسانا نعمة اليسر في الرزق .. ومن فقد شيئا عوضه الله عنه بأشياء .. ففاقد البصر له اذن مرهفة تعوضه عما فقد .. وفاقد الحركة قد يعطى ذكاء خارقا يجعله أعلى بكثير ممن يتحركون في الحياة .. والاشياء هنا تمضي بمقدار .. فاذا كانت الفرص غير متكافئة ظاهرا فذلك لا يخل بتكافؤ الفرص في الحقيقة فربما يتمتع انسان عاجز عن شيء بعطف الناس كثيرا مما يجعله ميسرا في حياته عن كثيرين

● معنى الحسد

والحسد هو تمنى زوال النعمة .. وهذا التمنى قد يأتي بان تعمل انت على تعطيل الاسباب التى تؤدى للنعمة ظاهرا .. كأن يكون لانسان ارض وافرة الانتاج كثيرة الرزق تحسده عليها .. فتأتى وتفرقها أو تقلع الزرع منها .. أو يكون لانسان بيت جميل أو سيارة فاخرة فتأتى لتحرقها .. وقد يكون هذا التمنى بالدعاء دون الفعل .. أو يكون من داخل النفس بحيث يؤثر على المحسود ... فيوجد فى داخله ما يؤرق عليه حياته بمجرد احساسه أن هناك من يتربص به ويتمنى زوال نعمته ويعمل على ذلك .

واذا كان للحسد أشكال مختلفة . كما للسحر .. فان الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بهما .. وما دام الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بهما .. فهما موجودان فى الكون .. ولا يمنع وجودهما انهما شيان غير ماديين لا يمكن أن نضعهما فى العمل ونجرى عليهما التجارب العلمية .. فما هو فوق المادة وما لاراه العين موجود فى الكون لا يستطيع احد ان ينكره ولقد تعرضنا لهذه النقطة بالتفصيل وشرحنا ان هناك أشياء لم تكن نعلم بوجودها فى الماضى نراها الآن رؤيا العين .. وأشياء لم تكن فى قدرة العقل البشرى منذ مئات السنين قد اصبحت الآن فى قدرة هذا العقل . يستطيع ان يدركها ويستوعبها كحقائق موجودة ولموسة .. والانسان سواء مارس السحر .. أو كان حاسدا .. فكلاهما معصية لله سبحانه وتعالى .. فممارس السحر يريد أن ينتهى بان يحقق لنفسه خيرا .. ولكنه ينتهى وقد احاط به الشر من كل جوانبه .. واصبح الخير ممتنعا تماما .. والحاسد يتمنى زوال نعمة غيره . وهو فى هذه الحالة لن يستفيد شيئا .. فالذى يفرق زراعة غيره أو يهلك أرضه .. أو يحرق بيته .. لن يعطيه الله هذه الارض أو هذا البيت .. وهو فى الحقيقة ظالم لنفسه .. أى انه لم يعطها شيئا تنتفع به .. ولو شيئا عاجلا .. ولكنه فى نفس الوقت اعطاها الاثم الذى يوردها مورد الهلاك فى الدنيا والآخرة .. وكان الاخرى بالحاسد ان يعرف

ان النعمة من الله سبحانه وتعالى وان الله عنده خير كثير .. وانه يستطيع ان يعطى كلاً منا ما يريد دون ان ينقص ذلك من ملك الله شيئاً .. ومن هنا فكان الاخرى به ان يتجه الى الله سبحانه وتعالى ليطلب منه ما يشاء .. ولكنه بدلاً من ذلك يتمنى زوال نعمة الغير .. ولو ان هذا المال .. أو الجاه .. أو السلطان .. أو الصحة سيذهب الى الحاسد لقلنا ربما يبحث عن نفع عاجل .. ولكن الحاسد أول من يعلم انه لا يصله شيء من هذا .. وهو في تصرفه انما ينسب النعمة الى المنعم عليه .. ولو انه كان مؤمناً حقاً لنسب النعمة الى خالقها .. ولعرف ان الله سبحانه وتعالى هو الذى اعطى .. فكان الحسد هو اعتراض من الحاسد على ارادة الله سبحانه وتعالى فى ان يهب نعمة لمن يشاء .. والاعتراض على الارادة هنا .. نوع من الكفر .. فهو لا ينكر ان الله هو المنعم فقط .. ولكنه يعترض على الارادة التى اعطت النعمة .

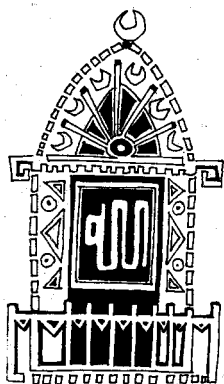
والحقيقة ان حسد النعمة قد لا يصيب الا الحاسد بحسده .. فمادام المنعم عليه يستعين بالله سبحانه وتعالى .. وينسب النعمة الى المنعم نفسه وهو الله لا يصيبه شيء .. ومادام لم يغتر وقال « انما اوتيته على علم عندى » ويفسد فى الارض فانما النعمة تبقى مادامت منسوبة الى المنعم .. وتزول عندما ينسبها الى نفسه .. فالانسان الذى يقف متباهياً بغيره ويقول أنا فعلت هذا بذكائى وقدرتى .. يقول له الله سبحانه وتعالى مادمت قد أشركت معى شريكاً هو ذاتيتك وذاكائك فانا أغنى الشركاء عن الشرك ويتركه فتزول عنه هذه النعمة وتذهب لانه بذاته لا يستطيع ان يحقق شيئاً .. ولكن ما يحققه هو بفضل من الله الذى يوفقه ويهديه .. وينير له الطريق .. ويمنحه الاسباب التى تجعل هذه النعم خاضعة له .. ولوزالت بركة الله من المال لذهب فيما لا ينفع .. ولو زالت بركة الله من الصحة لكان هناك المرض .. ولو زالت بركة الله من اسباب الرزق لاصبحت هذه الاسباب لا تعطى شيئاً رغم كل الجهد الذى بذله ويبذله الانسان .

ويجب ان نعلم ان الناس فريقان .. فريق معتمد على الله ..
 ينسب الفضل دائما لله .. وهذا الفريق لاتزول عنه نعمه ..
 ولا يضره سحر .. ولا يحسد ماله حاسد .. لانه محاط بسياج من
 الله سبحانه وتعالى .. وفريق آخر ينسب الفضل لنفسه وهؤلاء
 انما يصيبهم زوال النعمة وغيرها لانهم قد نقلوا القيد من الله
 سبحانه وتعالى الى قدرة البشر .. وفرق هائل بين القدرتين ..
 أذن فالله يطلب منا سبحانه وتعالى أن نستعيز به من اشياء ..
 وهذه الاشياء ان لم تكن شرا مطلقا فهي شر لنا .. ومادام الله سبحانه
 وتعالى يطالبنا ان نستعيز به من هذه الاشياء فهو يعلم ان قدراتنا
 لا تستطيع ان تواجهها .. لاننا لانعلم شيئا عن قوانينها ..
 فالشياطين مثلا ترى الانسان وهو لا يراها .. وكذلك الجن ..
 وجهلنا بقوانين هذه المخلوقات وعدم رؤيتنا لها .. يجعلنا عاجزين
 عن ان نواجهها بقدرات الدنيا .. وفي هذه الحالة طلب منا الله
 سبحانه وتعالى ان نلجأ اليه فيمنع عنا بقدراته هذه الاشياء ..

والسحر هو خداع للبصر واسترهاب للنفس .. أما بقوانين
 الارض .. واستخدام الجماعم والاصوات المزعجة .. وخفة اليد
 والحيلة .. واما بقوانين الجان بالتشكل .. ولكنه لا يغير طبيعة
 الاشياء .. والله سبحانه وتعالى حين طلب منا ان نستعيز به من هذه
 الشرور كلها .. ورفع القدرة والامر اليه .. فهو دليل على انها فوق
 قدرة العلم البشرى .. فلا نجادل فيها بطريقة معملية مادية ..
 وانما نأخذها على أساس اخبار الله لنا بها .. خصوصا وقد عرفنا
 أنها غيب عنا .. وكل انسان مهما بلغ من العلم .. يجد في نفسه
 استجابة لهذه الاشياء .. وعليه أن يستعيز بالله منها .. ومادام
 الشيء قد خرج عن علم البشر .. ومادام ليس في قوتك ان تدفعه
 عنك .. فإن الله سبحانه وتعالى يطلب منك أن ترفع الامر اليه ..
 فيواجهه هو بقدراته ..

وهناك كلمة أخيرة .. ان شر ما يصيب النفس البشرية هو
 الوسوسة .. أى الاستماع الى اغراء الشياطين وقوى الشر ..
 وليس معنى ان الله أخبرنا بهذه الاشياء ان يدخل الخوف والوسوسة
 الى قلوبنا .. بل معناه أن نحسب باطمئنان كامل لقدرة الله، واننا معه
 فى امان تام .. لان الله يدافع عنا .. ولا يدخل الى قلوبنا لحظة أن هناك
 قوة أو قدرة تستطيع أن تجب قدرة الله سبحانه وتعالى .. مهما
 كانت .. وان رحمة الله قد اصابتنا حين نستعيز به من هذه الاشياء
 .. فهذا العلم الذى انزله الله لنا هو سياج الأمن الذى يحفظنا من
 كل سوء .. ويبعد عنا كل شر .. ولا تصدق دجالا .. أو أفاقا ..
 يوهمك أنه يستطيع ان يؤذيك او يضرك .. وانت محاط بسياج من
 قدرة الله .. وحتى أولئك الذين أوتوا العلم بهذه الاشياء .. انما
 أوتوا الشر الذى يحيط بهم وينهى حياتهم أسوأ نهاية .

على أن بعض الناس يتعلق بالاسباب وحدها .. ويعتقد أن الله
 سبحانه وتعالى قد خلق الكون ووضع له قوانين .. ثم تخلى عنه
 .. ولكن هذا غير صحيح .. فالله سبحانه وتعالى قائم على ملكه الى
 يوم القيامة .. وطلاقة القدرة باقية فى الكون مع الاسباب ..
 وهذا حديثنا فى الفصل القادم .



طلاقة القدرة في الكون

الله سبحانه وتعالى خلق ما في الأرض جميعا .. وخلق لها
الاسباب التي تتفاعل بها .. والقوانين التي تحكمها .. والله
سبحانه وتعالى حين قال « كن » .. تم الخلق في نفس اللحظة ..
ولكن الاسباب تفاعلت في السموات والأرض في ستة أيام .. وهي
ستة أيام كأيام البشر لأن القرآن يخاطب الانسان .. ومن هنا فان
كل ما يتحدث عنه موجه الى القدر البشرى .. والعقل البشرى ..
سواء اكان ذلك حاضرا أم مستقبلا مما يخفى على عقولنا الآن .

ولكن هذه القوانين والاسباب لا يمكن أن تكون قيда على طلاقة
القدرة .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو قضى بالاسباب وحدها في
الأرض .. لعبد الناس الاسباب .. ونسوا المسبب أو الخالق ..
لذلك بقيت طلاقة القدرة لتلفت الناس الى أن الذى خلق الاسباب
لا تقيده هذه الاسباب في قدرته .. وأنه يفعل ما يشاء .. عندما
يشاء .. وقتما يشاء .. لذلك نجد انسانا يكذب ويكدر كثيرا ..
ومع ذلك فهو ضيق الرزق .. وانسانا آخر يعمل قليلا ومع ذلك
فرزقه وفير ..

وانسانا ضعيفا ينتصر بقدرة الله على انسان قوى ظلمه .. تلك ليست القاعدة .. فالقاعدة هي الأسباب .. ولكن طلاقة القدرة .. تأتي .. وتأتي بشكل ظاهر لتلفت الناس الى قوة الله وقدرته .

ان هذا الحديث لا يعجب أناسا كثيرين من أولئك الذين تعلقوا بالحياة المادية .. ذلك لأنهم ينسبون الى الاسلام انه دين يحض على التخلف بسبب الايمان بطلاقة القدرة .. ويقولون ان قول الله تعالى « يرزق من يشاء بغير حساب » .. هو مدعاة لئلا يسعى الانسان فى الرزق .. فما دام الله يرزق من يشاء بغير حساب .. فلماذا العمل والتعب .. ولماذا السعى وراء الرزق .. مع ما يورثه للنفس من مشقة ومما تكره .. وقبل أن نجيب على هذا السؤال .. نطرح قضية هامة معاصرة .. تفتيق هؤلاء الناس الى صدق قول الله وتجعلهم يعرفون يقينا صدق الآية الكريمة « يرزق من يشاء بغير حساب » .. هؤلاء الذين يطعنون الدين فى هذه الآية .. يعبدون الاسباب ويتخذونها الها .. فكل رزق مساو للعمل الذى يتم من أجله .. فأنت اذا عملت ليل نهار .. زاد رزقك .. واذا عملت بضع ساعات مثلا قل رزقك .. وهكذا .. تلك هي القاعدة التى يتبعونها فى أن كل رزق يجب أن يكون مساويا للعمل الذى يتم من أجله .

نقول لهم .. ان هذا قد يكون صحيحا كقاعدة عامة .. ولكنه لا ينفى قول الله تعالى « يرزق من يشاء بغير حساب » .. ولنلاحظ فى الآية الكريمة قول الله « من يشاء » .. ولم يقل سبحانه وتعالى أرزق كل الناس بغير حساب .. بل لكل رزق معلوم على قدر ما أتاحه الله من عمل وجهد له .. ولكن هناك المشيئة .. أو طلاقة القدرة .. تعطى بغير حساب .. أو بغير أسباب .

واذا نظرنا الى دول البترول .. تلك التى تملك القوة الحقيقية فى المال أو فى الرزق فى العالم أجمع .. اذا نظرنا اليهم .. نجد أنهم أكثر الناس رزقا أو مالا .. بل هم قد فاقوا فى الرزق تلك

الامم التي فاقتهم في العمل والعلم .. وأصبحت تتجه اليهم ليدعموها في الرزق .. فأمريكا وأوروبا الغربية من أكثر الدول عملا وعلما .. ولكنها في اقتصادها تتجه الى دول البترول لتقترض منها البلايين .. لتدعم اقتصادها .. وتحاول أن تجذب أموال دول البترول لتستثمر في بنوكها .. بل أن دول البترول تستطيع أن تغلس أكبر دول العالم كأمريكا وألمانيا الغربية واليابان .. اذا هي سحبت دعمها الاقتصادي لها .. وأوقفت مشترياتها منها .

اذن من الذي يملك القوة الاقتصادية الحقيقية في العالم .. أنها دول البترول .. فهي التي تملك المال أو الرزق حقيقة .. وهي التي تستطيع أن تتحكم ليس في رزقها فقط .. ولكن في اقتصاد العالم كله .. وذلك بشهادة كل الماديين وغير المؤمنين في العالم .

● يوروق من يشاء

بقي بعد ذلك الشق الثاني من السؤال .. وهو اذا كانت دول البترول قد وصلت الى هذا المركز الذي يتحكم في اقتصاد العالم أجمع .. فلا بد أنها قدمت حسب النظرية المادية من العلم والعمل ما يفوق ما قدمته دول العالم أجمع .. ولكن هذا غير صحيح .. فهذه الدول تقدم علما وعملا .. بل ان اكتشافات البترول قامت بها شركات غربية من الدول التي تخضع الآن اقتصاديا لدول البترول .. أى أنه حتى العمل القليل الذي تم .. تم بواسطة خبراء .. جاءوا وبحثوا .. وآلات ومعدات تكنولوجية استوردت من دول أخرى .. فكيف ، اذا لم يكن لله سبحانه وتعالى « يوروق من يشاء بغير حساب » .. كيف يمكن تفسير ما هو حادث .. لو أن القاعدة على إطلاقها أن الأسباب هي التي توجد الرزق لما كان ذلك يمكن أن يحدث .. ولما كانت دول البترول تستطيع أن تكون أكبر قوة اقتصادية في العالم .. وفي زمن قياسي .. لا يستطيع العمل والعلم خلاله أن يحدثا ذلك .. فلكي تتطور دولة .. أو عدة دول .. لتصبح أغنى دول العالم .. فان ذلك يتطلب بجانب العمل والعلم فترة زمنية طويلة .. ولكن هنا .. لا الزمن .. ولا العلم .. ولا العمل

تتناسب مع الرزق .. اذن من الذى أوجد هذا الرزق .. اه سبحانه وتعالى مصداقا للآية الكريمة « يرزق من يشاء بغير حساب »

هنا يجب أن يتوقف الحكم المادى الغربى الذى يأخذ الاسباب على اطلاقها .. والذى يطمئن فى الآيه الكريمة « يرزق من يشاء بغير حساب » .. ويدعى أنها لا تتمشى مع تطورات العصر .. وتقدم العلم ومقاييس الزمن .. نقول له قبل أن تتسرع فى اتهامك .. تأمل فى الكون .. تجد فى كل مكان رزقا لمن يشاء الله بغير حساب .. هذا الرزق يلقي بالاسباب بعيدا .. لتأتى طلاقة القدرة وتعلم أن الله يفعل ما يشاء .. عندما يشاء .. وقتما يشاء .. وأنه اذا كانت الاسباب موجودة .. فان طلاقة القدرة موجودة فى الكون .. وأعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يرد على هذه النقطة .. او يدعى ظلما وبغير حق أن الآيه الكريمة « يرزق من يشاء بغير حساب » .. ليست حقيقة كونية .. موجودة منذ خلق الله الأرض .. وستظل الى قيام الساعة .. ونحن نطلب من كل من يستطيع الرد على ذلك أن يتكلم ..

نعود بعد هذه اللحمة الى طلاقة القدرة .. لماذا أبقى الله سبحانه وتعالى طلاقة القدرة فى الكون ولم يتركه يتفاعل بالاسباب وحدها .. الذى حدث .. أن الاسباب .. أو المعطيات المادية .. تعطينا ظاهر الحياة .. وتنظم سيرها العادى .. ولكن ابقاء هذه الاسباب وحدها فيه بعد عن الله سبحانه وتعالى .. ذلك أن الله قد مكن بعض خلقه من الاسباب فى الأرض .. ليسير الكون .. وتمضى الحياة .. فهذا رئيس للدولة .. وهذا ميسر له اسباب النفوذ والسلطان .. وهذا ميسر له اسباب المال .. الى آخر ما نراه فى الدنيا كلها .. وجعل الله العطاء ظاهرا من الاسباب ليسير الكون .. ثم ماذا حدث .. جاء الى الكون اناس ماديون .. يحاولون أن يضلوا عن سبيل الله بالاخذ بالاسباب وحدها .. فهذا يملك المال وهو يستطيع منحى ما أريد اذا فعلت له ما يطلب .. وهذا يملك الجاه والسلطان

.. وهو يستطيع أن يعطينى منه ما أريد اذا فعلت له ما يطلب ..
وهكذا ظاهر الحياة الدنيا .

هب أن هؤلاء الناس لا يخشون الله .. أنهم قد طلبوا منى أن
أفعل ما يغضب الله من أجل منصب .. أو جاه .. أو مال .. فماذا
يكون الموقف .. لو كنت أعبد الأسباب وحدها لنفدت لهم ما يريدون
.. لأصل الى حاجتى .. أو ما أريد .. فاذا قال لى صاحب المال
.. أو صاحب النفوذ والسلطان اقتل وسأعطيك كذا وكذا ..
لفعلت ذلك بلا تردد .. احساسا منى بأن عطاء الأسباب فى يد هذا
وحده .. وأن معصيته ستؤدى بى الى التهلكة وتحرمنى من مقومات
الحياة .. وان طاعته ستجعلنى أعيش الحياة الرغدة التى أتمناها
فى الدنيا .. وبهذا .. وبغير ما نظر الى ما قال الله افعل ولا تفعل
.. أنطلق أنا لأحقق هوى وشهوات .. ذلك الذى يملك المال أو
الجاه أو السلطان .. ولو كانت تغضب الله .. وتمضى الأسباب
لتؤدى الى عبادة الفرد .. حيث يصبح الهوى الشخصى .. والغرض
البشرى .. هما الأساس فى الحياة .. فيفسد الكون كله ..
ولا تمضى الحياة وفقا لمنهج الله الذى يحمى الانسان الضعيف من
بطش القوى .. والمظلوم من قدرة الظالم .. ولكنها تكون حياة وفقا
لهوى النفس .. فيصبح الذى يحكم هو شهوة الحاكم وليس دين
الله ..

هذه هى خطورة الأخذ بالأسباب وحدها .. وهى خطورة تعرض
الكون كله للاختلال .. وتضيع موازين العدل .. وتكثر من البغى
فى الأرض والفساد .. وما من أمة عبت الفرد الا وانتشر فيها
الظلم .. وعم فيها الارهاب .. وضاع فيها الحق واستعبد فيها
الانسان .. تلك حقيقة تستطيع أن تدركها اذا نظرت الى أى دولة
نصب حاكمها نفسه الها .. يعبد من دون الله فى الأرض .. وهى
حقيقة منذ بدء التاريخ فى عهد فرعون حتى عصرنا هذا .. والله
سبحانه وتعالى قد شدد العذاب على أولئك الذين يعاونون هذا
الحاكم .. ويفعلون له ما تهوى نفسه ويغضبون الله سبحانه وتعالى

٠٠ فخص آل فرعون دون سائر خلقه بأنهم منذ ساعة أن توفاهم حتى يبعثهم يوم القيامة يعرضهم على النار صباحا ومساء ٠٠ فقال سبحانه وتعالى :

« النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » ٠٠

أى أنه لم يختصهم فقط بأشد العذاب يوم القيامة ٠٠ بل زادهم بالعرض على النار غدوا وعشيا الى يوم البعث ٠٠ وتشديد العذاب هنا متناسب مع شدة المعصية ٠٠ فعبادة الفرد هى اطلاق للشهوات والظلم والافساد ٠٠

● الاسباب وحدها ٠٠ لا

اذن فاطلاق الاسباب وحدها فى الكون ٠٠ يؤدى الى عبادة الفرد ٠٠ والى ظلم عظيم ٠٠ ويجعل الناس يعبدون الاسباب ٠٠ وينسون المسبب ويخضعون لمن فى يده الملك والسلطان ٠٠ والجاه والمال ٠٠ ويتركون حكم الله ٠٠ لماذا ٠٠ لأن الاسباب هنا ٠٠ هى التى تعطى ٠٠ وهى التى تهب ٠٠ وما يهب ظاهرا يعبد به الناس ٠٠ لانه ظاهرا يعطى ويمنع ٠٠ ومن هنا كان لا بد من طلاقة القدرة لتصحيح المسيرة ٠٠ وتقيق الناس ٠٠ وتجعلهم يعلمون أن الله هو الذى أعطى الاسباب ٠٠ وأنه يستطيع كما أعطاها أن يأخذها ٠٠ وأن العبادة لله وحده ٠٠ وأن من ترك المسبب وعبد الاسباب ٠٠ فانه قد ضل ٠٠ ونسى الله ٠٠

ولذلك فنحن نتعجب من انسان يملك أمور الدنيا كلها من قوة وجاه ومال وسلطان ٠٠ ثم يأتى انسان ضعيف لا حول له ولا قوة فيقصيه عن ملكه ويبعده عن ماله ٠٠ ويصبح ذليلا طريدا ٠٠ تضيق عليه الأرض بما رحبت ٠٠ بعد أن كان يملك من أسباب القوة والملك ما يجعل الدنيا كلها تخضع له وتتقرب اليه ٠٠

ونحن نرى كل يوم طلاقة القدرة فى العالم كله من ملك يذهب ٠٠ وملك يجىء ٠٠ ومن صاحب سلطان أو مال ٠٠ يصبح

فقيرا معدما أو مطرودا فى ساعات ٠٠ ومن ذلك الذى كان يجلس على كرسى الوزارة ٠٠ ثم بعد ذلك بساعة نجده فى السجن والقيود فى يديه ٠٠ كل ذلك يحدث أمامنا ليذكرنا بطلاقة القدرة وقوة المشيئة ٠٠ ويؤكد لنا أن الأسباب التى أعطيت لآى بشر ٠٠ لتمكن له ملكا ٠٠ أو جاها ٠٠ أو سلطانا ٠٠ إنما هى أسباب معطاة من الله سبحانه وتعالى ٠٠ وليست باجتهاد هذا الشخص أو نابعة من ذاته ٠٠ بحيث اذا أراد الله ٠٠ زالت هذه الأسباب ٠٠ ولو كانت الأسباب ذاتية ٠٠ أى تنبع من الانسان نفسه لبقيت له ٠٠ ولم يستطع أحد أن يأخذها منه ٠٠ ولكن كونها تزول عنه وفى لحظات دليل على أن الله سبحانه وتعالى هو الذى وهبه هذه الأسباب ٠٠ وهو الذى أخذها منه .

ولا تقتصر طلاقة القدرة على قمة الأمور فى الدنيا ٠٠ بل هى فى أكبر الأشياء وفى أبسط الأشياء ٠٠ ولا تقتصر على فرد دون آخر ٠٠ بل يراها الجميع ٠٠ وكل منا صاح فى يوم من الأيام (ربنا كبير) ٠٠ أو (ربنا موجود) ٠٠ أو (ربك يمهل ولا يمهل) وهو يرى طلاقة القدرة تتدخل لتنصر مظلوما ضعيفا على ظالم قوى ٠٠ أو تقتص من انسان ارتكب جريمة وحسب أنه نجا من العقاب ٠٠ أو لتعيد حقا ضاع من صاحبه وحسب الناس أنه ضاع الى الأبد ٠٠ أو لتزيل ظلما ٠٠ أو لتقعد جبارا كان يؤذى الناس لتجمله عاجزا عن رد الأذى عن نفسه ٠٠ تلك كلها طلاقة القدرة وكلمة (يارب) التى تخرج من قلب مظلوم لا حول له ولا قوة يتبعها تدخل السماء لتزيل ظلما وتعيد حقا ٠٠ وتصحح الموازين فى الأرض ٠٠ وإذا كانت طلاقة القدرة باقية فى الكون ٠٠ فأساس بقائها أنها تذكرنا بالله سبحانه وتعالى ٠٠ فاذا وعدك ظالم بأخذ أسباب المال مقابل أن تفعل له ما يغضب الله فان طلاقة القدرة تذكرك بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب ٠٠ وأنت اذا عصيت هذا الظالم وأطعت الله ٠٠ فان الله يعطيك من الرزق ما لا يخضع للأسباب ٠٠ ويفتح لك أبوابا ما كنت تدري عنها شيئا ٠٠ ومن حيث لا تعلم يأتيك الرزق الذى تريده ٠٠ واذا طلب منك صاحب جاء أو سلطان أن

تفعل ما يفضب الله فان طلاقة القدرة تذكرك بانك اذا اطمت الله أعطاك هذا المنصب أو خيرا منه .. وأنه اذا كان هذا الانسان يملك الأسباب التي تجعلك تخاف ألا تصل الى ما ترجوه .. فان الله سبحانه وتعالى يملك طلاقة القدرة التي تعطيك بلا حساب .. وبهذا تعرف جيدا أن من يغريك : هذا بماله .. وهذا بسلطانه .. هما سببان زائلان .. وأن طلاقة القدرة لا يهمها هذه الأسباب .. ولا تتقيد بها ..

● الله يذكرنا بقدرته

عل، أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة القدرة غيبا عنا .. ولا جعلنا نجهلها ولا نعرف عنها شيئا .. بل ذكرها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم .. بحيث نجد في كل سورة اشارة الى طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. فاذا قرأت قوله تعالى « يختص برحمته من يشاء » .. « يعذب من يشاء » .. « يغفر لمن يشاء » .. « يهدي من يشاء » .. « يفضل من يشاء » .. « يرزق من يشاء » .. « يعز من يشاء » .. « يدل من يشاء » .. « يؤتي الملك من يشاء » .. « ينزع الملك ممن يشاء » .. « ان الله على كل شيء قدير » .. نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أعطانا طلاقة القدرة في هذه الآيات وفي عشرات من الآيات الأخرى في القرآن الكريم .. وليست هذه الآيات الا مثلا فقط على أن طلاقة القدرة يشار اليها في القرآن الكريم في أكثر من موضع .. ولو قرأت القرآن لوجدت أضعاف أضعاف هذه الآيات تنبئنا بطلاقة القدرة .. على أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة قدرته سرا على عباده .. بل أنبأهم بطلاقة هذه القدرة ووجودها .. ولعل الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى « انها امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » .. هو قمة طلاقة القدرة .. ذلك أن هذه الآية تنبئنا أنه ليس عند الله أسباب .. وأنه اذا كان قد خلق الأسباب لتنظم الحياة على الارض فهي ليست قيда على مشيئته سبحانه وتعالى .. ولو كانت قيدا لقال لنا الله أنه اذا اراد شيئا هيا له الأسباب ليكون .. ولكن كلمة « كن » معناها أنه لا دخل للأسباب

هنا ٠٠ وأن الشيء يوجد بمجرد قول الله سبحانه وتعالى « **كن** » ٠٠
فيكون ، دون أسباب أو مسببات ٠٠ وخلق السموات والأرض وما
فيهما كان بكلمة « **كن** » ٠٠ وخلق الإنسان كان بكلمة « **كن** » والله
سبحانه وتعالى يقول « **يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** ،
ويقول : « **ويجعل من يشاء عقيما** » ٠٠ والحكمة هنا أنه رغم أن الله
سبحانه وتعالى قد جعل السبب في الذرية من ذكر وأنثى ٠٠ أى
أنه لا يتم الإنجاب إلا باجتماع الذكر والأنثى ٠٠ إلا أن طلاقة القدرة
تجعل من يشاء عقيما ٠٠ ٠٠ أى أنه رغم اجتماع الذكر والأنثى لا يتم
الإنجاب ٠٠ وتتوقف الأسباب أمام مشيئة الخالق ٠٠

هذا ما قاله الله سبحانه وتعالى عن طلاقة القدرة في القرآن الكريم
٠٠ فاذا جئنا إلى التطبيق ٠٠ وجدنا أن طلاقة القدرة ظاهرة واضحة
في الرسل عليهم السلام ٠٠ فمعجزاتهم كلها تأتي بطلاقة القدرة
وليس بالأسباب ٠٠ فنوح عندما دعا ربه أن يهلك الكافرين ٠٠
فتحت ينابيع من السماء والأرض ليتم الطوفان ٠٠ ولم تفتح هذه
الينابيع بالأسباب ٠٠ ولكنها فتحت بطلاقة القدرة ٠٠ وإبراهيم
عليه السلام حين ألقى في النار ٠٠ وخاصية النار هي الاحتراق ٠٠
قال الله سبحانه وتعالى « **يأنار كوني بردا وسلاما على إبراهيم** » ٠٠
فتوقفت خاصية الاحتراق في النار فأصبحت لا تحرقه ولا تؤذيه ٠٠
هنا أيضا طلاقة القدرة ٠٠ وموسى عليه السلام عاش مع طلاقة
القدرة طوال عهد نبوته ٠٠ نظرا للمعصية المستمرة لبنى إسرائيل ٠٠
فقد قال الله « **اضرب بعصاك البحر** » ٠٠ فانفلق ٠٠ وظهر قاعه
ووقف الماء الذي من خاصيته الاستطراق ٠٠ وقف ساكنا بعيدا عن
الأرض بقدرة الله سبحانه وتعالى ٠٠ وعبر موسى وقومه البحر ٠٠
وعندما حاول فرعون العبور عادت نظرية الاستطراق إلى الماء فأغرقت
هو وجنده ٠٠ وعندما استسقى موسى وقومه ٠٠ ضرب الحجر فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا ٠٠ ولو أن موسى عليه السلام قام بحفر حفرة
ليبحث عن الماء ٠٠ لقلنا أنه اتخذ الأسباب ٠٠ ولكن لمجرد ضربه

الحجر بعضا انفجر منه الماء .. لا عين واحدة .. ولكن اثنتا عشرة عينا .. ذهبت كل عين بمائها الى القوم الذين قسمها الله لهم .. ورفع الجبل فوق بنى اسرائيل وضربهم المليت بأجزاء من البقرة بعد ذبحها .. أى ضرب ميت بميت .. وتخرج منهما الحياة .. ويبعث القتيل ليدل على قاتله .

● هو على هين

كل هذه معجزات لا يمكن أن تدخل فيها الأسباب .. بل هنا تتجلى طلاقة القدرة فى أن يقول للشئ « كن فيكون » .. ثم تأتى بعد ذلك طلاقة القدرة فى زكريا ومريم .. حينما دعا زكريا الله أن يهبه غلاما « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى » « يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » .. هنا أخذت زكريا طلاقة القدرة فاحترز .. وسأل الله سبحانه وتعالى كيف يمكن أن يحدث ذلك وهو شيخ كبير وامراته عاقر أى أن الأسباب اذا طبقناها هنا لا يمكن أن تؤدى الى مولد طفل .. حينئذ رد الله سبحانه وتعالى عليه « هو على هين » وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ، .. أى أن الله سبحانه وتعالى ذكر زكريا بطلاقة القدرة فقال له لا تعتقد أن هناك شيئا صعبا على لأن الأسباب لا تأتى به .. بل من أهون الأشياء على قدرتى أن أفعل ما أريد .. ويتم ما أشاء بدون أسباب .. واذا كان هذا صعبا على فهمك .. فتذكر خلقك .. « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » .. فاذا كانت قدرتى أن أوجد من العدم .. أفلا أستطيع أن أخلق بلا أسباب .

وعندما دخل زكريا المحراب على مريم وجد عندها رزقا .. أى فاكهة فى غير أوانها .. فسألها « أنى لك هذا » أى من أين أتيت بهذه الفاكهة وهذا الطعام .. فقالت « هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .. اشارة الى أن طلاقة القدرة لا يستصعب عليها شئ ..

بل ان خلق المسيح عيسى بن مريم كان من طلاقة القدرة .. والله

سبحانه وتعالى خلقه من لا شيء .. وخلق حواء من آدم .. أى أننى
من ذكر بلا أننى .. وخلق من ذكر وأننى .. ولاتمام مراحل الخلق
بقى أن يتم الخلق من أننى بدون رجل .. وقد تم ذلك فى عيسى
ابن مريم عليه السلام .

فإذا انتقلنا بعد ذلك الى الاسراء والمعراج نجد أنها معجزة كبرى
دالة على طلاقة القدرة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به من
مكة المكرمة الى بيت المقدس .. حيث صلى بالأنبياء .. وهى طلاقة فى
القدرة أن يصلح حتى بأولئك الذين انتقلوا الى جوار ربهم منذ مئات
السنين .. ثم بعد ذلك انطلقت به طلاقة القدرة ليخترق السموات
السبع .. ويصل الى سدرة المنتهى .. وهذا الانطلاق كان فيه تغيير
لطبيعة الأشياء حتى يمكن لرسول الله أن يصل الى سدرة المنتهى ..
بل ان الوحي نفسه من طلاقة القدرة أن يلتحم الملك بانسان ليتم
نبليخ القرآن الكريم .

كل هذه الأشياء فى مجموعها .. هى تطبيق حى لطلاقة قدرة
الله سبحانه وتعالى .. فالله لم يذكر لنا طلاقة القدرة فى القرآن
الكريم .. دون أن يعطينا أمثلة على التطبيق .. متواكبة على رسله
.. تؤيدهم هذه القدرة بالمعجزات التى رواها لنا القرآن الكريم .
على أن طلاقة القدرة لم تتوافر للرسول وحدهم .. بل هى فى كل
جزء من الحياة .. وإذا أردنا أن نتأمل طلاقة القدرة فى مظاهر الدنيا
.. فلنأخذ قول الله سبحانه وتعالى :

« ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها .
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم . واما
الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا . يفضل به
كثيرا ويهدى به كثيرا وما يفضل به الا الفاسقين »

إذا تأملنا هذه الآية الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى ضرب مثلا
ببعوضة ، والمثل هنا كالأمثلة فى القرآن الكريم لا تضرب جزافا ..
ولكن بحكمة بالغة .. حين ضرب هذا المثل قال الكفار ماذا أراد الله

بهذا مثلا ولم يفهموا شيئا .. ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يضرب مثلا بدقة الخلق .. فان خلق البعوضة التناهية فى الصغر بكل الوظائف اللازمة لها فى الحياة .. دقة فى الخلق تستوجب خالقا قادرا .. فهذه البعوضة الصغيرة الحجم .. قد جعل الله فيها كل أسباب الحياة .. وما فوقها .. أى ما أصغر منها وأدق فى الخلق .. خلقه الله ووضع فيه أسباب الحياة .. واستمرار الحياة .

● لا تستهينوا بالخلق ..

وهنا حكمة بالغة .. ان الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا ألا نستهين بال مخلوقات الدقيقة التى خلقها لصغر حجمها وضآلتها .. بل انه كلما زادت دقة المخلوق كان بأسه شديدا .. وكلما زادت ضخامة المخلوق فليس هذا بالضرورة دليلا على القوة .. واذا أخذنا بهذه النظرية .. وعدنا الى بداية الخلق .. نجد مثلا أن الحيوانات الضخمة التى عاشت فى القرون الأولى على الأرض كالديناصور مثلا قد هلكت وانقرضت ولم تستطع أن تعيش العصر الجليدى الذى ساد الكرة الأرضية .. هذه الحيوانات المرعبة التى كانت تزلزل الأرض .. لم تستطع أن تتغلب على الطبيعة .. بينما البرغوث والنملة مثلا قد عبرا هذه العصور حتى عصرنا هذا .. ويقول العلماء وهم يفسرون هذه الظاهرة .. أن الحيوانات الضخمة فى أجسامها كانت تملك عقولا صغيرة .. لم تمكنها من التحايل على البيئة ولذلك هلكت .. هذا هو تفسير العلم .. ولكن التفسير الايمانى يقول .. أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن البقاء لا يخضع لعنصر القوة .. وانما يخضع لعنصر القدرة وأن الأشياء القوية .. أو ذات القوة الهائلة التى تظن أنها ستسود الأرض الى الأبد .. تأتى قدرة الله سبحانه وتعالى فتهلكها .. بينما تبقى الأشياء الصغيرة التى لا ترى بالعين المجردة .. كالفيروس مثلا الذى لا يستطيع أحد رؤيته حتى الآن لتناهى حجمه فى الدقة .. أقوى من الفيل والأسد وعقل الانسان وكل قدرات المخلوقات على الأرض .. فهو يستطيع أن يقضى على أى

من هؤلاء ، فالكل يقف عاجزا أمامه .. وهو يعيش ملايين السنين مع ضالة حجه وتناهيه في الصغر .. وهذه الفيروسات تستطيع أن تسلب الحياة من شعب بأسره .. ومن أمة تختال على الناس بقوتها .. فيسلط الله سبحانه وتعالى هذه الفيروسات التي لا ترى وتنتشر بين أفراد هذه الأمة كوابء يفنيها .. هنا طلاقة القدرة التي تعطى ذلك الشيء المتناهي في الصغر قوة هائلة تجعله يهلك أقوى الأقوياء في الأرض .. دون أن يستطيع القوى أن يفعل شيئا .. ويأتي ذلك لنؤمن بأن القوة هي لله فلا نفتر بقوتنا الظاهرية .. ونحسب أنه لا يوجد في الأرض من يغلبنا .. وأدق مخلوقات الله تستطيع أن تسلبنا الحياة في ساعات .. وفي ذلك قضاء على الغرور في النفس البشرية وتثبيت للايمان بأنها بدون قوة الله وتأيمده لا تساوى شيئا .

على أن الله سبحانه وتعالى .. قد أعطانا كل هذا لحكمة بالغة .. وأوجد لنا ما يثبت طلاقة قدرته علما وعملا .. وقولا وفعلًا .. حتى يعضى موكب الايمان في الحياة في نفوس مطمئنة الى قوة الله .. لا تزلزلها الأحداث .. ولا تشقيها الأسباب .

والنقطة الأولى في الحكمة البالغة في طلاقة القدرة هي ايمان بأن الله موجود اذا عجزت الأسباب .. وهذا الايمان هو الذي يبقى الانسان المؤمن مطمئنا الى أن الله سبحانه وتعالى لن يتخلى عنه مهما كانت الأسباب تقول ذلك .. واذا كانت الدول المادية التي لم يدخل فيها الايمان تعاني من شيء وهو الاحساس بالخوف واليأس من الحياة .. ورغم كل مافي هذه الدول من تقدم مادي .. وأمن وأمان .. فان كل فرد فيها يعيش في قلق يمزقه .. لماذا .. لأن كل انسان مادي يعبد الأسباب .. دون المسبب .. ويعتقد في القدرة البشرية دون قدرة الله سبحانه وتعالى .. فاذا فصل من وظيفته لا يقول اذا أغلق الله بابا للرزق أمامي فسيفتح لي عدة أبواب .. ولا يقول أن هذا ابتلاء من الله ليبتحنني ، وأن مع اليسر يسرا ، ولا يقول ان الذي آمنت

به وعبدته لن يتخل عنى أبداً .. فذلك منطق الايمان .. ولكن منطق
المادية يجعله يرى المستقبل أسود .. ويحس أن الدنيا أغلقت فى
وجهه .. وأنه لن يجد باباً للرزق .. وأنه قد انتهى تماماً .. ومن
هنا فهو يئسه من رحمة الله يلجأ فى كثير من الأحيان للانتحار ويصاب
بالجنون .. لماذا .. لأنه يعتقد أن البشر الذى منعه هو الذى يملك
كل الأسباب .. وأن الله سبحانه وتعالى لا يملك شيئاً .

وإذا مرض الانسان المادى .. بمرض ميثوس من شغافه .. فقد
الأمل فى المستقبل .. ولم يقل اذا عجزت الأسباب فان رحمة الله لن
تتخل عنى وسيجد لى سبيلاً للشفاء .. أو يقول أن الله سبحانه
وتعالى قادر على أن يشفينى حتى ولو عجزت الأسباب .. بل هو فى
عبادته للأسباب يتخذها الها ، فإذا عجزت الأسباب فان الهه قد تخل
عنه .. ولم يعد أمامه الا مصير أسود .

● نجاة للمؤمنين

الله سبحانه وتعالى .. يريد أن ينجى المؤمنين من هذه الحياة
الشقية .. فهو وعدهم بالحياة الطيبة .. والحياة الطيبة ليس فيها
الشقاء البشرى الذى تفرضه المادة على الانسان .. بل فيها رحمة الله
سبحانه وتعالى .. تلك الرحمة التى جعلت طفلاً كاسماعيل عليه
السلام .. يضرب الأرض بقدمه الصغيرة فيخرج ماء زمزم .. بعد
أن هزولت أمه عليها السلام بين الصفا والمروة سبعة أشواط وهى
تبحث عن الماء .. تأتى رحمة الله لتجعل الماء يخرج من ضربة بقدم
طفل صغير .. فيتشقق الصخر ويخرج منه الماء .

تلك هى المعجزة الكبرى التى يريدنا الله أن نعيش معها . فإذا
وقفت أمامنا الأسباب فأمامنا الطلاقة الكبرى .. نلجأ اليها .. ولذلك
قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : **امن يجب المضطر اذا
دعاه ،** .. وإذا تأملنا هذه الآية .. نجد أن الله سبحانه وتعالى
استخدم لفظ (المضطر) .. المضطر ذلك الذى تخلت عنه أسباب
الدنيا ووقف كل شئ حائلاً بينه وبين ما يريد .. حينئذ لا تجدى

الأسباب معه .. فيقول الله سبحانه وتعالى .. اذا تخلت عنك
الأسباب فلا تيأس ولا تعتقد أن كل شيء قد ضاع .. بل ارفع يديك
الى السماء وقل (يارب) وساعتها تفتتح أبواب السماء .. وتتدخل
القدرة .. لتحقيق لك ما تريد .

وهذا ليس غريباً عنا .. عن حياتنا العادية .. وليس كلاماً يقال
دون أن يكون له واقع فى الحياة .. فلو استعرض كل منا شريط
حياته لوجد أن فيه لملاقة القدرة .. كم منا واجه مشاكل بلا حل ..
وربما ظل ساهراً ليلالى طويلة .. يقلب عقله .. ويعمل فكره ..
ولا يستطيع أن يصل الى الحل .. ثم فجأة يتغير كل ما حوله ليجد
الباب مفتوحاً من حيث لا يدرى ولا يحتسب .. ويأتى الحل ميسراً
سهلاً من أشياء لم تكن نتوقعها .. ولا نظن أنها ستحدث .. كل منا
مر بذلك .. وكل منا رأى فى حياته مرة أو مرات قدرة الله سبحانه
وتعالى وهى تزيل ظلماً ما كان يحسب أن يزول .. أو تحل مشكلة
لم يكن يعتقد أن لها حلاً .. أو تأتى بشيء لم يكن يحلم به .. كل
هذا حدث لنا جميعاً .

يريد الله سبحانه وتعالى أن يملأ النفس المؤمنة برحمته .. بحيث
تواجه مصاعب الحياة وفى قلبها شعلة ايمان لا تنطفىء .. هذه
الشعلة هى أمل متصل بالله سبحانه وتعالى .. أمل لا ينطفىء أبداً
.. حينئذ يحس الإنسان المؤمن بأن كل الصعاب التى يواجهها لن
تقضى عليه .. ولا تمس أمنه وأمانه .. لماذا .. لأنه يتذكر قول
الله سبحانه وتعالى « هو على هين » .. فالصعاب مهما بلغت فهى على
الله شيء هين .. وهى أمام قدرة الله سبحانه وتعالى لا شيء .. فلا
يدخل اليأس الى قلبه أبداً .. ولا تحطمه الحياة فتدفعه الى الجنون
والانتحار .. ولعل ارتفاع نسبة الجنون والانتحار فى الدول المادية
.. وانخفاضها فى الدول التى تتمسك بالدين هما خير دليل على
الحياة الطيبة التى يعطيها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين .

والنقطة الثانية هى أن طلاقة القدرة تفسر لنا ما يحدث فى الكون من أشياء لا تتفق مع الأسباب .. فنحن نعيش فى كون تحكمه طلاقة القدرة مع الأسباب .. ولذلك فإننا نرى أحيانا أن انسانا يملك كل أسباب القوة من جيش وشرطة وأجهزة دولية .. ثم يأتى انسان ضعيف لا حول له ولا قوة .. فنجد قدرة الله سبحانه وتعالى تاتى الى هذا القوى فتزيله من مكانه .. وتأتى بهذا الضعيف وتضعه مكانه .. ذلك يحدث أمامنا فى العالم كل يوم .. ولو طبقنا الأسباب لقاتل عكس ما يحدث .. ولكن الأسباب شىء .. وطلاقة القدرة شىء آخر .

فاذا جئنا لأمة كافرة .. كالاتحاد السوفيتى مثلا نجد الله سبحانه وتعالى يسلط عليها ما يهلكها .. أحيانا بين يوم وليلة .. وأحيانا على فترة من الزمن .. فاذا نظرنا الى الاتحاد السوفيتى بعد أن كان هو مخزن الحبوب فى العالم .. وبعد أن كانت أوكرانيا تنتج من القمح ما يزيد عن حاجة الاتحاد السوفيتى بكميات هائلة .. نجد أن البركة قد رفعت منها .. وأصبح الاتحاد السوفيتى يستورد كميات كبيرة من القمح من الخارج .. ولا يجد رغيف الخبز الذى يقتات به .. وكذلك نجد فى كل الدول التى تحارب الدين .. تملؤها الكوارث .. ويذهب عنها الأمن والأمان .. ويصبح رزقها ضيقا .. وأمنها معدوما .. والشقاء يخيم على كل من يعيش فيها كل ذلك يتم بطلاقة القدرة دون الأسباب التى ربما قد تؤدى الى عكس ذلك .. بل أنه فى بعض الأحيان .. تقوم هذه الدول بمشاريع تجند لها دعايتها .. وتقول أن بها خيرا ويرا .. وأنها ستحقق الرفاهية والعيش الرغد .. ثم تتم هذه المشاريع فاذا بها تاتى بعكس ما قيل عنها تماما .. واذا بها وبال .. فى وبال .. فى وبال ..

وطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى تجعله هو الوحيد .. وتجعل كل ما حوله متغيراً .. وتأتى أنت لترى الدول الكبيرة التى لم تكن تغرب عنها الشمس وقد تضاءلت وربما انمحت من خريطة الكون .. وربما أصبحت عاجزة عن حماية نفسها .. مع أن الشعب هو الشعب لم

يتغير .. والقدرات هي القدرات لم تتغير .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى غير كل شيء .

● كل شيء له مولد

والنقطة الثالثة أن كل شيء فى الكون قد جعل الله له مولداً نرى
طلاقة قدرته .. فطلاقة القدرة هي التي تكشف اسراراً لكل جيل
أخفيت عن الجيل الذى سبقه .. فإله له عطاء جديد لكل جيل من
البشر .. وإذا أردنا أن نستطرد فى شرح هذه النقطة .. نقول أن
بعض الناس يعجزه تفكيره عن فهم تفسير الآية الكريمة « وإذا مرضت
فهو يشفين » .. وبعضهم لا يذهب الى الطبيب تطبيقاً لهذه الآية ..
والبعض الآخر يذهب إيماناً منه بأن الشفاء يحدث على يد الطبيب ..
ولكن الذى يحدث أن لكل شفاء أجلاً .. فإذا جاء الأجل أو الموعد
كشف الله للطبيب المرض فيتحدد الداء والدواء ليتم الشفاء .. والذى
يحدث عادة .. وهذا فى حياتنا كلنا .. أننا نذهب الى أشهر الأطباء
وأكثرهم علماً وفناً فلا يتم على يديه الشفاء .. ثم يذهب الى طبيب
صغير أو مبتدئ فيعرف الداء ويكتب الدواء .. ونحن حين يحدث هذا
نتعجب .. ذلك لأن الذى حدث يخالف الأسباب فى الأرض ..
فالمفروض أن الطبيب الأكثر علماً هو الذى يكتشف الداء بحكم علمه
وخبرته .. والطبيب المبتدئ لا يمكن أن يكتشف ما عصى على أستاذه
.. تلك هي أسباب الأرض .. ولكن الحقيقة .. أو ما يحدث ..
وما نشاهده جميعاً ونعرفه هو عكس ذلك .. والحقيقة أن علم
لطبيب المبتدئ لا يمكن أن يزيد عن علم أستاذه .. ولا خبرته ..
ولكن الذى حدث أن وقت الشفاء قد جاء .. فيسر لنا الله الطبيب
الذى عرف الداء وكتب الدواء .. وإذا لم نذهب نحن الى الطبيب
فأحياناً يحدث ذلك بطريق ما نسميه « الصدفة » وهو أن يجمعنا مكان
مع أحد الأطباء .. ويدور الحديث عن المرض ويقوم الطبيب بتشخيص
الداء وكتابة الدواء ..

وكما يقال عن المرض .. يقال عن كل كشف من أسرار الأرض ..
يريد الله سبحانه وتعالى أن يمكن منه خلقه .. فكل كشف له ميلاد

عند الله وفي علمه .. والذي يحدث أنه عندما يأتى وقت هذا الميلاد
أما أن يصادف هذا الكشف عالما يبحث عنه .. فيكشفه الله سبحانه
وتعالى له .. وإذا لم يصادف هذا الكشف عالما يبحث فى نفس
الموضوع كشفه الله سبحانه وتعالى لعالم يبحث فى موضوع آخر ..
ولذلك نرى كثيراً من الأبحاث العلمية التى تبدأ بالبحث عن كشف
ثم تنتهى الى كشف آخر مختلف تماماً .. لم يكن يدور فى ذهن
العالم .. بل حدث بطريق مانسميه الصدفة .. ولو تتبعنا الكشوف
العلمية وما يحدث فيها .. لوجدنا أن اكتشافات كثيرة قد تمت دون
أن يكون هناك باحث عنها بالذات .. بل بدأ البحث عن شىء وانتهى
الى شىء آخر .

وهكذا يكون العطاء فى كثير من الأحيان بمولد وميقات من الله
سبحانه وتعالى .. ولكن الله سبحانه وتعالى لا يطلعنا على ذلك ..
فأحياناً نأخذ بالأسباب .. وأحياناً نرى أن هناك أشياء يحار العقل
فيها فننسبها للصدفة .. أو للحظ .. أو لكل هذه المسميات .
النقطة الرابعة أن الايمان بطلاقة القدرة هو أساس الايمان وركيزته
والذى لا يؤمن بطلاقة القدرة لا يمكن أن يؤمن بالغيب .. فالانسان
الكافر .. أو الذى ينكر وجود الله يأخذ بالأسباب وحدها .. فما
هو ظاهر أمامه .. يصدقه .. وما هو غيب عنه يكذبه .. فإذا حدثته
عن الجنة والنار .. والثواب والعقاب .. وما أعدّه الله سبحانه
وتعالى للمؤمنين من عباده سخر منك .. ولكن الذى يؤمن بطلاقة
قدرة الله هو الذى يفهم معنى أنه سيكون فى الجنة ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. ولذلك فاننا لكى نؤمن بالآخرة
.. ونؤمن بقدرة الله على بعث الموتى .. ونؤمن بما يعدنا الله من ثواب
أو عقاب .. يجب أن نؤمن أولاً بطلاقة القدرة .. ونعرف أن الله
سبحانه وتعالى لا تحده قبود ولا حدود .. ولا شىء عنده يقع تحت
كلمة مستحيل .. وأنه مادام قد وعد .. ووعد الحق .. فانه
سيتحقق .. وأنه قادر على أن يخلق جنات فيها ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر .. وقادر على أن يعطى الانسان نعيماً

أبدىا . . ويعطيه عذابا أبدىا . . وقادر على أن يسجل أعمال كل البشر . . وعلى أن يواجههم بأعمالهم فى الآخرة . . تلك كلها لا تخضع لقانون السببية . . ولكنها تخضع لطلاقة القدرة التى حرص الله سبحانه وتعالى على أن يبينها لنا قولا وفعلا . . ويضعها فى حياتنا اليومية . . فنحن نعيش مع طلاقة القدرة كل يوم ليزداد إيماننا بالغيب الذى يحب عنا . . ونحن حين نجد طلاقة القدرة التى تصطدم مع العقول وتحيرها . . إنما يزداد إيماننا بأن الله سبحانه وتعالى فوق قدرة العقول كلها .

● أساس إيمانى

تلك حقيقة يجب أن ننتبه إليها . . فطلاقة القدرة أساس إيمانى لكل شىء أخبرنا الله عنه . . وجعله غيبا عنا . . وكل شىء يكشفه الله سبحانه وتعالى لنا جيلا بعد جيل . . ذلك أن هذه الأشياء التى تزيدنا يقينا بقدرة الله . . يجب أن تزيدنا خشوعا له . . فكل يوم يضاف الى علمنا أسرار كانت موجودة فى هذا الكون . . ولم نكن نعرف عنها شيئا . . وهذه الأشياء فى كثير من الأحيان تصحح مفاهيم خاطئة كانت موجودة على أساس أنها علم أرضى .

ولو أننا قمنا بحصر ما كشفه لنا الله سبحانه وتعالى من أسرار فى الكون . . لوجدنا أن هذا الجيل يجب أن يكون أكثر عبادة وخشية لله من الأجيال التى سبقته لأنه وصل الى أسرار فى الكون جعلته يعرف قدرة الخالق وعظمته . . والله سبحانه وتعالى يقول :

« حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم

قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا » . .

ومعنى هذه الآية الكريمة . . أن الله سيكشف من أسرار كونه للبشر ما يريهم به دقة صنعه واحكام خلقه . . ولكن البشر لن يأخذوا هذه الأشياء على هذا المعنى . . بل سيركبهم الغرور . . ويحسبون أنهم هم الذين صنعوا . . وهم الذين اكتشفوا . . ويجعلهم هذا الغرور يظنون أنهم قد وصلوا الى العلم الذى يمكنهم

من أن يتحكموا فى كل شىء فى الأرض .. حينئذ يأتى قضاء الله .. وتقوم الساعة .. ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة (ظن) لحكمة بالغة .. ذلك أن الله هو الذى سخر للانسان كل ما فى الكون .. وهو الذى كشف له عن الآيات فى هذا الكون .. ولكن بدلا من أن ينسب الانسان الفضل لصاحبه .. نسبته لنفسه .. ليس حقيقة .. ولكن (ظنا) .. فالعلم كلما تقدم .. اعتقد الانسان أن هذا عطاء من ذاته .. وأنه هو الذى سخر هذه الأشياء لنفسه .. وهذا الظن يجعله يعتقد أنه قد سيطر على الأرض تماما .. وأصبح قادرا عليها وعلى كل القوى فيها .. حينئذ تأتى الساعة .. وتتعطل القوانين كلها .. ويعرف الانسان أن ما وصل اليه هو من فضل الله .. وأن الله اذا كان قد خلق لنا الاسباب وجعلها خاضعة لنا .. فيجب ألا نفتر بها وننسى طلاقة القدرة ..

ولقد قال الله سبحانه وتعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ..

والقرآن كلام متعبد به .. لا يتغير ولا يتبدل حتى قيام الساعة .. ولذلك فإن كل جيل سيقراً « سنريهم » .. و (السين) مستقبلية .. والمعنى أن كل جيل يرى ما لم يره الجيل الذى سبقه .. ليس فقط من آيات الله فى الأرض .. بل فى الآفاق .. وفى النفس البشرية .. ولعل التقدم العلمى فى كشف الآفاق .. وفى معرفة أسرار الجسم البشرى يجىء مصداقا لهذه الآية الكريمة .. ويجب أن نعرف أنه لا يقدر على العطاء المستقبلى الا الله سبحانه وتعالى فلا يمكن مهما بلغت أنا من العلم أن أتنبأ بما سيحدث مستقبلا .. ولأجيال قادمة .. ولكن الله سبحانه هو القائل .. وهو الفاعل .. ومن هنا فانه يستطيع أن يعطينا صورة يقينية عن المستقبل ..

والنقطة الخامسة أن الانسان حين يتمسك بالاسباب .. فانه

يعطى نفسه قدرات ليست فيه .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى حين يرى عبداً من عباده يأخذ بالأسباب .. فانه يتركه ليتفاعل مع الأسباب التي أعتقد أنها قد أعطته .. وفي هذه الحالة تسقط عنه الأسباب فيذهب العطاء .. ولو أن الانسان كان قد ملك الأسباب حقيقة وهي التي تعطى ، لما زالت عنه هذه الأسباب وذهب العطاء .. ولقد أعطانا الله سبحانه وتعالى مثلاً لذلك فى القرآن الكريم .. فقارون قال .. «انما أوتيته على علم عندى» .. وصاحب الجنتين فى سورة الكهف قال : « ما أظن أن تبديد هذه أبدا » .. والذين أرادوا أن يأخذوا حق الفقراء فى ثمر الحديقة .. قالوا : « لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين » .. وكان فى هذا كله الهلاك .. فخسف بقارون وبداره الأرض .. وأحيط بثمر الجنتين .. وذهب خير الحديقة .. وأصبحت كالصريم .. كان ذلك كله سبباً فى زوال النعمة .. لأن المنعم عليه أخذ ظاهرية الأشياء دون حقيقتها وهي طلاقة القدرة التي أعطت .. والتي أخذت .

وطلاقة القدرة تعنى أن الله واحد أحد .. والقول بأن الله أحد .. معناه أنه يجمع من الصفات ما لا يمكن أن تجتمع لبشر أو لمخلوق .. بل للمخالق وحده سبحانه وتعالى .. وهو الذى يملك وحده طلاقة القدرة .. يقول للشئ كن فيكون بلا أسباب .. وكل منا له حظ فى العلم .. ولكن الله سبحانه وتعالى عليم .. أى لم يعلمه أحد .. وانما العلم من ذاته .. ويعلم ما لا نعلم ..

اذن فقولنا (أحد) .. هو تنزيه لله سبحانه وتعالى أن يكون هناك شبيه له .. فالشئ الواحد ممكن أن يكون له شبيه .. والشئ الواحد ممكن أن يكون من مجموع الأشياء .. فأنت تقول عن عدة أشخاص أنهم يتحدثون بلسان واحد .. أى أن كل واحد منهم .. يكرر نفس الكلام الذى يقوله زميله .. ولكن « الأحادية » تنفى هذا كله عن الله .. وأنت تقول للشئ المكون من عدة أجزاء شئ واحد .. فالكرسى مثلاً مكون من خشب ومسامير وجلد .. ولكنه شئ واحد .. هو كرسى .. والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك تماماً .. ذلك أن الله

لا يمكن أن يكون مكونا من أجزاء متداخلة .. تبارك وتعالى وتنزهه
 عن هذا .. والا فأى واحد من الثلاثة خلق الآخرين .. ومن الذى
 وجد أولا .. وإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذى وجد أولا ..
 فباقى الأجزاء هى من خلقه وليست جزءا منه .. ومن هنا فانها
 تصبح من مخلوقات الله .. وليست جزءا من الذات .. والقول بأن
 الله سبحانه وتعالى .. مكون من عدة أجزاء ، ينفى الكمال عن الله
 اذا انفصلت ما يقال عنها أجزاء متداخلة عن الله سبحانه وتعالى ..
 اذن فالقول بأن الله واحد .. هو قول فيه تجاوز .. ولكن صحيح
 القول أنه أحد .. ليس كمثله شئ .. ولا يحتاج لآى خلق من خلقه
 .. بل هو الله الأحد الذى لا شبيه له .. ولا يرقى شئ مهما بلغ
 الى قدرته وعظمته ..

● الله الصمد

والله هو الصمد .. أى القوى الذى يقصد لذات قوته .. أى أن
 الله سبحانه وتعالى وحده الأحد الذى ليس كمثله شئ .. الصمد
 الذى يقصد اليه فى الحوائج .. فأنت تتجه الى الله سبحانه وتعالى
 اذا أردت شيئا واستعصى عليك .. وأنت تتجه اليه اما اضطرارا
 .. واما اختيارا .. وهناك خلق مسخر لله لا اختيار لهم فى الاتجاه
 الى الله أو لغير الله .. فالملائكة مثلا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
 ما يؤمرون .. ليس اختيارا .. ولكن اضطرارا .. فهم مخلوقون
 لهذا .. وكذلك الشمس والقمر .. وكل الأشياء التى سخرها الله
 سبحانه وتعالى .. فهى مسخرة لما خلقت له .. فالشمس لا تستطيع
 أن تختار يوما تشرق ويوما تغيب .. والأرض لا تستطيع أن تقول
 سأتوقف عن الدوران .. والنجوم والقمر والجبال والبحار .. كل
 شئ مسخر لا يملك قدرة الاختيار .. ومن هنا فهو متجه الى الله
 .. يقوم بدوره الذى خلقه الله سبحانه وتعالى له ..

يأتى بعد ذلك الانسان .. وقد أعطاه الله حرية الاختيار ..
 وجعله قادرا على أن يفعل أو لا يفعل .. وأن يتجه الى الله .. أو
 يحاول انكار وجود الله .. وذلك فى فترة حياته الدنيا فقط ..

اذن فقول الله سبحانه وتعالى الله الصمد وضع أمامنا الصورة
 الصحيحة للعقيدة .. فما دام الله أحدا .. فليس هناك غيره ..
 وما دام الله الصمد .. فهو مقصود فى الحوائج .. ليس هناك من
 يقوم بديله .. فلا وجود على الحقيقة الا وجوده .. ولا فاعل الا
 فعله .. والله سبحانه وتعالى لا ينقص من ملكه أن يعطى كل انسان
 ما يشاء .. ولا أن يكفر الناس جميعا .. فאלله سبحانه وتعالى غنى
 عن العالمين .. وهو القادر على أن يهب ويأخذ .. وأن يجعل
 الضعيف قويا .. وهذا هو الفرق بين عطاء الله وعطاء البشر ..
 وفرق آخر .. أن الانسان اذا أعطى لا يستطيع أن يسترد عطاءه ..
 .. فانت اذا أعطيت شخصا مالا .. وتنكر لك .. فانت لاتستطيع
 أن تسترد هذا المال مادام هذا المال قد أصبح مملوكا له .. وانت
 اذا كنت طبيبا وأعطيت الانسان دواء أزال مرضه ثم رفض أن
 يدفع لك نفقاتك فانت لاتستطيع أن تسلبه نعمة الصحة .. ولكن
 الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطى ويأخذ .. فهو اذا أعطى النعم
 وكفر الانسان بها .. يستطيع أن يجعل الغنى فقيرا .. ويجعل
 السليم مريضا .. واذا قابل الانسان النعمة بالشكر .. زاده الله
 وأعطاءه ..

والله سبحانه وتعالى .. اذا أعطى انسانا أسباب الحكم فى الأرض
 .. فبغى على الناس وظلمهم .. فانه يسلط عليه من هو أظلم منه
 .. فينتقم منه .. فالله لا يسلط على الظالم رجلا طيب القلب مؤمنا
 .. ذلك أن اللين والرحمة .. وحب العفو .. وكظم الغيظ ..
 ومواجهة الاساءة بالاحسان .. وهو ما أمر به الله .. يقف بين هذا
 العبد المؤمن .. وبين القصاص العادل من الظالم .. ولكن يسلط
 على الظالم من هو أشد منه ظلما .. حتى يكون القصاص رهيبا ..
 ويأتيه الله من حيث لا يدري ولا يحتسب ..

وطلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى هي نعمة لا تبارى على خلقه ..
 فالله سبحانه وتعالى لا هوى له .. كلنا عبيده .. لا فضل لعربى

على عجمى الا بالتقوى .. ومن هنا .. فان طلاقة القدرة تصحح
المسيرة فى الكون .. ذلك أن الله دائما مع الضعيف ضد القوى ..
ومع العاجز ضد القادر .. ولو لم توجد طلاقة القدرة .. وبقيت
الأسباب وحدها تغطى .. لملا الفساد الأرض .. ذلك أن الذى
يأخذ بالأسباب يمتلئ غرورا بقدرته على خلق الله .. ويأخذ حق
الغير .. ويحاول أن يسلك ما لا يستطيع أن يفنيه أو يستخدمه
طول حياته .. ومن هنا فان قضية الحياة نفسها تفسد .. ولكن
الله سبحانه وتعالى يزيل الأسباب .. فيصبح القوى ضعيفا ..
والغنى فقيرا .. والعزيز ذليلا ..

اذن فالله سبحانه وتعالى خلق الكون .. ومنح كل من فى الكون
رزقا وعطاء .. الكافر منهم والمؤمن .. والعطاء من الله سبحانه
وتعالى لكل فرد هو ابتلاء .. سواء أكان هذا العطاء خيرا أم شرا
.. فأحيانا يكون ما نحسبه شرا هو خير لحياتنا من مئات الأشياء
التي قد نفرح عندما تحدث .. والله سبحانه وتعالى قد أعطانا
الأسباب لتسير الحياة فى الكون .. ولكنه فى نفس الوقت ..
بقيت طلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى .. ذلك حتى لا ننسى الله
ونعبد الأسباب .. فالكون يمضى كله بالأسباب .. ثم تأتى طلاقة
القدرة فى حدث من الأحداث .. لتلفت الناس الى أن معطى الأسباب
موجود وقادر .. وأن الأسباب التي خلقها الله سبحانه وتعالى ..
لا يمكن أن تكون قيда على قدرته .. وأنا يجب أن نلتصق فى
حياتنا بالله .. وليس بالأسباب التي مكن الله فيها عددا من خلقه
.. وفى هذه الحالة نتذكر أن ما أجراه الله علينا على يد عبد من
عباده .. انما هو من الله أولا .. قسمه الله لنا .. ثم أجراه على يد
هذا العبد .. فلا ننسى المنعم ونعبد السبب .. ولنعلم أيضا حينما
يحيط بنا اليأس .. ونصل الى شئ لا نستطيع الأسباب أن تجد له
حلا .. وتقف قدراتنا عاجزة أمامه .. نتذكر أن طلاقة القدرة
موجودة .. وفى هذه الحالة لا يدخل اليأس الى قلوبنا أبدا ..
لأن قدرة الله بلا حدود ولا قيود ..

وطلاقة القدرة تصحح المسيرة .. وتذكر الناس بعدم الابتعاد
عن الله .. وتتدخل لتنصر المظلوم على الظالم .. وغير القادر على
القادر وتقتص للضعيف من القوى ..

والله أحد لا شريك له ، قادر على أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء ..
مقصود في كل الحوائج .. بيده الخير كله .. يستطيع أن يعطي
كل إنسان حاجته .. دون أن ينقص ذلك مما عند الله شيئا ..
وهو في قوته لا يستعصى عليه أحد .. مهما بلغ جاهه أو سلطانه
.. ولذلك فإننا يجب ألا نخاف الدنيا كلها .. مادمننا مع الله ..
وما دمنا على الحق ..

والله أحد ليس كمثل شيء .. لا شريك له .. ولا أحد يعلو ليكون
ندا لله جل جلاله .. وكل الناس بدرجاتهم وجاههم في الدنيا هم
عبيد لله سبحانه وتعالى .. فالكل عبد لله .. والكل آتية بعد هذه
الحياة .

وطلاقة القدرة تعطينا الشجاعة في هذا الكون لكي نواجه كل
ظالم .. ونقف مع كل مظلوم .. ونأخذ جانب الحق .. فإذا حاول
أحد أن يخيفنا بالأسباب أو ظاهر الحياة الدنيا من جاء أو سلطان
أو ملك أنعم الله به على عبد من عباده .. فلنتذكر أن الله سبحانه
وتعالى كما أعطى يستطيع أن يأخذ .. وكما أعز يستطيع أن يذل
.. وأن نقف مع الحق .. ولا نفرنا الأسباب لأنها زائلة .

وطلاقة القدرة من روح الإيمان .. لأنها تجعلنا نؤمن يقينا بما
يستطيع الله أن يكافئ به المؤمن في الآخرة من نعم دائمة .. مما
لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر ..
وتذكرنا دائما بأن الله وحده هو القادر .. والله وحده هو الفصل .

حدیث قدسی

● ● أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران : يا موسى ان من عباده لو سألنى الجنة بعد اذيرها لأعطيته ، ولو سألنى علق سوط من الدنيا لم أعطه ، ليس ذلك من هوان له على ولكن أريد أن أدخر له فى الآخرة من كرامتى ، وأحميه من الدنيا كما يحمى الراعى غنمه من مراعى السوء . يا موسى ما ألجأت الفقراء الى الأغنياء بأن خزانتي ضاقت ، وبأن رحمتى لم تسعهم ، ولكنى فرضت للفقراء فى أموال الأغنياء ما يسعهم ، أردت بأن أبلو الأغنياء كيف مسارعتهم فيما فرضت للفقراء فى أموالهم . يا موسى ان فعلوا ذلك أتممت عليهم نعمتى ، واضعفت لهم فى الدنيا ، للواحدة عشر أمثالها . يا موسى كن للفقير كنزا ، وللضعيف حصنا ، وللمستجير غيثا ، اكن لك فى الشدة صاحبا ، وفى الوحدة أنيسا ، واكلك فى ليلى ونهارك .



● ● يعذب اللسان بعذب لا يعذب به شيء من الجوارح فيقول : يا رب . عذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح ، فيقول : خرجت كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وأخذ بها المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام ، فوعزتى لأعذبك بعذاب لا أعذب به شيئا من الجوارح .

• الفصل الرابع •

خواطر من سورة مريم

لا يكمل الحديث عن طلاق القدرة الا اذا سجلنا بعض الخواطر
عن سورة مريم .. ذلك أن طلاق قدرة الله سبحانه وتعالى ..
تتمثل في أجل معانيها في سورة مريم .. وعيسى بن مريم عليهما
السلام .. ولقد كان اختيار مريم فيه طلاق قدرة .. واصطفأها
الاول فيه طلاق قدرة .. وتطهيرها فيه طلاق قدرة .. واصطفأها
الثاني فيه طلاق قدرة .. ومولد عيسى بن مريم من طلاق القدرة
.. ثم بعد ذلك رسالته مؤيدة كلها بطلاق القدرة .. ورفعها الى
السماء فيه طلاق قدرة ..

كل هذه الاشياء جاءت لتهمز العالم المادى الذى كان يعيش فيه
بنو اسرائيل خلال هذه الفترة .. فبنو اسرائيل فى طول حياتهم
والمادة تحكمهم وتسيطر عليهم .. والذهب هو معبودهم .. حتى
حينما أراهم الله طلاق القدرة بأن جاوز بهم البحر وأنجاهم من آل
فرعون .. اتخذوا عجلا من الذهب له خوار البهائم .. وعندما
أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى بالمن والسلوى وهى أشياء غيبية
لا يستطيعون التحكم فيها .. ولكنها رزق يأتيهم به الله - طلبوا

أن يأكلوا مما تنبت الأرض فى عدم ثقة بالفيبيات .. وثقة كاملة بالماديات .. وعندما أرسل الله لهم طالوت ملكا ونبيا .. قالوا أنه لا يملك ما لا يؤهله للملك .. وهكذا كل حياتهم هى انكار لنعم الله .. وايمان بالماديات .. وبعد عن الغيب .. حتى أنهم قتلوا أنبياء الله الذين جاءوهم يدعون الى منهج غيبى ويطلبون نبد الايمان المطلق بماديات الحياة .. وهنا يجب أن نفرق بين رسول ونبي .. فالرسول مرسل بمنهج سماوى من الله سبحانه وتعالى وهو مؤيد من عنده .. والله يحفظه فلا يستطيعون الوصول اليه .. ولكن النبي لا يأتى بمنهج - ولكن يأتى بقدوة سلوكية - أى أنه يأتى مطبقا لرسالة غيره من الرسل .. التطبيق السليم والصحيح .. هذا النبي الذى هو قدوة سلوكية تعرض للقتل من بنى اسرائيل الذين لم يحتملوا منهج الله فى البعد عن الماديات .

وقبل أن أبدأ الحديث عن الخواطر الايمانية حول سورة مريم .. أحب أن أوضح حقيقة هامة .. هى أن الله سبحانه وتعالى حين يرسل رسولا .. يكون هذا الرسول من البشر .. لماذا ؟ .. لان رسالة الله فى افعل ولا تفعل .. هى المنهج الذى اختاره الله سبحانه وتعالى للحياة الآمنة الطيبة على الأرض .. ولكن الله لا يترك منهجه بدون تطبيق .. بل هو يرسل المنهج .. ويرسل من يطبقه ليكون قدوة حسنة للمؤمنين بالمنهج .. ويرى الناس كلهم المنهج يطبقه على الطبيعة بشر مثلهم .. فلا يقولوا يا ربى ان هذا المنهج لا نستطيعه .. أو انه يا ربى فوق طاقة وقدرات البشر .. فيرسل الله سبحانه وتعالى بشرا رسولا .. يطبق المنهج بحذافيره .. ويريه للناس فى الحياة العملية وفى التجارب اليومية .. حتى يكون هؤلاء الناس شهداء على أنفسهم يوم القيامة .. ولا يقول واحد منهم أن الله قد حملنا فوق قدراتنا أو فوق ما نطيع .

اذن فبشرية الرسول .. أمر حتمى للرسالات كلها .. ولو كان الرسول فوق مستوى البشر لوجدنا عذرا لأولئك الذين لا يتبعون

المنهج ويخالفونه .. ولقال هؤلاء كيف تريدوننا أن نتبع منهجا
 وضع لمن هم فوق مستوى البشر .. هؤلاء الذين طبقوا المنهج
 ليسوا بشرا مثلنا .. أما نحن كبشر عاديين فقدراتنا تختلف ..
 وهي في جميع الاحوال اقل منهم قدرة .. فاذا أردت يا ربى أن
 ترسل لنا منهجا نتيحه .. فارسل لنا بشرا رسولا يطبقه ..
 ولا ترسل لنا رسولا فوق قدرة البشر لانك في هذه الحالة تطلبنا
 بما فوق طاقة البشر .. ومن هنا كانت حتمية الرسائل تقتضى أن
 يكون الرسول بشرا ليكون قدوة مساوية لقدرة المؤمنين .. فينخدوه
 قدوة حسنة دون ما حجة بأنه يملك ما فوق الطاقات البشرية .
 نعود بعد هذه المقدمة الى الخواطر عن قصة مريم عليها السلام
 .. وتبدأ القصة كما يرويها القرآن الكريم بامرأة عمران ..

« اذ قالت امرأة عمران رب انى نلدت لك ما فى بطنى
 محروما فتقبل منى انك انت السميع العليم »

.. أى أن امرأة عمران حينما حملت .. وقبل أن تلد .. أو
 كانت تعرف أنها ستلد ذكرا أو أنثى .. نذرت ما فى بطنها لله
 سبحانه وتعالى ولعبادته .. وكان هذا النذر لحجة ايمانية من امرأة
 مؤمنة أرادت أن تهب لله ذريتها تقربا منه .

« فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله اعلم
 بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم
 وانى اعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

فوجدت امرأة عمران عندما وضعت أنها لم تضع ولدا ولكنها
 وضعت أنثى .. وفى هذه الحالة انتابتها الحيرة .. فقد كانت تريد
 ولدا يدعو الى منهج الله وينشأ فى عبادته .. ولكنها وضعت بدلا
 من ذلك أنثى .. فاتجهت الى الله سبحانه وتعالى لتقول :

« رب انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس
 الذكر كالانثى »

أى أن الذكر أو الولد له قدرات على المشاق من الحياة .. وعلى الدعوة لدين الله لا تملكها الانثى .. ورد الله سبحانه وتعالى ليذكرها بطلاقة القدرة .. فقال يا امرأة عمران اننى أعلم بما وضعت ، وأنا الذى أخلق ما فى الارحام ولست أخلق فقط بل أعلم كل شئ عنه من يوم مولده الى يوم وفاته .. كم عمره .. وكم رزقه .. هل هو شقى أم سعيد .. مرزوق أو مقتر عليه فى الرزق .. ماذا سيحدث له من أحداث ويصيبه من أمراض .. فى كل رحلة حياته .. واعلم كل صغيرة وكبيرة عما يواجهه فى الحياة .. وليس هذا فقط بل اننى أخلق صورته وأعلم هذه الصورة قبل أن يعرفها أحد من العالمين .. ومن هنا فان علمى بما جاء فى الارحام يتجاوز علم الدنيا كلها .. والله سبحانه وتعالى لو شاء أن تضع امرأة عمران ولدا لأعطاها ولدا ولكن الطلاقة الكبرى بدأت منذ اللحظة الاولى لخلق مريم فى رحم أمها فجعلها الله أنثى وحينئذ اتجهت أمها الى السماء وقالت يا ربى « **وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** » .. أى يا ربى لاتجعل للشيطان كيذا ولا سيطرة على مريم وعلى ذريتها .

● لقاء مع القدرة

وهنا يأتى سؤال هام .. من أين عرفت امرأة عمران أن مريم ستكون لها ذرية - هل أنبأها الله سبحانه وتعالى بما هو قادم .. أم أنه دعاء كل أم لا يبتغيها حسب ما هو متبع ، ولا أحد يعلم اذا كان الله قد أنبأ أمها بما أعده لمريم .. فلم يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه أنبأها .. ولكنه فى الغالب دعاء كل أم .

هنا بدأت الخطوة الاولى لالتقاء مريم مع طلاقة القدرة .. فتقبلها الله سبحانه وتعالى كنذر نذر لله قبولاً حسناً - وهذا القبول غير الاصطفاء الذى سنتحدث عنه فيما هو قادم .. ولكنه الخطوة الاولى على الطريق الى المعجزة الكبرى لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. وما يعده لبنى اسرائيل من نبى يفيقهم بطلاقة القدرة عن عبادة الاسباب والماديات وأنبتها نباتاً حسناً . وذهبت مريم الى مكان

تنقطع فيه الى العبادة .. وتنافس الاحبار ورجال الدين أيهم يكفلها ..
فقد كانت من طيب المنبت والخشوع الى الله سبحانه وتعالى
بحيث رغب كل منهم فى أن يكون له شرف كفالتهما .. والقوا
أقلامهم .. وقسم الله سبحانه وتعالى أن يكفلها زكريا .. ودخلت
مريم وانقطعت لعبادة الله .

كان زكريا يدخل على مريم المحراب ليحضر لها طعامها وشرابها
ويطمئن عليها بينما انقطعت هى الى عبادة الله سبحانه وتعالى ..
ولكن زكريا فوجئ بشئ غريب .. ذلك أنه كلما دخل على مريم
وجد عندها رزقا .. وأى رزق ذلك الذى وجده .. رزق عجيب ..
فاكهة الصيف فى الشتاء .. وفاكهة الشتاء فى الصيف .. ورزق
لا ينفد مهما أكلت منه مريم .. ولا يتلف أو يتعفن .

كان هذا شيئا عجيبا أثار انتباه زكريا .. وكان هذا أول اصطفاء
لمريم بأن اختصاصها ربها بطلاقة القدرة .. فأراها أنه يعطى ما يشاء
لمن يشاء دون أسباب .. حتى اذا وقعت المعجزة .. ووضعت مريم
عليها السلام عيسى .. بدون الاسباب البشرية .. لم تهتز اهتزازا
يذهب نفسها .. ولم تشك فى أن ما حدث ربما كان فيه خدعة
.. بل انها رأت بعينها فى الاصطفاء الاول بطلاقة القدرة .. ما يبرر
ويسهل عليها فهم الاصطفاء الثانى على نساء العالمين .. بأن تضع
بدون رجل .. ودون أن يمسه انسان .. ولذلك كانت طلاقة
القدرة فى رزق مريم عن غير طريق الاسباب بداية تمهيدية من الله
سبحانه وتعالى .. واصطفاء أول تمهيدا للاصطفاء الثانى على نساء
العالمين .. ولكن زكريا النبى الحريص على مريم دخل الشك الى
قلبه .. ورغم علمه بأن مريم متفرغة تماما للعبادة - وانها
لا تغادر غرفتها وتقضى الليل والنهار فى الركوع والسجود لله
سبحانه وتعالى .. ورغم علمه بأن مريم متفرغة تماما للعبادة ، وأنها لا
تغادر غرفتها وتقضى الليل والنهار فى الركوع والسجود لله سبحانه
وتعالى .. الا أنه ببشريته أراد أن يتأكد فسألها « أنى لك هذا »
أى من أين ذلك يا مريم .

والله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا هنا لفتة كريمة فيها صلاح
 الكون كله .. فلو أن كل رب لأسرة .. أو راع لمجموعة من الناس
 .. عندما وجد مظهرا من النعم لا يتناسب مع القدرات البشرية ..
 فال من أين لك هذا ؟ لصلح الكون كله .. ولأصبح كل انسان رقيبا
 حقيقيا على أسرته .. ولكن الذى يحدث أن الاب أو المسئول عن
 الاسرة .. يجد من بناته وأولاده ما لا يتناسب مع قدراته المادية
 .. كقستان مرتفع الثمن ، أو مال كثير .. أو أى شيء غال
 لا يستطيعون شراءه .. لو أنه وقف وقال من أين لكم هذا ..
 لعرف كل واحد منهم أنه اذا انحرف ، فانه سيحاسب .. ولعلم
 قبل أن يمد يده الى الحرام .. أن الحرام سيكشفه .. ويجعله
 موضع مساءلة .. ولكنه حين يفض الأب عينيه ويرى مع بناته
 وأولاده ما لا يتناسب مع دخولهم فلا يسألهم من أين لكم هذا ..
 يشبع الفساد فى الكون .. وتلك الآية ترينا مدى حرص زكريا على
 مريم وسلوكها .. مع أنها عابدة متعبدة .. منقطعة لعبادة الله
 سبحانه وتعالى .. الا أن ذلك لم يعفها من المساءلة من زكريا ..
 ولم يقل زكريا لنفسه أن مريم امرأة عابدة متعبدة لا يمكن أن يأتيها
 هذا الا من طريق سنيم .. ولكنه وضع المساءلة أولا .. ليكون
 متأكدا مائة فى المائة من مصدر هذا الرزق .. حينئذ ردت مريم :

« هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

وكان الرد مفاجأة لزكريا .. فقد التقى وجهها لوجه مع طلاقة
 قدرة الله التى تهب ما تشاء لمن تشاء دون اللجوء الى الأسباب ..
 وانما تقول للشيء كن فيكون .. وهنا ثارت فى نفس زكريا قضية
 قديمة .. فهو ليس له ذرية وامراته عاقر .. وهو كئيب يخاف على
 أتباعه بعد موته أن يتفرقوا أو يضلوا .. ويريد لهم قدوة سلوكية
 تحفظهم من بعده .

وثارت فى نفس زكريا مسألة طلاقة القدرة .. فمادام الله
 سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب فلماذا لا يدعوه ليرزقه

بولد .. وما دامت الاسباب لاتقيد قدرة الله سبحانه وتعالى .. فانه
قادر على ان يهب زكريا مايريد

● اعجاز الخالق

وهناك .. وفي محراب مريم :

« هنالك دعا زكريا ربه قال ربى هب لى من لدنك ذرية
طيبة انك سميع الدعاء »

.. رفع زكريا يده الى السماء .. وهو فى محراب مريم .. وقال
باربى لقد تجلت طلاقة قدرتك فى هذا المكان فزقت مريم فاكهة
وطعاما ليسا موجودين فى الدنيا .. فبحق طلاقة القدرة هذه ..
هب لى ذرية طيبة واسمع دعائى .. ولم تمض الا لحظات وزكريا
قائم يصلى فى المحراب عند مريم حتى نزلت الملائكة وقالت له :

« ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين »

.. نزلت الملائكة على زكريا تبشره بالغلام .. ليس بهذا فقط
.. بل تقول له ماهو مستقبله .. والى ماذا سيصير .. فلم تكتف
الملائكة بابلاغ زكريا بان الله سيهب له غلاما .. بل انه سيكون
سيدا ونبيا من الصالحين .. وهكذا كان الابلاغ فيه اعجاز ..
اعجاز بعلم الخالق قبل ان يخلق .. وقبل ان تحمل زوجة زكريا
.. فقال له ان زوجتك ستحمل .. وستأتى بولد .. ولن اخبرك
بهذا فقط .. بل ان هذا الغلام سيسب ويكبر .. ويكون سيدا
فى قومه .. ونبيا من الصالحين .. وهكذا نرى مدى التفسير
الصحيح لقول الله سبحانه وتعالى « ويعلم ما فى الارحام » .. وهو
لم ينبئ زكريا بان امرأته ستلد ولدا .. وهى قد حملت به ..
او قد مضى عليها فى الحمل عدة شهور .. بل قال له وأنباء بذلك
قبل ان تحمل .. وقبل ان يحدث اى اتصال بين زكريا وزوجته ..
وأنباء بالمستقبل الذى ينتظر هذا الطفل بعد سنوات طويلة .

هنا اهتز زكريا .. اهتز من اللقاء بطلاقة القدرة .. وتذكر
الاسباب التي تعطى .. واعتقد انه قد فهم خطأ .. فاراد ان يتأكد
.. فرفع يده الى السماء مرة اخرى .. وقال :

« رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر »

.. رفع زكريا يده الى السماء وقال ياربى لقد التبس على الامر
فانا اريد ان اتأكد اننى لم أسئ الفهم .. انا ياربى رجل عجوز
.. وامراتى عاقر لا تلد .. الاسباب هنا ممتنعة من الناحيتين ..
ناحية زكريا الذى بلغ من الكبر عتيا .. ولم يعد بالاسباب صالحا
لانجاب الولد .. وحتى هب أن زكريا صالح لذلك فامراته عاقر ..
لم تلد طوال حياتها .. ولم تلد فى شبابها .. فهل ياربى اذا كنت
لم أستطع أن انجب الولد فى شبابى .. واذا كانت زوجتى عاقر
لم تحمل طوال حياتها .. اتأتى الآن وهى عجوز لتحمل .. وآتى
الآن أنا وأنا شيخ كبير لافعل ما عجزت عن ان افعله فى شبابى ..
هنا اهتز زكريا بالاسباب .. وكان لقاءه مع طلاقة القدرة .. وكان
اول لقاء له .. لقاء قويا هزه من اعماقه فاعتقد انه قد فهم خطأ قول
الملائكة أو أن هناك لبسا ما .. حينئذ يقول له الله سبحانه وتعالى :

« كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم

تك شيئا » ..

وفى سورة آل عمران :

« كذلك الله يفعل ما يشاء »

هنا يذكر الله سبحانه وتعالى زكريا بحقيقتين هامتين حول طلاقة
القدرة فيقول له ان الله يفعل ما يشاء ، أى ليس هناك قيود على ارادة
الله سبحانه وتعالى .. واذا كانت هناك الاسباب فى الدنيا فالله هو
الذى خلق الاسباب .. ولا يمكن ان يكون المخلوق قيذا على الخالق
.. ان الله سبحانه وتعالى خالق الاسباب لا تقيد هذه الاسباب وتحد

من قدرته .. بل انه يفعل ما يشاء دون ان تكون هناك فى الكون
كله قدرة مانعة لهذا الفعل .. أو موقفة له .. ولو كانت هى
الاسباب التى خلقها الله سبحانه وتعالى لنظام الحياة فى الكون ..
ثم يلفت الله سبحانه وتعالى زكريا الى الحقيقة الثانية .. فيقول له
انك تتعجب مما ابغثت الملائكة واخبرتك به .. ولكنك يجب ألا
تتعجب لان الذى تحسبه صعبا ومستحيلا هو على هين .. انه امر
بسيط جدا بالنسبة لى .. أنا الذى خلقت هذا الكون كله بما فيه
ومن فيه .. هل يستعصى على أن اخلق لك غلاما .. ذلك امر هين
وبسيط أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .. واذا كنت تتعجب من ذلك
فانظر الى نفسك حتى يزول العجب فقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا .. أوجدتك من العدم .. فلماذا تتعجب أن اخلق لك ابنا ..
اذا كنت أنا قد أتيت بك من العدم .. وخلقتك ووهبت لك الحياة ..
فمن السهل على أن أهبه لك الولد .

● العطاء .. بلا اسباب

وكانت هذه افاقة لزكريا وهو واقف فى محراب مريم .. وأول
مارآه من طلاقة قدرة الله التى جعلته بعد ذلك لا يشك فى مريم ابدا
اذا وجد عندها اشياء عجيبة .. بل يعلم ان طلاقة القدرة تستطيع
ان تعطى بلا اسباب .. بدليل انها اعطت زكريا الولد بلا اسباب
.. وكان هذا من الله سبحانه وتعالى تطهيرا لمريم عليها السلام من
أى شك يمكن أن يقع فى أى نفس بشرية .. ذلك ن المعجزة التى
تمت مع زكريا وفى المحراب عند مريم .. جعلته يعرف يقينا ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب .. ولا يتساءل هو أو غيره عما يكون
عند مريم من رزق يهبه الله لها

ويمضى القرآن الكريم ليروى قصة مريم :

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك
واسجدى واركعى مع الراكعين »

هنا نزلت الملائكة الى مريم لتنبيهها ان الله قد اصطفاها وطهرها
ثم اصطفاها على نساء العالمين .. الاصطفاء الاول هو بالعيش مع
طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. والله تقبل مريم عند ولادتها
كنذر لله .. ثم اصطفاها بان جعلها دون خلقه تعيش دائما مع طلاقة
القدرة استعدادا لما سيحدث من ولادة المسيح عليه السلام ثم طهرها
بعد ذلك بان منع عنها الشياطين وجعلها تتطهر بالعبادة الدائمة له
والركوع والسجود لله سبحانه وتعالى .. ثم حدث الاصطفاء الثانى
وهو اختيارها دون نساء العالمين كلهن .. ان تضع مولودا دون ان
يمسها رجل .. وكان الاصطفاء الثانى هو اصطفاها لمريم بالذات
.. ولذلك نلاحظ فى القرآن الكريم انه حين تأتى انباء المعجزات
والقصص الايمانية لا يذكر الله سبحانه وتعالى الاسم كاملا .. لماذا ؟
.. لان هذه لمحات ايمانية مقصود ان يقتدى بها الناس .. ولو انهم
ذكروا باسمائهم كاملة .. لكانت هذه المعجزات خاصة بهم لا تتكرر
لغيرهم .. الا مريم .. فكلما ذكرت فى القرآن .. قال الله سبحانه
وتعالى مريم ابنة عمران .. لان معجزة الميلاد من أنثى بلا ذكر لن
تتكرر بالنسبة لنساء العالمين كلهن الى يوم القيامة .. فهذا اصطفاها
لمريم أو اختيار لها لهذه المعجزة دون نساء العالمين .. ويلاحظ هنا
ان الله سبحانه وتعالى لم يستخدم لفظ نساء الارض .. ولكنه
استخدم لفظ نساء العالمين .. اى نساء الانس والجن وكل مخلوقات
الله .. لن توجد أنثى يتكرر لها ما حدث لمريم ممن اصطفاها الله
سبحانه وتعالى به وهى معجزة الميلاد من أنثى بدون ذكر

ثم الاصطفاء الاول .. ثم بعد ذلك قضت مريم سنوات فى
العبادة حتى تطهرت .. والتقت بطلاقة القدرة وألفتها فأصبح لله
يرزقها بغير حساب ويطهرها ويحفظها من شياطين الانس والجن ..
ثم جاء الاختيار الثانى ونزلت الملائكة على مريم لتقول لها :

« ان الله يمشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم »

كانت هذه أول بشارة لمريم ومحاولة لاعدادها لما سيتم من ولادة
عيسى بن مريم عليه السلام

واخذت مريم بهذه البشارة .. فرغم التقائها مع طلاقة القدرة .. وتعودها عليها فى الرزق من الله بغير حساب .. ورغم أنها قضت فترة طويلة تتعبد وتتطهر .. وحفظها الله من كل الشياطين .. فان نفسها اهتزت من وقع الخبر .. واتجهت الى السماء وقالت

« رب انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر »

اتجهت هى الاخرى كما اتجه زكريا الى الاسباب .. ومع عيشها فى ظل طلاقة القدرة فى المحراب فانها لم تستطع ان تستوعب تماما طلاقة القدرة فى الخلق .. فقالت ياربى كيف الد ولم يمسنى بشر .. لم يقربنى رجل .. فكيف أضع غلاما .. وهنا جاء رد الله سبحانه وتعالى :

« قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى امرا فانما يقول

له كن فيكون »

لم يقل الله سبحانه وتعالى لها كيف سيتم ذلك .. ذلك ان المخلوق مما احتفظ الله به لنفسه .. ولم يطلع عليه احدا من خلقه .. حتى ان ابراهيم عليه السلام حينما سأل الله :

« رب ارنى كيف يحيى الموتى »

.. لم يقل له الله سبحانه وتعالى كيف يحيى الموتى .. ولم يطلعه على سر الحياة والموت .. وانما ادخله فى تجربة رأى فيها احياء الموتى بقدرة الله .. فجاء بالطير وقطعه ثم وضع كل جزء على جبل ثم دعاهم فجاءوا اليه احياء .. كانت هذه تجربة عملية على احياء الموتى .. ولكنها لم تكن اخبارا من الله سبحانه وتعالى لابراهيم عن سر الحياة والموت

كذلك مريم .. حين سألت الله سبحانه وتعالى .. كيف سيكون لى ولد ولم يمسنى بشر ، لم يعطها سر الخلق .. ولكنه قال لها :

« كذلك الله يخلق مايشاء ٠٠ »

اي لم تتمعجين ان الله قادر على ان يخلق مايشاء ٠٠ وقد اراك
 طلاقة القدرة في الرزق ٠٠ وسيريك طلاقة القدرة في الاصطفاء ٠٠
 لم تتمعجين يا مريم ٠٠ الم يخلق الله سبحانه وتعالى آدم بدون
 ذكر أو أنثى ٠٠ الم يخلق حواء من ذكر بدون أنثى ٠٠ فالله سبحانه
 وتعالى ليس لقدرته حدود ٠٠ انه قادر ان يخلق بدون ذكر أو أنثى
 كخلق آدم ٠٠ وقادر ان يخلق بدون أنثى كخلق حواء ٠٠ وقادر ان
 يخلق من أنثى بدون ذكر كعيسى بن مريم ٠٠ وقادر أن يخلق من
 ذكر أو أنثى وهو خلق الاسباب ٠٠ اذن فلا عجب هنا لان الله
 سبحانه وتعالى يخلق مايشاء واذا اراد امرا فانه لا يلجأ الى الاسباب
 ٠٠ وانما بطلاقة قدرته يقول له كن فيكون ٠٠ اذن فلا تتمعجين مما
 بشرتك به الملائكة ٠٠ لان الله قادر على ان يخلق عيسى دون ان
 يمسك بشر

● لماذا جاء الملك

وجاء الملك المكلف بالمهمة الى مريم ٠٠ فظهر لها على هيئة بشر ،
 قد يقول بعض الناس مادامت الملائكة قد بشرت مريم بالسلام ٠٠
 ومادام الله سبحانه وتعالى قد لفتها الى طلاقة القدرة في انه يقول
 للشيء كن فيكون ٠٠ فلماذا جاء الملك الى مريم وتمثل لها في صورة
 انسان ٠٠ نقول ان في ذلك حكمة كبرى ٠٠ ان الملك لم يأت الى
 مريم ولم يتمثل لها في صورة انسان ٠٠ ويقول لها أنا رسول ربك
 لاهب لك غلاما زكيا ٠٠ ثم يختفي فجأة دون أن يمسها لو لم يحدث
 ذلك لربما دخل الشك الى قلب مريم ٠٠ واعتقدت ان بشرا قد
 مسها بان خدراها أو وهي نائمة ٠٠ وعلى العموم لم يكن الامر يدخل
 يقينا الى نفسها ٠٠ ولكن كون الملك جاء ٠٠ وكونه تمثل لها بشرا
 سويا ٠٠ وكونه قال لها اني رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ٠٠
 وكونه اختفى دون ان يمسها ٠٠ ادخل اليقين في قلب مريم فلي ان
 ماحدث لها ٠٠ هو من طلاقة قدرة الله وليس لبشر دخل فيه ٠٠
 ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت فؤادها مرة اخرى بعد ان

اهتزت نفسها .. من تشير الملائكة لها .. وتعجبت ان تلد بدون
 ان يمسه ذكر .. وهنا .. ومع هذا التثيت من الله سبحانه وتعالى
 لمريم .. لانها تجربة سيكذبها فيها اليهود .. ولو لم تكن على يقين
 مما حدث .. وانه من طلاقة قدرة الله فان نفسها قد تهتز وتضعف
 .. ذلك لانه امر غير مألوف فى تاريخ البشر كلهم .. وانه يصطدم
 باسباب العقل .. وانه لا يمتشى مع المنطق البشرى .. ومن هنا كان
 لابد من تثيت مريم تثيت اليقين .. حتى لا تهتز نفسها ابدا لما
 سيقابلها من أهلها وعشيرتها من انكار وعدم تصديق لما حدث ..
 وكان لابد أن تكون مريم على يقين كامل من أن مشيئة الله سبحانه
 وتعالى هى التى اعطتها عيسى عليه السلام .. ومن هنا كان التثيت
 بالتعرف على طلاقة القدرة .. فى أمور مادية محسنة كالرزق ..
 ثم التطهير بالعبادة حتى تشفى النفس البشرية .. وتستطيع ان
 ترى مالا يراه غيرها .. ثم بالاخبار من الملائكة .. ثم بعد ذلك
 باليقين من الروح أو الملك الذى ارسله الله لها على صورة انسان ..
 والذى اختفى من امامها دون ان يمسه .. ومع ذلك قالت مريم

« أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا »

.. وعادت مريم الى الاسباب مرة أخرى .. فرد الله :

« هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا

مقضيا »

هنا حسم الله سبحانه وتعالى المسألة مع مريم تماما فى رده عليها
 هذه المرة فقال ان ذلك على هين وبسيط ان اهيك غلاما بدون بشر
 .. وسنكون هذا الغلام آية للناس .. أى معجزة من الله سبحانه وتعالى
 لخلقه يفيقهم من الماديات التى عبدوها من دون الله .. ورحمة منا
 .. أى أنه سيكون رحمة لمن يتبعه .. يقودهم الى الطريق ..
 ويرشدهم الى المنهج .. ويكون قدوة لهم .. وينقذهم من ضلال
 بنى اسرائيل وماديته « وكان أمرا مقضيا » .. هذا الحسم .. أى

أن الله سبحانه وتعالى أرد أن يقول لمريم أن هذا الامر قد قضي وانتهى . . ولم يعد لك خيار فيه . . وأنه بعد هذا الاعداد كله فلا بد ان يدخل اليقين قلبك على ان الله سبحانه وتعالى يقول للمشيء كن فيكون فيما يريد ان يفعله . . ولقد قضي الامر وانتهى . . ولم بعد موضع أخذ ورد . . وحملت مريم بطلاقة القدرة . . وذهبت الى مكان بعيد عن الناس . . فقد كانت تخشى ان تواجههم . . فهي تعلم يقينا ان هذا آية من آيات الله . . ولكن ماذا ستقول لهم . . وكيف تشرح لهم طلاقة القدرة . . وهم لا يعرفون عنها شيئا . . ان بنى اسرائيل اناس ماديون . . والمادة تبعد الشفافية عن الجسم وتجعله معتما . . لا يرى الا ماهو مادي صرف . . معزول تماما عن الغيبيات فكيف ستأتى الى هؤلاء القوم . . لتقول لهم كلاما عن طلاقة قدرة الله . . وكيف سيصدقونه وهم على غير علم .

● وكان هذا يخيف مريم

كان هذا هو الذى يخيف مريم عليها السلام . . وهو الذى جعلها تبتعد عن الناس الى مكان قصى بعيد تضع فيه طفلها . . لانها لم تكن تستطيع أن تواجه وحدها قوما لا يعلمون شيئا عن طلاقة القدرة . . بمعجزة من معجزات طلاقة القدرة . . مريم نفسها كانت على يقين مما حدث . . وبعد الآيات البينات التى أراها لها الله سبحانه وتعالى . . وتبشير الملائكة لها . . ثم الملك الذى ظهر ليجعلها تتأكد يقينا أنه لم يمسسها بشر . . ثم قول الله سبحانه وتعالى « وكان أبرأ مقضيا » . . كل ذلك قد جعل مريم لا تهتز ولا تظن بنفسها السوء . . بل هى على يقين من المعجزة . . ولكن ماذا تقول للناس . . وكيف تفسر لهم ما حدث . . وكيف تجعلهم يصدقون ؟

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يكن غافلا عن هذا . . كان يعلم هذا كله . . وهو العليم بخلقه . . وكان يعرف أن مريم اذا واجهت بنى اسرائيل وقالت لهم انها طلاقة قدرة الله فلن يصدقوها . . ولن يستمعوا اليها . . وسيفترون عليها مختلف الافتراءات . . حينئذ

جاء الحل من السماء .. قال لها الله سبحانه وتعالى أنت لن تتكلمي يا مريم ولا أريد لك أن تتكلمي .. ذلك أنك مهما قلت فإن كلامك قد يؤخذ وينسج عليه افتراءات ضدك .. ولكن الذى سيتكلم هو هذا الطفل الرضيع الذى يبلغ من العمر ساعات فقط .. سأجعله ينطق أمامهم لأريهم طلاقة القدرة .. فاذا ما رأوا آمنوا .. لا يوجد طفل فى العالم يتكلم بعد ولادته بساعات .. ولا يستطيع لفترة قد تزيد الى العام .. ولكنى سأجعل عيسى بن مريم يتكلم بعد ولادته بساعات .. لماذا .. لمجرد الاعجاز .. لا .. فאלله سبحانه وتعالى أعلى وأكبر من أن يريد شهادة من خلقه على اعجازه .. أو أن يريد شهادة من خلقه على أى شىء .. ولكن حتى اذا كذبوا بطلاقة القدرة التى فعلت كل هذا وجاءت بعيسى بن مريم .. أريهم طلاقة القدرة على الطفل الصغير علها تفيهم من غيهم وتجعلهم يحسون أنه من الجرم والاثم الكبير الافتراء على مريم ..

ومن هنا فان عيسى بن مريم تكلم ساعة ولادته .. بل انظر الى دقة تعبير القرآن الكريم ..

« فنادها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا »

أى أن عيسى بن مريم عليه السلام تكلم لحظة ولادته وعمره دقائق فقط .. وقبل أن تمتد يد أمه لتلتقطه من تحتها .. لا تحزنى فقد جعل الله تحتك نورا منه يهدى الى الحق .. وكان قول عيسى عليه السلام ردا على مريم التى كانت تفكر .. كيف ستلقى قومها به .. وماذا ستقول لهم .. وكان الموقف بالنسبة لها عصيبا .. حتى أنها قالت « يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » .. وهى فى لحظة تمنى الموت لأنها تعرف ما ستقابله من بنى اسرائيل .. وكيف سيقابلونها بالنكران والافتراءات .. والموقف العصيب الذى ستمر به .. وهى فى قمة هذا .. تكلم عيسى بن مريم وقال لأمه « ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا » .. ثم نبهها الطفل الذى ولد منذ دقائق فقط أنها فى حاجة الى الطعام والشراب ..

لتقوى وتشتد وتستطيع أن تواجه ما هو قادم .. فقال لها « وهزى
إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكل واشربى وقرى
عيناً » .. ثم جاءت الآية الكبرى من الله سبحانه وتعالى ..

« فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن
صوما فلن اكلم اليوم انسيا » ..

هكذا قال عيسى بن مريم لاهمه مؤيدا بروح القدس .. ومؤيدا
بنور من الله سبحانه وتعالى .. قال لها ان احدا لا يطلب منك ان
تتكلمنى فمهما قلت فى هذه الحالة فلن يفيد .. ولن يقنع احدا ..
ذلك انهم معزولون عن طلاقة القدرة .. وقد جئت لهم لأخرجهم بطلاقة
القدرة من المادة التى يعبدونها .. فمهما قلت يا مريم فقولك لن
يقنع احدا .. وفى مثل هذه الحالة قول الأم لا يفيد .. فاصمتى
أنت تماما .. وقولى : « انى نذرت للرحمن صوما » .. أى قررت
أن أصوم لله تعالى .. فكان الصوم عن الكلام .. قولى لهم اننى لن
أكلم انسانا اليوم لأننى صائمة عن الكلام .. ولكن الذى سيكلمكم
.. ويناقشكم .. ويرد على حججكم .. هو هذا الطفل الصغير
الذى عمره ساعات .. انه هو الذى سيرد ليكون ذليلا ماديا ملموسا
أمامكم على طلاقة قدرة الله التى جاءت به .. وما دمتم لا تعبدون الا
المادة ولا تثقون الا فى الماديات .. فقد اختار الله سبحانه وتعالى
لكم معجزة من جنس ما تثقون فيه .. ليرد كيديكم .. ويكون آية
من الله لكم لا تستطيعون انكارها .. ولا تقدرّون على اخفائها ..

عند هذه النقطة اطمأن قلب مريم .. وعرفت أن الله سبحانه
وتعالى الذى اصطفاه على نساء العالمين لن يتركها .. وأنه سيرسل
معه من يدل على صدقها وطهرها .. وأن هذا الطفل الصغير الضعيف
سيكون الدليل على قدرة وعظمة الله سبحانه وتعالى وعلى صدق
مريم ..

● المواجهة .. بالمعجزة

وحين اطمأنت مريم عليها السلام الى أن الله سبحانه وتعالى

سيرسل معها الدليل المادى الذى لا يحمل الشك على صدقها ..
اطمأن قلبها .. وحملت ابنها وذهبت الى قومها .. ويقول القرآن
الكريم :

« فأتت به قومها تحمله .. قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت
أمك بغيا » ..

وهكذا نجد أن المواجهة التى توقعتها مريم قد حدثت .. وأن
بنى اسرائيل قد واجهوا مريم بالسوء قبل أن يسمعوا منها كلمة
واحدة .. وهم كقوم ماديين عبدوا الأسباب .. لم ينتظروا حتى
تتكلم مريم لتروى لهم ما حدث وهو المنطق الطبيعى فى هذه الأشياء
.. فقد كان من الممكن أن يسألوها عن هذا الطفل .. ربما ليس
طفلها .. ربما وجدته فى مكان يواجه خطرا فجاءت به .. وربما
ماتت أمه وهى تلده فحملته مريم الى قومها .. ولكن كل هذه
الافتراضات التى تحتم الأخذ بحسن النية أولا لم ترد على خاطر بنى
اسرائيل .. بل افترضوا السوء من أول وهلة وأخذوا يعيرونها وأنها
ارتكبت اثما كبيرا ويذكرونها بطيب أصلها وصلاح أبويها وأخيها
هارون .. وكيف أن هذا الصلاح والتقوى كان يجب أن ينتقل اليها
.. وأن تكون هى قدوة سلوكية حسنة .. واتهموا قبل أن يسألوا
وقبل أن يعرفوا الحقيقة .. وفى هذا يبين لنا القرآن الكريم سوء
أخلاقيات بنى اسرائيل واسراعهم الى الظن بالسوء والافتراء فى
الاتهام .. وكيف أنهم وقد عصوا الله وقتلوا أنبياءهم .. انما ذلك
عن خلق سيئ لا يعرف للعمل الطيب مكانا .

حينئذ ماذا فعلت مريم .. أشارت الى عيسى عليه السلام وهى
تحمله .. فبهت القوم لأنهم لم يتوقعوا منها ذلك .. كانوا يتوقعون
أن تتحدث هى معهم .. أو أن تقول لهم شيئا يبرئها .. أو تحاول
تبرير ما حدث .. ذلك كان ظنهم ولكنهم فوجئوا بها وهى تشير الى
الطفل الصغير .. ولم يفهموا لأن طلاقة القدرة غابت عنهم وهم
لا يتعاملون الا بالأسباب .. فأبدوا عجبهم مما فعلته مريم فقالوا

« كيف تكلم من كان في المهد صبيا » .. أى يا مريم أنت تستخفين بعقولنا فهذا طفل صغير عمره ساعات .. أو يوم أو بعض يوم .. كيف تطلين منا أن نتحدث معه .. وهل ينطق مثل هذا الطفل .. ان الأسباب كلها تقول لا .. انه عاجز عن النطق ..

ولكن الله سبحانه وتعالى أنطق عيسى بن مريم .. أنطقه وهو طفل صغير .. أنطقه ليثبت لهم طلاقة القدرة .. وأن الله سبحانه وتعالى الذى لا يجعل طفلا ينطق الا بعد عام أو أكثر من عام من عمره .. يستطيع أن يجعل طفلا عمره يوم أو بعض يوم أن يتحدث .. ولا يجعله يتحدث حديث الأطفال .. بل يجعله يتحدث حديث الرجال راجحى العقل والمنطق .. وأن يناقش ويرد بالحجة عليهم .. وأن يكلمهم وكأنه قد بلغ مبلغ الرجولة .. وعقل كل شيء ..

● المعجزة .. والحكمة

لماذا وقعت هذه المعجزة .. ولماذا أتمها الله سبحانه وتعالى .. ليجعل هؤلاء القوم الماديين يوقنون بما حدث لمريم .. فلو أنها رزقت طفلا عن طريق عادى كما تلد النساء لما استطاع هذا الطفل أن يتكلم أو ينطق حرفا واحدا .. وحتى ولو كانوا قد انتظروا عليه حتى يكبر .. ليتعلم النطق لكان حديثه حديث الأطفال .. فيه سذاجتهم وافتقارهم الى المنطق والحجة والفهم .. ولكن كون عيسى ابن مريم نطق بعد ولادته بيوم أو بعض يوم فان ذلك معناه يقينا أن ذلك الطفل لم يأت بالطريق العادى وهو الذكر والأنثى .. ولكن معجزة كلامه تدل على طلاقة القدرة فى مولده .. وأن مريم لم يمسسها بشر .. وانما عيسى بن مريم جاء بكلمة « كن » .. والا اذا كانت مريم قد مسها أى بشر لجاءت بطفل عادى مما تلد النساء .. كان يجب على بنى اسرائيل أن يفيقوا ساعة نطق عيسى بن مريم .. وأن يعلموا أنهم أمام معجزة خارقة لله سبحانه وتعالى .. وأن يؤمنوا بكل ما تقوله مريم .. ويؤمنوا بعيسى رسولا ونبيا ..

ماذا قال عيسى بن مريم .. كان أول ما قاله « قال انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا » .. أى أن أول ما بشر به هو رسالته

.. قال انى عبد الله حتى لايفتن الناس بمولده .. فيحملوا الأشياء.
 أكثر مما تحتمل .. فحسم الموقف بأنه عبد من عباد الله وبشر
 ورسول .. ثم بعد ذلك قال « **آتانى الكتاب وجعلنى نبيا** » .. أى
 جعل لى كتابا سأبلغه اليكم .. ورسالة من السماء لكم .. وهكذا
 كانت أولى معجزات عيسى عليه السلام فى أولى كلمات نطقها .. فقد
 أبلغهم بالمستقبل وهو مازال فى المهد صبيبا .. فقال لهم انى قد
 جئتكم بكتاب من الله سبحانه وتعالى .. لاهديكم الى صراطه المستقيم
 .. والله جعلنى لكم نبيا .. وفوق ذلك آتانى الحكمة .. وأنتم
 ترون هذه الحكمة .. وأنا أتحدث اليكم .. فليس حديثى هذا
 حديث طفل رضيع .. ولكنه حديث رجل أوتى الحكمة يستطيع أن
 يجادلکم فيما تقولون .. وكانت هذه معجزة ثانية بطلاقة القدرة
 .. انباء بغيث قادم ونبوة ورسالة .. ومازال عيسى بن مريم فى
 المهد صبيبا .. وانباء بأنه وهو طفل رضيع لم يعط نعمة الكلام
 فقط من الله سبحانه وتعالى .. بل أعطى نعمة الحكمة أيضا ..

« وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة

مادمت حيا » ..

ومضى عيسى بن مريم فى كلامه ليقول أن الله سبحانه وتعالى قد
 أحاطنى ببركته أينما أكن .. فما من مكان أذهب اليه .. الا حلت
 فيه البركة .. وملأه الرزق .. كما أوصانى الله سبحانه وتعالى أن
 أعبده حق عبادته مادمت حيا .. والعبادة واجبة على الانسان فى
 فترة الحياة التى تتصل فيها الروح بالمادة .. تلك الفترة هى التى
 يكون فيها الانسان مختارا أن يفعل أو لا يفعل .. أن يعبد الله أو
 يعصيه .. فقبل الحياة .. وبعد الموت لا يكون هناك اختيار ..
 بل هو قهر .. والله سبحانه وتعالى قال فى قرآنه الكريم « **لتنذر**
من كان حيا » .. أى أن القرآن الكريم للأحياء وليس للأموات ..
 ولا يستطيع واحد عصى الله فى حياته الدنيوية أن يقول بعد أن يموت
 .. أننى سأعبد الله حق عبادته بعد الموت ليكفر عنى ما فعلته
 وارتكبته من معاص .. فبعد الموت ينقطع عمل ابن آدم .. ويعرف
 جزاءه أو مصيره .. بل أنه فى ساعة (الفرغة) .. توهى ساعة

خروج الروح من الجسد .. تعرض أعمال ابن آدم عليه .. فان كانت طيبة انفرج وجهه وظهر السرور عليه .. وعندما تنظر اليه بعد الموت .. تقول ان نهايته أو خاتمته كانت طيبة .. وان كان عمله سيئا .. انقبضت أساريره واكفهر وجهه .. وحاول أن ينطق بالشهادتين فخانه لسانه .. وفي هذه اللحظة يعرف أن مصيره هو النار .. والذي يصل الى حالة الفراغة يعرف يقينا أنه ميت .. ويبدأ أولى دقائق حياته في العالم الآخر .. وهكذا جاء قول عيسى بن مريم مؤكدا أنه كنى لم يعف من التكليف .. فقد طلب منه الله سبحانه وتعالى وأوصاه بأن يعبد حق عبادته مادام حيا ..

ويعصى عيسى بن مريم عليه السلام .. ليكمل ما أوصاه الله به فيقول .. « وبرا بوالدتي » .. ولم يقل وبرا بوالدى .. وهذه تأتي لتؤكد لبنى اسرائيل مرة أخرى معجزة الله فى مريم عليها السلام .. فلو أن عيسى جاء من ذكر وأنثى .. لقال وبرا بوالدى .. ولكنه قال وبرا بوالدتي ليكون شاهد صدق على طريقة خلقه .. وأنه لم يأت من ذكر وأنثى .. بل أتى بطلاقة القدرة من مريم عليها السلام دون أن يمسسها رجل .

● وكانت معجزة كافية

وهنا يجب أن يكون لنا وقفة .. لقد أتت مريم قومها وهي تحمل عيسى عليه السلام .. ونطق عيسى وهو فى المهد .. وكانت هذه معجزة كافية لتقنع بنى اسرائيل بأن ما حدث ليس شيئا عاديا .. ولا تنطبق عليه أسباب الدنيا التى يعرفها الناس .. ولكن الله سبحانه وتعالى يعرف عناد بنى اسرائيل .. ومكابرتهم فى الحق .. وامعانهم فى الباطل .. ولذلك فقد أراد أن يأتى بأكثر من آية .. تأكيدا لصدق مريم عليها السلام فى كل ما تقول .. ولم يجعل الطفل ينطق فقط .. ولكنه جعله يؤكد لهؤلاء القوم بأنه جاء من امرأة دون أن يمسسها رجل .. ويؤكد لهم هذا بكلامه هو .. وهو رسول ونبي .. مؤيدا من الله بمعجزة منذ لحظة ولادته .. ومبلفا عن الله سبحانه وتعالى برسالة ومنهج .. ومن هنا .. فانه صادق

أمين فيما يقوله .. فاذا قال وبرا بوالدتي ولم يقل وبرا بوالدي
.. فان ذلك معناه صدق معجزة مريم .. وهكذا يسوق الله سبحانه
وتعالى الدليل تلو الدليل لبنى اسرائيل على طلاقة القدرة ..
وصدق رسالة عيسى عليه السلام .. ورغم ذلك فقد كابروا ولم
يؤمنوا ..

ويمضى عيسى عليه السلام ليقول « ولم يجعلنى جبارا شقيا »
أى أننى لم آت اليكم كجبار يفسد فى الأرض ويقهر الناس ويجبرهم
على الأشياء .. وينشر الرعب وسفك الدماء .. بل جئتكم رحمة من
الله سبحانه وتعالى .. رحمة منه لاعدكم الى المنهج الذى تركتموه
واتخذتموه وراءكم ظهريا .. أى وضعتموه وراء ظهوركم حتى لاتلتفتوا
اليه ولا ترجعوا اليه أبدا وجئتكم كرحمة لأحل لكم بعض الذى حرم
عليكم .. وفى هذا رحمة من الله وفضل .. انه يرفع العنت عنكم
.. ويزيل عنكم بعض المشاق التى فرضت عليكم بمصيانكم للمنهج
ولأوامر الله .. أنا قد جئت لأرفع عنكم كل هذا برحمة من الله
سبحانه وتعالى .. فكأننى رحمة فى أن أن أعيدكم الى المنهج ..
لتعودوا الى طريق الله السوى .. وأجنبكم عذابه وغضبه .. وجئت
اليكم لأيسر لكم حياتكم فأحل لكم بعض ما حرم عليكم .. وجئتكم
برحمة أخرى .. هى أننى أخرجكم من الماديات التى غرقتم فيها
.. والفتكم الى الغيب والى الله سبحانه وتعالى .. عليكم ترعون الله
وتهتدون .. وتعرفون أنه بجانب ماديات الدنيا .. فهناك الغيب
والروح .. وهناك غير المادة التى تعبدونها وتتخذونها الها .. وهناك
الله سبحانه وتعالى الذى هو بطلاقة قدرته يستطيع أن يحقق لكم
كل ما تريدون .. فلا تتخذوا منهج الله وراء ظهوركم وتنبذوه ..
وتعبدوا مادة الدنيا وحدها .

لم يجعلنى الله جبارا .. ولكنه سبحانه وتعالى جعلنى رحمة ..
ولم يجعلنى شقيا محكما عليه بالشقاء والعذاب .. بل جعلنى
مراضيا عنه منه .. أى ان الله قد رضى عنى فى الدنيا والآخرة ..
ولم يجعلنى من زمرة الاشقياء الذين يشقون بغضب الله فى الحياة
الدنيا وعذابه فى الآخرة .

ثم يمضى عيسى بن مريم عليه السلام « **والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا** » .. وهذه الآية تحمل معاني عميقة ..
فما من شيء أحدث جدلا في الدنيا مثل ثلاثة أشياء .. يوم ولادته وطريقة هذا المولد .. ويوم وفاته ورفعته الى السماء .. ويوم بيعته حيا ، أى بعثه فى آخر الزمان ليهدى الناس .. أو بعثه يوم القيامة .. وهذه النقاط الثلاث مازالت موضع جدل كبير حتى يومنا هذا .. وستظل كذلك حتى قيام الساعة .. فمازال مولد عيسى بن مريم موضع جدل بين اليهود والنصارى .. ومازال كل فريق منهما يتحدث عن هذا المولد بطريقة تختلف عن طريقة الفريق الآخر .. مازالت النظريات الفلسفية تقوم .. والفلاسفة والذين يكتبون عن الدين يحاولون وضع الروايات المختلفة والنظريات الفلسفية المتناقضة عن مولد المسيح عليه السلام .. ورغم ان القرآن الكريم قد حسم الموقف تماما .. وروى عن الله سبحانه وتعالى قول الحق الذى فيه يختلفون .. الا انه مازالت هناك فلسفات تقوم ونظريات بعد نظريات .. ولقد كان يكفى ما أراه الله لعباده من طلاقة القدرة فى مولد المسيح عليه السلام .. وحديثه وهو طفل .. والمعجزات التى أيد بها .. فقد كان جبريل لا يفارق عيسى عليه السلام ليثبتته أمام الجدل والاتهام اللذين واجه بهما بنو اسرائيل .. ولكن رغم كل هذه المعجزات والتحضير الالهى لمولد عيسى .. واللفقة الى الروحانيات .. او الى الغيب وطلاقة القدرة التى جاء بها عيسى عليه السلام .. فان الجدل مازال يشور .. ولكم أن تطلعوا على الكتب التى تصدر حتى فى هذه الايام فتجدوا انها تحمل صور هذا الجدل .. ودليلا يهدمه دليل .. ولكن رغم هذا الجدل فأن عيسى عليه السلام .. أعطى السلام والامن من الله يوم مولده وبدأه الله سبحانه وتعالى من كل جدل يحدث بعد ذلك .

ويدور الجدل حول وفاة عيسى عليه السلام .. والقرآن الكريم يقول لنا .. ان عيسى لم يصلب وان الله قد رفعه اليه .. ولاشك ان مسألة الرفع الى السماء يجب الا نتوقف عندها .. ذلك لان عيسى عليه السلام من مولده الى وفاته مؤيد بقدرة الله سبحانه

وتعالى .. وإذا كان ميلاده معجزة .. وحديثه وهو طفل معجزة ..
والاشياء التى قام بها وهو نبي والتى سنتناولها معجزات .. وكلها
مؤيدة بطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. لاتخضع لاسباب
الكون .. فلماذا نريد ان نخرج عن هذا كله فى رفعه الى السماء
.. ولماذا نصدق بطلاقة القدرة فى مولده ومعجزاته .. ثم بعد ذلك
نأتى الى وفاته ورفعته الى السماء ونجادل فى الاسباب .. مادامت
الرسالة كلها مؤيدة بطلاقة القدرة .. فيجب أن نأخذ كل الاحداث
فيها بمنطق بطلاقة قدرة الله .. وليس بمنطق الاسباب .. فلا نطبق
على جزء من حياة عيسى عليه السلام بطلاقة القدرة .. وعلى جزء آخر
منها الاسباب ، والا نكون قد ناقضنا أنفسنا .. وهدمنا المنطق .. بل
اننا يجب أن نأخذ رسالة عيسى منذ مولده حتى رفعه الى السماء
بطلاقة القدرة وحدها التى تقول للشئ كن فيكون ولا تأخذها
بالاسباب والمسببات التى نعرفها .

● لماذا الجدل ؟

ثم لماذا الجدل عن رفع عيسى عليه السلام الى السماء بالجسد
أو الروح فلقد حدثت هذه المعجزة لرسولنا ونبينا محمد عليه
الصلاة والسلام وأسرى به الله بالجسد الى سدرة المنتهى .. ثم اعاده
الى الارض مرة أخرى .. وهذا ثابت ويقينى مما أخبرنا به القرآن
الكريم صدقا من الله سبحانه وتعالى .. فهل تقف بطلاقة قدرة الله
عن ان يرفع عيسى الى السماء بالجسد .. ان الذى يؤمن بطلاقة
القدرة يعلم يقينا انه لاشئ يستطيع أن يحدها .. ولا قيود ولا حدود
على قدرة الله سبحانه وتعالى ولا أسباب ولا مسببات .. ومادام
الفعل قد نسب الى الله سبحانه وتعالى فهو الذى عرج الى السماء
بمحمد عليه السلام وهو الذى رفع عيسى الى السماء .. فان العمل
يجب ان ينسب الى قدرة الفاعل الذى ليس كمثله شئ .. فاذا كان
الفاعل هو الله سبحانه وتعالى يكون الفعل بلا قيود ولا زمان ولا
مكان .. ويكون مصدقا لان الفاعل هو الله الذى خلق كل شئ
والذى يقول كن فيكون .

اذن فلا محل للجدل هنا .. لان الجدل يمكن أن يشار اذا كان
 الفاعل انسانا .. أو محدود القدرة .. ولكن اذا كان الفاعل هو
 الله فلا جدال .. اما بقاء عيسى عليه السلام ليبعث في آخر الزمن
 أو يوم القيامة فلا يثير جدلا هو الآخر .. ذلك أنه في الحالة الاولى
 .. فان الفرق بين معجزة محمد عليه السلام ومعجزة عيسى هو فرق
 الزمن الارضى أو الوقت .. فمحمد عليه السلام عرج الى السماء ثم
 أعيد الى الارض في فترة زمنية قصيرة .. وعيسى عليه السلام سيأخذ
 فترة زمنية أطول ولازمن عند الله سبحانه وتعالى .

على اننا فى كل هذا .. واعدوا فكرر مرة أخرى يجب أن ننسب
 الفعل الى الفاعل .. واذا كنا فى الاشياء الارضية ننسب الفعل الى
 الفاعل .. فحفل يقيمه وزير أو حاكم لا نتقبله بعقولنا كما نتقبل
 بنفس المقاييس حفلا يقيمه رجل فقير بسيط .. فاذا قيل لى أن
 حاكما أو وزيرا قد اقام حفلا .. وان رجلا بسيطا قد اقام حفلا ..
 فأنتى بعقل ودون ان يخبرنى احد أعرف أنه يجب ان انسب الفعل
 الى الفاعل .. فأعرف ان الحفل الذى يقيمه الوزير أو الحاكم يقام
 فى مكان فاخر .. يحضره عدد كبير من الناس وعلية القوم .. بينما
 حفل الرجل الفقير يقام فى مكان بسيط ويحضره عدد قليل من
 عباد الله البسطاء ، اذن ففى الحالتين قد نسبت الفعل الى الفاعل
 .. وفرقت فرقا هائلا بين امكانيات الفاعل فى حدث واحد وهو
 الحفل .. واذا كانت هذه هى المقاييس فاننا يجب أن نفرق بين
 قدرة الفاعل وهو الله .. وبين قدرة البشر .. وان ننسب الحدث
 لقدرة فاعله الذى ليس كمثله شئ ..

على أن الله سبحانه وتعالى قد اخبرنا فى كتابه العزيز ان هذه
 المسائل الثلاث - مولد عيسى ورفعته الى السماء وبعثه - ستكون مشار
 جدل حتى قيام الساعة .. وان الله سبحانه وتعالى قد برأ عيسى
 عليه السلام من هذا الجدل .. ومن كل ما قيل ويقال بعد رفعه
 الى السماء ..

على أننا حين نتحدث عن معجزات عيسى عليه السلام .. فيجب أن نلاحظ شيئا هاما .. هو أن الله سبحانه وتعالى فرق بين هذه المعجزات رغم أن عيسى عليه السلام رسول مؤيد من الله .. فقال الله سبحانه وتعالى على لسان عيسى ..

« قد جئتمكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله . وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .

نلاحظ هنا ان الله سبحانه وتعالى قد فرق بين المعجزات .. فجعل بعضها تتبعه عبارة (باذن الله) .. والبعض الآخر لم يذكر فيه شيئا عن هذه العبارة .. ورغم أن عيسى عليه السلام رسول مؤيد من ربه بالمعجزات ، الا ان الله سبحانه وتعالى قد فرق بين المعجزات التى هى باذنه والمعجزات التى أيد بها رسوله .. فمعجزة الخلق وان عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيكون طيرا .. ذكر الله سبحانه وتعالى ان الحياة تدب فى هذا الطين باذن الله .. ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد احتفظ بسر خلق الحياة لنفسه .. ولم يعطه لعبده من عباده .. ومن هنا كان لزاما أن تأتى كلمة باذن الله بمعنى ان الخلق يتم لا بمعجزة ذاتية ولكن باذن الله سبحانه وتعالى .. ثم تمضى السورة الكريمة « وابرىء الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله » .. ذلك ان الشافى هو الله سبحانه وتعالى .. ولا شافى غيره .. مصداقا لقوله تعالى « واذا مرضت فهو يشفين » كما ان أحياء الموتى هو باذن الله سبحانه وتعالى الذى يحيى ويميت .. وهكذا كانت هذه المعجزات اعلانا من الله سبحانه وتعالى بانه هو الفاعل وحده .. لا يشرك احدا معه فى ذلك .. انه اذا كانت هذه المعجزات قد تمت على يد رسول فانها تتم باذن الله فانه هو الذى يحيى ويميت وهو الذى يشفى من المرض .

ثم تأتي بعد ذلك المعجزات الأخرى « وأنبيئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » تلك آية من الله سبحانه وتعالى إلى عيسى عليه السلام .. مكنه الله منها فاستطاع أن يقوم بها بذاتيته .. وهى وإن كانت تأييدا من الله .. إلا أنها تأييد لرسوله .. كدليل على صدق الرسالة .. وإن الله سبحانه وتعالى لم يحتفظ بسر هذه الأشياء لنفسه .. بل أطلع عليها عيسى عليه السلام ومكنه منها .. ومن هنا فإن هناك معجزات احتفظ الله بسرها لنفسه ومكن عيسى من القيام بها .. ومعجزات أطلع الله عيسى عليه السلام على سرها ومكنه منها - وسر الخلق والموت وأحياء الموتى احتفظ به الله لنفسه ولم يطلع رسولا من رسله على الكيفية التى يتم بها ذلك .

على أنه رغم طلاقة القدرة التى لازمت عيسى منذ ساعة مولده حتى رفعه إلى السماء .. تلك الطلاقة التى أعطته من ساعة ولادته حتى ساعة رفعه إلى السماء معجزات بينات .. فإن ذلك لم يقنع بنى إسرائيل .. ولم يجعلهم يؤمنون به .. بل على العكس جعلهم يتمسكون بالماديات وهم يرون الغيبات وطلاقة القدرة .. وبدأوا يتآمرون عليه ويكذبون رسالته .. وكلما جاءهم بمعجزة أنكروها ولم يلتفتوا إليها .. ذلك هو طبع بنى إسرائيل .. فقد جاءهم موسى بمعجزات لا تعد ولا تحصى .. وكلما حدثت أمامهم معجزة .. بقوا فترة وجيزة على الإيمان .. ثم عادوا إلى الكفر مرة أخرى .. ولم تجعلهم كل المعجزات يبتعدون عن الماديات ويتجهون إلى الله سبحانه وتعالى .. بل كان ولاؤهم دائما للذهب والمال حتى يومنا هذا .. ولقد لعنهم الله بكفرهم .

● .. ولم يؤمنوا ! ..

وعيسى عليه السلام بعد كل ما أراه لهم رؤيا العين .. ويقين المشاهدة .. أحس أنهم لم يؤمنوا .. وأحس أنهم يبتعدون عن الله سبحانه وتعالى .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بنا مسلمون » ..

أى ان عيسى عليه السلام حين أحس من هؤلاء اليهود بكفرهم
وعنادهم .. وعدم طاعتهم أو أقناعتهم رغم كل ما ارسله الله على
يديه من آيات بينات .. أحس عيسى منهم الكفر .. فبدأ يبحث عن
رجال أمناء مؤمنين .. يبلغون رسالته من بعده ويحملون منهج الله
الى عباد الله فى الارض .. كان ذلك يقينا من عيسى عليه السلام ان
بنى اسرائيل لن يؤمنوا له رغم كل البينات التى جاء بها .. ورغم
أنه قد جاء اليهم رحمة من الله سبحانه وتعالى ليحل لهم بعض
ما حرم عليهم .. ليدلهم على منهج الله الذى ينجيهم من عذاب أليم
.. ورغم كل هذا الذى يعتبر فى مصلحة بنى اسرائيل .. فقد أحس
عيسى منهم الكفر وعدم الايمان .. فبدأ يلتجئ الى الحوارين
ومريديه ليلقنهم الرسالة الصحيحة .. ويخبرهم بما انزله الله
عليه .. حتى يكونوا من بعده دعاة مخلصين لهذا الدين الذى كان
واثقا ان بنى اسرائيل سيجاولون تشويبه ومماريته ونشر الاكاذيب
عن رسالته ولقد قام الحواريون بتلقى منهج الله ثم نقلوه بعد ذلك
الى أقطار الارض .

وهكذا كان عيسى عليه السلام حريصا فى حياته على أن يبلغ
الرسالة التى كلفه الله بها .. فلما لم يفلح مع بنى اسرائيل اتجه
الى تلاميذه وحواريه .. واعطاهم التعاليم التى نزلت عليه من
السماء .. واخذ عهدا منهم أن يقوموا بابلاغها الى الناس حتى يفوت
على بنى اسرائيل فرصة القضاء على هذا الدين وهو ما كانوا يبيتونه
واحسه عيسى عليه السلام فى حياته .

الى هنا .. واتوقف عن خواطرى حول سورة مريم .. وعيسى بن
مريم عليهما السلام .. ولقد كانت رسالة عيسى عليه السلام
تجسيذاً لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. فطلاقة القدرة جاءت
من أول الرسالة الى آخرها .. فعندما نذرت امرأة عمران مافى بطنها
لله سبحانه وتعالى .. جعلها الله تلد انثى .. ولما احسنت امرأة عمران
أن الذكر ليس كالأنثى .. ورفعت يديها الى السماء معلنة ذلك ..
قال لها الله سبحانه وتعالى انه اعلم بما وضعت .. ثم بدأ اضطفاء
مريم بكشف طلاقة القدرة لها على اشياء مادية من الرزق الذى يعطيه

لها الله وهى فى المحراب تتعبد .. وشاء الله سبحانه وتعالى ان يرى
 زكريا طلاقة القدرة عندما سأل مريم من اين لك هذا .. ورزقه
 بابن وهو رجل عجوز وامراته عاقر .. ثم طهر الله سبحانه وتعالى
 مريم بالعبادة له والسجود اليه والتقرب منه ثم اصطفاه مرة أخرى
 على نساء العالمين لتكون هى الانثى الوحيدة فى سائر مخلوقات الله
 من الانس والجن وكل ما خلقه الله لتضع مولودا بدون ذكر ..
 ولذلك كان الاصطفاء الثانى مقرونا بذكر اسم مريم مميزا فى
 القرآن الكريم .. ففى كل آيات القرآن الكريم يقول الله سبحانه
 وتعالى مريم ابنة عمران .. وعيسى بن مريم .. ولا يأتى ذكرها ولا
 ذكر ابنها بالاسم الاول وهو مريم وعيسى .. مع ان المتبع فى القرآن
 الكريم هو الاسم الاول فقط .. لان ما يرويه القرآن هو أمثلة
 ايمانية لا تتعلق بالشخص نفسه .. الا فى قصة مريم فقد أختصها
 الله بهذه المعجزة التى لن تتكرر الى يوم القيامة .. والثى فضلها
 بها على كل النساء واللاتى خلقهن فى العالمين .

وقد جاء ميلاد المسيح ابن مريم دليلا على طلاقة القدرة التى
 تقبول للمشيء كن فيكون .. فولد من انثى ذكر .. وثبت
 الله مريم قبل ان يحدث ذاك .. ثم اظهر صدق المعجزة بان جعل
 عيسى بن مريم ينطق وهو طفل عمره دقائق .. ثم أيدته بالمعجزات
 .. عدد منها باذن الله كأن يصنع الطين على هيئة الطير ويحيى
 الموتى ويشفى المرضى ، كل ذلك يتم باذن الله .. وعدد منها يتم
 بما اطلعه الله ونباه به من اسرار الكون لتكون آية ودليلا على صدق
 رسالته كآباء الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

ورغم هذه المعجزات البينات .. وان عيسى قد ارسل رحمة لبني
 اسرائيل .. فقد كفر به بنو اسرائيل وتربصوا به .. فلما أحس
 عيسى منهم الكفر جمع حواريه أو تلاميذه .. وابلغهم ما ارسل
 به لينقلوا رسالة الله الى البشر .. وحملهم أمانة هذه الرسالة .

وعند هذا الحديث : يجب ان نتناول معجزة الخلق ... وهذا
 هو موضوع الفصل القادم .

• الفصل الخامس •

معجزة الخلق

الاعجاز في القرآن الكريم هو اعجاز دائم .. أى أن القرآن معجزة يوم أن انزل .. ومعجزة في هذا العصر .. ومعجزة في العصور القادمة الى أن تقوم الساعة .. ذلك ان اعجاز القرآن اعجاز متجدد .. وعطاء هو عطاء لكل جيل .. عطاء مختلف عن الجيل الذي سبقه .. تلك حقيقة هامة لا بد ان نعيها حين نتحدث عن اعجاز القرآن الكريم ..

والقرآن لا يفسر بمعنى أنه لا يمكن لاحد ان يقول أنه يفسر القرآن .. بل هي خواطر ايمانية لكل مجتهد حول القرآن الكريم .. ذلك أن التفسير الكامل للقرآن لا يعلمه الا الله وحده .. وانما خواطر القلب المؤمن هي التي يمكن أن نسجلها حول آيات القرآن الكريم .. ولو أن القرآن الكريم كان من الممكن أن يفسر لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بتفسيره .. لانه نزل عليه .. ولكن رسول الله بين للناس الاحكام التكليفية التي يثاب المرء أن فعلها .. ويعاقب أن تركها .. وهي حدود الله سبحانه وتعالى في أفعل ولا تفعل .. أما ما يتعلق بالوجود وأسرار القرآن

حول هذا الوجود .. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشح ذلك ولم يعممه .. وإن كان قد علمه هو نفسه .. لماذا ؟ .. لأن العقول قد لا تتقبله .. فالقرآن لم يأت ليعلّمنا أسرار الوجود .. وأنا وضعت أسرار الوجود في القرآن الكريم لتعطى عطاء لكل جيل حسب العلم الذى يكشفه الله له .. حينئذ يكون عطاء القرآن مستمرا مع تقدم العلم والحياة الى أن تقوم الساعة ..

أن في القرآن اعجازا في اللفظ .. واختيار الكلمات والمعاني .. بحيث تناسب كل عقل .. وكل جيل .. ولعل أولى معجزات القرآن أنها تخاطب الجميع : المتعلم .. والجاهل .. والذى قرأ علوم الدنيا كلها .. والذى لم يقرأ حرفا واحدا .. وإذا لاحظنا في الخطاب البشرى .. نجد أنه يقال لكل مقام مقال .. أى أن الذى يتحدث به مع نخبة من العلماء غير الذى يتحدث به مع أناس بسطاء .. لم يقرأوا شيئا .. غير حديثك لأولئك المفكرين .. ولكنك تذهب الى المسجد فتجد العالم والامى ونصف المتعلم يجلسون معا .. ويقرأ القرآن .. فتهتز نفوسهم جميعا .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ملكات خفية فى النفس لا يعلمها الا هو .. وهذه الملكات هى التى تهتز للقرآن الكريم .. كلام الله .. وكل واحد من الجالسين مهما كانت ثقافته له متاع فيما يقرأ .. واهتزاز وانفعال داخل نفسه .. رغم أنه من الصعب أن تخاطب هؤلاء جميعا .. وتحديثهم بكلام دنيوى لاختلاف مستوى العقول ..

أن القرآن الكريم لم يأت ليعلّمنا أسرار الوجود .. ولكنه أشار اليها وسجلها ليظهر الاعجاز الالهى للناس .. فى كل عصر .. ومع تقدم العلم البشرى .. على أن ربط القرآن الكريم بالنظريات العلمية شئ لا يجب أن يحدث .. فالقرآن لا تربط صحته باتفاقه مع نظرية علمية أيا كانت .. ولكن العلم هو الذى يستمد صحته وبيانه اذا اتفق مع آيات القرآن الكريم .. فكل علم مخالف لحقائق القرآن هو علم زائف .. لأن قائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى ..

وخالق الكون هو الله سبحانه وتعالى .. ولا يمكن لمخلوق أن يصل
 فى أسرار الكون الى علم الخالق .. تلك حقيقة هامة خاصة لأولئك
 الذين يحاولون أن يربطوا معجزة الخلق بنظريات أرضية ..
 والحياة والموت هما مما أختص به الله سبحانه وتعالى نفسه ..
 حتى انه اذا أعطى هذه المعجزة الى رسول من رسله .. كما أعطاهما
 الى عيسى عليه السلام .. فإنه يقول .. بأذن الله .. فعيسى يقول ..
 « وأحيى الموتى بأذن الله » .. ويقول .. « انى اخلق لكم من الطين
 كهية الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله » .. ولكنه يقول ..
 « وأبرىء الأكمه والأبرص » .. « وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون
 فى بيوتكم » .. يلاحظ أن معجزة الحياة والموت لم ترد الا ومعها
 كلمة بأذن الله .. بينما وردت المعجزات الاخرى كإبراء الأكمه
 والأبرص .. وغير ذلك .. كمعجزات ايد بها عيسى من الله سبحانه
 وتعالى .. دليلا على صدق رسالته .. وتبليغه عن الله .. ولكن
 معجزة الخلق هى لله وحده .. ولكن بعض الناس يأتى ليجادل فى
 ذلك .. مدعى أن الانسان أصله قرد .. الى آخر ما يقال فى عدد
 من النظريات العلمية .. ونحن نقول لهؤلاء .. اذا كان الانسان
 أصله قرد .. فلماذا توقف هذا التحول منذ ألوف السنين .. لماذا
 لم نشهد نحن فى كل التاريخ المكتوب للبشرية .. أن قردا قد تحول
 الى أنسان .. فمن الذى أختص قردا واحدا .. دون بقية بنى جنسه
 .. فى أن يتحول الى أنسان مرة واحدة فى التاريخ لنعرف لها
 سجلا .. ولم نسمع عنها شيئا .. اللهم الا افتراضات لاتستند الى
 الحقيقة .. لو أن الانسان أصله قرد .. لكنت سنة أن يتحول
 القروء الى بشر .. وما دام ذلك قد حدث مرة واحدة .. فإنه لابد
 أن يتكرر .. ولكننا لم نشاهد هذا فى التاريخ الانسانى .. فما
 الذى أوقفه .. ولماذا لم تستمر العملية ككل عمليات الحياة .. أن
 الذى أوقفه أنه لم يحدث اصلا .. ولم يكن موجودا الا فى خيال
 أولئك الذين زعموه بلا دليل علمى محسوس .. ولو كان هذا صحيحا
 لأمكن بعد تقدم العلم البشرى أن يقوم العلماء بتحويل قرد الى أنسان
 .. ولكنه مجرد زيف ..

والله سبحانه وتعالى حين أوجد الحياة أبلغنا بطريقه الخلق ومعجزته .. وقال اننى خلقت من كل شيء زوجين اثنين .. أى أن كل مخلوقات هذه الدنيا بدأت بخلق الله سبحانه وتعالى لذكر وانثى .. ثم بدأ التكاثر بعد ذلك .. وكل من يقول غير هذا .. هو مخالف للحقائق العلمية فى أن الحياة لا يمكن أن تتكاثر الا بذكر وانثى .. وهنا هو بداية الخلق ..

● أسرار الغلق

على أن بعض الناس لا يكتفى بما قال الله سبحانه وتعالى عن الخلق .. وإنما يحاول أن يصل الى أسرار هو ليس مؤهلا لها .. نقول له ان الله سبحانه وتعالى أعطى للعلم البشرى ما يفيد .. وحجب عنه ما هو علم لا ينفعه .. وجهل لا يضره .. فعدم علمك بأسرار خلق الشمس مثلا .. لا يؤثر فى شيء فى استفادتك بالشمس نفسها .. فى الزراعة .. والتدفئة .. واستغلال النهار فى السعى من أجل الرزق .. وغير ذلك مما أحججه فى حياتى العادية .. تماما كما يحدث بالنسبة للكهرباء مثلا .. فعدم معرفتى بأسرار الكهرباء لا يمنعنى من أن أضغط على الزر .. فأوقد المصباح .. وأودى عليه حاجاتى فى الليل .. وعدم علمى بأسرار التليفون لا يمنعنى من أن أستخدمه لأتحدث به الى من أريد .. وهكذا أشياء كثيرة فى الكون .. أستطيع أن أستخدمها دون أن أصل الى أسرارها .. أى أستخدمها العالم بها والجاهل بها بنفس الطريقة .. ونفس الاستفادة ..

ومن هذه الأشياء .. الغيبيات التى أختص بها الله سبحانه وتعالى نفسه .. فنجد أنسانا يبحث عن أسرار الروح .. نقول له أنك لن تخلق روحا .. ولن تصل الى أسرارها لأنك لا تستطيع أن تأخذها وتضعها فى العمل .. وتجرب التجارب عليها .. فهى شيء غير مادى يتصل بالمادة فيعطيها الحركة .. ويخرج منها فتعود مادة هامة كما كانت .. وأنت لا تعرف مكان الروح فى جسدك .. فى أى جزء هى

.. هل هي في القلب .. أو في المخ .. أو في اليدين .. أو في القدمين .. فالجسد كله يتحرك بالروح .. ولكن هذه الحركة عامة .. بحيث لا يستطيع أنسان أن يحدد بالدقة مكان الروح من الجسد .. بل ان الروح حين تغادر الجسد فإن وزنه لا ينقص .. إذن النفس هي اتصال الروح بالمادة لتعطيه الحياة .. فإذا اتصلت الروح بالمادة أعطتها القدرة على الحركة والنمو .. وكل ما تحتاجه الحياة البشرية .. وإذا انفصلت عنها عادت المادة الى طبيعتها الساكنة الهامدة .. والله سبحانه وتعالى احتفظ لنفسه بسر الحياة .. وسر الموت .. فهو خالق الحياة .. وخالق الموت .. وكل محاولة في هذه المجالات .. إنما هي علم لا ينفع وجهل لا يضر .. ذلك أن عدم معرفتي بأسرار الروح والخلق لا يمنعني من ممارسة حياتي على الأرض .. وليس معنى ذلك أن البحث في هذا الموضوع منهى عنه .. بل ليبحث أهل الأرض كما يشاءون .. ولكن الذي نرفضه أن يأتي أنسان بنظرية مبنية على الظن والاستنتاج .. ويحاول أن يجعل منها قضية لظعن الدين .. بينما هي في الحقيقة مجرد ظن لا يضمن عن الحق شيئاً .. فأن يقول عالم أن الأنسان أصله قرد دون أن يأتي بدليل مادي على ذلك .. أمر مرفوض لأنه يخالف قول الله تعالى .. بأن الخلق تم لكل نوع بزوجين ذكر وأنثى .. فالبحث العلمي اذا قام على حقائق فإنه مقبول .. واذا قام على الظن والافتراض .. فإنه مرفوض .. وحقائق الكون كما ذكرها الله في القرآن الكريم هي حقائق أزلية .. لا يمكن أن تتصادم مع الخلق لأن القائل هو الخالق ..

ونأتي الآن الى خلق آدم .. الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه خلق الانسان من طين .. أى من عناصر الأرض والتربة التي نعيش عليها .. والبحث العلمي المعمل أثبت أن الأرض تتكون من ١٨ عنصراً .. كلها موجودة في جسد الأنسان .. ثم نفخ الله سبحانه وتعالى فيه من روحه .. والروح من أمر الله .. لم يصل اليها العلم .. ولن يصل .. فتم خلق آدم .. وخلق حواء من آدم .. ثم عرض الله

سبحانه وتعالى آدم على الملائكة .. وقال لهم أنه خلق خليفة في الأرض .. وهنا قال الملائكة .. أنخلق من يفسد فيها .. ويسفك الدماء .. ونحن نسبح بحمدك .. قول الملائكة هذا قد يوحى بأنه كان هناك خلق آخر قبل خلق الانسان .. عوالم أخرى كالجن مثلا .. وأن هؤلاء أفسدوا في الأرض .. وسفكوا فيها الدماء .. وكانت تجربة شهدها الملائكة .. فحكموا بها .. ومن هنا فأن حكمهم كان على شيء قد مضى .. وحدث .. وهم يطبقون التجربة بالقياس .. حينئذ ماذا فعل الله سبحانه وتعالى .. علم آدم الاسماء كلها .. أى أنه علمه أسماء الاشياء التي سيقابلها في حياته على الأرض .. وسواء كان ذلك هو العلم البشرى كله .. أختزن في عقل آدم ليخرج بعد ذلك الى ذريته جزءا جزءا .. أو سواء كان ذلك العلم الاول الذى استخدمه آدم حين نزل الى الأرض .. فالثابت أن علم آدم جاء من الله سبحانه وتعالى .. وأن الله هو الذى علم الانسان ..

● العقل يرث الحضارات

وهنا لنا وقفة قصيرة .. أن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يجعل العقل البشرى منفردا بأن يرث الحضارات .. أى أن الانسان هو الكائن الذى يستطيع أن يبدأ من حيث أنتهى أبواه واجداده .. فانت تستطيع أن تعلم أبناك ما وصلت اليه من قمة العلم .. وهو يزيد عليه .. ويعلم ابنه ما وصل اليه من قمة العلم .. وابنه يزيد عليه وينقل الى أبنائه ما أخذه عن أبيه .. وما زاد عليه .. وهكذا تنتقل الحضارة الانسانية من جيل الى جيل مستوعبة الماضى .. مضيفة اليه من الحاضر لتصل الى المستقبل .. هذه خاصية للعقل البشرى وحده .. أعطاها الله سبحانه وتعالى له .. وهى خاصية لاتوجد فى الحيوانات مثلا .. فانت تدرب القرد أو الفيل .. أو أى حيوان آخر .. على أن يقوم بأعمال معينة تحتاج الى شيء من التدريب .. وهو ينجح فى القيام بها .. ولكنه لا يستطيع أن ينقل ذلك الى أخوته وأولاده .. بل لا يستطيع أن ينقله الى أحد من بنى جنسه .. فالقرد الذى يتعلم شيئا مثلا .. لا يستطيع أن يعلمه

لأولاده .. ليزيدوا عليه ثم يعلموه لأولادهم .. وهكذا ..
 كما يحدث فى البشر .. ذلك أن وراثة الحضارة خاصة
 يتمتع بها العقل البشرى وحده .. وهذه الخاصية قد وضعها الله
 سبحانه وتعالى فى العقل البشرى ليستطيع أن يتقدم .. وأن يكون
 معدا عندما يكشف الله له آياته فى الأرض فيستوعبها .. ولولا
 تلك الوراثة الحضارية لبقى الإنسان الأول على ما هو عليه .. ولما
 تقدمت الدنيا كلها .. لأنه فى هذه الحالة حتى لو حصل أنسان
 على العلم فإنه يعجز عن نقله الى اولاده .. فينشأ الابن على الفطرة ..
 .. وحتى اذا أستوعب الابن علما لا ينقله الى أولاده .. وهكذا
 يبقى الإنسان بدائيا كأول عصور الحياة .. ولكن وراثة الحضارة
 التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى العقل البشرى وحده قد جعلته
 يستطيع أن يحقق هذا التقدم العلمى الهائل .. فأذا قال لك أحدهم
 مزهوا بما حققه الإنسان من العلم الذى أتاهه الله له فى الارض ..
 فقل له لا تره بنفسك ولا بالبشر جميعا .. بل أرجع الفضل الى الله
 .. وأسجد له شكرا .. لأنه هو الذى أختص عقلك البشرى دون
 سائر المخلوقات .. لوراثة الحضارة والعلم .. ولو كان لك عقل
 كالقرد مثلا .. لبقيت على حالتك بالنسبة للحياة الاولى .. ولما
 استطعت أن تتقدم خطوة واحدة فى سبيل الحضارة .. وأن تصل
 الى هذا العلم الذى أتاهه لك .. فالفضل أولا فى كل تقدم بشرى
 هو لله سبحانه وتعالى الذى أعطى العقل البشرى خاصية التقدم بأن
 جعله يستطيع أن يرث الحضارة .. واذا أردنا ان نسجد شكرا
 للنعم التى أتاحتها لنا الكشف العلمى .. والتقدم التكنولوجى ..
 فأنا يجب أن نسجد أولا لله سبحانه وتعالى .. الذى وهبنا العقل
 .. الذى يمكن أن يحقق هذا .. واختصنا بالقدرة على أستيعاب
 التقدم العلمى .. والذين يحاولون أستغلال هذا التقدم العلمى
 بالتشكيك فى قضية الدين .. نقول لهم أرجعوا الى الأساس ..
 أولا .. من الذى حقق هذا التقدم العلمى .. علم أتاهه الله للعقل
 البشرى .. وكيف أستطاع العقل البشرى أن يستوعب العلم ..
 أستطاع أن يستوعبه بالخاصية التى أعطاها الله له .. وميزه بها ..

وهي القدرة على أستيعاب الحضارة .. والزيادة فيها .. فأستيعاب علم مضى .. والزيادة عليه بعلم قادم .. ثم أستيعاب هذا العلم القادم .. فضل الله على الانسان وحده .. ولو كان للانسان عقل كسائر الحيوانات مثلا .. لما أستطاع أن يوجد حضارة أو يستوعب علما .. والذي خلق هذا العقل البشرى .. وأعطاه هذه الميزات .. هو الله سبحانه وتعالى .. ولا يستطيع أحد أن يجادل فى هذه الحقيقة ..

بعد أن علم الله آدم الاسماء كلها عرضها على الملائكة .. وقال أنبئوني بأسماء هؤلاء .. حينئذ قالت الملائكة سبحانهك .. لا علم لنا الا ما علمتنا .. الله سبحانه وتعالى هنا يريد أن يعلمنا مبدأ هاما .. أنه يستطيع أن يعطى الأدنى ما يميزه على الجنس الأعلى .. وهو وحده القادر على ذلك .. فالملائكة مخلوقات من نور .. والانسان مخلوق من طين .. والنور مادة شفاقة .. والطين مادة معتمة .. ولكن الله سبحانه وتعالى جاء فميز آدم الذى هو من طين بالملم .. وجعله يتفوق على الملائكة الذين هم من نور .. وتلك لا يقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى .. معطيا المثل على أنه يستطيع أن يعطى الأدنى مايتفوق به على الأعلى .. ليقضى على الغرور فى أى من خلقه ..

واعترف الملائكة بأن علم آدم الذى أعطاه الله له يفوق علمهم .. حينئذ أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم .. وهنسا نقطة هامة يثيرها بعض الناس .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد نهى عن السجود لغيره .. فكيف يأمر الملائكة بالسجود لآدم .. والسجود منهى عنه لغير الله .. نقول لهم .. انكم لم تفهموا ماذا حدث .. أن الملائكة لم يسجدوا لآدم .. ولكنهم سجدوا طاعة لأمر الله الذى أمرهم أن يسجدوا لآدم .. فالسجود هنا ليس لآدم نفسه .. ولكنه لأمر قاله الله سبحانه وتعالى .. تماما كما يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتجه الى الكعبة فى صلاتنا .. ونسجد .. نحن لا نتجه الى الكعبة لذاتها .. ولكن طاعة لأمر الله سبحانه وتعالى أن

سجد للقبلة فى هذا الاتجاه ٠٠ وكل أوامر الدين من السجود
والحج والصوم والصلاة ٠٠ انما هى تنفيذ لأوامر الله سبحانه وتعالى
٠٠ فنحن نصلى خمس مرات فى اليوم ٠٠ تنفيذا لأمر الله سبحانه
وتعالى بالصلاة ونصوم رمضان تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى
بالصوم ٠٠ ونزكى من أموالنا تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى
بالزكاة ٠٠ ونحج البيت تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى بالحج ٠٠
كل هذه الاشياء لا نفعلها اختيارا منا بالنسبة للقبلة أو لعدد مرات
الصلاة ٠٠ أو للصوم ٠٠ أو للحج ٠٠ ولكنها تنفيذ لأمر الله بأن
افعل ولا تفعل ٠٠ وهذا السجود والخضوع هو طاعة لله سبحانه
وتعالى ٠٠

● أوامر الله ٠٠ تكفى

على أننى أختلف مع بعض الذين يحاولون ربط أوامر الله بأنها
مظاهر دنيوية ٠٠ فيأتى بعض الناس ليقول لك أن الصلاة
هى نوع من الرياضة ٠٠ وأنا أقول لا ٠٠ انها طاعة لأمر الله ٠٠
ولو كانت نوعا من الرياضة للعبنا الرياضة وتركنا الصلاة ٠٠
وبعض الناس يقول لك أن الصوم هو للاحساس بشعور الانسان
الجائع ٠٠ وأنا أقول لا ٠٠ انه طاعة لأمر الله ٠٠ ولو أنه أحساس
بالجوع لما وجب الصيام على الجائع الذى لا يجد قوتا يكفيه ٠٠
ولأصبح الانسان الجائع معفى من الصوم ٠٠ وهكذا كل مناسك
الله ٠٠ فالحج يقال عنه اجتماع للمسلمين ٠٠ وأنا أقول لا ٠٠ بل
هو تنفيذ لأمر الله ٠٠ ولو كان مجرد اجتماع للمسلمين لعقدنا
مؤتمرا اسلاميا يجتمع فيه المسلمون ٠٠ واستغنيا عن الحج ٠٠

اذن كل مناسك الدين فى افعل ولا تفعل ٠٠ انما نقوم بها لانها
أوامر لله ٠٠ دون ما فلسفة دنيوية ٠٠ فأنا اتجه الى القبلة لأن الله
سبحانه وتعالى أمرنى بذلك ٠٠ وأصلى واصوم وأزكى لأن الله
سبحانه وتعالى أمرنى بذلك ٠٠ دون أن يكون هناك أى صلة بين

ما أفعل أو الرياضة .. أو الشعور بالجوع .. أو ما يقوله بعض الناس عن مظاهر دنيوية .. يحاولون بها تبرير فروض الله .. والله سبحانه وتعالى حين يقول أفعل .. فهذا كاف جدا لأن أفعل دون أى مبرر آخر .. وحين يقول لا تفعل فهذا كاف جدا ألا أفعل دون أن يكون هناك مبرر آخر .. ذلك انه مادام الامر قد صدر من الله فأن مجرد صدوره من رب العالمين هو سبب اتباعى له .. وليس أى سبب آخر .. فتلك هى العبادة الحققة لله سبحانه وتعالى .. فالله هو الخالق .. وهو الذى قال « أعبدنى بان تفعل كذا وكذا أو كذا » والله هو الأحق بأن يخبرنا بطريقة عبادته والتقرب اليه .. وهذه رحمة منه سبحانه وتعالى أنه يستر لنا هذا السبيل .. وأظهر لنا ما يجب أن نفعله لعبادته والتقرب اليه .. ونحن حين نأخذ ذلك نأخذه شاكرين لله سبحانه وتعالى أن بين لنا الطريق الى عبادته .. والى الحياة الطيبة التى وعد بها عباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة ..

سجد الملائكة .. طاعة لأمر الله ان يسجدوا لآدم .. ولم يسجدوا لآدم .. لأنه هو آدم .. أو هو أنسان .. ولكن سجدوا لأن الله أمرهم أن يفعلوا ذلك .. تماما كما نتبع نحن تعاليم الله فى السجود والعبادة كما بينها الله لنا .. هنا حدثت معصية ابليس .. وابليس كان من الجن .. ومن الجن المقربين .. ولكن الكبرياء دخلت نفسه .. والغرور ملكه .. فرفض السجود .. وقال « أأسجد لمن خلقت طينا » ..

وهنا يدور جدل كبير .. فأبليس قد عصى الله .. ورفض أن يسجد لآدم فطرده من الجنة ولعن الى يوم القيامة ووعد بعذاب شديد فى الآخرة .. وآدم قد عصى ربه وأكل من الشجرة .. فتاب الله عليه ولم يطرده من رحمته .. بل أنزله الى الارض وأرسل له هدى من عنده ليتبعه .. بعض الناس يقول لماذا غفر الله لآدم ولم يغفر لأبليس .. وأنا أقول أن الفرق بين المعصيتين كبير ..

وهنا لنا وقفة .. لو لم يكن الله سبحانه وتعالى قد أعلن بوضوح أن إبليس مطرود من رحمته .. رحيم ومبعد .. ربما قلنا أن إبليس مكلف فعصى .. وهو عرضة أن يعود الى منهج الله فيقبل الله توبته ويغفر له فيصبح معفى عنه .. مغفورا ذنبه .. ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقطع أى حسن بالظن بوسوسة الشيطان .. ولذلك فقد حكم عليه هذا الحكم المطلق الذى لا رجعة فيه .. لماذا ؟ .. لان معصية إبليس هى معصية كبيرة .. لا يمكن أن تغتفر .. فأبليس قد رد الامر على الله سبحانه وتعالى .. وعندما طرده الله من رحمته لم يتب .. ولكنه قال .. بعزتك لاغوينهم أجمعين .. وهنا يجب أن ننظر الى جلال القسم الذى يدل على ذكاء إبليس .. فأنه لم يجد منفذا لان يمضى فى معصيته فى الأرض .. الا عزة الله سبحانه وتعالى .. فالله سبحانه وتعالى عزيز .. وهو فى عزته ليس محتاجا لأحد من خلقه .. بل أن الخلق هم المحتاجون لله سبحانه وتعالى .. ولكن الله غنى عن العالمين .. ومعنى أنه غنى عن العالمين .. أى غنى عن كل ما خلقه من أنس وجان .. وملائكة .. وأرض .. وسماوات .. وكل خلق له .. فمن هذه النقطة .. نقطة العزة أستطاع إبليس ان ينفذ بقسمه .. ليقول لله سبحانه وتعالى بعدم حاجتك الى هؤلاء جميعا .. والى خلقهم وأرزاقهم الى يوم القيامة .. سأقوم بأغوائهم ..

● الغواية والانسان

وما هى الغواية ؟ هى أبعاد الناس عن طريق الله .. وتزيين الباطل لهم .. فالمنهج فى أفعال ولا تفعل .. انما يريد الخير للانسان .. ولكن مفهوم الخير يختلف عند البشر .. فهناك خير عاجل .. وخير أجل .. ولتقرب هذه النقطة الى الاذهان .. هب أن هناك طالبين .. أحدهما يقوم للمذاكرة .. والدرس .. والتحصيل .. والآخر يقضى نهاره فى اللعب .. ولا يذهب الى المدرسة .. كلاهما يريد

الخير لنفسه .. ولكن النظرة الى الخير هي التي تختلف .. فالاول يرى الخير في المذاكرة والتحصيل .. ليحصل على مستقبل أفضل .. فهو يريد الخير الآجل .. والثاني يريد أن يتمتع في كل يوم تعيشه .. ثم بعد ذلك يجد نفسه متشردا .. أو سارقا .. ليحصل على رزقه .. هذا هو الفرق بين الاثنين .. والفرق في النظرة الى الخير .. والمؤمن ينظر الى الخير على أساس الدنيا والآخرة .. فهو يريد أن يحقق خيرا في الاثنين معا .. ومن هنا فإن أى شيء يأتيه في الدنيا يمنع عنه خيرا للآخرة .. فهو مرفوض .. بينما الكافر يريد الخير العاجل .. ومن هنا فهو يفعل أى شيء .. ليحصل على خير الدنيا دون أن يعمل حسابا للآخرة .. فإذا استطاع أن يحصل على المال من أى طريق حرام .. أو على المتعة من غير حلال .. أسرع اليها .. ثم يأتي الموت فيجد كل منهما ما قدمه .. الأول قدم الخير للآخرة .. فيجد خيرا .. والثاني لم يقدم شيئا للآخرة فيجد الجزاء ..

اذن .. فمنهج ابليس أن يمنعك أن تفعل شيئا لآخرتك .. ومن هنا فهو يزين لك الحياة الدنيا .. بما فيها من متع مادية ويحاول أن ينسيك الآخرة بما فيها من نعيم دائم .. وهذه الغاية تتم بقسم ابليس بعزتك .. وهو يدخل من باب استغناء الله عن كل خلقه .. فلو أراد الله سبحانه وتعالى خلقه جميعا مهدين الى الصراط المستقيم .. لما استطاع الشيطان أن يتقدم منهم .. ولما استطاع أن يغويهم .. ولذلك استثنى وقال : الا عبادك منهم المخلصين .. أى ياربي سأغوى خلقك .. الا الذى تريده أنت وتخصه بالهداية .. فاننى لا أستطيع أن يبقى لى سلطان عليه .. لأن كلمة الله هي العليا .. ولا أحد يستطيع أن يقف أمام سلطان الله ..

ثم قال ابليس أنا لن أقعد لهم على طريق الشر .. لان طريق الشر غير محتاج الى .. أنا لا أذهب الى الخمار .. أو الى بيت الدعارة .. أو الى أماكن القمار .. وانما سيكون عملى فى مهابط

الطاعة .. فى أماكن العبادة .. هؤلاء هم الذين أغويهم أنا .. لان هذا
عملى ، أن أخرج هؤلاء عن طاعتك .. فكل انسان اتبع الشر .. فهو
قد اتبع طريقى دون حاجة الى غواية .. ولكن كل انسان يريد أن
يعبد الله .. فمهمتى أن أغويه وأبعده عن هذه العبادة .. لذلك قال
.. « لا قعدن لهم صراطك المستقيم » .. ولم يقل .. لا قعدن لهم على
الطريق المعوج ..

وهكذا تتضح ضخامة معصية إبليس .. فهو قد تحدى الله
بالمعصية .. ورد الامر عليه قائلا .. أنا لا أسجد لمن خلقت طينا
.. أى أن إبليس اعتبر نفسه أكبر من أن يخضع لامر من الله
سبحانه وتعالى .. ووضع نفسه فى موضع مساو للآمر .. يرد
عليه أمره .. فيقول له أسجد .. ويقول لن أسجد .. ثم لم يقل
له لن أسجد .. وكفى .. بل قال له لن أسجد لمن خلقت طينا ..
أى أنه وضع علمه فى وضع مساو لعلم الله .. وقال هذا خلقتة من
طين ولن أسجد له لاننى أعلم أننى خير منه .. وان كنت قد أمرتنى
بالسجود .. فلن أسجد لان لى علما مساويا لعلمك .. وأنت خلقت
هذا من طين .. وخلقتنى من نار .. وأنا أفضل منه .

كانت هذه هي المعصية الكبرى التى لا يمكن أن تغتفر .. ثم بعد
ذلك كان هناك طريق التوبة .. ولكن إبليس بدل أن يسلك طريق
التوبة .. أمعن فى مكابرتة .. فقال .. « فبغزتكم لاغوينهم
اجمعين » .. اننى لن أتركهم يعبدونك ياربى .. ولكنى سأحيط
بكل مطيع لك .. مؤمن بك .. لأفسد عليه إيمانه .. وأزين له
طريق السوء .. والبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى .. الا الذين
اخترت .. هؤلاء لا أستطيع أن أقربهم لأنك تحميمهم وتدافع عنهم
.. وأنا مخلوق .. وأنت الخالق .. وهكذا حتى فى المضى فى
المعصية أحس إبليس أنه لا يستطيع أن يقترب من عباد الله المخلصين
الذين هداهم اليه ..

● اصرار على المعصية

ثم ننظر الى الامعان فى المعصية .. ويمضى ابليس فى امعانه
 فيقول .. « ثم لآتينهم من بين أيديهم .. ومن خلفهم .. وعن
 ايمانهم .. وعن شمائلهم » .. اذن ابليس قال لآتينهم من امامهم
 .. ومن خلفهم .. وعن اليمين .. وعن الشمال .. ولكنه لم يقل
 لآتينهم من فوق .. أو من تحت أرجلهم .. لم يذكر شيئا عن
 الجهتين الباقيتين .. رغم أنهما من الجهات الست المعروفة .. ذلك
 لأنه يعلم جيدا أن ما فوق الانسان يمثل الفوقية الالهية .. ومكان
 سجود الانسان موضع قدميه يمثل مكان العبودية .. ولا يتأتى
 للشيطان أبدا أن يعيش فى مستوى علو الهى فوقى .. ولا فى
 مستوى تحتى يمثل مكان السجود والعبودية .. اذن انتهت الجهات
 الست .. ولم يستطع ابليس أن يدعى أنه سيأتى من مكان فوقى
 .. أو من مكان تحتى هو مكان السجود والعبادة .. والعجيب أنك
 اذا نظرت الى نظريات الالحاد فى كل عصر .. تجدها من هذه الجهات
 الأربع .. فيقول لك هذا تقدمى .. أو رجعى .. أى خلفى يريد
 العودة الى الوراء .. أو يمينى .. أو يسارى .. تلك هى نظريات
 الالحاد الأربع التى يأتى منها ابليس .. ولكننا لسنا فى واحدة من
 هؤلاء .. لسنا تقدميين .. ندعو الى التحلل والالحاد .. والاباحية
 .. ولسنا رجعيين نسير على ما وجدنا عليه آباءنا .. ولسنا
 يمينيين على عرف العصر .. ولا نحن يساريين على عرف العصر ..
 وانما نحن أمة محمدية فوقية .. كل أمورنا تأتى من السماء ..
 ولذلك فانك اذا خضعت الى حكم الله سبحانه وتعالى .. فاعلم أنك
 غير خاضع لمساويك .. ولا أنت ذليل لخلق مثلك .. بل أنت
 خاضع للذى هو أعلى منك .. والذى تخضع له كل المخلوقات طوعا
 فى الحياة الدنيا .. وكرها فى الآخرة .. وأنت فى ذلك مساو لأعلى
 خلق الله فى الأرض .. فهو خاضع لله .. وأنت خاضع لله .. وهو
 مطلوب منه أن يطبق منهج الله .. وأنت مطلوب منك أن تطبق
 منهج الله .. اذن لا ذلة هنا أبدا .. بل أنت مساو لأكبر خلق الله

فى الدنيا .. وربما أنت أفضل منه فى الطاعة .. فاذا قال لك
أحدهم أن العبودية ذل .. تقول له أبدا .. بل الذل هو فى اتباع
غير منهج الله .. فاذا أنت اتبعت غير منهج الله تصبح ذليلا لبشر
مثلك .. مهانا فى حياتك .. مقضيا عليك بالذلة .. ولكن اذا
خضعت لله وحده فأنت وكل خلق الله فى منزلة متساوية .. ترفع
رأسك أمام الجميع لأن أى انسان مهما علا .. فهو خاضع لمنهج الله
.. أما طوعا فى الحياة الدنيا .. واما قهرا فى الآخرة ..

● أهمية الرسول

.. ولعل هذا هو الذى جعل الله سبحانه وتعالى يختار رسولا
أميا ليحملة بآخر رسالة من السماء الى الأرض .. وما هو معنى أمي
.. معناه أنه كما ولدته أمه .. لم يأخذ ثقافة من خلق من خلق
الله مساو له .. لا تثقف على الشرق ولا على الغرب .. ولا قرأ
لفيلسوف ولا لصاحب نظرية .. اذا كان الانسان فى هذه الحالة
لم يقرأ لمساو له .. ولم يأخذ من ثقافات الدنيا شيئا .. يكون
كل ما يأتى به معجزا ومعجبا .. لانه من فوق .. من الله سبحانه وتعالى
.. اذن فالأمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم شرف وشهادة ..
فهى شرف له .. لأن الذى نزل به القرآن من اعجاز .. قد هر
الدنيا كلها .. وشهادة لأنه لا أحد يستطيع أن يدعى أنه جاء بهذا
الكلام من فلاسفة الشرق .. أو فلاسفة الغرب .. بل هذا الكلام
موحى به من الله سبحانه وتعالى .. والقرآن الكريم الذى فيه اعجاز
متجدد .. وعطاء مستمر للبشرية كلها حتى يوم القيامة .. اذا
جاء على يد رسول أمي فهو شهادة له بأنه منهج السماء .. وما اختص
به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسرى على البشر من بعده ..
فتلك معجزة تختص بالقرآن الذى نزل على رسول الله .. أما نحن
فقد طلب منا الله سبحانه وتعالى أن نتعلم ونقرأ .. ونتدبر فى
آيات الله فى الأرض .. لماذا ؟ لأن أحدا منا لن ينزل عليه قرآن أو
كتاب من السماء .. فقد انتهت الرسالات بنزول القرآن الكريم

.. وخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .. ولذلك لا يكلفنا الله سبحانه وتعالى بما اختص به رسول الله .. بل يطالبنا بأن نقرأ ونتعلم ..

ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل الى ارتفاعات حضارية .. وكانت له نظريات عقلية واصلاحات حدث بها الناس .. ليقودوا حركة حياتهم لكان الكافرون قد قالوا أن القرآن الكريم علم بشرى .. ولكن الأمية هنا تأكيد لصلة رسول الله بالسماء وأنه ليس للأرض أى دخل فى هذا المنهج .. وأن هذا المنهج ليس من معطيات عقول البشر .. بل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل بعلوته واتصاله بالسماء الى المنهج الذى يعلم البشر جميعا .. أما القرآن فيعلم البشرية كلها .. ومن هنا فان كل ما أوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو من الله .

ما دام الشيطان قد قال لاغوينهم .. فان ذلك يعنى اصرارا على المعصية .. وهنا فرق بين معصية ومعصية .. وفرق بين الإصرار على المعصية والندم عليها والله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا الى ذلك ..

● المعصية تختلف

اذن فمعصيتا آدم وأبليس الاثنان من خلق الله .. وكلاهما عصى .. ولكن المعصية تختلف .. فمعصية آدم غفرت له .. ومعصية أبليس لم تغفر .. ذلك لأن أبليس رد الأمر على الأمر .. ودخل فى نفسه الكبر فى أمر من أمور الله .. ووضع نفسه ظلما فى وضع مساو لعلم الله سبحانه وتعالى .. فاستحق بذلك أن يطرد من الجنة .. وأن تنزل عليه اللعنة .. ولكن آدم اعترف بمعصيته .. وقال يا ربى ان كنت قد عصيت فانك أنت الحق .. وقولك الحق .. ولكن نفسى ضعفت ولم تستطع الاحتمال .. وهذا هو الفرق بين المعصيتين .. فالأولى دخل فيها الكبر .. والثانية

دخل فيها الندم .. وكلتاها آية .. آية ليفهم الناس المعصية التي
تفتر .. والمعصية التي لا يغفرها الله .. فإذا عصى الانسان ..
واستكبر وأصر على ما فعل .. ووضع نفسه في وضع مساو لعلم
الله .. فأخذ يشرع ويحل ما حرم الله .. ويحرم ما أحله ..
واتخذ نفسه الإها .. فهو بذلك لا يدخل في رحمة الله .. أما اذا
ندم على ما فعل .. واعترف بأنه ضعف .. وبأن الله سبحانه وتعالى
هو الحق .. وقوله الحق .. فقد دخل في الرحمة والغفران ..

الله سبحانه وتعالى حين خلق آدم .. عرفه بعدوه وهو الشيطان
.. ودربه على حياته القادمة في الأرض .. فقال له ان هذا الشيطان
عدو لك .. فلا يغوينك .. ماذا ؟ .. لأن أغواءه لك لا يحمل الحياة
الطيبة .. فأنت اذا اتبعته أصبحت شقيا .. سارقا .. أو قاتلا
.. معتديا على أعراض الناس .. مذموما من الجميع في الدنيا
والآخرة ..

ورغم ذلك فان الله سبحانه وتعالى الذي خلق النفس البشرية عالم
بضعفها .. ولذلك فهو يقول « **وخلق الانسان ضعيفا** » .. والضعف
هنا عدم القدرة على اتباع منهج الله .. رغم أن فيه الحياة الطيبة
.. ذلك أن الانسان عجول .. يريد كل شيء .. ويريد في وقت
قصير جدا .. ولو أنه صبر لنال ما يريد .. ولو أنه اتبع منهج الله
لأوتى أضعاف أضعاف ما سيحصل عليه من المعصية .. ولكنه يريد
كل شيء في لحظة .. وهو يريد خلودا في الأرض .. وما هو بخالد
.. ويريد مالا لا يفنى .. والمال صفته الفناء .. أما يفارقك هو
.. أو تفارقه أنت .. وكلاهما فناء له لأنك أصبحت عاجزا عن
أن تصل اليه .. ومن هذه النقطة استطاع الشيطان أن يغري آدم
في الجنة .. ويجعله يأكل من الشجرة التي حرمها الله .. والشجرة
هنا رمز لكل معصية .. والخلود والمال الذي لا يفنى رمز لكل طمع
بشرى .. ولقد كانت التجربة ليحدث شيان .. أولهما أن يعلم
الانسان أن ما يعده الشيطان غير صحيح .. بل أحيانا يأتي بعكس

ما هو مطلوب منه .. فالانسان قد يزين له الشيطان قتل انسان آخر .. ويقنعه بأنه لن يقع فى قبضة العدالة أبدا .. فاذا ارتكب الجريمة كان بعد ساعات فى يد العدالة .. لماذا ؟ .. لأن الشيطان يريد المعصية .. ويريد اهلاك العاصى فى نفس الوقت .. ذلك أنه يحس بعداوة رهيبية للانسان .. فهو يعتقد أن الانسان كان سبب طرده من الجنة .. وسبب لعنة الله له فى الدنيا والآخرة .. كل هذه الأشياء قد خلقت بغضا رهيبا فى الشيطان للانسان .. ولذلك فهو يغريه ليهلكه .. يزين له أن يفعل .. فاذا فعل يهرب الشيطان بعد أن أوقعه فى المعصية ويتركه لأسوأ الجزاء فى الدنيا والآخرة .

ولقد كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن أخبرنا بذلك لنتخذ حذرا .. ونتقى وسوسة الشيطان .. وأعطانا التجربة المادية لآدم .. لنعلم أن وسوسة الشيطان وهم من الغرور .. وتزيين للباطل .. وأن الانسان لن يحصل على شئ من هذا كله .. ولذلك فإن معصية الشيطان تختلف عن النفس الأمارة بالسوء .. فالنفس الامارة بالسوء اذا ارادت معصية .. أصرت عليها وألحت حتى يقوم صاحبها بارتكابها .. وهى هى نفس المعصية .. لا تتغير ولا تتبدل .. ولكن أغواء الشيطان مختلف عن ذلك .. ذلك أنه يريد المعصية لمجرد المعصية .. فاذا وجد انسانا قويا فى ناحية من النواحي .. اتجه الى ناحية ثانية .. لأنه لا يريد هذا اللون من المعصية فقط .. ولكنه يريد المؤمن عاصيا على أى شكل من الأشكال .. فاذا عز عليه باب .. يطرق بابا آخر .. وهكذا يظل يحاور النفس المؤمنة .. يزين لها هذا فلا تأخذه .. فيزين لها ذلك .. ويأتى عن طريق فيجده مقلقا .. فيأتى عن طريق آخر .. وهكذا يظل يحوم حول النفس المؤمنة اغراء من كل ناحية .. حتى تسقط النفس فى معصية من المعاصى .. ولقد كانت رحمة الله بالمؤمن .. أن دله على طرق الشيطان من كل ناحية من النواحي .. ودله على الطريقة التى يقى نفسه بها ..

● الإنسان .. وعنده

وهكذا خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان .. وعرفه عدوه في الأرض .. وعرفه الطريق الذي يعمل به .. وبين له كيف أن الشيطان لا يقدم الا غرورا للنفس .. وأن مهمته أن يخلخل منهج الله .. بصرف النظر عن نوع المعصية .. ودلنا على أنه بقراءة القرآن نبعد الشيطان عن أنفسنا .. ولكن بعض الناس يقول انه يقرأ القرآن .. ومع ذلك فانه لا يحس بالوقاية من وسوسة الشيطان .. تقول له ان هناك شيئا اسمه الفاعل .. وشيئا اسمه القابل .. وكلنا يستمع الى القرآن .. ولكن درجة التقبل ليست عندنا واحدة .. بل كل بدرجة ايمانه .. مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى ..

« ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك

قالوا للذين اوتوا العلم .. ماذا قال آنفا » ..

أى أنهم يسألون عن القرآن لأنه لم يؤثر فيهم .. القرآن فاعل صحيح .. وانما المستقبل غير موجود .. وحتى نوضح هذه المسألة في الأمور المادية نقول لك اذا أتيت بثلاثة أشخاص .. كل واحد منهم مختلف في درجات البصر .. فالأول بصره حاد .. والثاني متوسط .. والثالث ضعيف .. ووضعتم في مكان خلوي وسألتم ماذا يرون عند حافة بصرهم .. فسيروى لك كل واحد منهم شيئا مختلفا .. ولكن الموجود أمامهم هو شيء واحد لا اختلاف فيه .. والمسألة ان كل واحد منهم قد رأى بقدر قوة بصره .. بل ان الشيء الواحد قد يؤثر تأثيرا مضادا .. اذا كان المستقبل مختلفا فأنت اذا نفخت في يدك في البرد .. تريد أن ترفع درجة حرارتها لتسخنها .. واذا نفخت في الشاي فأنت تريده أن يبرد .. الفعل واحد .. هو اخراج الهواء من الفم .. ولكن المتقبل للفعل مختلف .. ومن هنا كان أثر الفعل عكسيا .. ففي المرة الأولى كان لرفع الحرارة .. وفي المرة الثانية كان لخفضها .. مع أن الحادث واحد ..

كذلك القلوب .. بعضها متفتح للايمان يجهد نفسه فى طاعة
الله .. ويحمل نفسه على المنهج .. والثانى باع كل شئ فى سبيل
شهواته .. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ..

« قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء .. والذين لا يؤمنون
فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى »

وهكذا يريد الله سبحانه وتعالى أن يخبرنا أن الفعل قد يكون واحدا
.. والاستقبال له مختلفا .. فيجب لكى تستقبل القرآن أن تصفو
أداة الاستقبال للقرآن .. وتتقى كل خاطر يبعدك عن المنهج ..
وتبتعد عن كل اغراء يوقعك فى الخطيئة ..

ويستطرد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .. وأنت تواجه
الشیطان .. فانك خلق لله .. وهو خلق لله .. وما دمت تواجهه
مواجهة منفردة .. فان المعركة هنا تعتمد على قوتك وقوته .. ولكنك
إذا واجهته وأنت ملتحم بالله .. فلا يستطيع أن يقدر عليك ..
ولنوضح هذه النقطة قليلا .. نقول لو أن طفلا صغيرا .. مشى فى
الشارع وحده .. وقابله طفلان صغيران .. المفروض هنا أن تقع
معركة يستخدم كل منهم قوته .. ولكن هب أن الطفل نزل مع
أبيه .. وأبوه هذا شاب قوى .. هل يستطيع الطفلان الآخران أن
يتعرضا له .. أبدا .. أنهما يهربان من وجهه لماذا ؟ .. لأن المعركة
لم تعد صراعا بين قوة صبي .. وقوة صبي آخر .. بل دخل فيها
من هو أقوى من الصغيرين بمراحل .. وهكذا أنت فى معركتك مع
الحياة .. فى كل شئ تعمله .. إذا دخلت وأنت موصول بربك
فمحال أن يهزمك أحد .. لأن قوة الله معك .. تجعل الهزيمة محققة
لمن يريد أن يؤذيك .. ولكن متى تتعرض للهزيمة والمهانة .. إذا
دخلت المعركة بعيدا عن ربك .. فانك فى هذه الحالة تواجه قوة
متساوية .. مع قوة متساوية .. والغلبة لمن هو أقوى .. أنت
هنا أبعدت قوة الله عن جانبك .. وهى القوة التى تضمن لك النصر
.. والتى لا يستطيع أن يهزمها أحد .. ولا يصل لقدرتها أحد ..

وانت بذلك تتخلي عن أقوى سلاح فى حياتك .. وأقدر من ينصرك
 فى كل أزمة .. تتخلي عن القوة الحقيقية فى الكون .. عن الفعال
 لما يريد .. وتدخل مغترا بقوتك وقدرتك وحدك .. ثم تتعجب
 بعد ذلك كيف هزمت .. ولو أنك فكرت ثانية واحدة .. لعرفت
 السبب .. ولعلمت أنك جردت نفسك من أقوى وأقدر أسلحتك
 وأنه يجب ألا تتعجب وتسال نفسك لماذا هزمت .. لأن السبب
 معروف ..

● لا سلطان علينا

وانت حين تستقبل القرآن بصفاء .. وتستعيز بالله من الشيطان
 .. يصبح الشيطان لا سلطان له عليك .. ذلك أن المؤمنين لا سلطان
 للشر عليهم .. ولذلك فان الشيطان يأتى فى الآخرة ليقول « وما كان
 لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » .. ومع ذلك فان
 أولى خطوات الشر تبدأ من النفس البشرية .. فالشيطان لا يستطيع
 أن يجبر أحدا ويقهره على الشر .. ولا يستطيع أن يستخدم سلطان
 القهر لمن لا يريد أن يفعل .. ولكنه أولا يجب أن يجد استمالة
 وقبولا من النفس البشرية .. يجب أن يكون هناك اقناع بالشر ..
 والاقناع هنا لا يكون بالحقيقة .. ولكن بالغرور .. ولا يدخل الى
 نفس متواضعة .. وانما يدخل على نفس يملأها الكبر .. ويصور
 لها فكرها .. أنها تستطيع أن تصنع قدرها .. وأن تفتنم الفرصة
 .. وأن تصل بالدس والغش والخداع والشر .. الى ما تشتهي
 .. هذه النفس هى التى فيها الاستجابة .. الاستجابة للشر ..
 والتى تبدأ مسيرتها مع الشيطان من هذه النقطة .. وتمضى الأحداث
 .. وربما تمر السنوات .. ثم يعرف الانسان أن كل ما فعله لم
 يحقق له شيئا .. بل أتى له بعكس ما يريد .. فيصبح مكروها من
 الناس .. مذموما .. ليله قلق .. لا يرى فيه النوم .. والنهار
 شقاء لا يرى فيه الراحة .. وكل ما حوله من نعيم لا يحمل قطرة
 واحدة من سعادة ..

فإذا أردت أن تتخذ الطريق الذى رسمه الله للحياة الطيبة فى الأرض .. فأول شئ يجب أن تعلمه أنك غير مقهور على الشر .. ولا على معصية الله .. بل أنك تفعل ذلك بمحض ارادتك .. وباستجاباتك لهذه الأشياء .. عليها تحقق منها نفعا عاجلا .. أما اذا لم تستجب .. فانك تظل معصوما منها .. ولذلك لا تصدق من يقول لك أنك مقهور على الشر .. بل أعلم أن العيب فى نفسك .. ولا تصدق من يقول لك مثلا انه لو لم تعرض عليه رشوة .. أو لم ييسر له اختلاس .. لظل نزيها .. فالأصل هو فى النفس .. وفى استجابتها أولا .. ولولا أن التمنى كان فى نفسه .. والرغبة ملكت قلبه .. ما مد يده الى حرام .. وما مشى فى طريق الشر ..

ويجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى اذا كان يريدنا بلا معارض وبلا موسوس .. فهو قادر على ذلك .. واذا كان يريدنا أن نكون مقهورين على الطاعة .. فهو قادر على ذلك .. ولكنه يريدنا أن نأتى اليه باختيارنا .. وأن نعبده اختيارا من أنفسنا .. وليس قهرا منها .. ومن هنا فكان لا بد أن يكون هناك الايمان والمعصية .. هذا له حلاوة .. وهذا له اغراء عاجل ليتم الاختيار عن حقيقة واقعة .. وليكون هذا الاختيار هو الطريق الى الجنة .. والى الحياة الطيبة فى الدنيا .. ولذلك فان وجود الشيطان واغراءاته وكل ما هو موجود فى الحياة الدنيا .. انما هو ضرورة لازمة للطاعة .. فلو أنها ليست موجودة .. لكان الانسان مقهورا على الطاعة .. ليس له طريق غيرها .. ولا نتفت بذلك كل الحكمة من الجزاء والعقاب .. ولا نتفت حكمة خلق الحياة .. والدنيا والآخرة ..

وجود الاغراء الدنيوى .. أو الشر .. أو وسوسة الشيطان حكمة بالغة للحياة الدنيا .. لأن الاختيار يقتضى وجود بدلين يختار الانسان بينهما .. ولولا تزيين الشيطان للمعصية ما عرفنا قدر حب الله فى قلوبنا .. حين نرى نفعا عاجلا مزيئا له بأسلوب

تهواه نفسه .. ثم نعرض عنه ونقول أنى أريد الله .. فذلك أقوى مراتب الطاعة .. احساس العبد بحبه لربه .. ولأن هذا الاله يجب أن يعبد وأن يترك من أجله كل ما أخبرنا به أن يترك ، هو مقياس الطاعة فى النفس البشرية ..

ولنضرب مثلا يقرب ذلك الى الأذهان .. هب أن أما دعيت الى حفل كبير فيه من زينة الدنيا ما فيه .. وبعد أن ارتدت أفخر ثيابها فوجئت بطفلها وقد ارتفعت درجة حرارته يشكو من الحمى .. حينئذ فهى تلقى بكل ما ارتدته جانباً .. وتجلس بجوار طفلها تمرضه .. وتستدعى له الطبيب .. مقياسان فى قلب الأم تفاعلا معا .. المقياس الأول حبها .. لأن تذهب الى هذا الحفل .. والمقياس الثانى حبها لأن تؤدى واجب الأمومة نحو طفلها .. والذي يتغلب هو المقياس الأقوى .. ولكن لو لم يوجد هذا المقياس .. أى لو لم تدع الأم الى الحفل .. أو يمرض طفلها فى نفس الوقت .. فهل كنا نستطيع أن نعلم أن هذه الأم بارة بطفلها .. أو أنها ستلقيه الى أحد الخدم أو أحد الجيران .. وتذهب هى لتستمع بوقتها .. ما كان يمكن أن نعلم لو لم يوجد المقياسان فى وقت واحد .. كذلك الخير والشر .. والطاعة والمعصية .. ووسوسة الشيطان وحب الله .. كلاهما يجب أن يوجد فى النفس البشرية فى وقت واحد .. لكى نعلم مقدار حب العباد لله .. أو مقدار أعراضهم عن ذلك الحب ..

● الرحمة والتجربة

والله سبحانه وتعالى كان رحيماً بنا فى التجربة .. فهو لم يخلقنا ليلقى بنا إليها دون أى تدريب سابق .. بل خلقنا ودرّبنا وأفهمنا ماذا سيحدث .. فالشيطان عصى الله أمام آدم .. ثم توعد آدم .. والله سبحانه وتعالى نهى آدم عن الاكل من الشجرة .. وقال لآدم

انى حرمتها لانها تهلكك وتضرك .. وجاء الشيطان بمنطق الكذب ..
 فقال أن هذه الشجرة تمنحك الخلود .. وملكا لا يبلى .. وأن الله سبحانه
 وتعالى منعك من الأكل منها .. لأنه لا يريد أن تصبح ملكا .. أو خالدا
 .. كان هناك قول الله الحق .. وكان هناك قول الشيطان الذى
 لا يحمل إلا الكذب .. وعدم الصدق .. ومع ذلك ضعف آدم ..
 ضعف أمام رغباته فى الخلود .. وضعف أمام رغباته فى الامتلاك ..
 مع أنه كان يعيش فى جنة يأكل فيها بلا تعب ولا أجهاد .. ورغم
 أنه كان يعيش فى تلك الجنة يذهب فيها الى المكان الذى يريده
 .. ويجد رزقه وقتما يريد .. وعندما يشتهي .. أى لا يحتاج
 لشيء أكثر مما وفره الله له .. الا أن الطمع البشرى بلا حدود ..
 أو مع أن الله سبحانه وتعالى قد وفر لآدم الاستمتاع البشرى ..
 فقد بقى الطمع فى نفسه .. واستطاع الشيطان أن يدخل اليه من
 هذه الناحية .

التجربة كانت فيها معصية من آدم .. لأن الله سبحانه وتعالى
 كرمه .. ولكن نفس آدم أساءت الظن بالله .. لأن الله سبحانه
 وتعالى وفر له سبيل الحياة بلا عناء ولا تعب .. ولكنه أراد أن
 يزداد من ذاتيته .. كان هناك من يملك شيئا .. ولأنه حين حرم
 الله عليه الشجرة حرمها لأنه يعلم أنها ضارة به .. تشقى .. ولكن
 آدم لم يفطن لهذا .. ولم يفطن أن تحريم الله له بالنسبة لهذه
 الشجرة .. لابد أن يحمل خيرا له .. لأن الله سبحانه وتعالى حين
 خلقه من طين .. أمر من هم أعلى منه خلقا .. الملائكة والجان ..
 وهم مخلوقات من نار .. ومن نور .. أن يسجدوا له .. وفى هذا
 تكريم كان يجب أن يلتفت اليه من آدم .. فيعلم أن ربه الذى كرمه
 بأن يسجد من هم أعلى منه خلقا لآدم .. لا يمكن أن يريد به السوء
 .. بل لابد أنه يريد به خيرا .. والا فلماذا كرمه .. أنت حين
 تكرم انسانا .. وتعمل كل شيء من أجله .. فان ذلك دليل على
 حبك له .. ورغبتك فى تحقيق الخير .. ولو أن الله سبحانه وتعالى

أراد بآدم شرا .. لفعل .. ولما أخضع ملائكته بأمر السجود لآدم .. هذا التكريم كان يجب أن يلتفت اليه آدم .. وملتفت اليه نحن أيضا .. لنعلم أن الله سبحانه وتعالى كرمنا .. وفضلنا على خلقه .. ولا يمكن أن يكون هذا التكريم .. لأن الله يكرهنا .. بل لأن الله يحبنا .. ويريد لنا الخير .. ونقبل على منهج الله من منطق هذه النقطة .. فنعلم يقينا أن ما قاله الله سبحانه وتعالى عنه أفعَل .. فهو خير لأن الله يريد لنا الخير .. وما قال عنه لا تفعل فهو الشر .. لأن الله لا يريد لنا الشر ..

ثم هناك لفظة أخرى يجب أن تؤكد هذا المعنى .. هي معادة الشيطان للإنسان .. تلك المعادة التي جهر بها .. ورفضه أمر الله بالسجود .. كانت هذه يجب أن تلفتنا الى أن الشيطان عدو لنا .. فاذا وسوس لك أن افعل كذا .. فهو يريد بك شرا .. وإذا وسوس لك ألا تفعل كذا .. فهو يريد أن يمنع عنك الخير .. كانت هذه هي التجربة التي مر بها آدم في الجنة .. ومع ذلك ضعفت نفسه وعصى .. وأكل من الشجرة .. وهنا ظهرت الحقيقة .. فلو أن آدم لم يأكل من الشجرة لظلنا حتى يومنا هذا نقول .. لو أنه أكل منها لأصبح خالدا .. وأصبحت ذريته من الخالدين .. وأصبح عنده مال لا يفنى .. وربما كان الشيطان مصدقا عندنا .. ولكن كون آدم أكل .. فظهر أن كل ما قاله الشيطان من أغواء .. هو كذب .. يريد به أن يطرد آدم من الجنة .. فلا هو أصبح من الخالدين بعد أن أكل .. ولا هو أصبح صاحب مال لا يفنى .. ولكن ظهرت عورته أمام كل الخلق .. وأسرع الى الشجرة يقطف من أوراقها ليدري هذه الغورة .. اذن فالحقيقة أنه عندما اتبع أغواء الشيطان .. لم يحصل على شيء الا الضرر .. والطرد من الجنة .. والشيطان يريد أن يفضح عوراتنا .. ويظهر السيء منها أمام الدنيا كلها .. منذ خلق الله آدم حتى هذه الساعة .. وإلى آخر الخلق ..

● وامتدت رحمة الله

وهكذا كانت التجربة والواقع .. قبل أن ينزل آدم الى الأرض ..
 الله سبحانه وتعالى أعطاه أمرا .. والشيطان أغواه على معصيته ..
 وظهر أن أمر الله هو الخير .. وأن وسوسة الشيطان كلها كذب وخداع ..
 واغراء بلا حقيقة .. وكان الله رحباً أن أعطانا هذه التجربة ..
 وذكرنا بها في قرآنه الكريم .. علنا نفيق .. ونعرف الحقيقة ..
 ونعلم أن الله سبحانه وتعالى يريد بنا الخير .. ولا يريد لنا الشر ولا العذاب أبداً ..
 وأنا إذا أحببنا الله .. أحبنا ودافع عنا

وامتدت رحمة الله الى الانسان فى الارض .. ثم علمه كلمات يتوب عليه بها ..
 ويمحو له الذنوب .. ويغفر الخطايا .. بشرط أن يكون فى النفس البشرية ندم آدم ..
 ولا يكون فيها استكبار إبليس .. وقال اذا ضعفت نفسك فاستعذ بي من الشيطان ..
 وأنا أعينك منها .. وقال قبل أن تقبل على أى عمل .. أقبل عليه بقولك باسم الله ..
 ذلك أنك لا تبدأ باسم الله الا اذا كان العمل الذى تعمله خيراً ..
 فانك تستحى أن تبدأ معصية باسم الله .. وعلمنا أن نقول باسم الله الرحمن الرحيم ..
 لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق لنا الرحمة .. وأنت حينما تعمل أى عمل ..
 وفى بالك الله سبحانه وتعالى .. فانه سيعطيك العطاء فى الدنيا .. والثواب فى الآخرة ..
 وإياك أن تستحى أن كنت عاصياً لله .. أن تستفتح أعمالك باسم الله ..
 لأن الله سبحانه وتعالى لا يعرف الحق ولا يتغير على خلقه ..
 فأنت اذا عصيته .. لا يتغير ويقول .. أنا سأطرد هذا العبد ..
 ولن أقبّل منه شيئاً .. بل انه بمجرد أن تقول باسم الله الرحمن الرحيم ..
 وتقبل على الله .. يقبل الله عليك .. فاذا كنت قد عصيت الله فى شئ ..
 فتذكر أنه رحمن .. رحيم .. وأنه يقبل على كل عاص ..
 فى اللحظة التى يتوب فيها ويعود الى الله .. ان الله سبحانه وتعالى لا يحقد ..
 ولا ينفع .. ولا يتغير .. وأنت عبد من عباده عندما ترجع اليه تجد الرحمن الرحيم ..

والله سبحانه وتعالى حين شرع العقوبة لأى معصية .. فمعناه أنه
 شرع لها الوجود .. والا فلماذا يضع الله عقوبة لشيء ليس موجودا
 .. وكما شرع لها الوجود .. شرع لها التوبة .. باب ليخرج
 العاصي منه .. فيغفر له .. فإذا كنت قد عصيت الله فلا يجب أن
 تستحي أن تلوذ برحمة الله .. فالله سبحانه وتعالى رحمن
 رحيم .. كلمة رحيم مأخوذة من الرحمة .. ومعنى ذلك أن الله
 سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا .. أنا أريد بكم الخير حتى ولو
 عصيتموني .. ولذلك كتبت على نفسى الرحمة .. فإذا كنت عاصيا
 فلا تستحي أن تلجأ الى رحمتى وتوبتى ..

وهكذا نرى مدى حب الله سبحانه وتعالى لعباده .. يأتى أولا
 ليخضع الكون لهم .. ويخضع من هم أعلى منهم .. كالملائكة
 .. ثم يقول لهم .. أننى أحبكم .. ولذلك كرمتكم .. وما سأقوله
 لكم هو الخير فاتبعوه .. وما سأنهاكم عنه هو الشر فانبذوه .. ثم
 تأتى التجربة فى معصية .. فنعرف صدق حب الله سبحانه وتعالى
 لنا .. ورحمته بنا .. ونعرف أنه قد منع آدم من الأكل من الشجرة
 .. لأنها شر .. والشيطان أغراه بها لأنها شر أيضا .. ولكن الذى
 منع وهو الله يريد لنا الخير .. والذى أغرى هو إبليس يريد بنا
 الشر .. وتحدث التجربة واقعا .. بعد أن كانت نظرية .. ثم
 ينطلق الانسان الى الأرض .. يحمل التجربة والتوبة .. فيأكل من
 مائة شجرة .. فيقول الله سبحانه وتعالى سأفتح لك باب توبتى
 مادمت نادما .. ولن آخذ منك رحمتى .. فأنا أرزق عبادى جميعا
 .. المؤمن والكافر .. والعاصى والمطيع .. وتلك رحمتى بعبادى
 .. عل العاصى فى يوم حين يحس بنعمتى ورحمتى يصبح مطيعا
 عابدا ويعود الى ..

على أن هناك نقطة أحب أن أشرحها فى هذا المجال .. ذلك أن
 الله سبحانه وتعالى رحيم .. ومعنى رحيم أن هناك مبالغة فى الرحمة
 .. وبعض الناس يعتقد أن صفات الله سبحانه وتعالى تتأرجح بين

القوة والضعف .. فمرة يكون راحما .. ومرة يكون رحمانا ..
ومرة يكون رحيما .. نقول له ان هذا خطأ كبير .. فصيح المبالغة
تأتى فى صفات البشر .. ولكن الله سبحانه وتعالى ليس عنده أن
الصفة تضعف .. أو الصفة تقوى .. بل هى ثابتة بلا تغيير ..
ولكن المتغير هو متعلقات هذه الصفة ..

ولنشرح هذه النقطة قليلا .. هب أن انسانا يأكل كمية كبيرة
من الطعام .. فأنت تقول عنه أكل .. وهب أنه يأكل كمية صغيرة
.. ولكن خمس أو ست مرات فى اليوم .. فأنت تقول عنه أيضا
أكل .. ولو أنه لا يأكل فى كل مرة كمية كبيرة من الطعام ..
ولكنه يأكل خمس أو ست مرات فى اليوم .. اذن المبالغة تأتى فى
الحدث .. وفى تكرار الحدث .. واذا أردت أن تفهم التفسير فى
متعلقات صفات الله .. فأنت تقول رحمن .. لأنه يرحم المؤمن
والكافر فى الدنيا .. ويجعل الاشياء تفعل لهم .. اذن عدد
الداخلين فى رحمة عطاء الله بالنسبة للدنيا .. هم كل خلقه ..
ليمطيهم جميعا عطاء ربوبية .. اذن فهو رحمن .. ولكنه فى
الآخرة مثلا رحيم .. لأنه يطرد الكافرين من رحمته .. ويبقيها
للمؤمنين وحدهم .. اذن الصفة لم تتغير .. ولكن الذى تغير هو
من تشملهم هذه الصفة .. ففى الدنيا كل عبد يأخذ من رحمة
الله .. عدد هائل .. فهو رحمن .. وفى الآخرة يقل هذا العدد
.. وتصبح متعلقات الصفة .. أو من تشملهم الصفة أقل عددا
من كانت تشملهم فى الدنيا .. فيصبح رحيما .. ومن هنا
فان صفات الله ثابتة .. ولكن من تتناولهم هذه الصفات هم
المتغيرون حسب أحوال خلق الله .. وقولك « وما ربك بظلام
للعبيد » .. معناها أنك نفيت عن الله صفة المبالغة فى الظلم ..
ولكنك لم تنف عنه الظلم لأنه قد يكون ظلوما وليس ظلما ..
نقول له انك لم تفهم الآية .. فتكرار الصفة يوجب نفى المبالغة
.. فعدد خلق الله لا حصر لهم .. لو أن الله ظلم كلا منهم ذرة ..
لأصبح ظلما لكثرة عدد الذين ظلمهم .. ولو أن كلا منهم لم ينله

الا ذرة من الظلم .. لذلك نفى الله عن نفسه حتى هذه الذرة ..
فقال انه ليس بظلام .. أى حتى ذرة الظلم فى هذا العدد الهائل
لا تصدر عن الله سبحانه وتعالى ..

● الله .. والعاصى

اذن بداية العمل بيسم الله .. تعطينا العطاء والثواب فى الدنيا
والآخرة .. وتحفظنا من أشياء كثيرة ..
.. ويأتى الله سبحانه وتعالى الى العاصى فلا يأخذه مرة واحدة
.. وانما يأخذه بعذاب محدود صغير .. فيشكو الى الله سبحانه
وتعالى .. ويرفع يديه الى السماء .. ويصيح يا رب .. فينجيه الله
.. وبمجرد أن يحس الانسان ببعد الخطر .. يعود مرة أخرى الى
الذنب .. بل ربما عاد الى ما هو أكبر منه .. ناسيا أو متناسيا
.. أنه كان يمر بضر .. أو بشدة .. أو بضيق .. وأنه رفع
يديه الى السماء وقال يا رب .. وكان عدلا ألا تفتتح أبواب السماء
لعاص .. وألا ينفذ منها الدعاء الذى قيل بلسان لا يذكر الله ..
كان ذلك عدلا .. ولكن رحمة الله سبقت .. فانفتحت أبواب
السماء .. وأستجيب للدعاء .. وكشف الله الضر .. وبمجرد
أن أحس الانسان أنه قد نجا .. عاد الى كفره .. فيعود الله سبحانه
وتعالى ليذكره به .. ويقول له أفق انك تهلك نفسك .. من تبارز
.. وأنت لا قدرة لك .. وأنا وحدى القادر .. ولكن الغرور
يركب الانسان .. فيمهل الله .. ثم يذكره بقدرته عليه .. فيفتح
عليه بابا صغيرا من الشدة .. أو الغضب .. فيجأر للسماء ..
ويرفع يديه ويصيح يا رب .. ويكون عدلا من الله سبحانه وتعالى
ألا يتقبل .. ويكون عدلا ألا تفتح أبواب السماء .. ولكن رحمة
الله تتدخل .. وترفع الشدة .. وتزيل الكرب .. فاذا أحس
الانسان أنه نجا .. عاد الى كفره .. الى أن يفتح الله عليه بابا
من الشدة .. أو العذاب لا يفلق أبدا .. لأنه صمم على الكفر ..
رغم أن الله أراه رحمته مرات ومرات .. وأزال عنه الكرب المرة
تلو المرة ..

واذا عدنا الى قصة موسى عليه السلام نجد أن الله سبحانه وتعالى
أخذ فرعون بالقول اللين أولا .. فقال الله لموسى وهارون :

« اذهبوا الى فرعون انه طغى .. فقولوا له قولنا ..

لعله يتذكر أو يخشى » ..

فرعون طغى .. واتخذ نفسه الها في الارض يعبد من دونه الله ..
والله سبحانه وتعالى أرسل له رسولا .. ليهديه الى صراطه
المستقيم .. ويذكره بالله .. لم يقل لهذا الرسول اذهب ..
واقطع رقبة فرعون .. وخذ ملكه .. وأنا سأمكنك من ذلك ..
ولم يقل له سأخسف بفرعون وآله الأرض .. وأعطيها لك ..
ولكننا نجد هنا أدب الرحمة في أن الله سبحانه وتعالى يقول ..
اذهب لهذا الطاغية الذى نصب نفسه الها يعبد من دوني .. وقل
له قولنا .. برفق .. دون أن تهينه .. أو تنهره أمام قومه ..
عل قولك هذا يوقظ في نفسه الشعور بالذنب .. والايمان بى
فيتذكر ويخشاني ..

لنر كيف يحب الله سبحانه وتعالى عبده حتى العاصي ..
ويأخذه باللين والرفق والهداوة .. وهو القادر على أن يبطش به
بطشا .. هل هناك رحمة أكثر من هذا .. أن أرحم الرحماء لا يمكن
أن تفيض منه هذه الرحمة .. على عاص له .. الا الله سبحانه
وتعالى .. بل ان الله يأمرنا أن نستتر على العاصي .. ولا نفضحه
.. فاذا وجدنا انسانا يرتكب معصية .. وشاء قدره أن نعلم بها
.. فمن حسن الايمان أن نستترها عليه .. ولا نفضحه .. لماذا ؟
لأن ستر المعصية قد يفتح أمامه طريق التوبة والندم والرجوع الى
الله .. بينما نشر هذه المعصية واذاعتها قد يجعله يضل عن الطريق
.. ويتمادى فيها .. فهو اذا رأى أنه عصى الله .. وأن الله ستره
.. فربما يفتيق الى نفسه .. ويعود الى التوبة مرة أخرى .. هذه
هى رحمة الله بعباده .. حتى العاصي منهم .. والله لا يريد أن
يعذب أحدا .. ماذا يفعل الله بعذابنا .. ولكن الانسان هو الذى
يصر بالمعصية على أن يدخل النار .. ويستكبر في الأرض ..

وكلمنا أعطاه الله من نعم .. زادته طغيانا وكفرا .. وجعلته بدلا
من أن يسجد لله شكرا .. ينطلق ليحاربه بنعمه .. ذلك كفر
الانسان .. وتلك رحمة الله ..

● فرعون يتكبر

.. نعود بعد ذلك الى قصة فرعون وموسى .. قال موسى القول
اللين لفرعون .. فلم يرتدع .. وزاده القول اللين طغيانا ..
وحاول أن يبارز موسى بالسحرة .. فأبطل الله خداع السحر ..
وكان السحرة أول المؤمنين .. وكانت هذه معجزة كافية لأن يؤمن
فرعون بعد أن سجد السحرة لرب موسى .. كان فرعون يجب أن
يؤمن بأن موسى ليس ساحرا .. ولكنه رسول .. وبدلا من ذلك
زادته هذه الآية طغيانا .. فاذا به يأمر بقتل السحرة .. وكلمنا
جاءه موسى بآية .. أنكرها .. ثم أمر بتذبيح أولاد قوم موسى ..
واستحياء نسائهم .. وبدأ الله سبحانه وتعالى بعد كل الآيات التي
أيد بها موسى .. بدأ الله يذكر فرعون بقدرته مباشرة .. بدون
رسول .. فسلط على قوم فرعون الدم .. والضفادع .. والقمل
.. وفى كل مرة تحدث فيها آية من هذه الآيات التي تحمل العذاب
الاصفر .. بدلا من أن يؤمن فرعون .. ويتذكر قدرة الله ..
ويتوب اليه .. ويعرف ان الله فعال لما يريد .. يأتى الى موسى
.. ويقول له ادع لنا ربك يزل عنا هذا ونحن نؤمن .. فيدعو
موسى ربه .. فيزيل العذاب .. فيزداد فرعون كفرا .. فتأتى
آية أخرى .. تذكر بالاولى وبقدرة الله .. وبأن الله سبحانه وتعالى
له ملك السماوات والارض .. أى أنه يملك القوة للفعل ..
والقدرة على تحقيق ما يريد .. وفرق بين القوة والقدرة .. فانت
قد تملك القدرة .. ولكنك لاتملك القوة لتحقيق ما فى قدرتك ..
قد تكون تاجرا بارعا .. ولكنك لا تستطيع أن توفر لك مكانا
تمارس تجارتك فيه .. وقد تكون مهندسا ممتازا .. ولكنك
لا تستطيع أن تأتى بالاشياء اللازمة لتبنى العمارة الضخمة التي
تقدر على بنائها .. ولكن الله سبحانه وتعالى يملك الاثنين معا ..

أى أنه يملك كل عناصر الفعل .. فإذا أخذ فرعون بآية من العذاب .. أراد الله أن يذكره به وبقدرته .. عله يتذكر .. فإذا ذهبت الآية قال لن يستطيع أحد أن يأتى بآية أخرى .. وظن أنه قد نجا تماما .. وصور له غروره أن ما يحدث لن يتكرر .. فيذكره الله مرة أخرى .. فيسرع الى موسى يطلب منه الدعاء فيكشف الله عنه الضر .. فيعود مرة أخرى الى طغيانه .. هذا هو الاصرار على الكفر .. والاصرار على المعصية .. والاصرار على الكفر والمعصية لايحبهما الله سبحانه وتعالى ..

وقصة فرعون هذه ليست غريبة عن حياتنا .. فالله سبحانه وتعالى يأتى لكل عبد من عباده الكافرين ليذكره به .. فيتجه بالدعاء الى الله وقت المحنة .. ثم تزول المحنة فينسى .. وهكذا حتى يفتح الله عليه بابا ذا عذاب شديد .. حينئذ يتذكر الله .. ولكن بعد فوات الاوان .. ففرعون حينما كان يفرق فى البحر أعلن ايمانه .. ولكن الوقت كان قد فات .. لأن الله فتح عليه من أبواب الرحمة والتوبة .. وأراه من الآيات .. ما كان يجب أن يجعله مؤمنا .. شديد الايمان .. ولكنه أصر على الكفر .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يذكرنا بذلك .. وبأن الاصرار ليس من صفات المؤمنين .. ولكنه من صفات العصاة الكافرين .. فيقول « **والذين اذا فعلوا فاحشة .. او ظلموا انفسهم ..**

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .. »

والاستغفار هنا ندم وتوبة على الاثم .. ثم يقول الله سبحانه وتعالى « **ولم يصروا على ما فعلوا** » .. أى أنه نفى عنهم الاصرار على الاثم ..

اذن عمل المؤمن يجب أن يكون باسم الله .. لأن الله هو الذى سخر له الاشياء .. وباسم الله لأنه يريد أن يستعين بقدرته الله .. ومادام كل عمل عمله .. وفى بالك الله .. فالله يعينك .. ويكون معك ..

وذكرك الله سبحانه وتعالى يجعل القلب يخشى .. والناس لا تمضى فى المعصية .. لأن ذكر الله سبحانه وتعالى يذكرنا أنه

معنا يسمع ويرى .. ومن هنا فأننى حين أقوم بعمل يؤذى غيرى
يقول الله لى لا .. هذا ليس لك .. وهنا تتدخل الشرائع .. ولا تتدخل
الشرائع الا لصالح الانسان .. فالانسان يريد فى حياته أن يحصل
على كل شىء .. ما يملكه .. وما يملكه غيره .. حينئذ يأتى الله
سبحانه وتعالى ليقول له لا .. أنا حميتك بقانونى .. من أن
يعتدى غيرك على ما تملك .. ولقد حميتك من هذا رحمة منى لانك
فرد .. وغيرك كثيرون .. واذا أبحت الاعتداء على المال فكأننى
أبحت للناس كلها الاعتداء على مالك .. واننى قد أكون حرمت
اعتدائك على مال فرد أو اثنين ولكننى منعت الملايين من الاعتداء على
ما تملك من مال أو عرض .. أو أى شىء بالنسبة للدنيا .. وأنا
حين أفعل ذلك .. أحملك .. أحملك وأحفظ لك مالك وعرضك
.. وأمنك .. فاذا اعتدى أحد عليه فأنا أقتص منه وأنا القادر على
القصاص .. الفعال لما أريد ..

وهكذا كانت معجزة الخلق من الله سبحانه وتعالى .. رحمة
للانسان .. وفضلا من الله .. كان يقتضى منا الحمد والشكر
والطاعة .. وعندما تقول فضلا من الله .. فاعلم أن السموات
والارض .. وما فيهما من رزق ونعم وآيات وخلق من يوم الخلق
.. الى يوم القيامة .. هى فضل من الله .. أى زائد عن حاجته ..
لا يحتاج اليه لأن الله غنى عن العالمين .. وهكذا حين يعطينا النعم
.. يعطى .. ويعطى .. لأنه ليس محتاجا أن يبقى
شيئا لذاته .. فهو سبحانه وتعالى غنى عن هذا كله .

معجزة الخلق فيها رحمة .. وفيها نور .. وفيها فضل .. وفيها
رضا من الله .. وكل ما نحتاجه هو أن نتأمل هذا كله ابتداء من
آدم الى يومنا هذا .. والى ما سيأتى .. لنعرف مدى حب الله
سبحانه وتعالى لنا .. ومدى رحمته بنا .. ومدى كفر الانسان
ينعم الله .. ولو قدرنا الله حق قدره لعلمنا أن العمر قصير ، حتى
لو خصصناه كله لشكر الله على رحمته .. ولكن الانسان أحيانا
لا يرى وعيناه مفتوحتان .. ولا يسمع وأذناه سليمتان ..

محتويات « معجزة القرآن »

صفحة

٧	- الفصل الاول : ماهى المعجزة ؟
٢٣	- الفصل الثانى : معجزة القرآن وكيف تختلف ؟
٣٥	- الفصل الثالث : المعجزة اللغوية فى القرآن الكريم
٤٧	- الفصل الرابع : البلاغة فى القرآن الكريم
٦٥	- الفصل الخامس : التناقض فى القرآن الكريم
٨٥	- الفصل السادس : القرآن وقوانين الكون
١٠٣	- الفصل السابع : القرآن مزق حواجز الغيب
١٢٩	- الفصل الثامن : سبحان الله

الجزء الأول

الجزء الثانى

١٤٥	- الحمد لله
١٤٩	- الفصل الاول : الله والكون
١٦٧	- الفصل الثانى : الشك . . والوجود
١٩٧	- الفصل الثالث : خواطر حول سورة الكهف
٢١٥	- الفصل الرابع : علم الله . . وعلم الارض
٢٤١	- الفصل الخامس : عتاب النبى فى القرآن الكريم
٢٦٣	- الفصل السادس : معجزة الاسراء والمعراج

الجزء الثالث

٢٨٣	- الفصل الاول : وحدة الكون وقدرة الله
٣١٣	- الفصل الثانى : القوى الخفية فى العالم
٣٤٣	- الفصل الثالث : طلاقة القدرة فى الكون
٣٦٩	- الفصل الرابع : خواطر عن سورة مريم
٣٩٧	- الفصل الخامس : معجزة الخلق

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة:

موسى صبرى

رئيس التحرير:

افين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير:

عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير:

حسين فريد

العدد شعبان ١٤٠١

١٨٧ ١٥ يونيو ١٩٨١

حزيران

الإدارة: اضم - اليوم ٦ شارع

الصحافة ب ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس روى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية:

قيمة الاشتراك السنوى ٣,٥٠٠ جنيه مصرى

البريد الجوى:

دول اتحاد البند { ٥ جنيه مصرى
العرب والأفريقى { ٩ دولار أمريكى وداعلم

باقى دول العالم (أوربا { ١٠ جنيه مصرى
ولادى كيتيه وأسيا وأستراليا { ١٥ دولار أمريكى وداعلم

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٩٣ سن لصحافة القاهرة ب ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨١/٣٠٨٠

الترقيم الدول - ٨ - ٢١ - ٧٣٢٧ - ٩٧٧ ISBN



كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

قَطْرُوف

من أدب النبوة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري

من فصول الكتاب :

- النية روح العمل ● وفاء النبي لمصر ● مادبة الله لعباده
- بالمؤمنين رؤوف رحيم ● المثل معوان على المعرفة ● حوار شريف في
- مجلس الرسول ● الزراعة في موازين النبوة ● العمل صيانة للمروءة
- محمد تمام مكارم الاخلاق ● انبياء الله اخوة ● الايمان اصل الاسلام
- والاحسان ● اصول الاسلام ● الغلو مهلكة ● الدين النصيحة
- الخلق الحسن سبيل الفلاح ● المجاهرة بالمعصية حجاب عن المغفرة
- احب الامرين الى النبي ايسرهما ● الكبر حجاب عن الجنة ● خليفة
- يحمل صبيا ● الرؤيا ملك والحلم شيطان ● وفاء يعتز به التاريخ ● اذا
- رضى النبي امرا رضىناه ● سند التصوف في الاسلام ● انت تقرا والله
- يسمع ● الخطوة الاولى لحقوق الانسان ● النبي قدوة للمؤمنين
- اتقوا دعوة المظلوم ● خير الكنوز زوجة صالحة ● الاسلام عقيدة
- وسلوك ● لا صيام لمقترف رذيلة ● المسلم مسئول عن نفسه ..
- عدد خاص ممتاز

بمناسبة شهر رمضان المعظم

● يصدر أول يوليو

